

صُورَةٌ

الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

فِي كِتَابِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ

الْمُتَوَفِّي سَنَةَ ٢١٨ هِجْرِيَّةً



ISBN 978-9933-582-24-1



9 789933 582241 >

رقم الإبداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢٨٧٦ لسنة ٢٠١٧ م

KaPLI ara IQ-KaPLI rda

مصدر الفهرسة:

رقم التصنيف: BP22.2.I2 M308 2017

المؤلف الشخصي: الماجدي، شاكر هولة.

العنوان: صورة الإمام علي عليه السلام) في كتاب السيرة النبوية لابن هشام/
بيان المسؤولية: تأليف شاكر هولة الماجدي، تقديم السيد نبيل قدوري الحسني.
بيانات الطبعة: الطبعة الأولى.

بيانات النشر كربلاء، العراق، العتبة الحسينية المقدسة - مؤسسة علوم نهج البلاغة. 1438 - 2017 م
الوصف المادي: 552 صفحة:

سلسلة النشر: سلسلة الرسائل الجامعية - العراق/ وحدة الدراسات القرآنية.

تبصرة عامة: أصل الكتاب رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير.

تبصرة بيبليوغرافية: يتضمن هوامش، لائحة المصادر: الصفحات (521 - 546).

موضوع شخصي: محمد (صلى الله عليه وآله)، نبي الإسلام، 53 قبل الهجرة - 11 للهجرة.

موضوع شخصي: ابن هشام، عبد الملك، توفي 218 للهجرة، السيرة النبوية - النقد والتفسير

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، 23 قبل الهجرة - 40 للهجرة - سيرة.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، 23 قبل الهجرة - 40 للهجرة - حروب.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، 23 قبل الهجرة - 40 للهجرة - فضائل.

مصطلح موضوعي: الإسلام - تاريخ - عصر صدر الإسلام.

مصطلح موضوعي: الخلفاء.

مصطلح موضوعي: الصحابة والتابعون.

مصطلح موضوعي: السيرة النبوية.

مصطلح موضوعي: أحاديث - رواية

مدخل إضافي اسم شخص: السيد نبيل قدوري الحسني مقدم.

مدخل إضافي اسم شخص: ابن هشام، عبد الملك، توفي 218 للهجرة، السيرة النبوية.

عنوان إضافي: السيرة النبوية.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

سلسلة الرسائل الجامعية / العراق - جامعة ذي قار
وحدة الدراسات التاريخية
(٢٧)

صُورَةٌ

الْأَمَلِ عَلَى
الْبَيْتِ الْأَقْدَمِ
الْمَشْرِوْقِ

فِي كِتَابِ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ

المتوفى سنة ٢١٨ هجرية

تَأَلَّفَ

شَاكِرُ هَوَلَةَ الْمَاجِدِيِّ

اصْدَارُ
مَنْشُورَاتِ كَلِمَاتِ التَّلَاةِ
فِي الْعَيْشَةِ الْحَسَنِيَّةِ الْقُدْسِيَّةِ



جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م

العراق: كربلاء المقدسة - شارع السدرة

- مجاور مقام علي الأكبر (عليه السلام)

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الإلكتروني: www.inahj.org

الايمل: Inahj.org@gmail.com

تنويه:

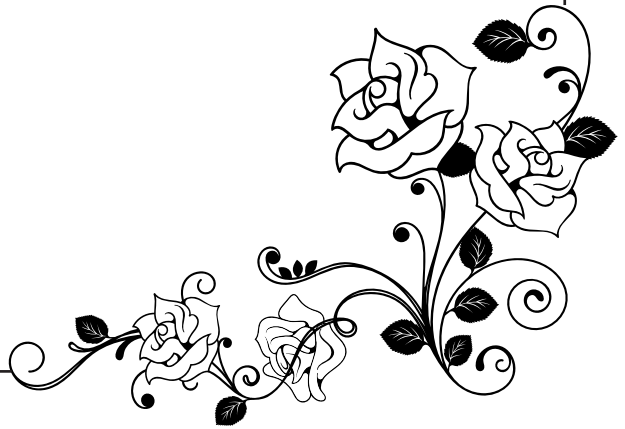
إن الأفكار الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ
اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾

[المائدة: ٥٥ - ٥٦]

صدق الله العلي العظيم



اللاهراء

- إلى سيد المتكلمين وإمام الزاهدين سيدي ومولاي أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

- إلى أرواح الذين ضحوا من أجل الدين والوطن واضعين نصب أعينهم ألم العراق وجراحه، متسلقين أعواد المشانق، هاتفين بشجاعة وبسالة قل نظيرها: كلا للظلم والطغيان فكانوا بحق مصداق للآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١) مستلهمين من مقولة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء: هيهات منا الذلة. مسطرين بذلك أروع معاني الإباء ورفض الظلم والذل.

شهداء العراق الأماجد الذين وقفوا بوجه أعتى طاغوت عرفته البشرية حكم العراق بالحديد والنار في حقبة سوداء مظلمة وعلى رأسهم سيدهم مولاي أبو جعفر محمد باقر الصدر ذلك الطود الشامخ الذي غرس في نفوس المؤمنين حب الشهادة وعلمهم معناها الحقيقي وأخته العلوية بنت الهدى (آمنة الصدر) اللذان وقفوا في حضرة الطاغوت رافضين كل تهديد ووعيد مرددين كد كيدك واسع سعيك، فوالله لن تمحو ذكرنا. فسلام عليهما يوم ولدا ويوم استشهدا ويوم بيعنا حين.

- إلى روح والدي العزيزين اللذين ريباني صغيراً، فدعائي لهما بالرحمة والمغفرة والرضوان.

- إلى زوجتي العزيزة التي وقفت معي مساندة ومشجعة طيلة فترة إعداد هذه الدراسة... إلى أولادي جميعاً داعياً ربي لهم بالحفظ والرعاية.

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاهاء، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيس والتبيين ولم يقتصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية، بل وغيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١)، كذا نجد يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضراً وشاهداً فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم والعترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات الجامعية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) يس: ١٢.

السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ(سلسلة الرسائل الجامعية) التي يتم عبرها طباعة هذه الرسائل وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه، بغية إيصال هذه العلوم الأكاديمية إلى الباحثين والدارسين وإعانتهم على تبيين هذا العطاء الفكري والانتهاج من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقولها المتعددة.

وما هذه الدراسة الجامعية التي بين أيدينا لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي إلا واحدة من تلك الدراسات التي وفق صاحبها للغوص في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقد أذن له بالدخول إلى مدينة علم النبوة والتزود منها بغية بيان أثر تلك السيرة العلوية في الإثراء المعرفي والتأصيل العلمي وما هذه الدراسة إلا إحدى تلك الثمار فقد تناول الباحث فيها صورة أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتاب السيرة النبوية لابن هشام مبيناً فيها شخصية الإمام (عليه السلام) في مراحل حياته منذ ولادته في بطن مكة مروراً بحياته وجهاده مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعده إلى حين استشهاده (عليه السلام) في محراب صلواته.

السيد نبيل قدوري الحسني
رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وأشرف خلق الله
أجمعين أبي القاسم محمد رسول ربّ العالمين وعلى آله الأطهار المنتجبين الأبرار الذين
أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً..

إنّ شخصية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من الشخصيات الكبيرة
والعظيمة في التاريخ، منها نستلهم الدروس والعبر، فهو معنا في كل حين وإن بعدت
الشقة الزمنية بيننا وبينه..

فهو الحاضر في قلوبنا والحي في ضمائرنا وهو صوت الحق والعدالة الصادح في كل
ساحات العزة والمجد والكرامة ولا يمكن لأيّ حرٍ شريف مسح صورته الماثلة دائماً
وأبدأ مناديه في كل وقت لا للذل والهوان.

والملاحظ أن بطولاته وكراماته ومناقبه لم تقتصر على ساحات القتال فقط، بل
كان في كل مجالات الحياة معلماً وهادياً ومرشداً وناصراً للمظلومين ومدافعاً دائماً قوياً
وفعالاً عن الحق فهو مع الحق والحق معه وهو عنوان لمن أراد حياة كريمة يسودها
العدل وتغمرها كرامة الإنسان.

ويستحيل على أي مؤرخ أو كاتب مهما بلغ من الفطنة والعبقرية أن يأتيك حتى
بألف صفحة بصورة كاملة لعظيم من عيار علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولحقة
حافلة بالأحداث الجسام كالحقبة التي عاشها، فالذي فكره وتأمّله وقاله وعمله ذلك

العلاقة بينه وبين نفسه وربه شيء لم تسمعه أذن ولم تبصره عين وهو أكثر بكثير مما عمله بيده أو أذاعه بلسانه. وإذ ذاك فكل صورة نرسمها له هي صورة ناقصة لا مجال^(١).

وقد يتبادر إلى ذهن المتلقي عند ملاحظة عنوان هذه الدراسة أن الكلام فيها يدور حول شخصية الإمام علي (عليه السلام) إلا أن الأمر فيها يختلف كثيراً حيث إن محور بحثنا هو الكيفية التي تم بها تصوير الإمام علي بن أبي طالب من قبل ابن هشام في السيرة النبوية وهل أن ابن هشام نقل لنا حقائق صورة الإمام علي، فلذلك عمدنا إلى اختيار عنوان لهذه الدراسة موسوم بـ(صورة الإمام علي (عليه السلام) في كتاب السيرة النبوية لابن هشام المتوفى (٢١٨هـ)).

منطلقين من فكرة أن المؤرخ كالمصور يحاول جهد إمكانه وقدر طاقته وعلمه وصف الشيء الذي يريد أن يحكيه وصفاً صادقاً مستمداً من المنابع والموارد الأساسية، وأن يبذل أقصى ما لديه من جهد للوصول إلى كنه الحادث الذي يبحث فيه^(٢).

تأتي أهمية الموضوع من عاملين رئيسين هما :

شخصية علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودوره البارز في أحداث السيرة النبوية بوصفه رجلها الأول بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقد شارك في العديد من مفاصل الدعوة الإسلامية واحداث السيرة النبوية والتي كان لمشاركته بصمتها الواضحة فيها.

المكانة البارزة لكتاب السيرة النبوية لابن هشام بين كتب السيرة

(١) جرداق، جورج، الامام علي صوت العدالة الإنسانية، (ذو القربى - قم)، ص ١٨

(٢) علي، جواد، تاريخ العرب في الإسلام، (دار الحداثة بغداد، د.ت)، ص ٣٦

والمغازي حيث يعد الكتاب الأول الذي يحمل أخبار السيرة وتفصيلها على الرغم مما حصل بها من تهذيب، وإن أهمية هذا الكتاب جعلت الباحثين لا يستغنون عنه أو يتجاوزونه في عمليات البحث والدراسة، فلذلك لا بد لنا من تسليط الضوء عليه، وكيف نقل صورة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهل أنصف صاحب السيرة ابن إسحاق ومهذبها ابن هشام تلك الشخصية وأبرزها إلى الأمة كقائد بذل كل ما يملك في سبيل الإسلام والمسلمين!؟

لذلك لا بد من مناقشة ذلك الأمر بصورة جدية وواضحة لغرض بيان المؤثرات المذهبية والسياسية والفكرية ودورها في التأثير على ابن هشام في بيان صورة الإمام علي بن أبي طالب.

فالملاحظ أن كثيراً من الرواة والمؤرخين قام بحجب الصورة الحقيقية عن المتلقي بالقطع تارة وبالتشويش أو بقلب الحقائق تارة أخرى، فتكوّنت هناك ضبابية كبيرة لا يستطيع الإنسان أن يتلمس المعالم الحقيقية لتلك الصورة.

فدورنا في هذه الدراسة هو بيان ذلك ورفع اللبس وما أراد المؤرخون وأصحاب السيرة من نقل أشياء غير حقيقية إلى الأمة لتنفيذ رغبات وميول سياسية أو مذهبية أو فكرية حسب المنطلقات التي ينطلق منها الراوي أو كاتب السيرة.

فقد قمنا بتقسيم الدراسة إلى أربعة فصول وهي كالآتي:

الفصل الأول وكان عنوانه (السيرة النبوية بين التطور والتهذيب) واحتوى هذا الفصل على ثلاثة مباحث، كان المبحث الأول يحمل عنوان مصادر السيرة النبوية حيث تم بيان المصادر الرئيسية للسيرة النبوية منها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إضافة إلى مدونات الصحابة، وكان التركيز على قسم منهم حسب ما يتسع له

مجال البحث، وبيّنا بعد ذلك دور التابعين وتابعيهم في رقد السيرة النبوية بالروايات التاريخية، وقد تم إيضاح المؤثرات التي وقعت على الراوي منها الفكرية والسياسية والمذهبية ومدى تأثيرها في نقل الحقيقة، أما المبحث الثاني فكان مختصاً ببيان صاحب السيرة الأساسي محمد بن إسحاق حيث التعرف على سيرة حياته والمؤثرات السياسية التي وقع تحتها في أثناء تدوينه للسيرة وإخراجها بشكل كتاب وفق منهجية واضحة المعالم.

أما المبحث الثالث فقط اختص بدراسة مذهب سيرة ابن إسحاق وهو ابن هشام وما هي الأسباب التي دعت به إلى تهذيب السيرة النبوية.

وفي الفصل الثاني الذي كان تحت عنوان (الإمام علي عليه السلام) من الولادة حتى الهجرة) حيث قسم على مبحثين تناولنا في الأول دراسة نسب الإمام علي عليه السلام) ومآثر آبائه وكما ورد في السيرة النبوية لابن هشام، وفي الثاني درسنا ولادته المباركة وإسلامه ثم حديث الدار ومبته في فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وكان الفصل الثالث بعنوان (الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) من الهجرة حتى فتح مكة) حيث قسم هذا الفصل على ثلاثة مباحث كان المبحث الأول بعنوان هجرة الإمام علي وما تلاها من أحداث مثل المؤاخاة وزواجه من الزهراء (عليها السلام) ثم تكتيته بأبي تراب، أما المبحث الثاني فقد تناول فيه الباحث نقل صورة الإمام علي في معركتي بدر وأحد، أما المبحث الثالث فقد تم التطرق فيه إلى الصورة الجهادية للإمام علي بن أبي طالب في المعارك التالية لأحد مثل الخندق وغزوة بني قريظة وغزوة بني المصطلق، وقد تم التطرق إلى حادثة الإفك ثم غزوة خيبر.

وكان الفصل الرابع بعنوان (الإمام علي عليه السلام) من الفتح حتى وفاة

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)) وقد قسم على ثلاثة مباحث، ففي المبحث الأول تمت دراسة الإمام علي في فتح مكة، والمبحث الثاني سلط الضوء على الإمام علي (عليه السلام) بعد فتح مكة، أما المبحث الثالث الذي حمل عنوان الإمام علي في مرض الرسول وبعد وفاته حيث تم التطرق من خلال ذلك إلى ما حدث في سقيفة بني ساعدة حيث غيرت مجرى تاريخ الإسلام بذهاب الخلافة إلى أبي بكر بن أبي قحافة .

وختمنا دراستنا بعرض سريع لأهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث، وفي النهاية تم تثبيت قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها ومن أهمها:

١ - القرآن الكريم :

لما لهذا الكتاب من قدسية حيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من الله تبارك وتعالى فيه قول الحق والصدق لذلك تم اعتماده أولاً لما في آياته الكريمة من دلالة واضحة على إغناء موضوع دراستنا بالأدلة القطعية والمتفق عليها من الفريقين بحق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فهناك آيات كثيرة صدع بها القرآن يحكي مناقب علي بن أبي طالب وإن اختلف في تفسير وتأويل بعضها إلا أن الاتفاق على تأويل الكثير من حيث النزول والدلالة بحق علي بن أبي طالب وهذا ما سنلاحظه من خلال بحثنا.

٢ - كتب التفسير والحديث :

أسهمت هذه المصادر إسهامة جادة وفاعلة في نقل الصورة الحقيقية لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) على الرغم من محاولات البعض تشويشها إلا أن القسم الأكبر منها أجاد في نقل الحقائق وكثير من الآيات القرآنية الكريمة كانت نازلة بحق علي

بن أبي طالب أو كان نزولها بمناسبة كان الإمام علي (عليه السلام) هو صاحبها مبينة فضله ومكانته، ومن هذه المصادر كتاب (تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ - ٩٢٢م) وكتاب (تفسير القمي) لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩هـ - ٩٤٠م) وكتاب (تفسير فرات الكوفي) لفرات بن إبراهيم الكوفي (ت: ٣٥٢هـ - ٩٦٣م) وكتاب (معالم التنزيل في تفسير القرآن) لأبي الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ - ١١١٦م) وكتاب (التفسير الكبير) لمحمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ - ١٢٠٩م)، وكتاب (الجامع لأحكام القرآن) لمحمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ - ١٢٧٢م) وغيرها من التفاسير الهامة في هذا المجال.

أما كتب الحديث والصحاح التي حملت بين طياتها وفي ثناياها الكثير من الشواهد التي تبين مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وتؤكد من خلال ما ورد فيها من أحاديث وروايات الفضل والمنزلة الرفيعة لعلي (عليه السلام) منها كتاب (المسند) لأحمد بن حنبل (ت: ٢٤٠هـ - ٨٦٩م)، وكتاب (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ - ٨٦٩م)، وكتاب (صحيح مسلم) لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ - ٨٧٤م) وكتاب (سنن الترمذي) لأبي عيسى محمد ابن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ - ٨٩٢م)، وكتاب (السنن الكبرى) لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ - ٩١٥م) وكتاب (أصول الكافي) لمحمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ - ٩٤٠م)، وكتاب (المستدرک علی الصحیحین) لأبي عبد الله محمد بن عبد الله، الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ - ١١١٤م).

٣ - كتب السير والمغازي والطبقات والتراجم:

نظراً لأهمية تلك المصادر فقد أغنت دراستنا بمعلومات قيمة فكان في مقدمتها كتاب (السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ - ٧٦٨م)، وكتاب (السير النبوية)، لابن هشام محمد بن عبد الملك بن أيوب (ت ٢١٨هـ - ٨٣٣م)، وكتاب (عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير) لابن سيد الناس أبي الفتح محمد بن محمد (ت ٧٣٤هـ - ١٣٣٣م).

أما كتب المغازي فكتاب (المغازي) لمحمد بن عمر بن واقد، الواقدي (ت ٢٠٧هـ - ٨٢٢م).

أما كتب الطبقات التي اعتمدت عليها الدراسة كتاب (الطبقات الكبرى) لابن سعد محمد بن منيع (ت ٢٣٠هـ - ٨٤٤م).

أما كتب التراجم التي زودت دراستنا بمعلومات قيمة وذات أهمية كبيرة لتراجم العديد من الشخصيات منها كتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البر عمر يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ - ١٠٧٠م)، وكتاب (أسد الغابة في معرفة الصحابة) لابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ - ١٢٣٢م) وكتاب (سير أعلام النبلاء) لشمس الدين محمد بن أحمد للذهبي (ت ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م)، وكتاب (تهذيب الكمال) لجمال الدين يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ - ١٣٤١م).

٤ - كتب التاريخ العام:

من المصادر المهمة والأساسية التي استقيت منها معلومات هامة في هذه الدراسة كتاب (أنساب الأشراف) و (جمل أنساب الأشراف) لأحمد بن يحيى بن

جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ - ٨٩٢م)، وكتاب (تاريخ يعقوبي) لأحمد بن إسحاق بن جعفر يعقوبي (ت ٢٩٢هـ - ٨٩٥م)، وكتاب (تاريخ الأمم والملوك) للطبري، وكتاب (الإرشاد) لأبي عبد الله محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣هـ - ١٠٣٢م)، وكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير، وكتاب (البداية والنهاية) لابن كثير عماد الدين أبي الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م).

٥ - كتب الأدب:

لكتب الأدب مكانة هامة في جميع مفاصل البحث لما تتضمنه من معلومات مهمة وقيمة منها كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ - ٩٣٩م)، وكتاب (معجم الأدياء) لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ - ١٢٣٩م)، وكتاب (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي (ت ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م).

٦ - كتب اللغة:

تعد كتب اللغة من المصادر الهامة جداً بالنسبة للباحث حيث يمكن من خلالها التعرف على المصطلحات والمفردات اللغوية التي تواجه الباحث عند دراسته منها كتاب (العين)، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ - ٧٩١م)، وكتاب (لسان العرب) لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ - ١٣١١م)، وكتاب (القاموس المحيط) لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ - ١٤١٤م).

٧ - كتب الجغرافية:

من المصادر المهمة التي لا يمكن للباحث في التاريخ الاستغناء عنها كتاب (معجم

ما استعجم) لعبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي (ت ٤٨٧هـ - ١٠٩٤م)،
وكتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي.

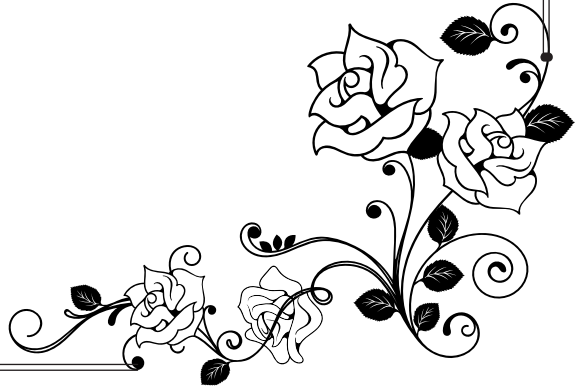
٨ - المراجع الحديثة :

لا يمكن تجاهل الدور الكبير للدراسات والمراجع الحديثة حيث معلوماتها القيمة منها كتاب (المغازي الأولى ومؤلفوها) يوسف هوروفنتس، وكتاب (نشأة التدوين التاريخي عند العرب) لحسين نصار، وكتاب (تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين) لعمار عبودي، وكتاب (نقد الرواية التاريخية) لعبد الجبار ناجي، وكتاب (السقيفة) لمحمد رضا المظفر، وكتاب (نشأة علم التاريخ عند العرب) لعبد العزيز الدوري، وكتاب (التاريخ العربي والمؤرخون) لشاكر مصطفى، وغيرها من الدراسات الحديثة والبحوث التي سوف نذكرها بشكل مفصل في قائمة المصادر. وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت ما استطعت في إخراج الحقيقة التي عُيِّتَ ولو بالشيء المتيسر وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الباحث

الفصل الأول

السيرة النبوية بين التطور والتهديب



المبحث الأول

مصادر السيرة النبوية

لا غنى للباحثين عن دراسة السيرة النبوية؛ لأنها تمثل نقطة التحول في حياة الأمة على المستوى الفكري والاجتماعي والديني؛ لأن حياة الرسول مليئة بالعظمة والمواقف التي لا بد للإنسان أن يستفيد منها والنهل من علومها حيث يعتبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الأسوة والقُدوة لكل إنسان وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾^(١).

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يصف الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في خطبته ((فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى، سراج لمع ضوؤه، وشهاب سطر نوره، وزندٌ برق لمعه، سيرته القصد، وستته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل، أرسله على حين فترة من الرسل، وهفوة عن العمل، وغباوة من الأمم))^(٢).

وفي كلام آخر للإمام (عليه السلام) ((فتأس بنبيك الأطيب الأطهر (صلى الله عليه وآله) فإن فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى، أحب عباد الله المتأسي بنبيه والمقتفي لأثره. قضم الدنيا قضمًا ولم يعرها طرفًا، أهضم أهل الدنيا كشحًا وأخمصهم من الدنيا بطنًا، عُرِضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئًا فأبغضه، وحقّر شيئًا فحقّره، وصغر شيئًا فصغّره. ولم يكن فينا إلا حينا ما أبغض الله ورسوله، وتعظيمًا ما صغر الله ورسوله لكفى به شفاقًا لله ومحادةً عن أمر الله))^(٣).

(١) سورة الأحزاب، آية (٢١).

(٢) نهج البلاغة، ترتيب صبحي الصالح (ط ٤)، نور الهدى - قم، ١٤١٣ هـ، ص ١٧٤ (خطبه ٩٤).

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٣-٢٨٤، خطبه ١٦٠.

هذه النصوص وغيرها سواء أكانت من كتاب الله أم من خطب الإمام علي (عليه السلام) أو من أقوال الصالحين من العباد ترشدنا إلى دراسة السيرة النبوية، فليس الغرض من دراسة السيرة الوقوف على الأحداث والوقائع التاريخية إنما الغرض الأساسي أن يرى المسلم المفاهيم الإسلامية في مجموعها متجسدة في حياته من خلال أقواله وتقاريره وممارساته اليومية لحياته الخاصة^(١)، فلهذا لا بد أن تكون هناك مصادر يمكن لكاتب السيرة أن ينهل منها عطاء هذه السيرة وخير ما يمكن الاعتماد عليه في ذلك كتاب الله ليكون هو المصدر الأول الذي يمكن الاعتماد عليه في كتابة السيرة النبوية.

القرآن الكريم

هو كتاب الله المنزّل على رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن طريق الوحي لفظاً ومعنى بلسان عربي ونقل إلينا نقلاً متواتراً، حيث يجوي على مئة وأربع وعشرة سورة مكية ومدنية احتواها ثلاثون جزءاً^(٢).

ومن المعلوم أن القرآن هو المصدر الأول لفهم الملامح العامة لحياة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن أهم ما في سيرته (صلى الله عليه وآله وسلم) وأوثقها وأكثرها صحة هو ما اقتبس من القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد، إلا أن معرفة تفسير الآيات القرآنية ومواضع نزولها والحوادث التي تشير إليها استدعى بروز مفسرين أسهموا إسهاماً فعالاً في

(١) ال قاسم، عدنان فرحان، دروس في السيرة النبوية، (دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م) ج١، ص ٢٩.

(٢) محسن، إبراهيم جدوع وحميد سراج جابر، الأهمية الاجتماعية والثقافية للسيرة النبوية عند الكليني، (مؤسسة التميمي، النجف الاشرف ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م)، ص ٢٤.

فهم النص القرآني ومن ثم اعتبروا عاملاً مهماً من العوامل التي دفعت إلى عملية كتابة السيرة التي تعتمد على القرآن كمصدر أساسي لها^(١).

وعليه فالقرآن مصدر أساسي نستمد منه ملامح السيرة النبوية، فقد جاء في ثنايا القرآن الكريم الكثير من الآيات القرآنية التي تعرضت لحياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل البعثة وبعدها من ولادته ونشأته إلى حين التحاقه بالرفيق الأعلى^(٢) حيث يتضمن ذلك الإشارات الواضحة للبعثة النبوية المباركة وما لقيه (صلى الله عليه وآله وسلم) من أذى من قريش وعنت في سبيل دعوته وكانت هناك آيات قرآنية تتحدث عن سيرة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في طفولته المباركة ومنها على سبيل المثال ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾^(٣) بيان حالة اليتيم للنبي الأكرم، وكما هو معروف فقد له لأبويه وبعد ذلك جده عبد المطلب إلى أن ضمه أبو طالب عمه^(٤) فكان خير كافل له، وفي آية أخرى في نفس السياق ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾^(٥)، يذكر أصحاب التفاسير أن لهذه الآية وجوهاً عدة منها على سبيل المثال: وجدك لا تعرف الحق فهداك إليه، بأن نصب إليك الأدلة وأرشدك إليها حتى عرفه الحق وذلك من نعم الله^(٦)، ومنها هدى

(١) نصار، حسين، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، (مكتبة النهضة المصرية د.ت)، ص ٨.

(٢) حمادة، فاروق، السيرة النبوية وتقويمها، (دار العلم. دمشق، د.ت) ص ٣٩.

(٣) سورة الضحى: آية (٦).

(٤) الكوفي، فرات إبراهيم ت (٣٥٢هـ - ٩٦٣م)، تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد كاظم، (مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والارشاد - طهران ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، ص ٥٦٩.

(٥) الضحى: آية (٧).

(٦) الطوسي، محمد بن الحسن ت (٤٦٠هـ - ١٠٦٧م)، التبيان في تفسير القرآن، تصحيح، أحمد حبيب قصير (دار احياء التراث العربي، ١٤٠٩هـ)، ج ١٠، ص ٣٦٩.

قوماً لا يعرفونك حتى عرفوك^(١)، ومنها بأنك ضال عما أنت عليه فهذاك للتوحيد وللنبوة وقد تعبر الضلالة في هذه الآية عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلاً عنها فهذاك إليها^(٢).

وفي رأي آخر وجد قومك في ضلالة فهذاك إلى إرشادهم، ورأي آخر وجدك ضالاً عن الهجرة فهذاك إليها، أو وجدك طالباً إلى الهجرة فهذاك إليها، ورأي آخر أيضاً ضالاً في شعاب مكة فهذاك وردك إلى جدك عبد المطلب، وذكرت الرواية عن ابن عباس ((ضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو صغير في شعاب مكة فرآه أبو جهل منصرفاً عن أغنامه فرده إلى جده عبد المطلب، فمنَّ الله عليه بذلك حيث رده إلى جده على يدي عدوه))^(٣).

وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة التي تبين حياة الرسول الأكرم في مرحلة الصبا والشباب وهي حياة مليئة بالعظاظة والعبر، فقد بينها الله في كتابه المجيد لتكون منهجاً وعبرة للناس ونحن نورد الآيات وتفاسيرها أعلاه فقط لمحمل الشاهد وليس لبيان تفسيرها لأن هناك اختلافاً كبيراً في ذلك من قبل المفسرين في تفسير كل آية، إضافة إلى أن المشركين نعتوا الرسول بالسحر والجنون وغيرها للصد عن دين الله تعالى، إضافة إلى أن القرآن تطرَّق للهجرة المباركة للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وبيان ما لاقى قبل الهجرة وفي أثناء هجرته المباركة حيث تطرَّق إلى

(١) القمي، علي بن إبراهيم ت (٣٢٩هـ - ٩٤٠م)، تفسير القمي، تصحيح طيب الموسوي الجزائري، (مطبعة النجف، ١٣٨٧هـ) ج ٢، ص ٤٢٧.

(٢) البغوي، أبو الحسن بن مسعود ت (٥١٠هـ - ١١١٦م)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق خالد عبد الرحمن، (دار المعرفة - بيروت - د.ت)، ج ٤، ص ٤٩٩.

(٣) القرطبي، محمد بن أبي بكر ت (٦٧١هـ - ١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق مصطفى السقا، (دار احياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥ - ١٩٨٥) ج ٢٠، ص ٩٧.

مؤامرة قتل الرسول من قبل قريش ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْرِبُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

وكذلك تطرّق إلى أهم المعارك الحربية التي خاضها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد هجرته المباركة فتكلم عن معركة بدر وأشار إلى النصر في تلك المعركة: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢)، وكذلك عن معركة أحد حيث نزلت في ذلك ستون آية من آل عمران فيها صفة ما كان في يومهم ذلك، ومعاتبه من عاتب منهم، فقال تعالى ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^{(٣)(٤)}.

وكذلك ما نزل من القرآن في حوادث عديدة مثل معركة الخندق وصلاح الحديدية وفتح مكة وحنين وتحدث عن معاجز الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كالأسراء والمعراج^(٥).

كذلك حدثنا القرآن عن حياة النبي الخاصة في كثير من المواطن وكيف يعيش حالة التقشف والزهد مع إقبال الدنيا عليه حتى أن أزواجه طالبنه بمزيد من النفقة وخرجن إليه جهرة وكنّ يومئذ تسع نسوة فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا

(١) سورة الانفال، آية (٣٠).

(٢) سورة آل عمران، آية (١٢٣).

(٣) سورة آل عمران، آية (١٢١).

(٤) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، ت (٢١٨ - ٨٣٣م) السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون

(ط ٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة، ٢٠١٢)، ج ٣، ص ١١٢.

(٥) السباعي، مصطفى، السيرة النبوية دروس وعبر، (المكتب الإسلامي - بيروت. د.ت) ص ٢٣.

جَمِيلاً ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(١). وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي تدخل في تفاصيل سيرة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

وبشكل عام ففي القرآن هيكل السيرة كاملاً وأساسياتها، وعدد غير قليل من التفاصيل والأحداث الجزئية وإن كانت تخلو من الأرقام والأعلام^(٢).

وقد ذكر أحد الباحثين^(٣) الذي وضع مصنفاً للسيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة المطهرة ((أن من نافلة القول أن نقول: إن المرجع الأول في دراسة السيرة النبوية هو القرآن الكريم؛ لأنه القرآن المتواتر الذي يفيد القطع واليقين، ولا يتطرق إلى الشك والارتياب، فهو أوثق المصادر وأولها بالقبول))؛ ولأن القرآن الكريم عن الخالق جل وعلا، كان خير مصور لشخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وليس هناك أصدق ولا أوفى بالكلام منه، وتأتي أهمية القرآن الكريم بوصفه المصدر الأول للسيرة النبوية والأوثق؛ لأنه الكتاب الموصوف ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٤)، وقد دونه المسلمون واعتنوا به كثيراً سواء أكان ذلك حفظاً أم تدويناً لأنه دستورهم في دينهم ودنياهم.

(١) الأحزاب، آية ٢٨-٢٩.

(٢) حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقييمها، ص ٤٥.

(٣) أبو شبة، محمد بن محمد، السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، (دار العلم - بيروت، د.ت) ج ١، ص ١٣.

(٤) فصلت آية (٤٢).

سنة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)

المصدر الآخر لمصادر السيرة النبوية هي سنة الرسول بكل ما تحويه من أقوال وهي الأحاديث الشريفة أو أفعال وتقارير نقلت إلينا من خلال الأحاديث وقد قسمت السنة المطهرة من حيث ماهيتها على ثلاثة أقسام:

السنة القولية: ويراد بها أقوال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأقوال الأئمة عليهم السلام من آل البيت وما نطق به هؤلاء من نصائح وإرشادات وخطب ومواعظ في مناسبات معينة وفي أماكن متعددة وهي تعتبر مرادفة للحديث.

السنة الفعلية: ويراد بها أفعال الرسول وما فعله الأئمة الأطهار (عليه السلام) كأداء الفرائض، وإصدار الأحكام، وتهيئة الجيوش للجهاد، وتنظيم شؤون الدولة المالية والإدارية وغيرها حيث أصبح ما فعله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ابتداءً، وعرفت صفته الشرعية من وجوب وندب وإباحة تشريعاً للأمة فيثبت حكم ما فعله بحق المكلفين.

السنة التقريرية: يراد بها سكوت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الأطهار عن إنكار قول أو فعل صدر في حضرته، أو في غيابه وعلم به، فهذا السكوت يدل على جواز الفعل وإباحته؛ لأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يسكت عن باطل أو منكر^(١).

هذا توضيح بسيط لمعنى السنة والذي يهمننا هنا إيراد الأحاديث وأهميتها بوصفها الجامع لتلك السنة المطهرة، فإن لأحاديث الرسول الأثر الواضح في تدوين السيرة النبوية المطهرة إذ عني المسلمون بجمع الأحاديث ليفسروا بها القرآن ويستنبطوا منها

(١) الحكيم، حسن، مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث، (مكتبة الدار العربي - د.ت) ص ١٨-١٩.

أحكام الدين، وكان من هذه الأحاديث جمل وافرة تتعلق بحياة الناس والصحابة فجمعت فيما جمع، وكانت أساس كتب السير والمغازي فيما بعد^(١).

إضافة إلى ذلك يمكن الاعتماد على الحديث النبوي في الجوانب الإدارية لبناء الدولة الإسلامية كما أشرنا في أعلاه وفي شؤون الحياة الأخرى حيث يعتبر ذلك ضرورة مباشرة وطبيعية لدى أهل العلم، كما أن مغازي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وغزوات أصحابه كانت مصدر اهتمام واعتزاز لدى المسلمين؛ لأنها تحمل إليهم روح الجهاد والكفاح في سبيل إعلاء كلمة الإسلام لتصبح هي العليا والقضاء على الشرك والكفر حيثما كان، كل ذلك كان من المواضيع المحببة في مجالس السمر، وكانت المشاركة في مغازي الرسول وفعالياته الأخرى عاملاً في رفع المنزلة الاجتماعية وعنصرًا في تحديد العطاء في الديوان مما قوى الاهتمام بها، وسرعان ما صار الصحابة أنفسهم قدوة لمن بعدهم في أقوالهم وأعمالهم، فأصبحت هذه مشمولة بالحديث^(٢).

وذكر أحد الباحثين^(٣) عن أهمية الحديث في كتابة السير (لاشك أن مادة السير في كتب الحديث موثقة يجب الاعتماد عليها وتقديمها على روايات كتب المغازي والتواريخ العامة، وخاصة إذا أوردتها كتب الحديث الصحيحة لأنها ثمرة جهود جبارة قدمها المحدثون عند تمحيص الحديث ونقده سناً وامتناً، وهذا التدقيق والنقد الذي حظي به الحديث لم تحظ به الكتب التاريخية، ولكن ينبغي التفتن إلى أن كتب الحديث بحكم عدم تخصصها لا تورد تفاصيل المغازي وأصحاب السير بل تقتصر

(١) نصار، حسين، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ص ٨.

(٢) الدوري، عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب (مركز زايد للطباعة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، ص ٢٢-٢٣.

(٣) العمري، اكرم ضياء، السيرة الصحيحة، (ط ٦، مكتبة العلوم والحكمة - المدينة المنورة - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ج ١، ص ٥٠.

على بعض ذلك، مما ينصوي تحت شرط المؤلف أو وقعت له روايته، ومن ثم فإنها لا تعطي صورة كاملة لما حدث، وينبغي اكمال الصورة من كتب السيرة المختصة وإلا فقد يؤدي ذلك إلى لبس كبير)، ولعل الملاحظ أن هناك اختلافاً واضحاً بين أهل الحديث الذين اقتصوا بنقل الحديث النبوي وبين غيرهم من رواة الأخبار التاريخية، فإن أهل الحديث ينقلون المتن الواحد بالإسناد الواحد أو المتن الواحد بأسانيد عدة، أو المتون العديدة بإسناد واحد وهم في كل ذلك يميزون بين الإسناد والإسناد وبين المتن والمتن فلا يدخلون حديث رجل في حديث رجلٍ آخر، ولا يدمجون الألفاظ بعضها ببعض فيمكنهم التحقق من نسبة الكلمة الواحدة إلى قائلها، وعزوا الحرف الواحد إلى صاحب الرواية.

أما المؤرخون وأصحاب الرواية التاريخية فالخبر عندهم هو الأصل، ولذلك عرفوا بالأخباريين، والخبر إما أن يكون بسيطاً كنظيره عند المحدثين أو مركباً من متون عديدة بأسانيد مختلفة وفي هذا الخبر المركب قد يقع الاختلاف بين المنهجين وهم يتوصلون إلى هذا الخبر بجمع شتات الروايات المتعددة المتعلقة بالواقعة المعينة وصهرها في قالب واحد ومتن منفرد مكتمل المعالم، ويجمعون مصادرهم وأسانديهم في أول الخبر ثم يدمجون المتون ويخرجونها ويستكملون بألفاظهم أحياناً لما تقتضيه طبيعة الخبر التاريخي من الاتصال وترابط الاجزاء، ويسمى بعض المحدثين هذا بالإسناد الجمعي ومن ميزاته التاريخ المتسلسل للحوادث وترتيبها ترتيباً زمنياً^(١).

(١) سلامه، محمد يسري، مصادر السيرة النبوية (مقدمة في تدوين السيرة) تقديم، بشار عواد معروف، (دار الجيزاني للنشر والتوزيع - القاهرة ١٤٣٦هـ) ص ٨٥.

إن العمل الذي ولد الرواية التاريخية التي تقوم على الإسناد الجمعي يعدّ خطوة تقدم جريئة في الوصف التاريخي استخدمه المؤرخون في غربلة الرواية التاريخية ووضع خلاصتها في قالب واحد، وإن كان العمل هذا فتحاً للعابثين الذين لا يوثق برواياتهم باباً من أبواب العجب، على أن الحوادث برهنت فيما بعد على أنه مهما اعترض عليها المعترضون في مقدمتهم أصحاب الحديث فإنها خطوة لا بد منها، إذ أثبت التجارب أنه لا يمكن الاستمرار إلى الأبد في عرض التاريخ بأسلوب أهل الحديث وتجزئة الحادثة التاريخية إلى أجزاء وأشلاء متناثرة بحيث يكون كل جزء من الرواية في مكان، أو تكريس عدد كبير من النصوص دون ترتيب أو تنظيم أو مناقشة أو إبداء رأي^(١).

وفي نهاية الحديث عن هذا المورد يمكن أن نستنتج أنه يمكن الاستفادة من الحديث كمادة أولية أو مصدر أساسي يعتمد عليه في كتابة السيرة النبوية دون الذهاب إلى الطريقة التي يعتمدها أصحاب الحديث، فبذلك تولد لدينا روايات تاريخية متناسقة وحسب السياق الزمني الذي يريده كاتب السيرة عندما كتبت السيرة بشكلها المدون^(٢).

وهناك مورد آخر صادر عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يمكن إضافته إلى هذا الباب من المصادر وهو المدونات الصادرة من الرسول في إدارة دولة المدينة وهي (الوثائق النبوية)، فقد استفاد العلماء المسلمون من هذه الوثائق وقد اعتمدها في مصنفاتهم بحسب اختصاصهم واهتمامهم لتكون رافداً مهماً إضافة إلى القرآن والحديث التي اعتمدت كمصادر أساسية من مصادر السيرة النبوية؛ وذلك لأنها شملت جوانب عدة من حوادث عصر الرسالة، إذ ضمت هذه الوثائق:

(١) علي، جواد، أبحاث في التاريخ الإسلامي، مراجعة نصير الكعبي (منشورات الجمل بغداد،

٢٠١١م)، ج ٢، ص ١٩.

(٢) سلامة، مصادر السيرة النبوية، ص ٨٦.

١. المعاهدات الجديدة أو تجديد ما سبق من معاهدات.
٢. الدعوة إلى الإسلام.
٣. تولية العمال وذكر واجباتهم وكيف ينبغي لهم أن يتصرفوا في أمر من الأمور.
٤. العطايا من الأراضي والغلات وغيرها.
٥. استثناء بعض الأوامر في حق أناس معينين.
٦. كتب الأمان والتوصية.
٧. المتفرقات التي جاءت جواباً عما كتبه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١).

إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أن هذه الوثائق يجب أن لا تؤخذ جميعها من المسلمات الأكيدة وأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أقر بكتابتها، فلا بد وأن لعبت بها الأيدي وظهر معظمها مزيفاً وموضوعاً، وقد أشار لذلك حميد الله ((ونظن بوجه عام أن كتب الأمان التي كتبها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للقبائل المسلمة أو الخاضعة له والتي لم تتضمن إلا مطالبتهم بأداء الفرائض الدينية صحيحة؛ لأنه لا يوجد فيها ما عسى أن يكون موضوعاً إذ لا حاجة إلى أحد لوضعها، ولو كانت بعض هذه الكتب وضعت لتكون مفخرة لقبيلة على أخرى، فإن مثل هذا الوضع يترك طابعاً في أسلوبها، ولكن مثل هذه الوثائق لا تحوي إلا على إعطاء الأمان والأمر بإقامة الفرائض.

أما الوثائق التي لا تشمل إلا الحقوق دون الواجبات أو التي تذكر أشياء لم توجد في عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كتبها للأنصار واليهود والمجوس... فوق هذا نجد أن الوثائق الطويلة أكثر تتعرض للتحريف، إذ كان المعتمد في الرواية السماع، ولذا نجد أن أطول النصوص أكثرها اختلافاً)) ^(٢).

(١) حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية (للعهد النبوي والخلافة الراشدة)، (ط ٥)، دار النفائس

- بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ص ٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١.

مدونات الصحابة

سوف نتطرق من خلال دراستنا لهذه الفقرة إلى الذين دونوا الأحداث التاريخية واعتنوا بها كثيراً سواء أكانوا من الصحابة أم من التابعين ونعرض ماهي إنجازاتهم في مجال كتابة السيرة أو رفدهم إلى من كتب السيرة النبوية بالنصوص التاريخية المدونة أو بالمعلومات، وبذلك شكلوا مصدراً آخر من مصادر السيرة النبوية.

عبد الله بن عمرو بن العاص ت (٦٥هـ - ٦٤٨م)

ابن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم، وأمّه ربيعة بنت مبنة بن الحجاج بن عامر ابن حذيفة بن سعيد بن سهم، وكنيته أبو محمد، وذكر الواقدي أنه أسلم قبل أبيه^(١). وقد استأذن النبي حسب الرواية المسندة إليه في كتابة ما سمعه منه، قال فأذن لي فكتبته، وكان عبد الله يسمى ما كتبه من أحاديث عن النبي في صحيفة تسمى (الصادقة) حيث قال عنها: ((هذه الصادقة فيها ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وليس بيني وبينه فيها أحد))^(٢). حدث عنه أنس بن مالك وأبو أمامة بن سهل، وسعيد بن المسيب^(٣) وعروة، ومجاهد، وغيرهم كثيرون^(٤).

وذكر أنه حفظ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألف مثل، وأنه كان

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٨٢، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٢، ص ٨٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٨٣.

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة، يعد من العلماء أهل المدينة وقد أخذ من الكثير وأبرز من أخذ منه الزهري ويذكر الذهبي انه كان يفتي على الرغم من تابعيته والصحابة احياء توفي سنة (٩٤هـ - ٧١٢م) ينظر الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٢١٧.

(٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٢، ص ٨١-٨٢.

يدون ما يقوله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١).

وقد اختلف في قتاله إلى جنب معاوية يوم صفين فمنهم من أيد ذلك ^(٢)، ومنهم من رفضه بالقول عن عبد الله بن عمرو أنه قال: ((مالي ولصفين مالي ولقتال المسلمين لو وددت لو أني متُّ قبلها بعشرين، أو قال بعشر سنين، أما والله علي ذلك ما ضربت بسيف ولا رميت بسهم)) ^(٣).

إلا أن هناك ما يؤيد اشتراكه في حرب صفين وذكر أنه كان في جيش معاوية بن أبي سفيان وكان على الميمنة، وأن مقولته المذكورة أعلاه كانت بعد اشتراكه في الحرب بعد ذلك فقال تلك المقولة، وهذا أقرب إلى الواقع؛ لأنه كان مع أبيه في فتح الشام ويوم اليرموك وكذلك في صفين وذكر ((قال له أبوه: يا عبد الله، اخرج فقاتل. فقال: يا أبتاه، أتأمري أن أخرج فأقاتل وقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعهد إلي ما عهد؟ قال: إني اشهدك الله يا عبد الله، ألم يكن آخر ما عهد إليك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن أخذ بيدك فوضعها في يدي، وقال: ((أطع أباك)) قال اللهم بلى. قال: فإني أعزم عليك أن تخرج فقاتل. فخرج فقاتل وتقلد سيفين، وندم بعد ذلك)) ^(٤).

(١) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري ت (٦٣٠هـ - ١٢٣٢م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (دار الكتب العلمية - بيروت، د.ت) ج ٣، ص ٣٤٦.

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٣٤٧.

(٣) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٢، ص ٩٢.

(٤) ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٣٤٧.

وقد ذكر أحد الباحثين^(١) حفظ الزمن لمدونة عبد الله بن عمرو فقط ل٤٣٦ حديث وأورد الإمام أحمد بن حنبل نصفها في مسنده، إذ كان لمدونة عبد الله بن عمرو دور مهم في رفد كتاب السيرة بروايات هامة عن حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد كان من أكثر الصحابة حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد كانت مدونته إلى الحديث أقرب منها إلى السيرة ولكن محتوياتها من بعض الأحاديث التي وثقت بعض المواقع والأحداث التي حصلت في عصر الرسالة جعلتنا نوردتها ضمن مدونات الصحابة للسيرة^(٢).

وإن أهميتها الكبرى جعلت عبد الله بن عمرو كثير الاعتزاز بها، ففي رواية مجاهد قال: ((دخلت على عبد الله بن عمر، فتناولت صحيفة تحت رأسه فتمنع عليّ، فقلت: تمنعي شيئاً من كتبك؟ فقال: هذه الصحيفة الصادقة سمعتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس بيني وبينه أحد فإذا سلم لبي كتاب الله وهذه الصحيفة والوهط^(٣)، لم أبالي ما ضيعت الدنيا))^(٤).

(١) نصار، تطور كتابة السيرة النبوية، ص ٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٣) الوهط. بستان عظيم بالطائف عائد إلى عبد الله بن عمر، ينظر، الذهبي سير اعلام النبلاء، ج ٣، ص ٨٩.

(٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٣، ص ٨٩.

عبد الله بن عباس ت (٦٨ هـ - ٦٨٧ م)

ابن عبد المطلب، ويكنى أبا العباس، ولد في الشعب قبل خروج بني هاشم منه، وذلك قبل الهجرة النبوية المباركة بثلاث سنين، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث^(٥).

كان ابن عباس عالماً بأحاديث الرسول فقال: ((دعالي رسول الله، أن يؤتيني الله الحكمة))^(٦)، وفي حديث آخر قال: ((دعالي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فمسح على ناصيتي وقال: اللهم علّمه الحكمة وتأويل الكتاب))^(٧)، وقد نبغ ابن عباس في علوم القرآن وتفسيره، وكان يقول إن الرسول دعا له أيضاً: ((وقال: اللهم فقّه في الدين وعلمه التأويل))^(٨)، وقد ذكر بأنه ترجمان القرآن^(٩)، وكان من الذين يجتهدون في آرائهم الفقهية عندما لم يجدوا شيئاً عنه في القرآن وحديث الرسول أو أيّ حديث من الصحابة وهذه ظاهرة تدل على مكنون علم صاحبها، وقد ذكر أنه كان يسمى البحر لسعة علمه ومعرفته^(١٠). وقد اهتم ابن عباس اهتماماً كبيراً بتدوين السيرة وذكر حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي رواية

(٥) المصعب الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله، ت (٢٣٦هـ - ٨٥٠م) نسب قريش، تصحيح إ. ليفي بروفنسال، (ط ٣، دار المعارف - القاهرة، د.ت) ص ٢٦.

(٦) بن سعد، محمد بن منيع الزهري، ت (٢٣٠هـ - ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمد عمر (مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، ج ٢، ص ٣١٥.

(٧) ابن سعد الطبقات، ج ٢، ص ٣١٥.

(٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣١٥، البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، ت (٢٧٩هـ - ٨٩٣م)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار - ورياض زكلي (دار الفكر - بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ج ٤، ص ٤٠.

(٩) ينظر، ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٣١٥، البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٤٥

(١٠) ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٣١٥.

أخرى عن محمد بن عمر قال: ((رأيت عبد الله بن عباس معه ألواح يكتب عليها عن أبي رافع^(١) شيئاً من فضل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم))^(٢). وذكر عن ابن عباس قوله إنه كان يلزم الأكابر من الصحابة من المهاجرين والأنصار فيسألهم عن مغازي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما نزل من قرآن في ذلك^(٣).

يتضح مما تقدم أن ابن عباس كان يهتم كثيراً بالعلم وتدوينه وبالذات بذكر أحاديث الرسول وسيرته المباركة وما نزل في ذلك من قرآن، وبذلك برزت مكانته العلمية الكبيرة، فعن ابن عباس قوله: ((وجدت عامة حديث رسول الله عند الأنصار، فإن كنت لآتي الرجل منهم فأجده نائماً ولو أشاء أن يوقظ لي أوقظ، فأجلس على بابه تسفي الرياح على وجهي التراب حتى يستيقظ متى استيقظ، فأسله عما أريد ثم أنصرف))^(٤). وقد كانت لابن عباس اهتمامات كثيرة في تدوين العلم وسؤال الصحابة عن سيرة الرسول وأحاديثه حيث ذكر ((لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلت لرجل من الأنصار: هلما نسأل أصحاب رسول الله فإنهم اليوم كثر، فقال واعجباً لك يا ابن عباس أتري الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ما ترى؟ فتركت ذلك وأقبلت على المسألة فكان ليبلغني

(١) أبو رافع واسمه أسلم كان عبداً للعباس بن عبد المطلب فوهبة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هاجر إلى المدينة بعد معركة بدر وشهد مع الرسول أحداً والخندق وغيرها من المشاهد وزوجة رسول الله سلمى مولاته فولدت له ابنه عبد الله بن أبي رافع، كان كاتباً للإمام علي (عليه السلام) توفاه الله في المدينة بعد مقتل عثمان بن عفان ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٦٧ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٢، ص ١٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٣٢٠.

(٣) (٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٢٠.

(٤) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣١٥.

الحديث عن الرجل، فأتيه وهو نائم فأتوسد رداي على بابه، فتسفي علي التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا بن عم رسول الله ألا أرسلت إلي فأتيك؟ فأقول: أنا أحق أن أتيك، فأسالك. قال: فبقي الرجل حتى رأني وقد اجتمع عليه الناس، فقال: هذا الفتى أعقل مني^(١)، وذكر ابن عباس أهمية العلم فيقول: ((مذاكرة العلم ساعة خير من إحياء ليلة))^(٢) من خلال ذلك يتضح الاهتمامات الكبيرة لابن عباس في العلم وفي تدوينه حيث كانت لديه مدونات على شكل ألواح كما أوضحنا انتقى منها من بعده المؤرخون، وذكر أن ابن عباس جعل تلك المدونات كتاباً خاصاً أعطاه اسماً معيناً ((وهي في غالب الظن بعض مجالسه التي كان يفسر فيها القرآن ويتعرض لمختلف المعارف العربية دونها أحد تلاميذه أو أبناؤه))^(٣).

وقد حدّث ابن عباس عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن جملة من الصحابة منهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) ووالده العباس بن عبد المطلب وأبو ذر.

(١) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت (٧٤٨هـ - ١٣٧٤م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق محمد نعيم العقروسي ومأمون صاغر جي، (ط ٢ مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، ج ٣، ص ٣٤٣.

(٢) الذهبي، شمس الدين أحمد بن محمد بن عثمان، ت (٧٤٨هـ - ١٣٧٤م)، تذكرة الحفاظ، (دار احياء التراث العربي - بيروت، د٠ ت)، ج ١، ص ٤١.

(٣) نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ص ١٤.

وتتلمذ على يديه مجاهد^(١)، وسعيد بن جبير^(٢)، وغيرهم الكثير من أهل العلم منهم أنس بن مالك^(٣)، وكريب^(٤)، وأبو إمامة^(٥)(٦).

ومن المناسب أن نذكر في نهاية الحديث عن ابن عباس الرواية الآتية التي نقلها لنا ابن سعد^(٧) وفيها ملخص كامل لمكانته العلمية لتكون خاتمة الحديث عنه حيث ذكر عن عبد الله بن عتبة عند حديثه عن ابن عباس وكيف كان يجلس في مسجد المدينة ويكون حلقات للدرس (لقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه الفقه، ويوماً للتأويل،

(١) مجاهد بن جبر شيخ القراء والمفسرين مولى السائب بن أبي سائب المخزومي وقد أخذ كثيراً من علومه من ابن عباس في التفسير والفقه والقرآن توفي سنة ١٠٢هـ. ينظر، الذهبي سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٤٩.

(٢) سعيد بن جبير بن هاشم الأسدي بالولاء مولى بني والبة بن الحارث بطن من بطون بني أسد ابن خزيمة، كوفي أحد اعلام التابعين من الذين اشتهروا بأخذ العلم عن ابن عباس اشترك مع عبد الرحمن ابن الأشعث في ثورة القراء قتله الحجاج سنة ٩٥هـ. ينظر، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢، ص ٣٧٣.

(٣) أنس بن مالك بن النظر بن ضمضم بن زيد بن حزام بن جندب بن عامر بن غثيم بن عدي ابن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأنصاري الخزرجي البخاري البصري، يكنى أبا حمزة وسمي باسم عمه أنس بن النظر وكان وفق مخدم النبي على المدينة مهاجراً عمره بين ٨ إلى ١٠ سنوات وقد تولى خدمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وروي عنه الكثير من الأحاديث توفي سنة ٩١هـ. ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٥٤.

(٤) كريب بن أبي مسلم الهاشمي العباسي يكنى أبو رشدين من الثقات في رواية الحديث وقد احتفظ بمعظم مدونات ابن عباس ت ٩٨هـ. ينظر، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٧٩.

(٥) أبو امامة بن سهل بن حنيف الأوسي المدني الفقيه المعمر الحجة جده لأمه اسعد بن زرارة ولد في حياة النبي ورآه فيما قيل، كان من رواة الأحاديث توفي سنة ١٠٠هـ ينظر، سير اعلام النبلاء، ج ٣، ص ٥١٧.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٣١٨.

(٧) الطبقات، ج ٢، ص ٣٢٠.

ويوماً للمغازي، ويوماً للتفسير، ويوماً لأيام العرب، وما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له، ولا رأيت سائلاً قط سألته إلا وجد عنده علماً).

جابر بن عبد الله الأنصاري ت (٥٧٨ - ٦٩٧ م)

ابن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب ويكنى أبا عبد الله، وأمّه نسيبة ابنة عطية بن سنان بن نأبي بن عمرو^(٨)، شهد جابر بن عبد الله بيعة العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار، وكان أصغرهم يومئذ ولم يشهد بديراً بطلب من أبيه أن يتخلف لرعاية أخواته التسعة، وكذلك في أحد، وشهد بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٩)، روى عن رسول الله أحاديث كثيرة^(١٠)، وقد حدث عنه سعيد بن المسيب والحسن بن محمد بن الحنفية وغيرهم كثيرون^(١١). وقد كانت له اهتمامات كبيرة في رواية الحديث، وكذلك تلقي الأحاديث فقد رحل إلى مكة يروي أحاديث سمعها ثم عاد إلى المدينة^(١٢). ويروى أن جابر بن عبد الله رحل في حديث القصاص^(١٣) إلى مصر يسمعه من _____ عبد الله بن

(٨) ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ص ٤٩٢.

(٩) ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٣٨٢.

(١٠) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٨٩.

(١١) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٩٠.

(١٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٩١.

(١٣) حديث القصاص: عن عبد الله بن محمد بن عقيل يذكر أن جابراً رحل إلى الشام وليس إلى مصر حيث يقول سمعت جابراً يقول بلغني عن رجل حديث سمعه من رسول الله فاشتريت بهيراً ثم شددت عليه رحلي، فسرت عليه شهراً حتى قدمت الشام فاذا عبد الله بن انيس، فقلت للبواب قل له جابر بن عبد الله على الباب فقال ابن عبد الله؟ فقلت نعم فخرج فاعتنقني واعتنقته فقلت حديث بلغني عنك إنه سمعته من رسول الله في القصاص فخشيت أن تموت أو اموت قبل ان

أنيس^(١)، وقد كانت له ميزة الإكثار في الحديث و حفظ السنن^(٢).

أما موقف جابر بن عبد الله الأنصاري من الحكام الأمويين فكان معارضاً لهم ولولا تهم وقد ذكر عن عوف بن الحارث ((أنه دخل على عبد الملك بالمدينة، فرحب به عبد الملك وقربه، فقال جابر: يا أمير المؤمنين، إن هذه حيث ترى وهي طيبة سماها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهلها مجهدون فإن رأى أمير المؤمنين أن يصل أرحامهم ويعرف حقهم فعَل، قال فكره ذلك عبد الملك وأعرض عنه وجعل جابر يلح عليه حتى أوماً قبيصة^(٣) إلى ابنه وهو قائده، وكان جابر ذهب بصره أن اسكته قال فجعل ابنه يسكته، قال جابر: ويحك ما تصنع بي؟ قال اسكت فسكت جابر، حتى خرج أخذ قبيصة بيده فقال: يا أبا عبد الله إن هؤلاء القوم صاروا ملوكاً،

اسمعه، قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: ((كثير الناس يوم القيامة - أو قال العباد - عُرَا غر لا بهما، قال قلنا وما بهما؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد - أحسبه قال - كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى اقصه منه حتى للطمه قال: قلنا كيف وإنما نأتى الله عز وجل عرأة غرلاً بهما؟ قال: ((بالحسنات والسيئات)). ... ينظر الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٣، هامش ص ١٩٢.

(١) عبد الله بن انيس الجهني الأنصاري حليف بني سلمة وهم من البرك بن وبرة أخو كلب بن وبرة في قضاة، وهو من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان مهاجراً أنصاريّاً عقيباً وشهد أحداً وما بعدها ويكنى أبا يحيى توفي سنة (٥٤هـ - ٦٧٣م). ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٣٨.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٣، ص ١٩١.

(٣) قبيصة بن ذؤيب أبو سعيد الخزاعي المدني الدمشقي الوزير، وكان على الختم وبريد عبد الملك ابن مروان وكان من رواة الأحاديث والسير وأخذ عنه الزهري وكان من اشد المقربين إلى الخليفة الأموي عبد الملك وقد عينه ضمن الجيش الأموي يوم الحرة سنة (٦٣هـ - ٦٨٢م) توفي سنة (٨٦هـ - ٧٠٥م) ينظر الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٤، ص ٢٨٢.

فقال له جابر: أبلى الله بلاءً حسناً فإنه لا عذر لك وصاحبك يسمع منك، قال يسمع ولا يسمع إلا ما وافقه وقد أمر لك أمير المؤمنين بخمسة آلاف درهم، فاستعن بها على زمانك فأخذها جابر^(١).

ويذكر أنه كان لا يصلي خلف الحجاج^(٢) حينما كان بالعراق^(٣). وذكر الذهبي^(٤) أنه كان من فقهاء المدينة ومفتيها في زمانه، وكانت له حلقة درس في مسجد المدينة ويؤخذ عنه العلم^(٥). وذكر ابن حجر^(٦) أن هناك صحيفة لجابر كتبها عنه سليمان بن قيس اليشكري^(٧)، وقد توفي سليمان في وقت مبكر فاحتفظت زوجته بهذه الصحيفة ولم يكن ثمة إجازة بها، أما ما روي عن هذه الصحيفة فإن روايته كانت عن طريق (الوجادة)^(٨) ولم تكن بالإجازة.

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٣٨٢.

(٢) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن متعب بن مالك بن كعب - من الاحلاف الثقفي - ويكنى أبا محمد من الولاة الأمويين على العراق وكان توفي سنة ٩٥هـ - (٧١٣م). ينظر، ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٩٧، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٣٣

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٣٧٨.

(٤) تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٤٣.

(٥) ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، ت (٥٧١هـ - ١١٧٥م) تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شري، (دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت د.ت)، ج ١١، ص ٢٣٣.

(٦) شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ت (٨٥٢هـ - ١٤٤٨م) تهذيب التهذيب، (دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت)، ج ٤، ص ١٨٨.

(٧) سليمان بن قيس اليشكري البصري، روى عن جابر وأبي سعيد الخدري وأبي سعد الأزدي، ويقال إنه مات في حياة جابر بن عبد الله الأنصاري ويقال أيضاً إنه مات في زمن ثورة ابن الزبير وقيل بين سنة (٧٠هـ - ٦٩٨م و ٨٠هـ - ٦٩٩م). ينظر، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ١٨٨.

(٨) الوجادة: بالكسر وهي باصطلاح المحدثين لما أخذ من العلم من صحيفة من غير سماح ولا إجازة ولا مناولة ينظر الزبيدي، تاج العروس، ج ٥، ص ٣٩٦.

وقد طعن في رواية من روى عن صحيفة جابر دون إجازة وأفاد معمر بن راشد من هذه الصحيفة مستخدماً لذلك العبارة (قال في صحيفة جابر بن عبد الله) ويبدو أن أحمد بن حنبل نقل أيضاً من الصحيفة في المسند^(١).

سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي

ابن دليم بن حارثة بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج، وأمه غرابة بنت سعد بن خليفة بن الأشرف بن أبي حزيمة، أدرك النبي وفي بعض الروايات أنه سمع منه، وكان ثقة قليل الحديث^(٢).

روى عن سعيد ابنه شربيل وأبو إمامة بن سهل بن حنيف، وصحبه صحيحة، وكان والياً لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) في اليمن أيام خلافته^(٣).

وذكر أحد الكتاب^(٤) أن قسماً مما كتب وصل إلينا في كتب المساند مثل مسند ابن حنبل^(٥) وغيرها، كما وردت إشارات لروايات ابن سعد في تاريخ الطبري^(٦).

(١) سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، (إدارة الثقافة والنشر بالجامعة - الرياض، ١٤١١هـ - ١٩٩١م)، ج ١، ص ١٥٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٨٢-٨٣.

(٣) ابن عبد البر، عمر يوسف بن عبد الله ت (٤٦٣هـ - ١٠٧٠م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تصحيح عادل مرشد، (دار الاعلام - الاردن ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، ص ٢٧٥. ينظر ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٢١٤.

(٤) سزكين، تاريخ التراث العربي، ج ٢، ص ٦٥-٦٦.

(٥) ابن حنبل، أحمد، ت (٢٤١هـ - ٨٥٥م)، مسند أحمد (دار صادر - بيروت د.ت)، ج ٥، ص ٢٢٢.

(٦) محمد بن جرير، ت (٣١٠هـ - ٩٢٢م)، تاريخ الامم والملوك، (دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) ج ١، ص ١٠٤-١٠٥.

غير أن أحد الباحثين ذكر ولادته قبل وفاة النبي، وكتب شيئاً عن حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علماً أن أباه سعد بن عباد كان يحتفظ بصحف كتبها بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولعله من أوائل من دون أشياء عن حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ربما كان هذا العمل من أبيه ثم جاء من بعده ابنه سعيد فعدهل و كانت النسخة الأصلية من تصنيفه موجودة عند حفيده سعيد بن عمرو بن سعيد بن سعد توفي في أوائل العصر العباسي، ولم نجد تاريخاً لوفاة سعيد بن سعد^(١).

سهل بن أبي حنمة الأنصاري

ابن ساعدة بن عامر بن عدي بن جشم الخزرجي، وأمه أم الربيع بنت أسلم ابن حريس، ويكنى أبا محمد ولد سنة (٣هـ - ٦٢٤م) وقد قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ابن ثماني سنوات، وقد حفظ عنه^(٢).

وقد كتب بدوره شيئاً عن حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومغازيه بقي في حوزة حفيده محمد بن يحيى بن سهل وقد روى عنه الواقدي^(٣) كثيراً من الروايات، وكان محمد حين يروي عن كتاب جده يقول: ((وجدت في كتاب آبائي))^(٤). وقد

(١) عبد الحميد، صائب، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، (ط٢)، مركز الغدير للدراسات والنشر - لبنان، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ص ٨٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٥٥٨.

(٣) محمد بن عمر ت (٢٠٧هـ - ٨٢٢م)، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، (ط٣)، عالم الكتاب، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ص ٧٧٧-٧٧٥-٧١٣.

(٤) سزكين، تاريخ التراث العربي، ج ٢، ص ٦٧.

بقيت شذرات من هذا الكتاب لدى البلاذري في أنساب الأشراف^(١). ولم يستطع الزهري أن يروي عنه روايات مباشرة فقد كانت رواياته عنه من المراسل.

وقد كانت مدونة سهل أوفر حظاً من سابقاتها لوجود شخص قد روى بعض متضمناتها من الروايات التي وثقت بعض حوادث السيرة^(٢).

وتوفي سهل بن حنمة في عهد معاوية بين سنة (٥٤١-٦٦١م، ٦٠هـ - ٦٧٩)^(٣).

هذه هي المدونات التي تناولت بعض أحداث السيرة وقد اتفقت المصادر القديمة على قيام أصحابها بتدوينها، وإن لم تكن هي نهاية جهود الصحابة في توثيق أخبار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بل توجد هناك مدونات أخرى لا ترقى إلى مصاف سابقاتها، إذ لم يتعدَّ توثيقها حادثة محددة أو كتابة بعض الأحاديث النبوية^(٤).

مدونات التابعين وتابعيهم

بعد أن تعرفنا إلى قسم من مدونات الصحابة الذين اهتموا بتدوين أحاديث وسيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سوف نتعرف في دراسة هذه الفقرة على طبقتين من التابعين وهما الطبقة الأولى أو كما يسميها أحد الكتاب^(٥) بالطبقة

(١) أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ-٨٩٢م)، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، (دار المعارف - مصر، د.ت) ج ١، ص ٥٠٩.

(٢) نصار، تطور كتابة السيرة النبوية، ص ٤٠.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، ج ٤، ص ٦٥.

(٤) نصار، تطور كتابة السيرة النبوية، ص ٤٤.

(٥) سلامه، مصادر تدوين السيرة النبوية، ص ٨٣.

الوسطى، وهذه الطبقة هي طبقة الجمع والتصنيف، والتي نحن بصدد الحديث عن قسم من أعلامها هي بمنزلة الواسطة بين طبقة الصحابة والطبقة الثانية التي جاءت بعدهم والتي يمكن أن نطلق عليهم أتباع التابعين وهؤلاء أصحاب الكتب المؤلفة المختصة في السيرة.

((فقد شرع الناس في الجيل التالي للصحابة جيل التابعين، يجمعون روايات أقوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأفعاله التي كانت شائعة في عصرهم وإذا كانت مادة أحاديث عدد من الصحابة المدونة في الصحف والكتب مشكوكاً في صحتها وقيمتها، فإنه لا يوجد شك في أنه مثل هذه المدونات كانت نادرة في جيل التابعين الذين أخذوا معارفهم من الصحابة، ووجد بين التابعين أناس يعتبرون علماء بالمغازي))^(٦)، وسوف نتكلم فيما يأتي عن بعض هؤلاء العلماء:

عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ - ٧١٢م)

ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، وأمّه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة، اختلف في ولادته فمنهم من يذكر أنه ولد سنة ٢٣هـ - ٦٤٣م، وفي رواية أخرى أنه ولد لست سنين خلت من خلافة عثمان^(٧).

قبل الحديث عن آثار عروة في مجال كتابة السيرة لابد من إلقاء نظرة ولو بشكل بسيط على حياته بشكل عام لنرى المؤثرات التي ساعدت على بلورة فكرة كتابة الرواية التاريخية لدى عروة بن الزبير وهل أثرت تلك الظروف التي مر بها عروة

(٦) هوروفتس، يوسف، المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، (دار التأليف والترجمة -

القاهرة - ١٣٣٩هـ - ١٩٤٩م)، ص ٢.

(٧) ابن سعد، الطبقات. ج ٦، ص ٧٧، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٢١.

بشكل خاص وحياة المسلمين بشكل عام على نتاجات عروة على مستوى الرواية التاريخية والحديث النبوي الشريف. فمن ناحية الأسرة التي ولد بها عروة فهي أسرة أرستقراطية كما عبر عنها أحد الباحثين^(١)، فأبوه كما ذكرنا الزبير بن العوام وهو أحد الصحابة البارزين وأمه أيضاً بنت الخليفة الأول أبي بكر، وقد تزوج عروة عدداً من الزوجات^(٢)، فقد كانت حياته الشخصية مليئة بالأحداث والمفارقات فمنذ بدايتها وعندما كان صبيّاً حصلت ثورة أهل المدينة على الخليفة الثالث عثمان بن عفان (٢٤هـ - ٣٥هـ) (٦٤٤م - ٦٥٥م) ففي رواية محمد بن الضحاك ((قال عروة: وقفت وأنا غلام أنظر إلى الذين حاصروا عثمان.. وقد مشى أحدهم إلى الخشبة ليدخل على عثمان فلقبه عليها أخي [عبد الله بن الزبير]^(٣)، فضربه ضربة طاح قتيلاً على البلاط فقلت لصبيان معي قتله أخي. فوثب عليّ الذين حاصروا عثمان فكشفوني فوجدوني لم أنبت فخلوني))^(٤) ثم حصلت حرب الجمل التي قادتها خالته عائشة بنت أبي بكر زوج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبوه الزبير بن

(١) علي، ابحاث في التاريخ الإسلامي، ج ٢، ص ١٧١.

(٢) زوجات عروة فاخته بنت الاسود بن أبي البخترى، أم يحيى بنت الحكم بن العاص وصفية أم ولد، اسماء بنت سلمة بن أبي سلمة وسودة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب. ينظر، البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج ٩، ص ٤٤٤.

(٣) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد الله بن قصي بن كلاب ويكنى أبا بكر، ويذكر أنه أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة وأمه اسماء بنت أبي بكر، وشهد وقعة اليرموك وغزا القسطنطينية وغزا المغرب، ويعد من فرسان قريش في زمانه اعلن خلافته سنة (٦٤هـ - ٦٨٣م) وحكم على الحجاز واليمن ومصر والعراق وخرسان وأكثر الشام قبل سنة (٧٢هـ - ٦٩١م) بعد قضاء عبد الملك على ثورته. ينظر، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٥، ص ٤٣٥.

(٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٢٣.

العوام، وطلحة بن عبيد الله ضد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولم يشترك فيها حيث ردّ لاستصغاره^(١).

نشأ عروة في جو مليء بالتوترات والحروب الداخلية داخل الدولة الإسلامية حيث انتهت حرب الجمل بمقتل أبيه الزبير بن العوام^(٢) وطلحة بن عبيد الله^(٣) ثم انتقلت الخلافة إلى الأمويين بعد الصلح مع الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)^(٤).

والجميع يعلم العداء المستحكم بين الأمويين والعلويين إضافة إلى بروز حركة معارضة كبيرة من قبل المسلمين للدولة الأموية الناشئة، وفي تلك الأجواء عاش عروة بن الزبير حياته في بداياتها.

أما على المستوى الديني فقد وجدت هناك إشارات تاريخية لمخالفات عروة بن

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٠، ص ٢٤٠، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٢٣.

(٢) ابن اعثم الكوفي، أبو محمد أحمد، ت (٣١٤هـ - ٩٢٦م)، كتاب الفتوح، تحقيق علي شري، (دار الاضواء - بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م)، ج ٢، ص ٤٧١.

(٣) ابن اعثم، الفتوح، ج ٢، ص ٤٧٨.

(٤) ابن اعثم، الفتوح، ج ٣، ص ٢٩٠.

الزبير لتعاليم الدين الإسلامي منها لبسه رداءً معصفاً^(١)، إذ تذكر الرواية عن يحيى بن سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه ((انه كان يعصفر له الملحفة بدينار، وكان آخر ثوب لبسه ثوب المعصفر له بدينار))^(٢). وكان يلبس الطيلسان المزين بالديباج فيه وجوه الرجال وهو محرم ولا يزره عليه^(٤)، وكان يلبس في الحر قباء سندس مبطن بالحرير^(٥). وهناك مخالفات أخرى لعروة لتعاليم الدين الإسلامي، فروى عن مالك بن أنس عن هشام بن عروة ((كنا نسافر مع عروة فنصوم ونفطر فلا يأمرنا بالصيام ولا يفطر هو))^(٦). من خلال الرواية تظهر المخالفة الواضحة لنص لقرآن الكريم ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(٧).

أما ميوله السياسية فلم تذكر المصادر التاريخية مشاركته الفعلية في الثورة التي تزعمها أخوه عبد الله في مكة حيث لم يتسنى أي منصب أو قيادة فيها، وتذكر المصادر

(١) المعصفر: وهي من الملابس التي نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ففي حديث عن الإمام علي بن أبي طالب ((عليه السلام)) قال: ((نهاني النبي صلى الله عليه وآله عن القراءة وأنا راكع وعن لبس الذهب والمعصفر...)) ينظر. مسلم النيسابوري، ابن الحجاج ابن مسلم ت (٢٦١هـ - ٨٧٤م)، صحيح مسلم، (دار الفكر - بيروت، د.ت)، ج٦، ص١٤٤، الترمذي، أبو يحيى محمد، ت (٢٧٩هـ - ٨٩٢م) سنن الترمذي، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، (ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣)، ج٣، ص١٣٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص١٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٧، ص١٧٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٧، ص١٧٨.

(٥) المصدر نفسه، ج٧، ص١٧٨.

(٦) المصدر نفسه، ج٧، ص١٧٨.

(٧) البقرة، آية ١٨٤.

إقامته مع أخيه في مكة أثناء ثورته تسع سنين^(١).

وبعد أن فشلت الثورة وتم القضاء عليها من قبل عبد الملك بن مروان سنة (٧٢هـ - ٦٩١ م) بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي^(٢)، استطاع عروة بن الزبير أن يتصل بعبد الملك بن مروان، وكان خروجه من مكة إلى المدينة وكانت معه أموال استودعها وسار إلى عبد الملك فقدم عليه قبل أن يصله خبر مقتل عبد الله بن الزبير فاستأذن فدخل على عبد الملك بن مروان، فلما رآه زال عن موضعه، وجعل يسأله عن حال أخيه عبد الله، فقال: له قتل (رحمه الله)، فنزل عبد الملك عن السرير وسجد لله شكراً، وكتب إليه الحجاج بشأن أمر عروة وخروجه والأموال معه إلا أن عبد الملك أمر الحجاج بترك أمر عروة^(٣).

ويتضح مما ورد أن عروة بن الزبير سارع إلى ترميم العلاقة مع الخلافة الأموية التي أطاحت بآل الزبير وقتلت من قتلت منهم، وقد استمر التواصل بين عروة بن الزبير والخلفاء الأمويين، وقد وفد في خلافة الوليد بن عبد الملك إلى دمشق لغرض علاج رجله التي أصيبت بقرحه، وعندما كان في دمشق وافت المنية ابنه محمداً الذي سقط في اسطبل الدواب العائد إلى الخليفة ومات على إثرها، بعد ذلك قطعت ساقه نتيجة لانتشار القرحه فيها، ولم تدم حياة عروة طويلاً بعد تلك الحادثة فقد توفي في سنة (٩٤هـ - ٧١٢م)^(٤).

(١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٤، ص ٤٣٢.

(٢) ابن اعثم، الفتوح، ج٦، ص ٣٣٤.

(٣) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج٤٠ ص ٢٧٤، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٤، ص ٢٧٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص ١٧٩، ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمدت (٦٨١هـ - ١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس (دار صادر - بيروت، د.ت) ج٣، ص ٢٧٥.

إن هذه الإطلالة البسيطة على حياة عروة جاءت من أجل التعرف على شخصيته قبل الولوج إلى موضوعنا وهي قضية تدوين السيرة النبوية باعتبار عروة أحد الركائز الأساسية التي اعتمد عليها كتاب السيرة النبوية بالرجوع إلى مروياته التاريخية، وقد اشتهر عروة بغزارة مروياته في السير والمغازي النبوية، وبالنتيجة لا بد أن يكون له دور في إرساء قواعدها المنهجية وبناء هيكلها الأولي بغض النظر عن سلامة مروياته، وهذا يتطلب دراسة كيفية نشأة الاهتمامات لدى عروة في مضمار السيرة النبوية وكيف تبلورت لديه تلك الفكرة^(١)، وهذا يرجعنا إلى النظر إلى البيئة العلمية التي نشأ بها عروة وهي المدينة المنورة، ذلك المركز العلمي الهام آنذاك، فقد ذكر الذهبي^(٢) عن قبيصة بن ذؤيب قال: ((كنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إلى آخرها نجتمع في حلقة المسجد بالليل، أنا، ومصعب^(٣) وعروة أبناء الزبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن^(٤)، وعبد الملك بن مروان، وعبد الرحمن بن المسور^(٥)، وإبراهيم بن عبد

(١) الفارس، محمد خضير جاسم، عروة بن الزبير دراسة في سيرته ومروياته التاريخية في السيرة النبوية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة البصرة، كلية الآداب سنة (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ص ٥١.

(٢) سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٢٢٤، ينظر ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٠، ص ٢٤٩.

(٣) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ويكنى أبا عبد الله القرشي وأمه الرباب بنت انيف الكلبي، أبرز نشاطاته العسكرية مشاركته أخيه عبد الله في ثورته حيث استعمله أخوه على البصرة وقام بقتل المختار بن أبي عبيد الثقفي وقتل سنة ٧٢هـ. ينظر، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٥، ص ٥٢٤.

(٤) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وهو من الفقهاء السبعة في عصره الذين برزوا في المدينة وسمي عصرهم بعصر الفقهاء، وكان عملهم هو تأسيس الفقه الإسلامي توفي سنة (٩٤هـ - ٧١٢م) ينظر ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ت (٨٥٢هـ - ١٤٤٨م) الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ)، ج ١، ص ٥٧.

(٥) عبد الرحمن بن المسور بن مخزوم الزهري المدني من الفقهاء في المدينة وقد سمع أباه وسعد

الرحمن بن عوف^(١)، وعبيد الله بن عتبة^(٢)، وكنا نتفرق في النهار فكنت أنا أجالس زيد بن ثابت وهو مترأس في المدينة القضاء والفتوى والقراءة والفرائض، في عهد عمر وعثمان وعلي، ثم كنت أنا وأبو بكر بن عبد الرحمن نجالس أبا هريرة، وكان عروة يغلبنا في دخوله على عائشة)).

إذاً كانت البداية العلمية لعروة من مسجد المدينة إضافة إلى أن عائشة خالته كان لها الدور البارز في نشأة عروة نشأة علمية في مجال السيرة النبوية وهذا ما اتضح من الرواية أعلاه.

وعن المبارك بن فضالة عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يقول لنا ونحن شباب: ((ما لكم لا تعلمون أن تكونوا صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار قوم وما خير الشيخ أن يكون شيخاً وهو جاهل، لقد رأيتني قبل موت عائشة بأربع حجج وأنا أقول لو ماتت اليوم ما ندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته، ولقد كان يبلغني من الصحابي الحديث فأتيه، فأجده قد قال، فأجلس على بابه ثم أسأله عنه))^(٣).

بن أبي وقاص و إبا رافع ويذكر أنه كان فقيهاً قليل الحديث، توفي سنة (٨٩هـ - ٧٠٧م) ينظر الصفدي، صلاح الدين أبو الصفا خليل أيبك ت (٧٦٨هـ - ١٣٦٦م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى (دار احياء التراث - بيروت ٢٠٠٠م)، ج ١٨، ص ١٦٦.

(١) إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري، ويكنى أبا إسحاق وأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ولد في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتوفي سنة (٧٥هـ - ٦٩٤م). ينظر ابن الأثير أسد الغابة، ج ١، ص ١٥٨

(٢) عبيد الله بن عتبة بن مسعود الباهلي، يكنى أبا عبد الله المدني الفقيه الاعمى أحد الفقهاء السبعة في المدينة وقد ذكر أنه كثير العلم توفي سنة (٩٤هـ - ٧١٢م) ينظر، المزي، جمال الدين ابن الحجاج يوسف، ت (٧٤٢هـ - ١٣٤١م)، تهذيب الكمال في اسماء الرجال، تحقيق، بشار عواد، (ط ٤، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٥م)، ج ٩، ص ٧٣.

(٣) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٢٢٤.

لقد جمعت القرابة القريبة عروة وعائشة لتنمية قدراته العلمية في مجال الحديث والسيرة وإن المتتبع لأغلب الروايات التي سندها عروة بن الزبير ينتهي بها ذلك السند إلى عائشة بنت أبي بكر زوج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن لا بد لنا أن نرى كيف صيغت تلك الروايات وهل خضعت إلى ميول ورغبات من نقلها ومن مصدرها الأول وهو عائشة وعروة، فعائشة بنت أبي بكر لم تكن على وئام مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) - وذكر ذلك لأنه في صميم دراستنا - فقد ذكرت الرواية التالية في سيرة ابن هشام^(١) عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن محمد ابن مسلم الزهري عن عبيد الله بن عتبة عن عائشة زوج النبي (قالت: فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - هذه الحالة في بداية مرضه (صلى الله عليه وآله وسلم) - يمشي بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن العباس، ورجل آخر عاصباً رأسه... قال عبيد الله فحدثت هذا الحديث عبد الله بن عباس (فقال هل تدري من الرجل الآخر؟ قلت: لا؟ قال: علي بن أبي طالب (عليه السلام))، إن عدم ذكر اسم علي بن أبي طالب على لسان عائشة يعني أن هناك بغضاً لعل (عليه السلام) بحيث لا تستطيع التفوه باسمه، وفي رواية أخرى ذكرها ابن اعثم الكوفي^(٢) قال: ((قدمت عائشة من مكة بعد أن قضت حجها - هذه الحادثة بعد مقتل عثمان وتولي الإمام علي (عليه السلام) الخلافة - ثم صارت قريباً من المدينة استقبلها عبيد الله ابن أبي سلمة الليثي وكان يقال له ابن أم الكلاب، فقالت عائشة: ويحك لنا أم علينا؟ فقال: قتل عثمان بن عفان، فقالت: ثم ماذا؟ فقال: بايع الناس علي بن أبي طالب، ثم قالت عائشة: وددت أن هذه وقعت علي قتل - والله - عثمان مظلوماً وأنا مطالبة

(١) السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٩٨.

(٢) كتاب الفتوح، ج ٢، ص ٤٣٧.

بدمه، والله ليوم من عثمان خير من علي الدهر كله، فقال لها عبيد الله بن أم كلاب: ولم تقولين ذلك؟ فوالله ما أظن أن أحداً بين السماء والأرض في هذا اليوم أكرم من علي ابن أبي طالب على الله عز وجل فلم تكريهين ولايته؟ ألم تكوني تحرضين الناس على قتله؟ ثم إنك أظهرت عيبه وقتلت اقتلوا نعتلاً لقد كفر، فقالت عائشة: لعمرى لقد قلت ذلك، ثم رجعت عما قالت لما عرفت خبره من أوله)).

هذا مثال آخر ونحن لسنا بصدد إيراد الأمثلة لإثبات بغض عائشة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ولكن نورد الشواهد لتعزير ما نذهب إليه وقد ختمت ذلك بتأليفها جيشاً وقيادته وخروجها على شرعية الخلافة وحاربت علياً في معركة الجمل الشهيرة عام (٣٦هـ - ٦٥٦م) (١).

في وضع كهذا من البغض والكراهية يكون الخصم هو مصدر لكتابة السيرة النبوية التي حصة سيرة الإمام علي (عليه السلام) منها الحصة الكبرى بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لذلك نرى من وجهة نظرنا أن الموقف السلبي لعروة من علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان هو الجامع لعروة مع عائشة مستغلة بذلك المكانة القريبة من الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ونظرة المسلمين إلى القداسة التي يتمتع بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكونها زوجته، إلا إنه ذكر أن القرابة النسبية هي الوازع الذي مكن عروة من استغلاله في أخذ الأحاديث عن عائشة، وقد أضيف سبب آخر وهو رغبة السيدة عائشة في تحفيظ عروة بن الزبير لمروياتها كفيلاً ببقاء شهرتها وشهرة عروة ابن أختها وهذا رأي وجيه، وهو ما ذهبنا إليه لكونه أقرب إلى الواقع (٢).

(١) ابن اعثم، كتاب الفتوح، ج ٢، ص ٤٦٩.

(٢) الفارس، عروة بن الزبير دراسة في سيرته ومروياته التاريخية، ص ٥٢.

هذا من جانب أما جانب الناقل للرواية وهو عروة بن الزبير فواقع الأحداث يشهد على موقفه من الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعد حرب الجمل وما جاءت به من نتائج مغايرة لما يريده آل الزبير من استرجاع مصالحهم الاقتصادية التي حازت عليها الأسرة في زمن الخلفاء الذين سبقوا علياً (عليه السلام)، حيث عمد الإمام إلى إعادة حقوق الدولة إلى بيت المال وتجريد من استحوذ عليها بدون وجهة شرعية مما أغاض الكثيرين ومنهم آل الزبير، وقد ناقش ذلك أحد الباحثين مناقشة مستفيضة^(١).

إضافة إلى ذلك فإن هناك علاقة طيبة بين عروة و معاوية بن أبي سفيان، فقد كانت هناك وفادة من عروة إلى معاوية بن أبي سفيان في أثناء توليه الحكم^(٢)، مما يدل على أن هناك تقارباً كبيراً بين عروة بن الزبير والأمويين الأعداء التقليديين للعلويين على مرّ زمن الرسالة وما بعدها، وكذلك ذكرنا وفادته على عبد الملك بن مروان لغرض إصلاح ما أضره أخوه عبد الله بن الزبير.

ويمكن ربط ذلك وما ذكره أبو جعفر الإسكافي^(٣) ((أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي (عليه السلام)، تقضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً، يرغب في مثله فاختلفوا ما

(١) ينظر، الشرهاني. حسين علي، التغيير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة الامام علي بن أبي طالب، (تموز للطباعة والنشر-دمشق-٢٠١٣)، ص ١٨٩.

(٢) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤، ص ٢٣٧.

(٣) ابو جعفر الإسكافي: محمد بن عبد الله الإسكافي البغدادي. أحد متكلمي المعتزلة، أصله من سمرقند وكان خياطاً أخذ الكلام عن أبي جعفر بن حرب وله مناظرات مع الكرابيسي وغيره. توفي سنة (٢٤٠هـ-٨٥٤م) ينظر ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ-١٤٤٨م)، لسان الميزان، (ط ٢)، مؤسسة الأعلمي للطبوعات - بيروت (١٣٩٠هـ-١٩٧١م)، ج ٥، ص ٢٢١.

أرضاه منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة ابن الزبير^(١).

ولابد أن نذكر أحد الموضوعات كمحل لشاهد الحديث، روى الزهري أن عروة حدثه قال حدثني عائشة ((قالت: كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعلي، فقال يا عائشة: إن هذين يموتان على غير ملتي أو قال ديني))^(٢).

وفي حديث آخر أيضاً عن عروة عن عائشة حدثته ((قالت: كنت عند النبي إذ أقبل العباس وعلي، فقال: يا عائشة إن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا فنظرت، فإذا العباس وعلي بن أبي طالب))^(٣).

هذا مثال بسيط نذكره للإيضاح، فبالعقولة هذه وبأدوات كهذه كتبت السيرة النبوية ومصدر مهم من مصادرها روايات عروة عن عائشة، فعليه لا بد للمتبع والدارس للسيرة أن يركز على المنطلقات التي ينطلق منها الراوي، وهذا لا يقدر بما قدمه عروة من إنجازات روائية على مستوى كتابة السيرة النبوية.

ولم تكن إنجازاته في حقل السيرة فقط بل برز في مجال الحديث، فعن الزهري قال: ((كان عروة يتألف الناس على حديثه، وعن هشام يقصد بن عروة عن أبيه قال: رب كلمة ذل احتملها أورثتني عزاً طويلاً))^(٤).

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٢٨٣.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٢٨٣.

(٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٨٣.

(٤) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن ت (٥٩٧هـ - ١٢٠٠م)، صفوة الصفوة، تحقيق، طارق محمد عبد المنعم، (دار ابن خلدون - الاسكندرية، د.ت) ج ١، ص ٢٩٣.

وفي رواية ابن الزناد ((فقهاء المدينة اربعة سعد، وعروة، وقبيصة، وعبد الملك ابن مروان))^(١).

وقد حدث عن أمه أسماء بنت أبي بكر وخالته عائشة كما ذكرنا وسهل بن أبي حنيفة وزيد بن ثابت وأسامة بن زيد وعبد الله بن عباس وغيرهم^(٢)، وقد حدث عنه الزهري، وأبو زناد^(٣) وسليمان بن يسار، وصالح بن كيسان^(٤) وغيرهم^(٥).

إذا نستطيع القول من خلال ما أوردنا أعلاه إن عروة بن الزبير من المحدثين والفقهاء، ففي رواية معمر عن هشام بن عروة قال: ((أحرق أبي يوم الحرة كتب فقه كانت له قال: فكان يقول بعد ذلك: لأن تكون عندي أحب إلي من أن يكون لي مثل أهلي ومالي))^(٦).

إن مجهود عروة لا يمكن إنكاره إذ جعل للدراسة التاريخية بداية قائمة بذاتها

(١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٤، ص٤٢٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص١٧٧-١٧٨.

(٣) ابن زناد: واسمه عبد الله بن ذكوان مولى رملة بنت شيبه بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. وكانت رملة تحت عثمان بن عفان، ويكنى أبا الزناد أبا عبد الرحمن فغلب عليه أبو الزناد وقد ولاه عمر بن عبد العزيز خراج العراق وقد كان مهتم بالعلم فكانت له حلقة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) توفي بالمدينة سنة (١٣٠هـ - ٧٤٧م) ينظر ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٥٠٨.

(٤) صالح بن كيسان ويكنى أبا محمد أحد ائمة الحديث ويقال مولى بني غفار ويقال مولى بني عامر ويقال مولى آل معيقب الدوسي وقد عمل مؤدباً لولد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز توفي صالح بن كيسان بعد (١٤٠هـ - ٧٥٧م) حيث كان كثير الحديث ينظر الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٥، ص٤٥٥.

(٥) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٤، ص٤٢٣.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص١٧٨، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٤، ص٤٢٦.

حيث جمع الكثير من الأحاديث التاريخية في المغازي ورسم بعض الأسس لهذه الدراسة^(١)، فقد أشارت بعض المصادر المتأخرة إلى أن أول من صنف في المغازي عروة بن الزبير^(٢). إلا أنه لم يوجد ما يؤكد ذلك على أرض الواقع من كتاب موسوم باسم عروة بن الزبير، وقد ذكر أحد الكتاب ((كل الذي وصلنا من المدونات عبارة عن رسائل متبادلة بين عروة والخليفة عبد الملك بن مروان))^(٣).

وقد ذكرت هذه الرسائل في تاريخ الطبري، ففي رسالته الأولى إلى عبد الملك بن مروان يتناول فيها الهجرة إلى الحبشة^(٤)، وفي رسالته الثانية تناول فيها وقعة بدر بكل تفاصيلها^(٥)، أما الرسالة الثالثة تخص فتح مكة^(٦)، وغيرها من الرسائل المدونة وقد اعتبرت كتابات عروة أعلاه أقدم المدونات التي وصلت إلينا عن بعض الحوادث الخاصة بحياة النبي كما تمثل أقدم آثار الكتابة التاريخية العربية^(٧).

وهناك سمات مميزة لكتابات عروة بن الزبير منها:

تمتاز كتابات عروة بن الزبير بأنها لا تهمل الإسناد إهمالاً تاماً كما أنه لا يعنى به

(١) الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ٨٨.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١، ص ٢٨؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، ت ١٠٦٧ هـ - ١٦٥٧ م)، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ترتيب، الشيخ محمد شرف الدين (دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ت)، ج ٢، ص ١٧٧٤.

(٣) الدوري، نشأة التاريخ عند العرب، ص ١٥٨-١٥٩.

(٤) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٠٧.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦١.

(٦) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٣.

(٧) نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ص ٢٩، ينظر هوروفنتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٢٢.

عناية مشددة^(١)، وتساهله في تلك الحالة متأتٍ من أن النظرة إلى الأسانيد في عصره لا تزال مرنة، ولم تكن القواعد الدقيقة للإسناد قد ظهرت بعد، ومما يلحظ على استخدامه للأسانيد في روايات الحوادث المهمة من بدء الوحي وآهجرة^(٢)، ومثال ذلك ما ذكره الطبري فـي رواية ابتداء نزول الوحي حيث يذكر سندها إلى أن ينتهي بعروة عن عائشة^(٣).

أما المثال الآخر الذي ينقله لنا الطبري فيمثل تساهل عروة بن الزبير في ذكر السند حيث ينقل الرواية حتى ينتهي سندها الى عروة فقط فلا يوجد سند بعد عروة^(٤).

الاستشهاد بالآيات القرآنية في توثيق الرواية ؛ وذلك لأن قسماً من مروياته تعرض أسباب النزول^(٥)، ومثال ذلك عندما يتحدث عن نزول الآية ويذكر الرواية حيث يقول والحديث عن لسانه ثم كان أول ما نزل عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) من القرآن بعد إقرأ ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ﴿مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ (٧).

هناك إشارات شعرية أوردها عروة في مناسبات معينة تدل على أنه كان يورد

(١) نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ص ٣٠.

(٢) الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ١٥٥.

(٣) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ١٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٥) نصار، تطور كتابة السيرة النبوية، ص ٤٩.

(٦) سورة القلم، آية ١-٣.

(٧) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ١٩٠.

بعض الأشعار^(١) مثال ذلك لما عاد من الشام بعد وفوده على عبد الملك بن مروان وفي قصة أوردناها سابقاً بعد أن قتل أخوه استأمن أموالاً له في المدينة عند طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان المال لمصعب بن الزبير أخيه فبلغ عروة أن المال الذي استودعه عند طلحة استخدمه طلحة في عملية بيع وشراء الرقيق والإبل، ولكن بعد عودته إلى المدينة أخبره طلحة بوجود المال وسلمه إليه فتمثل بالأبيات التالية:

فَمَا اسْتخْبَأَتْ فِي رَجُلٍ خَبِيئاً كَمَثَلِ الدِّينِ أَوْ حَسْبِ عَيْتِي
ذُو الْأَحْسَابِ أَكْرَمُ مَا تَرَاثُوا أَصْبِرُ عِنْدَ نَائِبَةِ الْحَقُوقِ^(٢)

وقد ذكر حسين نصار أن عروة بالرغم من تدينه وفقهه إلا أنه لم يكن خصماً للشعر^(٣) وهذا تعليل بعيد عن الواقع، فإن الشعر في صدر الإسلام لا يختص بغير المتدينين وإنما الشعر للجميع، وكلما كان الإنسان شاعراً أو يحفظ الأشعار كان أكثر التصاقاً بالمجتمع. أما قضية تدينه فلدينا علامات استفهام على ذلك أوردناها في بداية الحديث، إلا أن الحديث هنا عن الرواية التاريخية بصورة عامة، فقد كانت إسهاماته في رفد كتابة السيرة بتلك الروايات تمثل التدوين الجزئي للسيرة النبوية وقد كان عروة أبرز رواة هذه المرحلة المهمة من مرحلة التدوين. ويمكن ملاحظة دور عروة البارز من خلال الرسائل المتبادلة بينه وبين عبد الملك بن مروان وبصورة موثقة تعتبر جزءاً مهماً وحيوياً من عملية التدوين، وكذلك اعتبار علاقته بالسلطة الأموية وبذاتها

(١) نصار، تطور كتابة السيرة النبوية، ص ٤٩.

(٢) أبو نعيم الاصفهاني، أحمد بن عبد الله، ت (٤٣٠هـ - ١٠٣٨م)، حلية الأولياء، (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)، ج ٢، ص ١٧٧.

(٣) نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ص ٣٠.

الأموال له لكتابة السيرة وفق روايتها مكنَّ عروة من البروز في هذا المجال.

وقد ذكر أن علاقة عروة بتصنيف المغازي والسير تعدُّ المصدر الأهم للرواية التاريخية ولعصور عدة قبل عصره حيث تمثل تلك أحداثاً تاريخية مهمة في سيرة الرسول ومغازيه، وقد أعطاه بعض الملامح المنهجية، ونحن نتفق مع من يقول بانفراد عروة بتلك الرويات التاريخية وبصورة أكثر نضوجاً ومنهجية من غيره^(١).

أبان بن عثمان ت (١٠٥هـ - ٧٢٣م)

ابن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أبوه ثالث خليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمه أم عمرو بنت جندب بن عمرو، ويكنى أبا سعيد^(٢)، لم تكن له علاقة وثيقة بالأمويين إلا أنه هناك رواية تفيد بأنه أصبح والياً على المدينة أيام خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥هـ - ٦٨٤م) (٨٦هـ - ٧٠٥م) وكانت ولايته من باب المصادفة حيث خرج الوالي الأموي آنذاك يحيى بن الحكم بن العاص^(٣) وافداً إلى دمشق دون علم الخليفة وقد ترك أبان بن عثمان والياً محله حين عودته إلا أن عبد الملك بن مروان أظهر عدم رضاه ورفضه لتصرف الوالي بدون علمه فأقر عبد الملك أبان بن عثمان والياً على المدينة لمدة سبع سنوات وقد أجرى بعض التغييرات الإدارية في المدينة منها عزل القاضي وغيرها^(٤). أما دوره في تدوين

(١) الفارس، عروة بن الزبير دراسة في سيرته ومروياته التاريخية، ص ٦٧

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ١١٥، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٣٥١

(٣) يحيى بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد الشمس، وهو اخو مروان بن الحكم واه عبد الملك ابن مروان المدينة، وولاة أيضاً فلسطين. ينظر، البلاذري أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٠٤، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤، ص ١١٩.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ١٥١.

السيرة النبوية فقد ذكر أنه سمع الحديث من أبيه، وزيد بن ثابت^(١) وغيرهما من الصحابة، وكان يعد من فقهاء المدينة العشرة^(٢).

ويمكن أن تتلمس دوره في تدوين السيرة النبوية وبشكل فاعل من خلال الرواية الآتية التي تخص المغيرة بن عبد الرحمن^(٣) الذي ترجم له ابن سعد، حيث ذكر عن محمد بن عمر الواقدي ((خرج المغيرة بن عبد الرحمن مرة غازياً وكان في جيش مسلمة الذين احتبسوا في أرض الروم حتى أقفلهم عمر بن عبد العزيز، وذهبت عينه.. وكان ثقة قليل الحديث إلا مغازي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذها من أبان بن عثمان فكان كثير ما نقرأ عليه ويأمرنا بتعلمها))^(٤).

الرواية أعلاه تبين أن هناك مدونة للسيرة النبوية عن طريق أبان بن عثمان أخذها عنه المغيرة وهو بدوره أخذ يقرأها على تلاميذه لغرض تعلمها وبذلك إن صحت الرواية تلك يمكن اعتبار أبان من الطبقة الأولى من كتّاب السير والمغازي. وما يعضد القول بصحة اشتغاله واهتمامه بتدوين السيرة النبوية ما أورده الزبير بن

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان بن عمرو بن عبد عوف بن غتم بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري، وأمّه النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي بن عامر بن عتم يكنى أبا سعيد، أول مشاهده مع رسول الله في الخندق وكان من المحدثين عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) توفي سنة ٤٥هـ - ٦٦٥م ينظر ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٢٤٧.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٣٥٢.

(٣) المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة وأمّه سعدى بنت عوفة بن خارجة بن سنان بن أبي حارث ويكنى أبا هشام من العلماء والتابعين توفي في ولاية يزيد بن عبد الملك، ينظر، ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٢٠٨، ابن حبان، أبو حاتم محمد التميمي البستي ت (٣٥٤هـ - ٩٦٥م)، مشاهير علماء الامصار، تحقيق مرزوق علي إبراهيم (دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ١٩٩١)، ص ٣٨.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٢٠٨.

بكار^(١) رواية مفادها أن سليمان بن عبد الملك (٩٦هـ - ٧١٤م) (٥٩٩-٧١٧م) لما قدم إلى المدينة حاجاً سنة (٨٢هـ - ٥٥٨م) وعندما كان ولياً للعهد (أمر أبان بن عثمان أن يكتب له سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومغازيه فقال أبان: (هي عندي قد أخذتها مصححة ممن أثق به) فأمر بنسخها إلى عدة نسخ فلما قرأها بين له فضل الأنصار في العقبين وذكرهم في معركة بدر (فقال ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل، فأما أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم، وأما أن يكون ليس هكذا).

وقد ذكر الراوي أيضاً أنه أخبر أباه عبد الملك بذلك فلم يرض عبد الملك وأمر بحرق النسخ لأن فيها فضائل الأنصار وهذا يتعارض مع ثوابت بني أمية^(٢).

ويمكن تسجيل الملاحظات الآتية من خلال ما ذكر أعلاه:

توجد لدى أبان بن عثمان مدونة عن سيرة الرسول ومغازيه مما يدل على الاهتمام الواضح والكبير في تدوين السيرة النبوية ومغازي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ العصر الإسلامي الأول فلا بد أن أباناً قد أخذ تلك المدونة عن أحد الصحابة وتلقاها منه ودونها.

التعظيم المتعمد من قبل الأمويين على أمر كهذا لأن فيه مناقب غيرهم من الأنصار كما ذكرت الرواية لا سيما العلويين بالأخص الإمام علي بن أبي طالب وهو العدو التقليدي لهم وهذا ما نلاحظه من خلال سير البحث، فلذلك حرصوا كل الحرص على حجب أي معلومة قد تصل إلى الناس فيها بيان لمناقب هؤلاء بحيث أصبح الناس في جهل تام بأحداث سيرة ومغازي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) ت (٢٥٦هـ - ٨٦٩م)، الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكّي العاني، (ط٣)، عالم الكتاب بيروت،

١٤٣٧هـ - ١٩٩٦م، ص ٢٧٥.

(٢) ينظر، ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص ٢٧٥.

والدليل هو أن ابن الخليفة الأموي - سليمان بن عبد الملك - لا يعلم من ذلك الأمر شيئاً وعندما علم عبد الملك بالأمر أصدر أوامره بإحراق النسخ؛ لأن فيها فضائل الأنصار.

إذاً أبان بن عثمان لديه مدونة من خلال ما ذكر الزبير بن بكار إن صحت روايته وقد احترقت نسخها ولم يذكر لنا الراوي مصير النسخة الأصلية ولكن يعتقد أنها ذهبت حيث لم يرد اسمه في كتب السيرة على خلاف ورود اسمه كثيراً في كتب الحديث^(١).

وقد ذكر أحد الباحثين^(٢) أن أبان بن عثمان يمثل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي، وقد قطع بعدم وصول شيء إليه من هذه المدونة التي ذكرنا ورودها في الرواية أعلاه في المصنفات التي اعتمدت مرويات أقرانه من التابعين عند حديثهم عن سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأحواله، إذ أن مدونة أبان لم تصل إلينا لعدم وجود نقول عنها في الكتب المتأخرة.

وهب بن منبّه ت (١١٠هـ - ٥٢٩م)

ابن كامل بن سبيح بن ذي كبار، ولد في خلافة عثمان سنة (٣٤هـ - ٦٥٤م)^(٣)، وهو يمني من صنعاء^(٤). فارسي الأصل من خراسان من أهل هراة^(٥)، وكان

(١) هوروفتس، المغازي الأول ومؤلفوها، ص ٤.

(٢) الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ٢٤.

(٣) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٥٤٤-٥٤٥.

(٤) المزني، تهذيب الكمال، ج ٤، ج ٣١، ص ١٤٠.

(٥) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٥٤٥.

من الأبناء^(١)، وكنيته أبو عبد الله الصنعاني^(٢)، كان مهتماً برواية الأخبار وصاحب قصص^(٣)، وقد اعتبر من الثقات في رواية الأخبار وقد روى عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري^(٤) وجابر بن عبد الله الأنصاري وغيرهم وذكر أنه كان يروي يسيراً عن أبي هريرة^(٥).

وقد كان كثير النقل من الكتب القديمة ونقل ابن قتيبة^(٦) ((كان وهب يقول قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتاباً))، وقد ((صنف كتاب القدر ثم ندم على تصنيفه وقد علل ندمه على ذلك بعد أن عرف أنه من جعل لنفسه شيئاً من المشيئة

(١) الأبناء: وهي قصة ترجع إلى زمن الملك الحميري سيف بن ذي يزن صاحب اليمن لما استولت الحيشة عليها توجه لطلب المساعدة والنجدة من كسرى ملك الفرس وقد انجده كسرى إذ أرسل معه سبعة آلاف وخمسة مائة فارس من الفرس ولم يسر معه إلا ثمان مائة وقد غرق منهم مائتان في البحر وسلم ست مائة وقد تمكن الفرس من اخراج الاحباش من ارض اليمن وقد استلموا زمام الأمور في اليمن وآلت إليهم الأمور حيث استوطنوا فيها ورزقوا اولاداً فكان اولادهم يسمون بالابناء. ينظر ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٤، ص ٣٥.

(٢) الذهبي، محمد أحمد بن عثمان ت (٥٧٤٨ - ١٣٤٧م)، تذكرة الحفاظ (دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت) ج ١، ص ١٠٠.

(٣) الحموي، ياقوت ت (٦٢٦هـ - ١٢٢٨م)، معجم الأدباء، (ط ٣، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٠هـ) ج ١٩، ص ٢٥٩.

(٤) أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الابجر بن عوف بن حارث ابن الخزرج واسم الابجر حذرة وقيل بل خدره هي أم الابجر استشهد أبوه مالك يوم أحد وشهد أبو سعيد الخندق وبيعة الرضوان وحدث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كثيراً توفي سنة (٩٤هـ - ٧١٢م) ينظر، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٦٨.

(٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٠٠.

(٦) المعارف، ص ٤٥٩.

فقد كفر))^(١).

أما عن علاقته بالدولة الأموية فقد كانت له علاقات طيبة مع الحكام الأمويين فقد ولي القضاء في زمن عمر بن عبد العزيز^(٢). وقد وجه إليه الوليد بن عبد الملك الأموي لوحاً من حجارة فيه كتابات يونانية لغرض قراءته بعد أن عجز جماعة من أهل الكتاب عن قراءة ما مكتوب به، وقد رد وهب على الخليفة، هذا مكتوب أيام سليمان بن داود عليهما السلام، فقرأه فاذا فيه ((بسم الله الرحمن الرحيم، يابن آدم، لو عاينت ما بقي من يسير أجلك، لزهدت فيما بقي من طول أملك، وقصرت عن رغبتك وحيلتك وإنما تلقي ندمك، إذا زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك، وانصرف عنك الحبيب، وودعك القريب، ثم صرت تدعى فلا تجيب، فلا أنت إلى أهلك عائد ولا في عملك زائد فاغتنم الحياة قبل الموت، والقول قبل الفوت، وقبل أن يؤخذ منك بالكظم، ويحال بينك وبين العمل، وكتب زمن سليمان ابن داود..))^(٣).

وقد اختلف في عدّ وهب من الذين كتبوا في المغازي والسير، فذكر حاجي خليفة^(٤) أن لوهب مؤلفاً بعنوان (الفتوح). وذكر المستشرق هوروفنتس^(٥) أن فتوح وهب التي يذكرها حاجي خليفة غير معروفة عند المؤرخين، وكان على معرفة

(١) الحموي، معجم الأدباء، ج٩، ص٢٥٩.

(٢) اليافعي، عبد الله بن اسعد، ت (٧٦٨هـ - ١٣٦٥م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، ج ١، ص ١٩٥.

(٣) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين ت (٣٤٦هـ - ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (منشورات الفجر - بيروت، د.ت)، ج ٣، ص ١٢٤.

(٤) كشف الظنون، ج ٢، ص ١٢٤٠.

(٥) المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٣٤.

وثيقة بمأثور أهل الكتاب ومن خلال ذلك برزت معارفه حول خلق العالم وتاريخ الأنبياء، وبني إسرائيل^(١).

والذي نريد أن نصل إليه في هذه الفقرة هو إسهامات وهب بن منبه في مجال السيرة وهل له ما يعزز ذلك؟ فقد ذكر الأصفهاني^(٢) في حلية الأولياء توجد له قطعتان الأولى حول مرض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووفاته وأيضاً عن طريق حفيده عبد المنعم بن إدريس^(٣) عن أبيه عن وهب بن منبه عن جابر بن عبد الله الأنصاري وابن عباس يتناول تفاصيل مرض الرسول إلى وفاته. ونحن هنا لسنا بصدد إثبات أو نفي محتواها بقدر ما أننا يمكن أن نعتبر هذه القطعة واحدة من إسهامات وهب بن منبه في كتابه السيرة النبوية وقد وردت إشكالات عليها حول الأسلوب الغريب الذي جاءت به وهو يتعد عن أساليب تلك الفترة، إضافة إلى أن الخيال أدى دوراً مميزاً فيها لذلك يقول: ((إذا صحت نسبتها إلى وهب، فإننا لا نستطيع أن نطلق عليه لفظة مؤرخ))^(٤).

أما القطعة الثانية فتحدث عن ((فتح مكة وأمر رسول (صلى الله عليه وآله

(١) سزكين، تاريخ التراث العربي، ج ٢، ص ١٢٢.

(٢) حلية الأولياء، ج ٤، ص ٧٣-٧٤-٧٥.

(٣) عبد المنعم بن إدريس بن سنان بن كليب ابن بنت وهب ابن منبه يروي عن أبيه وعن جده وهب بن منبه، روى عنه العراقيون يضع الحديث على أبيه وعلى غيره لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه وأمه سلمى بنت وهب بن منبه، ينظر، ابن حبان، أبو حاتم محمد التميمي البستي، توفي (٣٥٤هـ - ٩٦٥م)، المجروحين من المحدثين من الضعفاء والمتروكين، تحقيق محمود إبراهيم زايد (دار الباز للنشر، مكة المكرمة، دت)، ج ٢، ص ١٥٧.

(٤) نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ص ٣٦.

وسلم) عمر بن الخطاب بأن يأتي الكعبة ويمحو الصور على جدرانها^(١).

إلا أن الملاحظ أن إسهامات وهب بن منبه التاريخية جاءت بشيء جديد لم يكن مألوفاً ومعروفاً في مدرسة المدينة من قبله هو عنايته بأخبار أهل الكتاب، وتاريخ وطنه اليمن^(٢).

إلا أنه هناك شكوكاً كثيرة تحوم حول صحة كتابات وهب للمغازي، إذ ذكر أحد الباحثين^(٣) (أننا لم نجد أثناء تصفحنا للكتب التي تتحدث عن سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) رواية ينتهي سندها إلى وهب أو يكون هو أحد طرقها) لكن القطعة التي ذكرها الأصفهاني في حلية الأولياء حول فتح مكة قد يضعف رأي الباحث إذا اعتبرنا أن القطعة الأولى حول وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي شكك فيها الباحث حسين نصار، إلا أن الرواية حول فتح مكة يمكن اعتبارها إحدى روافد وهب بن منبه للسيرة النبوية).

وهناك رواية يوردها ابن سعد أيضاً بسندها إلى وهب بن منبه بين فيها أعداد المسلمين يوم الحديبية^(٤)، لا يمكننا من خلال إيراد تلك الأمثلة أن نجزم بأن وهب ابن منبه لم يرفد السيرة النبوية بروايات ولكن يمكن القول إن معظم الروايات التي وصلت إلينا عن وهب بن منبه تتضمن عرضاً لأخبار الأنبياء والرسول والأمم والأقوام السالفة، ويمكن القول إن إسهامات وهب بن منبه التاريخية في مجال الأنبياء

(١) أبو نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء، ج ٤، ص ٧٩.

(٢) نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ص ٣٦.

(٣) نصار، تطور كتابة السيرة النبوية، ص ٥٤.

(٤) ابن سعد، محمد بن منيع ت (٢٣٠هـ - ٨٤٤م)، غزوات وسرايا الرسول، تقديم عبد الغفور عطار، (دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨١م)، ص ١٠٠.

والامم السابقة مدخلاً مهماً لسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

إن تركيز وهب على كتابات وطنه اليمن حيث توجد رسالة خاصة تسمى ((كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم...))^(٥)، لكن هذا الكتاب لم يصل إلينا والذي وصل كتاب التيجان في ملوك حمير، وهو مهذب من قبل ابن هشام كما تصرف بسيرة ابن إسحاق.

عاصم بن عمر بن قتادة ت (١٢٠هـ - ٧٣٧م)

ابن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب الأنصاري^(٦)، كانت له رواية للعلم إذ اعتبر من الثقات^(٧)، ويعد من علماء عصره في المغازي والسير^(٨)، وكانت علاقته بالأمويين في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٩٩هـ - ١٠١هـ) (٧١٧م-٧١٩م) حيث وفد إلى دمشق طالباً مساعدة الخليفة نتيجة دين كان عليه^(٩)، ويتضح من ذلك أن حالته المادية لم تكن ميسورة ولم يتسنى أي منصب إداري في زمن الدولة الأموية هو أو أحد أفراد عائلته.

إن وفادته على عمر بن عبد العزيز مكنته من نقل روايات السيرة إلى قصر الخلافة في دمشق حيث أمره الخليفة أن يجلس في مسجد دمشق يحدث الناس بمغازي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومناقب أصحابه على الرغم كراهة الحكام الأمويين الذين

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١٩، ص٢٥٩.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٤٦٠.

(٧) ابن حبان، الثقات، ج٥، ص٢٣٤، المزي، تهذيب الكمال، ج٣، ص٥٣١.

(٨) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٤١٥، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٥، ص٤٧، المزي، تهذيب

الكمال، ج١٣، ص٥٢٨.

(٩) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٤١٦.

سبقوا عمر بن عبد العزيز، وكرههم إلى أحاديث كهذه وينهون عنها في مجالسهم^(١)؛ لأنها ترفع شأن بعض الصحابة الذين لا يروق للحكام الأمويين أن تصل إلى الناس مناقبهم وبلاؤهم في الجهاد لحمل راية الإسلام، فقد روى عن أبيه وعن جابر بن عبد الله الأنصاري وعن أنس بن مالك وغيرهم^(٢). إضافة إلى روايته عن الحسن بن محمد بن الحنفية وعن الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٣). وقد روى عنه كثيرون^(٤) إلا أن الذي يهمننا هنا هو اعتماد محمد بن إسحاق كثيراً على رواية عاصم بن عمر بن قتادة^(٥).

وبالعودة إلى علاقته مع الحكام الأمويين فقد تذكر الروايات أنه عاد إلى المدينة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز وبقي فيها إلى أن توفي سنة (١٢٠ هـ - ٧٣٧ م)^(٦).

وعند التتبع لسيرته ومكانة عائلته فإن جده قتادة بن النعمان هو الذي رد رسول الله عينه بعد أن قلعت في معركة بدر وذلك ببركة دعاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٧). أما منهجيته في كتابة رواية السيرة فلم تشر المصادر إلى أن له مدونة أو كتاباً في المغازي والسير بل إن النقولات الكثيرة عنه من قبل صاحب السيرة محمد بن إسحاق والواقدي تدل على أنه عني بتفاصيل قصة شباب النبي والفترة المكية عامة

(١) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٤١٦.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ٢٤٠.

(٣) المزني، تهذيب الكمال، ج ١٣، ص ٥٢٩.

(٤) المزني، تهذيب الكمال، ج ١٣، ص ٥٢٩.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٢٥-٢٢٦-٢٢٨، ج ٢، ص ٢٧٧، ج ٣، ص ٥١.

(٦) المزني، تهذيب الكمال، ج ٣، ص ٥٣٠.

(٧) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ٢٤٠.

كما يلاحظ ذلك من خلال السيرة النبوية لابن هشام^(١).

وقد تجاهل بعض الأسانيد على الرغم من ذكره لكثير منها إلا أنه كمن سبقه من الرواة في تلك الحقبة يتساهل كثيراً في تلك الأسانيد^(٢). كما أنه يدخل في الأخبار التي يرويها أشعاراً^(٣) لأصحابها الأساسيين^(٤).

إلا أن هناك مجموعة من النقاط التي تميز روايته فمنها على سبيل المثال:

إبرازه الاتجاه القبلي في روايته لأحداث السيرة وقد ركز كثيراً على المرحلة المدنية من الدعوة الإسلامية وبرّز دور الأنصار في ذلك.

وصفه للمعارك وصفاً دقيقاً من أول حادثة إلى آخرها، وإبراده المعجزات ودلائل النبوة التي بدرت من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

الاستقلالية في رواية الحوادث دون قطعها ما إن استمرت هذه الحادثة مدة طويلة وقد اعتبر ذلك بداية المنهج الموضوعي^(٥)، وترك المنهج الحولي القائم.

تمثل نقلة نوعية في بروز الاتجاه النقدي والتعليق على الروايات التي ترد على مسامعه، وبذلك يعدّ عاصم ممن قد أضاف إضافات جديدة.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٢٥-٢٢٦-٢٢٨، ج ٢، ص ٣٨-٦٧.

(٢) هوروفنتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٤٩.

(٣) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٦٧.

(٤) هوروفنتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٤٩.

(٥) ينظر، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٨٨ (فيه تفاصيل طويلة عن إسلام سلمان الفارسي).

شرح حبيب بن سعدت (١٢٣هـ - ٧٤٠م)

أبو سعد الخطمي المدني مولى الأنصار^(١)، يعد من الرعيل الأول في كتابة المغازي^(٢)، وكان أيضاً من المحدثين حيث أخذ الأحاديث من الصحابة زيد بن ثابت، وأبي رافع، وأبي هريرة، والحسن بن علي، وعويم بن ساعدة^(٣)، وابن عباس وغيرهم.

وكذلك روى عنه الكثيرون من أصحاب الحديث والمغازي^(٤)، وقد ذكر شرح حبيب نفسه إقامته في أرض زيد بن ثابت في الأسواف^(٥) في المدين^(٦)، ومن الجدير بالذكر أن كتب التراجم لم تتطرق إلى سيرته بصورة مفصلة فقد أورد ابن سعد ترجمة مختصرة له جداً فلم يتحدث عن إسهاماته في تدوين السيرة، إلا أنه ذكر عن سفيان بن عيينة^(٧)

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٢٨٢.

(٢) ابن عقبة، موسى أبو محمدت (١٤١هـ - ٧٥٨م)، المغازي النبوية، تحقيق حسين مرادي (د.م.ط)، ص ٥٥ (مقدمة المحقق).

(٣) عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد ابن أمية يكنى أبا عبد الرحمن وهو من الثمانية من الأنصار الذين اسلموا، أول من لقي رسول الله في مكة وقد شهد العقبة الآخرة مع السبعين وهو صحابي انصاري توفي في خلافة عمر بن الخطاب ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٢٥-٤٢٦.

(٤) ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن ادريس ت (٣٢٧هـ - ٨٥١م)، الجرح والتعديل، (دار احياء التراث العربي - بيروت (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، ج ٤، ص ٣٣٨.

(٥) الاسواف: وهو اسم حرم المدينة وقيل موضع بعينه بناحية البقيع وهو موضع صدقة زيد بن ثابت الأنصاري وهو من حرم المدينة، ينظر الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٩١.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٣١٠.

(٧) سفيان بن عيينة بن أبي عمران، واسمه ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي مولى محمد بن حزام أخي الضحاك بن حزام، وكان أعوراً وكان من تلاميذ الزهري وقد قال فيه الشافعي لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز توفي سنة (١٩٨هـ - ٨١٣م). ينظر المزي، تهذيب الكمال، ج ١١، ص ١٧٧.

كان من أئمة المغازي ولم يكن من هو أعلم منه بالمغازي^(١).

وقد كانت اهتماماته منصبه على تدوين أسماء المشتركين في معركة بدر (البدرين)، وأنه في نهاية حياته احتاج فخشي الذين لا يلبنون طلبه وهم يسألونه عن الذين اشرطوا في بدر يقول للذي يسأله أبوك لم يشهد بدرًا، وهذا يدل على أن لديه معرفة واسعة بأسماء من شهد بدرًا وهذا ما يؤيده النص المنقول عن إبراهيم بن المنذر الخزامي^(٢) ((حدثنا سفيان بن عيينة قال كان بالمدينة شيخ يقال له: شرحبيل أبو سعد وكان من أعلم الناس بالمغازي، فاتهموه أن يكون يجعل لمن لا سابقة له سابقة. وكان قد احتاج فأسقطوا مغازيه وعلمه، قال إبراهيم: فذكرت هذا لمحمد بن طلحة بن الطويل^(٣)، ولم يكن أحد أعلم بالمغازي منه، فقال لي كان شرحبيل أبو سعد عالماً بالمغازي، فاتهموه أن يكون يدخل فيهم من لم يشهد بدرًا ومن قتل يوم أحد، وأهجرة ومن لم يكن منهم، وكان قد احتاج، فسقط عند الناس، فسمع بذلك موسى بن عقبة، فقال: إن الناس قد اجترؤوا على هذا؟ فدب على كبر السن، وقيد من شهد بدرًا واحداً ومن هاجر إلى الحبشة والمدينة، وكتب ذلك))^(٤)، من خلال

(١) النووي، يحيى بن شرف الخزاعي ت (٦٧٦هـ - ١٢٧٧م)، شرح صحيح مسلم، (دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ج ١، ص ١٢٠.

(٢) إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام بن خويلد بن أسد وجده خالد بن حزام اخو حكيم بن حزام وكان من رواة الحديث والمغازي توفي سنة ٢٣٦هـ - ٨٥٠م). ينظر المزي، تهذيب الكمال، ج ٢، ص ٢٠٧.

(٣) محمد بن طلحة الطويل بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تيم بن مرة وهو من رهط أبي بكر (الخليفة الأول) وقد كان راوية للحديث، وقد ذكر انه كان صادق الحديث ولا يحتج به وذكره ابن حبان من الثقات، ينظر ابن أبي حاتم الرزاي الجرح والتعديل، ج ٧، ص ٢٩٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٢١٠.

(٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٦، ص ١١٦، ينظر ابن حجر تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٣٢١.

النص أعلاه يمكن ملاحظة الآتي:

الرواية تدل بشكل قاطع إلى أن شرح حبيب بن سعد كان من أعلم الناس بالمغازي ولديه مدونة بأسماء البدرين ومن قتل يوم أحد وأسماء المهاجرين إلى المدينة وهذه الحالة مشهورة وموثوقة.

الظرف الذي مر به شرح حبيب بن سعد في نهاية حياته جعلت المهتمين بالموضوع يتجهون إلى موسى بن عقبة لحفظ ذلك المدون من الضياع، فإن صحّت الرواية فما قام به موسى بن عقبة هو حفظ لوثيقة شرح حبيب بن سعد من الضياع وفقدان ثقة الناس بها، وقد ورد أن ابن إسحاق سُئل عن رأيه بحديث شرح حبيب فقال: ((واحد يحدث عن شرح حبيب))^(١)، ولكن من خلال البحث وجدنا أن هذا القول ما ينقصه إذ أن هناك رواية نقلها الحاكم النيسابوري^(٢) عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال حدثني شرح حبيب بن سعد حول نزول آية ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾^(٣) ورواية أخرى نقلها البيهقي^(٤) عن ابن إسحاق قال حدثنا أبو سعد شرح حبيب بن سعد حول حوادث حصلت في غزوة بني النضير.

من خلال ذلك نرى تناقضاً واضحاً فيما ينقله ابن حجر عن رأي ابن إسحاق في شرح حبيب بن سعد مع ما ذكره غيره من نقل ابن إسحاق لرواية شرح حبيب بن سعد

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٢٨٢.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت (٤٠٥ هـ - ١٠١٤ م)، المستدرک علی الصحیحین، إشراف، يوسف عبد الرحمن المرعشي، (د. م. ط)، ج ٣، ص ٤٥.

(٣) سورة الانعام، آية ٩٣.

(٤) أحمد بن الحسين ت (٤٥٨ هـ - ١٠٦٥ م)، دلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب الشريعة، تعليق، عبد المعطي قلعي، (دار الكتب العلمية - بيروت) ج ٣، ص ٣٥٥.

وهم متقدمون على ابن حجر كثيراً.

إلا أن ابن حبان يذكره من الثقات فيما ضعفه آخرون^(١)، وذكر السخاوي^(٢) عن ابن عيينة (أنه كان يفتي ولم يكن أعلم بالمغازي منه ثم احتاج فكأنهم اتهموه) وكأن الأمر من خلال ما يورده السخاوي تهمة الصقت به وليس واقعاً صائراً، المهم نحن نعتقد أن الرواية التاريخية عندما أصبحت بشكل منهجي ومبوب تحكمت بها وأخرجتها بصور متعددة أمزجة سياسية ومذهبية.

وعند العودة إلى الرواية التي أوردناها وفيها تدخل موسى بن عقبة وتقيده من شهد بدرأ ليس من باب الحرص على ضياع هذه اللائحة حسب اعتقاد الباحث وإنما كانت الرواية التاريخية في زمن عقبة حكراً على فريق الزبيريين كما سنلاحظ ذلك في دراستنا لموسى بن عقبة وقرابته القريبة من آل الزبير^(٣).

وقد نختلف مع الباحث عمار عبودي^(٤) الذي ذكر أنه استنتج من خلال دراسته لشرحبيط بن سعد أن العزوف عن المرويات لهذا الراوي يدل على وجود حس نقدي مبكر للرواية والرواة، وهذا به شيء من المجانبة للواقع فقد ذكرت الروايات أن خط شرحبيط بن سعد وميوله إلى التيار المعارض لآل الزبير هو الذي أحدث ما أحدث لمروياته التاريخية واتهامه باتهامات كثيرة، فقد ذكر الطوسي^(٥) أنه من أصحاب الإمام

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٧٦.

(٢) شمس الدين، ت (٩٠٢هـ - ١٤٩٦م) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ج ١، ص ٤٤٢.

(٣) ينظر، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٣٢١.

(٤) نصار، تطور كتابة السيرة النبوية، ص ٥٢.

(٥) محمد بن الحسن ت (٤٦٠هـ - ١٠٦٧م)، رجال الطوسي، تحقيق، جواد الفيومي، مؤسسة النشر

السجاد (عليه السلام) وقد أيده عدد من الكتاب والباحثين المتأخرين^(١).

محمد بن مسلم الزهري ت (١٢٤هـ - ٧٤١م)

ابن شهاب بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة، ويكنى أبا بكر^(٢)، اختلف في تاريخ ولادته منهم من ذكر أنه ولد سنة (٥٠هـ - ٦٧٠م)^(٣)، ومنهم من قال: ((٥٨هـ - ٦٧٧م))^(٤) وغيرها.

جده عبد الله بن شهاب كان مع المشركين ضد الرسول وأصحابه في معركة بدر وقد تعاهد مع نفر من قريش على قتل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم أحد^(٥). وقد علل أحد المستشرقين ذلك بأنه السبب في إحجام الزهري عن ذكر اي تفاصيل لجده في تلك الأحداث ومنها معركة بدر وأحد^(٦)، ففي رواية أبي سعيد الخدري ((أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله يومئذ فكسر رباعيته اليمنى،

الإسلامي - قم - د.ت)، ص ١١٥.

(١) النفرشي، مصطفى بن الحسين ت (ق ١١ هـ، ق ١٦م) نقد الرجال مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث - قم ١٤١٨هـ، ج ٢، ص ٣٩٣، الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، (ط ٥، د.م، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، ج ١٠، ص ١٧.

الجوهري، محمد، المفيد من معجم رجال الحديث، (مكتبة المحلاني - قم ١٤٢٤هـ، ص ٢٧٦).

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ج ٨، ص ٢٢٧.

(٣) المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٦، ص ٤٤١.

(٤) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ت (٢٧٦هـ - ٨٨٩م)، المعارف تحقيق ثروة عكاشة، (ط ٤، دار المعارف - القاهرة، د.ت)، ص ٤٧٢.

(٥) هوروفنتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٨٥.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٨٥.

وجرح شففته السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهري شججه في جبهته^(١). وكان أبوه مسلم بن عبيد الله مع ابن الزبير في أثناء ثورته ضد الحكم الأموي آنذاك.

وقد نشأ الزهري غلاماً لا مال له، مقطوعاً من الديوان، ولكنه كان يحب مجالسة العلماء فقد تعلم نسب قومه من عبد الله بن ثعلبة بن صعير العدوي^(٢)، وفي أثناء تواجده مع عبد الله تمكن من التعرف على سعيد بن المسيب بوصفه من فقهاء وعلماء المدينة وبعد ذلك تتلمذ على يد عروة بن الزبير وغيرهم حتى تفقه^(٣)، فروى عن ابن عمر حديثين وعن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وأبي أمامة بن سهل وغيرهم، وروى عنه صالح بن كيسان، ومعمرو واليثة بن سعد^(٤)، وابن إسحاق وغيرهم.

وقد التحق بالشام حيث دمشق مركز الخلافة الأموية وكانت بداية لقائه بمجلس قبيصة بن ذؤيب الذي توصل من خلاله إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان^(٥)، وكان قد لازم الخلفاء الأمويين بعد وفاة عبد الملك بن مروان وجعله عمر بن عبد العزيز على قضائه، ثم بعد ذلك لزم هشام بن عبد الملك حيث اتخذ معلماً لولده^(٦).

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص ٤٧٢.

(٢) عبد الله بن ثعلبة بن صعير ويقال بن أبي صعير كان أبوه شاعراً وحليفاً لبني زهرة وقيل إنه ولد قبل الهجرة وقيل بعدها وتوفي سنة (٨٩هـ - ٧٠٧م) وهو ابن ٨٣ سنة وقال ابن السكن يقال له صحبة وحديث وكان عالماً بالأنساب. ينظر ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ١٤٥-١٤٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٤٢٩، الذهبي سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ٣٣٠.

(٤) (٦) الليث بن سعد مولى منهم بن قيس عيلان كنيته أبو الحارث كان مولده سنة (٩٤هـ - ٧١٢م) وتوفي سنة (١٧٥هـ - ٧٩١م) وكان عالماً بالفقه والحديث. ينظر ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ص ٣٠٣.

(٥) (٧) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ٣٣٠.

(٦) (عليه السلام) ابن سعد الطبقات، ج ٧، ص ٤٢٩.

أما حياته العلمية فذكرنا أنه تفقه على يد سعيد بن المسيب حيث جالسه عشر سنوات^(١)، فكانت تلك انطلاقة العلمية وكان بعد ذلك دوره المميز في رفد السيرة النبوية وكتابتها من بعده بكثير من الروايات معتمداً في أغلبها على أستاذه عروة بن الزبير^(٢)، وكانت لشخصية الزهري الدور المميز بالانتقال من الرواية الشفوية إلى الرواية المدونة^(٣)، وقد تميز بحفظ الأحاديث حيث يقول: ((ما استعدت حديثاً قط ولا شككت في حديث إلا حديث واحد فسألت صاحبني فإذا هو كما حفظته))^(٤)، وقد جمع أحاديث كثيرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد كانت للزهري اتجاهات علمية مختلفة ليست في مجال السيرة فحسب فقد كان يحدث في الترغيب فإذا سمعه المتلقي يقول لا يحسن إلا هذا، وقد برع أيضاً في القرآن والسنة وقد نال كل ذلك من صبره على التعلم وطلب العلم^(٥)، فقد ورد عن عمر بن عبد العزيز ((لم يبق أحد أعلم بسنة ماضيه من الزهري))^(٦) إلا أن من المآخذ الكبرى التي تؤخذ عليه اتصاله وميله الشديد للحكام الأمويين حيث كان من المتصقين بهم حاكماً بعد حاكم، ومن لم ييخل عليه الأمويون بالعطاء والرعاية طيلة حياته، وللمرء أن يتصور ماذا يعني رضا الأمويين عن راوية يسطر بقلمه الخطوط العامة للسيرة النبوية والتي ينبغي أن تتوافق مع مناهجهم وسيرتهم وسياساتهم المعادية لكل من لم

(١) المصدر نفسه، ج٧، ص٤٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٧، ص٤٢٩.

(٣) الزهري، المغازي النبوية، ص٢٧ (مقدمة المحقق سهيل زكار).

(٤) ابن سعد الطبقات، ج٧، ص٤٢٩.

(٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٠٩.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٩.

يسر في ركبهم وبالخصوص خصومهم التقليديين علي بن أبي طالب وبنوه ومريدوه^(١). وعلى الرغم من ذلك فقد نعته ابن حبان من الثقات^(٢)، فهو من المهتمين في تدوين ما يتلقاه من علم فقد ذكر ابن الزناد ((كنا نطوف مع الزهري على العلماء ومعه الألواح والصحف يكتب كلما سمع))^(٣).

إن اهتماماته بالتدوين تشير إلى مرحلة جديدة من مراحل جمع التراث الإسلامي، والانتقال بالرواية التاريخية نقلة جديدة كما ذكرنا، وإن بروز الزهري كظاهرة علمية على مستوى الحديث والمغازي جعل الناس في حاجة إلى علمه وكان من بين من احتاج إليه الحكام الأمويون كما تمت الإشارة في بداية الفقرة، حيث توطدت تلك العلاقة حتى أضحى الزهري بمثابة المستشار التاريخي والثقافي للبلاط الأموي^(٤)، فقد كانت لديه مدونات كثيرة لكنها لم تكن مبوبة بعد، ففي الرواية التالية عن معمر ((كنا قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد بن يزيد فإذا الدفاتر التي حملت على الدواب من خزائنه يعني من علم الزهري))^(٥).

وكان إذا جلس في بيته ووضع الكتب حوله، فيشتغل عن كل الأمور الأخرى،

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن بن الفضل ت (٥٤٨هـ - ١١٥٣م)، إعلام الوري بأعلام الهدى، مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث - قم، ١٤١٧هـ، ج ١، هامش ص ٩.

(٢) الثقات، ج ٥، ص ٣٤٩.

(٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٠٩.

(٤) الزهري، محمد بن مسلم بن شهاب ت (١٢٤هـ - ٧٤١م)، المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، (دار الفكر - بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٨٩م)، ص ٢٨ (مقدمة المحقق).

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٣٢٥، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ٣٣٤.

فقال له امرأته يوماً: ((والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر))^(١).

وكان الزهري ملتزماً بقواعد مدرسة المدينة ومفضلاً لها على سواها من المدارس حيث كان ينظر باتهام إلى مدرسة العراق في الحديث، فقد روي عنه في هذا الصدد ((نخرج الحديث شبراً - يقصد من المدينة - فيرجع ذراعاً، يعني من العراق وأشار بيده إذا وغل الحديث هناك فريداً به))^(٢)، وهذا الموقف متأتٍ من ميوله إلى الحكام الأمويين وبغضهم لأهل العراق لمواقفهم من العلويين وآل البيت، وكان أكثر تساهلاً في إجازة الرواية، فقد روي عن أنس بن عياض عن عبيد الله بن عمر قال: ((رأيت ابن شهاب يأتي بالكتاب من كتبه فيقال له يا أبا بكر هذا كتابك وحديثك نرويه عنك فيقول: نعم - ما قرأه ولا قرئ عليه -))^(٣).

وقد ذهب أحد الباحثين^(٤) إلى أن الزهري هو الذي وضع لمدرسة المدينة أسساً راسخة ورسم منهجها الذي سنشير إليه فيما بعد، فهو حين قام بجمع مواد أخبار المغازي لم يقتصر على المواد التي كان جمعها عروة بن الزبير، بل تعدى إلى رواية أهل المدينة الأخرى ولم يقتصر عمله على الجمع بل زاد ذلك بالتنسيق والترتيب والتمحيص.

وكذلك يضيف أن الزهري هو أول من أعطى السيرة النبوية هيكلًا محددًا ورسم خطوطها بجلاء ووضوح.

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٤، ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٤٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٤٣٥.

(٤) الزهري، المغازي النبوية، ص ٣١ مقدمة المحقق.

وقد ذكر حاجي خليفة أن هناك كتاب المغازي وهو مؤلف عائد إلى محمد بن شهاب الزهري^(٥)، إلا أن من تقدم على حاجي خليفة ذكر أنه ((لم يكن للزهري كتاب إلا كتاب نسب قومه))^(٦)، ويتضح من ذلك أن الزهري لم يملك كتاباً مدون بالمنهجية الصحيحة مختصاً بالمغازي، وذكر هوروفتس^(٧) ((لم يصل إلينا كتاب مستقل له، وإنما يوجد في مجموعة الأحاديث التي رواها وجمعها المتأخرون))، ويعضد هذا الرأي الرواية المذكورة أعلاه التي ينفي كاتبها أي كتاب للزهري سوى كتاب نسب قومه.

إلا أن هناك باحثاً^(٨) آخر يذكر أن كتاب المصنف لعبد الرزاق الصنعاني هو كتاب الزهري ((ولدى تفحص هذا القسم تبين لي أنه يحوي كتاب الزهري في المغازي، مع زيادات طفيفة، وقد روى الإمام عبد الرزاق هذا القسم عن الإمام معمر بن راشد تلميذ الزهري وراويته علمه)) وخلاصة القول وحسب ما ذكرنا نعتقد أنه لم يوجد كتاب للزهري خاص، وأن الذي ذكره الباحث أعلاه هو مجرد مجموعة من الروايات استطاع عبد الرزاق الصنعاني جمعها باعتبارها من مصدر واحد وتبويبها تحت عنوان واحد وهو المغازي^(٩).

فمهما يكن الأمر فإن الزهري أسهم إسهاماً كبيرة أكثر من غيره من الرواة في رفد كتب السيرة النبوية بروايات وافية تتسم بالشمولية والغزارة المعرفية، وكان له

(٥) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٤٦٠-١٤٤٧.

(٦) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ٣٣٣، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١١١.

(٧) المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٦٧.

(٨) الزهري، المغازي النبوية، ص ٢٢، مقدمة المحقق.

(٩) ينظر، عبد الرزاق الصنعاني، المصنف، ج ٥، ص ٣١٣.

الفصل في الحركة التاريخية^(١).

وقد استطاع الزهري إيصال علمه إلى الجمهور ففي الرواية الآتية تأييد لذلك، إذ ذكر يونس قال الزهري: ((إياك وغلوا الكتب، قلت: ما غلواها؟ قال: حبسها عن أهلها))^(٢)، وكان الزهري يحرص على أن يكون ما يؤخذ من العلم من قبل المتعلمين لا بد أن يدون حيث يقول: ((حضور المجلس بلا نسخة ذل))^(٣)، وقد ذكر في ذلك السياق عن الليث بن سعد قال: قال الزهري ((ما صبر أحد على العلم صبري ولا نشره نشري))^(٤).

وإضافة إلى ما تقدم فإن الزهري عني عناية تامة بالأسانيد فعن الوليد بن مسلم قال: ((خرج الزهري من الخضراء فجلس ذلك العمود من عند عبد الملك بن مروان، فقال: يا أيها الناس إنا قد كنا منعناكم شيئاً قد بذلناه لهؤلاء فتعالوا حتى أحدثكم. قال: نسمة يقولون قال رسول الله ((قال، فقال: يا أهل الشام مالي لا أرى أحاديثكم ليس لها أزمة ولا خطم؟ قال الوليد وقبض يده: تمسك أصحابنا بالأسانيد من يومئذ))^(٥)، فهو أول من أسند الحديث وهو أول من دون الحديث ((ويتضح من خلال فحص سلسلة الأحاديث أن اسم الزهري يحتل عند معظمهم في الورد المكان الثاني بعد اسم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا يجعلنا نقرر له دوراً كبيراً في تاريخ الحديث، ولم يكن الإسناد معروفاً عند من درس

(١) نصار، نشأة التدوين التاريخي، ص ٤٨.

(٢) أبو نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء، ج ٣، ص ٣٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٦٦.

(٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٠٩.

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٥، ص ٣٣٣.

عليهم الزهري، إلا أنه اهتم بسلاسل الأسانيد لعدد كبير من الأحاديث التي لم يكن إسنادها ضرورياً قبل ذلك^(١).

أما منهجيته في سرد الروايات التاريخية الخاصة بالسيرة النبوية فقد كانت تعتمد على الإسناد الجمعي وذلك يقوم على ذكر عدد من الروايات في قصة سهله متسلسله يتقدمها رجال الإسناد، وهو بذلك خطى خطوة في عملية تطور الكتابة التاريخية^(٢).

وبعد ذلك فإن الزهري يكثر من الآيات القرآنية التي تتصل بما يورده من أخبار حيث تظهر روايات الوافدي^(٣) عن الزهري ورود تلك الآيات كمحل شاهد للرواية التاريخية أو كانت الحادثة التاريخية هي سبب نزول تلك الآية حيث كانت عاملاً آخر من عوامل الكتابة التاريخية كما ذكرنا في صدر البحث^(٤).

وقد اهتم الزهري بالشعر حيث كان يورد ما قيل من شعر في الحوادث التي عرضها في أخبار السير^(٥)، وهذا راجع إلى اهتمام الزهري الكبير بالشعر فعن حماد بن زيد قال: ((كان الزهري يحدث ثم يقول: هاتوا أشعاركم وأحاديثكم كم فإن الأذن مجاجة وللنفس حمضة))^(٦). وهذا يدل على أن الشعر كان من العناصر المهمة في الثقافة السائدة آنذاك، وما تدل الرواية إلا أن الزهري نفسه كان مولعاً بالشعر ومع هذا فإن مقدار الشعر في مغازيه محدود^(٧).

(١) سزكين، تاريخ التراث العربي، ج٣، ص٧٤.

(٢) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص١٠٥ ينظر الزهري، المغازي النبوية، ص٧٣-٧٤.

(٣) المغازي، ج٢ ص٦٢٢-٦٢٣-٦٣٤-٦٣٢.

(٤) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص١٠٥.

(٥) ينظر الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٣، ص٣٤١.

(٦) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٥، ص٣٤١.

(٧) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص١٠٥.

ولعل المناسب أن نذكر رأي أحد الباحثين^(١) في الزهري حيث يقول: ((كان الزهري أكثر انصافاً لحقائق التاريخ من عروة، ومرة أخرى يبدو الزهري أكثر انصافاً من الآخرين ممن عاصروه حيث يوجه الطعن للتاريخ الذي كان يكتب على عيون بني أمية))، ففي رواية معمر قال سألت الزهري: ((عن كاتب الكتاب يوم الحديبية؟ فضحك وقال علي بن أبي طالب ولو سألت هولاء - يعني بني أمية - لقالوا: عثمان))^(٢)، ومن ذلك يتضح حسب رأينا أن الزهري كتب رواياته في السيرة حسب ما طلبت منه سلطات البلاط الأموي إلا أنه كان يضمن الحقائق المهمة ولا يظهرها للرأي العام؛ لأنها تصطدم مع مصلحته القائمة على الاعتياش الدنيوي داخل البلاط الأموي حيث أعرض عن ذكر سيرة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومناقبة إرضاءً لبني أمية وهذه منقبة حفظها له بنو أمية، أو ربما يظن أنه سلك مسلكاً وسطاً لكن هذه الوساطة التي انتهجها الزهري إن صحت فإنها أهدرت كثيراً من حقائق التاريخ، وفي الرواية الآتية التي تبين بها طلب الوالي الأموي خالد بن عبد الله القسري من ابن شهاب ما يلي: ((قال لي خالد بن عبد الله القسري اكتب لي النسب فبدأت بنسب مضر فمكثت أياماً وما اتمته فقال اقطعه - قطعه الله مع اصولهم - واكتب لي السيرة، فقلت له إنه يمر به شيء من سيرة علي بن أبي طالب (عليه السلام) فأذكره قال لا، ألا تراه في قعر الجحيم...))^(٣).

(١) ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد أحمدت (٨٥٥هـ - ١٤٥١م)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق سامي الغريبي (دار الحديث للطباعة والنشر - قم، ١٤٢٢م)، ج ١، ص ٥٢ (مقدمة المحقق).

(٢) الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، ت (٢١١هـ - ٨٢٦م) المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، (منشورات المجلس العلمي، د.ت)، ج ٥، ص ٣٤٣.

(٣) الاصفهاني، أبو الفرج ت (٣٥٦هـ - ٩٦٦م)، الاغانى، تحقيق، علي السباعي وعبد الكريم الغرباوي، (الهيئة المصرية للكتب - القاهرة - ١٩٩٢م)، ج ٢٢، ص ١٥.

يتضح من الرواية أعلاه مدى تأثير البلاط الأموي والولاة الأمويين في توجيه الزهري حسب ما تتطلبه ميولهم ورغباتهم في كتابة السيرة، لا حسب ما تقتضيه الأمانة العلمية والمصلحة الإسلامية فتصوره الرواية وكأنه آلة كتابة بيد خالد القسري لا كعالم كما تصفه روايات من ترجم له وذكرناها في صدر الفقرة.

ونتيجة للتحريف الذي صدر من محمد بن مسلم الزهري وإخفائه حقائق الأمور وإغماضه للحق وطمسه لسيرة الإمام علي (عليه السلام) فقد وجه إليه الإمام السجاد علي بن الحسين (عليه السلام) كتاباً يعظه فيه ويوصيه أن لا يتهادى كثيراً في تزييف حقائق التاريخ وكتمان الحق فللضرورة نورد جزءاً من تلك الرسالة ((كفانا الله وإياك من الفتن ورحمك من النار، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك فقد أثقلتك نعم الله بما أصح من بدنك وأطال من عمرك وقامت عليك حجج الله بما حملك من كتابه وفقهك فيه من دينه وعرفك من سنة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فرضي لك في كل نعمة أنعم الله في ذلك عليك وكل حجة احتج بها عليك الفرض بما قضى، فما قضى إلا ابتلى شكرك في ذلك وأبدى فيه فضله عليك فقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(١)، فانظر أي رجل تكون غداً إذا وقفت بين يدي الله فسألك عن نعمة عليك كيف رعتها؟ وعن حججه عليك كيف قضيتها؟ ولا تحسبن الله قابلاً منك بالتعذير ولا راضياً منك بالتقصير، هيهات هيهات ليس كذلك أخذ على العلماء في كتابه ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾^(٢)، واعلم أن أدنى ما كتمت وأخف ما احتملت أن أنست وحشة الظالم وسهلت له طريق الغي بدنواك منه حين دنوت وإجابتك له حين دعاك، فما أخوفي أن

(١) سورة إبراهيم: آية (٧).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٨٧).

تكون تبوء بإثمك غداً مع الخونة، وأن تسأل عما أخذت بأمانتك على ظلم الظلمة، إنك ما ليس ممن أعطاك وذنوت ممن لم يرد على أحد حقاً ولم ترد باطلاً حين أدناك وأحبيت من حاد الله أو ليس بدعائه إياك حين دعاك جعلوك قطباً أداروا بك من مظالمهم وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم وسلماً إلى ظلالتهم، داعياً إلى غيهم، سالكاً سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخص ورائهم ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم فما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، وما أيسر ما عمروا لك، فكيف ما خربوا عليك...))^(١).

وهي رسالة طويلة اخترنا منها هذا المقطع لبيان وعظ الإمام السجاد(عليه السلام) للزهري دعوته إلى ترك ما أقدم عليه من تزوير لحقائق التاريخ وتدليس للروايات وحسب ما يريده الحكام الذين يعمل هو في فلکهم.

والذي نريد قوله هو أن الزهري كان يعلم الحق ولا يصرح به بل يصرح بخلافه ولعل لديه أعذاره التي يعتبرها مناسبة لمقامه ومكانته العلمية، ومن خلال الرواية الآتية يمكن ملاحظة ذلك، فعن عبد الرزاق الصنعاني عن معمر قال: ((كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي(عليه السلام) فسألته عنهما يوماً، فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما الله أعلم بهما أني لا اهتمهما في بني هاشم))^(٢).

وقد ذكرناهما في الفقرة الخاصة عن عروة بن الزبير في هذا المبحث، ولا بأس من إيراد أحدهما أن عروة زعم أن عائشة حدثته، قالت: ((كنت عند النبي(صلى الله

(١) ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين، تحف العقول عن آل الرسول، (منشورات الفجر للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م)، ص ١٧٣.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٢٨٣.

عليه وآله وسلم) إذ قبل العباس وعلي، فقال يا عائشة: إن سرّك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا، فنظرت فإذا العباس وعلي بن أبي طالب^(١)، وهذا دليل آخر على إخفاء عروة الكثير من حقائق التاريخ وتحريفها.

وقد امتدح الإمام زين العابدين (عليه السلام) حيث ذكر سفيان بن عيينة ((قلت للزهري لقيت علي بن الحسين (عليه السلام)؟ قال: نعم لقيته وما لقيت أحداً أفضل منه والله ما علمت له صديقاً في السر ولا عدواً في العلانية فقبل له كيف ذلك؟ قال لأني لم أر أحداً كان يبغضه لا وهو لشدة مداراته له يداريه))^(٢).

وكان الزهري إذا حدث عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: ((حدثني زين العابدين علي بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينة: ألم تقل له زين العابدين؟ قال: لأني سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين فكأني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطو بين الصفوف))^(٣)، ومن خلال عرضنا ولو بشكل مبسط لأثر الزهري في كتابة السيرة النبوية وكذلك ميوله السياسية للحكام الأمويين جعل من تعامله مع السيرة النبوية يثير كثيراً من الشكوك حول عدم ذكره للحقائق التاريخية وإغفالها وقد صنّفه البعض في قائمة أعداء أهل البيت (عليهم السلام) والبعض الآخر أعاب عليه مكوثه في البلاط الأموي، والآخر ركز

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٢٨٣.

(٢) الصدوق، علي بن الحسين بن بابويه ت (٣٨١هـ - ٩٩١م)، علل الشرائع، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م، ج ١، ص ٢٣٠.

(٣) الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص ٢٣٠.

على دوره العلمي في المدينة^(١).

رواة السيرة وكتابها في مرحلة ما بعد التابعين

بعد أن درسنا عدداً من التابعين الذين كان لهم الدور في نقل الرواية التاريخية وإنضاجها بشكل جيد وكانت لهم مجموعة من المدونات وكما لاحظنا أسهمت في كتابة السيرة النبوية الآن نتطرق إلى قسم من رواة السيرة وكتابها في مرحلة ما بعد التابعين أو يمكن أن نسميهم اتباع التابعين.

عبد الله بن أبي بكر ت (١٣٥هـ - ٧٥٢م)

ابن محمد بن عمرو بن حزم من بني نجار^(٢)، وهو من أصحاب المغازي ومن شيوخ ابن إسحاق صاحب السيرة النبوية^(٣). والدور المميز والبارز لشخصيته وما يحمل من إمكانات جعلته من أبرز علماء المدينة من التابعين في مجال السيرة النبوية، ويمكن عده من الجيل الثاني بعد ما ذكرنا الجيل الأول.

والحديث عن شخصية عبد الله بن أبي بكر يأتي من ثقله المعرفي وإسهاماته الكبيرة في رقد من كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي بالروايات المهمة وقد عُدَّ من قبل المؤرخين وأصحاب الحديث بأنه من الثقات^(٤).

وقبل الولوج في موضوع عطاءه المعرفي في السيرة النبوية نعرض على خلفيته العائلية لما يتميز به من مميزات أعطته الدافع الكبير للاهتمام بالرواية التاريخية. فجدّه

(١) الحسن، نبيل، الشيعة والسيرة النبوية بين الاضطهاد والتدين، (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية، ٢٠٠٩م)، ص ٢٥٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٤٩١.

(٣) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ٣١٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٤٩١.

الأكبر عمرو بن حزم من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أرسله الرسول إلى نجران في اليمن جايياً للصدقات وعاملاً عنه وهو في السابعة عشرة من العمر^(١)، وهذا يعطي دافعاً قوياً إلى أحفاده على اعتباره رمزاً يقتدى به، وبالفعل فقد نقل حفيده عبد الله الذي نعى الآن بدراسته تفاصيل العهد من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بني الحارث بن كعب ليكون عمرو بن حزم ممثلاً للرسول هناك لنقل تعاليم الإسلام وتبليغهم الأمور الفقهية وتعليمهم الصلاة وقراءة القرآن إضافة لكونه جايياً للصدقات.

إن تلك المكانة التي حظي بها عبد الله بن أبي بكر جاءت من مكانة جده وصحبته للرسول الأكرم فقد جعلته مهتماً كثيراً بتدوين السيرة النبوية، فقد عمد إلى حفظ عهود الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ورسائله إلى الأمراء وزعماء القبائل^(٢)، ومن ضمن ذلك العهد المذكور، أما جده الثاني وهو محمد بن عمر بن حزم فقد قتل يوم الحرة^{(٣)(٤)}، حيث كان من ضمن المدافعين عن المدينة آنذاك إلا أن أباه أبا بكر بن محمد كان من المقربين للأمويين فكان أميراً للمدينة ثم قاضيها، إضافة إلى ذلك فقد كان أحد أئمة الإثبات في زمانه وله معرفة ودراية بالحديث والرواية وقد

(١) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣١٨.

(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٧٧.

(٣) واقعة الحرة: وهي من الوقائع التاريخية المشهورة حصلت سنة (٦٣هـ - ٦٨٢م) بعد أن وجه يزيد ابن معاوية جيشاً كبيراً بقيادة مسلم بن عقبة للقضاء على الثورة التي حصلت فيها، حيث طلب يزيد من قائده في بداية الأمر امهال أهل المدينة ثلاثة أيام فإن أجابوا إلى إلقاء السلاح والدخول في طاعة يزيد وإن لم يجيبوا أمر بقتاله وبالفعل لم يستجب أهل المدينة إلى طلب مسلم بن عقبة فقدم إليهم بجيشه الكبير وحصلت معركة في الحرة من مناطق المدينة استشهد على إثرها قائد أهل المدينة عبد الله بن حنظلة وجمع كبير من أهل المدينة. ينظر، ابن الأثير، أبو الحسن علي ابن أبي اكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري، ت (٦٣٠هـ - ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق، أبي الفداء عبد الله القاضي (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٧م)، ج ٣، ص ٤٥٥

(٤) ابن اعثم، الفتوح، ج ٥، ص ١٥٩.

أخذ عنه ابنه عبد الله وغيرهم، ولم يكن في المدينة أمير أنصاري سواه، توفي سنة (١٢٠هـ - ٧٣٧م) (١).

فكانت رواية عبد الله عن أبيه، وخالة أبيه عمرة بنت عبد الرحمن (٢)، وأنس بن مالك وغيرهم، وروى عنه الزهري، وابن إسحاق صاحب السيرة النبوية وغيرهم كثيرون، وقد كان معاصراً لأبيه ومكانته العلمية وروايته للحديث لم تكن شائعة في أثناء معاصرتة لأبيه لأن ذكر أبيه كان هو الطاغى (٣).

لم تقتصر أقوال ومرويات عبد الله بن أبي بكر على المغازي بالمعنى الخاص للكلمة بل عني أيضاً بإيراد الروايات التي تحكي عن شباب النبي وأعوامه الأولى (٤). لكن الملاحظ أن اسمه ظهر في ذكره بجملة من مغازي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أجملها بست وعشرين غزوة وأولها غزوة الأبواء (٥) ثم ذكر بعد ذلك إحصاءً كاملاً لتلك الغزوات إضافة إلى ذكره تفاصيل الوفود التي وفدت على النبي حيث روى وفد زبيد وتفاصيله وذكر كذلك أشعاراً لعمر بن معد يكرب (٦).

وقد احتفظ بتفاصيل المراسلات بين الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ٣١٣-٣١٤.

(٢) عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية المدنية كانت تروي الحديث عن عائشة بنت أبي بكر، عدّها ابن حجر من الثقات ولم يحدد تاريخ وفاتها فقد قيل ماتت قبل المائة وقيل بعدها. ينظر، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٦٥٢.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ١٤٤.

(٤) هوروفتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٤٢.

(٥) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٩٢.

(٦) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٨٠.

وعماله ومنها على سبيل المثال الرسالة التي أرسلها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بني الحارث بن كعب بعد أن أوفد إليهم جده الأكبر عمرو بن حزم الأنصاري^(١).

إن مروياته التاريخية أسهمت في اغناء الساحة العلمية في مجال كتابة السيرة منها:

لم تقتصر روايته على جمع الأخبار التي وصل إليها فقط بل حاول أيضاً في ذلك الزمن المبكر أن يبتكر الترتيب السنوي للحوادث فجمع قائمة بغزوات النبي مرتبة الترتيب السنوي وقد اعتمدها ابن إسحاق في سيرته ونقلها الطبري^(٢).

تساهله الكبير في إسناد روايته وإغفاله لرواتها الأوائل فقد ذكر بأنه إذا حدث كأنه شاهد عيان، ولكن في أحيان أخرى يذكر السند^(٣). حيث علل أحد المستشرقين تساهله في الأسانيد بأنه لم يكن يرى إن الإسناد واجب في روايته التاريخية^(٤).

إن روايات عبد الله بن أبي بكر لم تقتصر على مغازي الرسول والحقبة المدنية وإنما تجاوزت إلى مدد أخرى من عمره ومرحلة الدعوة في مكة^(٥).

استشهاده بالآيات القرآنية للحوادث التي نزلت فيها حيث تطرق إلى الآيات القرآنية التي نزلت في معركة الخندق عندما أورد حديثها^(٦).

(١) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٩٢-٩٣.

(٣) ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٨٨-١٥٣-١٦٥-٢٨٥.

(٤) هوروفنتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٤٣.

(٥) ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٧٧، ج ٢، ص ٨٨.

(٦) ينظر، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٢٤.

موسى بن عقبة (١٤١هـ - ٧٨٥م)

ابن أبي عياش القرشي المطرفي، كنيته أبو محمد المدني^(١) مولى آل الزبير بن العوام ابن خويلد^(٢)، لم يذكر خبر صحيح عن تاريخ ولادته^(٣)، شأنه شأن بقية العلماء إلا ما قيل على لسان موسى بن عقبة إنه حج وابن عمر بمكة^(٤)، وعلى كل حال ذكر أنه كان ثقة قليل الحديث^(٥)، وذكر الواقدي أنه كان مفتياً وفتياً^(٦).

وقد روى عن كثير من علماء عصره الذين اختصوا برواية الحديث والمغازي منهم عروة بن الزبير والزهري وغيرهم^(٧). وقد استفاد كثيراً في بداية حياته العلمية من مخطوطات وكتب عبد الله بن عباس حيث يشير إلى ذلك ((ووضع عندنا كريب عدل بعير من كتب ابن عباس))^(٨).

وكان لموسى بن عقبة وأخويه إبراهيم ومحمد بن عقبة حلقة في مسجد رسول الله حيث كان لهم علم في الحديث وكذلك في الفقه فكان موسى من الفقهاء الموجودين في المدينة آنذاك ولعل إسهامات موسى بن عقبة واضحة من خلال تدوينه لمغازي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويوجد كتاب خاص بمغازي موسى بن عقبة

(١) المزني، تهذيب الكمال، ج ٢٩، ص ١١٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٥١٩.

(٣) موسى بن عقبة، المغازي النبوية، ص ٧٠.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٥١٩.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٥١٩.

(٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٤٨.

(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٣٢١.

(٨) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ١١٧.

يسمى المغازي النبوية، وهو كتاب جامع ومدون للسيرة النبوية، وقد ذكر في كتابه أخباراً عن الخلفاء الأوائل والأمويين ويحتمل أن يكون سبب اشتهاه كتابه هذا هو إعداده قائمة بأسماء الصحابة الذين بايعوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في العقبة والذين هاجروا إلى الحبشة والمقاتلين في الحروب في معركتي بدر وأحد^(١).

وقد ذكر ابن عبد البر^(٢) أنه قام بتأليف كتابه الدرر في اختصار المغازي والسير باعتماده على كتاب موسى بن عقبة وبذلك يكون موسى من الذين أسهموا في تصنيف الكتب التي تتحدث عن مغازي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولعل من المناسب أن نذكر اهتمام موسى بن عقبة في تدوين المغازي حيث تطرقنا في أثناء حديثنا عن شرح حبيب بن سعد، وأنه كان اعلم الناس بالمغازي وقد اتهموه أنه يجعل لمن لا سابقة له سابقة وقد مرت عليه ظروف منها تدهور صحته آخر أيام حياته، وكذلك حاجته المادية التي اضطرت له وحسب ما ذكرت رواية سفيان بن عيينة -التي ذكرناها في مورد الحديث- عن شرح حبيب إلى أن يدخل فيهم من لم يشهد بدرًا، ومن قتل يوم أحد، وألهجرة ولم يكن منهم وقد وصل خبره إلى موسى بن عقبة بأن الناس أسقطوا رواية شرح حبيب بن سعد، فعمد هو مبادراً على الرغم من كبر سنه وقيد من شهد بدرًا وأحدًا ومن هاجر إلى الحبشة والمدينة وكتب ذلك^(٣).

وقد ناقشنا ذلك في محله إلا أن الذي نريد ذكره هنا أن الأمور السياسية والمذهبية قد أدت دوراً مميزاً في التأثير على كتابة السيرة في هذه الحقبة بالذات فلذلك عمد من

(١) موسى بن عقبة، المغازي، ص ٢٥.

(٢) يوسف النمري، ت (٤٦٣هـ - ١٠٧٠م)، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، ط ٢ (دار المعارف - القاهرة، د.ت)، ص ٢٧.

(٣) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٦، ص ١١٦.

لهم ميول سياسية معينة أو ميول مذهبية في توجيهه بوصلة الكتابة إلى حيث يريدون فالملاحظ من خلال ذلك تأييد مالك بن أنس إلى ما قام به موسى من عمل في تدوين السيرة النبوية ومغازي الرسول، فعن محمد بن الضحاك قال: ((كان مالك إذا سئل عن المغازي، قال: عليك بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي))^(١).

وقال أيضاً سمعت محمد بن طلحة أن مالكا يقول: ((عليكم بمغازي موسى فإنه رجل ثقة، طلبها على كبر سن؛ ليقيد من شهد مع رسول الله ولم يكتر كما أكثر غيره، قلت: هذا تعريض بابن إسحاق، ولا ريب أن ابن إسحاق كثر وطول بأنسب مستوفاة اختصارها املح، بأشعار غير طائفة حذفها أرجح وبآثار لم تصحح، مع أنه فاته شيء من الصحيح، لم يكن عنده، فكتابه محتاج إلى تنقيح وتصحيح، ورواية ما فاته، أما مغازي موسى بن عقبة، فهي في مجلد ليس بالكبير، سمعناها وغالبها صحيح، ومرسل جيد لكنها مختصر تحتاج إلى زيادة بيان وتتمة))^(٢).

من خلال ما أوردنا يتضح أن مالك بن أنس ومريديه كان تأييدهم واضحاً لمغازي موسى بن عقبة، وكذلك يتضح أن لموسى كتاباً خاصاً بالمغازي يضاهي بالأهمية والمكانة العلمية كتاب ابن إسحاق في المغازي والسير - وسوف نتطرق بشكل مفصل إلى ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل - وأن رأي مالك بن أنس في مغازي موسى بن عقبة محل تحفظ وتدبر كما يذكر أحد الباحثين^(٣) ((إذ أنه لم يطلق كلاماً جزافاً - الإمام مالك - بل أراد منه إيجاد مصنف في سيرة الرسول (صلى الله

(١) المصدر نفسه، ج٦، ص ١١٥.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٦، ص ١١٥-١١٦.

(٣) نصار، تطور كتابة السيرة النبوية، ص ٧١.

عليه وآله وسلم) ومغازيه يقف نداءً للسيرة التي كتبها محمد بن إسحاق لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما ذلك إلا لتعظيم العداة الشخصي بين الإمام مالك وبين ابن إسحاق الذي وصل حداً أن تقاذف الاثنان التهم بينهما، فأراد مالك بمقالته هذه أن يسقط المغازي التي كتبها ابن إسحاق من أعين الناس ويجعل مغازي موسى بن عقبة أفضل منها بشحذ همم الناس على قراءتها) وقد نالت مغازي موسى بن عقبة التأييد من أحمد بن حنبل (٢٤٠هـ - ٨٥٤م) حيث قال: ((عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة))^(١).

وقد اعتمد ابن عقبة في كتابه المغازي على مشايخه الذين أشرنا إليهم لا سيما الزهري الذي يعدّ أستاذه الأول حيث استفاد من المواد المكتوبة إضافة إلى الروايات الشفهية، ويعد -الزهري- واضح أركان قواعد السيرة^(٢)، ويرجع أساس مغازي موسى بن عقبة إلى روايات عروة والزهري وإن روى عن غيرهما إلا أن البعض أنكروا سماع ابن عقبة رواياته من أستاذه الزهري مباشرة^(٣)، إلا أن أحد المستشرقين^(٤) قال: ((ويجب أن لانصدق الإدعاء الذي لانعرف رواية له... وأن هذا الكلام غير مقبول إلا أن موسى لم يسمع أخباره من الزهري مباشرة وإنما أخذها عن طريق تلاميذ الزهري أو عن طريق مدونات))، قد يكون هذا بعيداً عن الواقع حيث إن المتتبع للمدة الزمنية التي عاش بها الاثنان تدل على المقاربة الزمنية ومعاصرة كل واحد منهم للآخر، فعليه لم توجد أي حواجز حسب المعطيات المتوفرة تدل على منع موسى بن عقبة من

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٤٨.

(٢) موسى بن عقبة، المغازي، ص ٧٦.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٣٢٣.

(٤) هوروفنتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٧١.

أستاذه وأخذ الرواية منه مباشرة وإن كانت مدونات الزهري عاملاً مساعداً جعل الأمور أكثر مرونة لأخذ رواياته بسهولة أكثر^(١).

وقد تميزت مغازي موسى بفكر تاريخي منهجي حيث وضع مادته التاريخية في تسلسل زمني حولي منظم^(٢).

إضافة إلى ذلك لم يفصل السند وإيراده مع الرواية، وإن أغفله أحياناً، ويعنى بالأخذ من مدونات من سبقه، وكذلك يقتبس بعض الأشعار إضافة إلى أنه يمتاز برواية أخبار الزبيريين، ويسير مع ميولهم ورغباتهم المذهبية والسياسية^(٣).

سليمان بن طرخان ت (١٤٣هـ - ٧٦٠م)

مولى بني مرة وقيل مولى بني قيس، كان قد نزل في بني تميم فنسب إليهم كنيته أبو معتمر^(٤)، البصري^(٥)، كان ثقة كثير الحديث، وكان مائلاً إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٦). ذكر العجلي^(٧) ((أنه تابعي ثقة وكان من أهل البصرة)).

(١) هوروفتس، المغازي الأولى ومولفوها، ص ٧٢.

(٢) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١، ص ١٥٩.

(٣) نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ص ٥٥.

(٤) ابن حبان، أبو حاتم محمد بن أحمد ت (٣٥٤هـ - ٩٥٦م) مشاهير علماء الامصار، تحقيق مرزوق علي إبراهيم (دار الوفاء للطباعة والنشر. المنصورة، ١٤١١هـ)، ص ١٥١.

(٥) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٦، ص ١٩٥.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٢٥٣.

(٧) أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح ت (٢٦١هـ - ٨٧٤م)، معرفة الثقات (مكتبة الدار - المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ)، ج ١، ص ٤٣١.

وذكر أنه كان من العبّاد^(١)، وروى عن أنس بن مالك والحسن بن علي عليه السلام، وكان مقدماً في العلم والعمل^(٢)، وعلى ضوء ذلك عدّه ابن قتيبة من رجال الشيعة^(٣). وقد حدث عنه أبو إسحاق السبيعي، وابنه معتمر، وشعبة^(٤)، وحماد بن سلمة^(٥) وغيرهم كثيرون، وذكر المدائني ت (٢٢٥هـ - ٨٣٩م) له نحو مائتي حديث، وذكر ابن حنبل أنه ثقة، وكذلك النسائي^(٦)، وقد كان من المهتمين بكتابة السير والمغازي ويؤكد ذلك الإجازة التي حصل عليها ابن خيرا الأسييلي^(٧) بالمغازي التي كتبها سليمان بن طرخان، وقد تميزت مروياته بالدقة، ومن آثاره (كتاب المغازي)^(٨).

إن المصادر القديمة لم تذكر أنه ألف كتاباً ولكن المستشرق فون كريمر وجد مخطوطاً يحوي على مغازي الواقدي التي لاتصل إلى إجلاء بني النضير من المدينة ثم

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٥٠.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٦، ص١٩٦.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص٦٢٤.

(٤) شعبة بن الحجاج بن الورد مولى الأشاقر، واسطي الأصل بصري الدار يكتنى أبا بسطام كان من رواة الحديث، توفي في البصرة سنة (١٦٠هـ - ٧٧٦م) ينظر ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٢، ص٤٦٩.

(٥) حماد بن سلمة بن دينا البصري وهو ابن اخت حميد الطويل راوي الأحاديث والسير وكان راوياً للأحاديث والمغازي وسيرة الرسول وتلمذ على يده عدد كبير من التلاميذ وهو لاعقب له، توفي سنة (١٦٧هـ - ٧٨٣م) ينظر المزي، تهذيب الكمال، ج٧، ص٢٥٤.

(٦) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٦، ص١٩٦.

(٧) ابن خيرا الأسييلي، أبو بكر محمد ت (٥٧٥هـ - ١١٧٩م) الفهرست، وضع حواشيه محمد فؤاد منصور (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨)، ص١٩٩.

(٨) الزركلي، خير الدين، الاعلام، (ط٥، دار العلم للملايين - بيروت، ج٧، ص٢٦٥)، ينظر كحاله، عمر، معجم المؤلفين (دار احياء التراث العربي - بيروت)، ج١٢، ص٣٠٤.

تكمل من مغازي أبي معتمر سليمان بن طرخان التميمي المسماة (السيرة الصحيحة كما يقول الناسخ)^(١).

إلا أن هناك رأياً آخر يذكر أن هناك كتاباً باسم المغازي لسليمان بن طرفان التميمي رواه عنه ولده المعتمر بن سليمان وعن المعتمر محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ت (٢٤٥هـ - ٨٥٩م) وذكر أن هذا الكتاب لم يكن من المصادر المشهورة عند المتقدمين^(٢). وذكر أن الأخبار التي يوردها سلمان في كتاباته للسيرة النبوية موجزة مضغوطة منسقة لا تكثر خلالها الفواصل، إضافة إلى أنه لا يعنى بالأسانيد ويعنى بالروايات المتعددة، ويمتاز وصفه بالقوة ويشعر القارئ بأنه مشرف على معركة يرى الابطال ويشاركتهم احساسهم وأفعالهم، وقد يأتي بروايات غريبة في الغزوات الكبيرة المعروفة، تخالف ما أجمع عليه المؤرخون الآخرون.

ويورد سليمان أخباراً عن العباس لانجدها عند غيره من المؤرخين، كلها من جانب العباس مما يقرن المرء بالقول إنها من وحي العباسيين.

إضافة إلى عنايته بإيراد الآيات القرآنية وشرح مناسباتها التاريخية كما يعنى بالشعر إلا أنه قليل قياساً إلى غيره من الرواة، وإن أسلوبه سهل نسبياً.

(١) نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ص ٥٢.

(٢) سلامة، مصادر السيرة النبوية، ص ٩٧.

معمر بن راشد (١٥٤هـ - ٧٧٠م)

الأزدي الحداني^(١)، ويكنى أبا عروة، وكان من أهل البصرة فانتقل فنزل اليمن^(٢)، كانت ولادته سنة (٩٥هـ - ٧١٣م) أو (٩٦هـ - ٧١٤م)، طلب العلم وهو حدث^(٣)، وكانت بدايات تتلمذه على يد قتادة^(٤) وهو في الرابعة عشرة من عمره حيث برز تقدمه ونبوغه العلمي آنذاك^(٥)، ثم بعد ذلك انتقل إلى اليمن وسكن فيها ويعد بعد توطنه اليمن من أعلامها^(٦)، وحدث عن قتادة والزهري وأبي إسحاق السبيعي^(٧) وغيرهم^(٨).

إن انتقاله إلى اليمن يمثل حلقة الوصل بين مدرستين؛ مدرسة العراق واليمن ولم ينتقل قبله أحد من المحدثين فكان استقراره النهائي في صنعاء ليكون واحداً من

(١) المزني، تهذيب الكمال، ج ٢٨، ص ٣٠٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ١٠٥.

(٣) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٧، ص ٥.

(٤) قتادة بن دعامة بن فزارة بن عزيز بن ربيعة أبو اعطاب الدوسي البصري ولد وهو اعمى فصار من حفاظ أهل زمانه وعلماهم بالقران والفقاه توفي سنة (١١٨هـ - ٧٣٦م)، ص ١٥٤.

ينظر ابن حبان، مشاهير علماء الامصار - ١٥٤هـ، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ٢٦٩.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٢١٩، ينظر البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسمايل ت (٢٥٦هـ - ٨٧٨)، التاريخ الكبير (المكتبة الإسلامية - ديار بكر، د.ت)، ج ٧، ص ٣٧٨.

(٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٨٩.

(٧) أبو إسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله بن عبيد الكوفي والسبيعي من همدان ولد لستين بقتينا من خلافة عثمان بن عفان وهو من رواة الأحاديث توفي سنة (١٢٠هـ - ٧٣٧م). ينظر ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٥٧.

(٨) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٧، ص ٥.

أبرز علماء المدرسة فيها^(١).

وكان من العلماء الذين يعدون من أوعية العلم وكان صادق الحديث دقيق التحري إضافة إلى ورعه وحسن تصنيفه^(٢) إلا أن هناك ملاحظات على حديثه في البصرة ((وحدث فيه بالبصرة ففيه اغاليط))^(٣).

وقد كان أكثر حديثه عن الزهري ويعد من أكثر المتحدثين رواية عنه^(٤)، وقد حدث عنه الكثيرون منهم الواقدي وعبد الرزاق الصنعاني وغيرهم^(٥)، وقد وصف في الفهرست لابن النديم^(٦) بأن له كتاباً مدوناً لكن تلميذه عبد الرزاق الصنعاني نقل لنا في المصنف وفي القسم الخاص بالمغازي جزءاً كبيراً من مغازي معمر ونقلها بدوره عن رواية أستاذه الزهري^(٧).

وقد ذكر أحمد بن حنبل وثيقة حديث معمر حيث قال: ((ليس تظم معمر إلى أحد إلى وجدته فوجه))^(٨) وقد قال عنه ابن جريح ت (١٥٠ هـ - ٧٦٧ م): ((عليكم

(١) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٢، ص ١٥٩.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٧، ص ٦.

(٣) الذهبي، ميزان الاعتدال، تحقيق محمد البجاوي، (دار المعرفة - بيروت، د.ت)، ج ٤، ص ٢٥٤، الذهبي، المغني في الضعفاء، تحقيق حازم القاضي، (المكتبة العلمية - بيروت ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م)، ج ٢، ص ٤٢٢.

(٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٩٠.

(٥) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٧، ص ٦.

(٦) ابن النديم، ابو الفرج محمد بن أبي يعقوب، الفهرست، (د م ط) ص ١٠٦.

(٧) ينظر الصنعاني، المصنف، ج ٥.

(٨) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٨٩.

بهذا الرجل - معمر - فإنه لم يبق أحد من أهل زمانه اعلم منه^(١).

ولم يلتزم معمر بالمغازي النبوية بوجه خاص بل وجه عنايته كذلك إلى تاريخ أهل الكتاب وعن الرسل السابقين وكذلك تاريخ النبي قبل الهجرة^(٢)، وكأنها يحكي من خلال ذلك واقع مدرسة اليمن وكما ذكرنا في حديثنا عن وهب بن منبه أن رواياته لم تقتصر على ذكر مغازي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بل ذهب إلى أبعد من ذلك حيث روى عن الأنبياء السابقين وروى حياة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في صباه وشبابه قبل البعثة.

إن ما تميز به معمر في تدوينه السيرة النبوية أنه لم يرتب مادته ترتيباً زمنياً كما فعل معاصره موسى بن عتبة، بل رتبها ترتيباً موضوعياً على نحو ما فعله في علم الحديث^(٣)، فهو يعدّ من أوائل المحدثين الذين رتبوا الأحاديث في أبواب ومواضيع^(٤). وذكر ((قد وصلتنا قطعة من كتاب معمر بن راشد على رق شديد القدم محفوظة في المعهد الشرقي شيكاغو ونشرت النص الباحثة نبيهة عبود، كما وصلتنا قطع أخرى من الكتاب ما تزال محفوظة في اسطنبول والرباط ودمشق، ونسخة اسطنبول على رق الغزال نسخت في طليطلة سنة (٣٦٣هـ - ٩٧٣م))^(٥).

وقد اهتم معمر في إيراد سند للحديث أو الرواية وكذلك إثبات الآيات القرآنية التي نزلت في الحوادث التي تطرق إلى ذكرها، وقد أغفل ما قيل في تلك الحوادث^(٦).

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٢٢٠.

(٢) هوروفتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٧٤.

(٣) سزكين، تاريخ التراث العربي، ج ٢، ص ٩٢.

(٤) مصطفى، تاريخ العرب والمؤرخون، ج ٢، ص ١٦٠.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٦٠.

(٦) نصار، تطور كتابة السيرة النبوية، ص ٨١.

المبحث الثاني

محمد بن إسحاق ودوره في تطوير تدوين السيرة النبوية

محمد بن إسحاق ت (١٥١هـ - ٧٦٨م)

ابن يسار بن خيار، وقيل بن كوثنان^(١)، ويقال بن كومان^(٢)، ويلقب بأبي بكر^(٣)، وقيل أبو عبد الله^(٤)، وكان جده يسار من سبي عين تمر^(٥) حيث عد أول سبي دخل المدينة^(٦) سنة (١٢هـ - ٦٣٣م) من قبل خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر (١١هـ - ١٣هـ) (٦٣٢م - ٦٣٤م) بعد أن فتحت عنوة^(٧)، وبكنيسة عين التمر وجد خالد بن الوليد يسار جد ابن إسحاق بين الاغلمة الذين كانوا رهناً على

(١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٧، ص ٣٣.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٩، ص ٣٤.

(٣) البخاري، التاريخ الكبير، ج١، ص ٤٠.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١٨، ص ٥، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٩، ص ٣٤، السخاوي، شمس الدين، ت (٩٠٢هـ - ١٤٩٦م)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ج٢، ص ٤٤٧.

(٥) عين تمر: بلدة قريبة من الانبار، غربي الكوفة، بقربها موضع يقال له ثفائثا، منها يجلب القصب والتمر إلى سائر البلاد، وهو بها كثير جداً، وهي اعلى طرف البرية. ينظر الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٧٦.

(٦) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٤٤٨.

(٧) الحموي، ياقوت ت (٦٢٦هـ - ١٥٢٠م)، معجم البلدان، (دار احياء التراث العربي - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ج٤، ص ١٧٦.

يد كسرى^(١).

أما عن أصله فيذكر الخطيب البغدادي أنه من أصول فارسية^(٢)، إلا أنه هناك من يؤيد كونه من أسرة عربية مسيحية^(٣)، ولا توجد إشارات في المصادر التاريخية غير ما ذكره الخطيب البغدادي تؤيد أصوله الفارسية، وكان ليسار ثلاثة أولاد تزوج أحدهم المسمى إسحاق من ابنة مولى يسمى صبيح فأنجبت له محمد بن إسحاق موضوع بحثنا^(٤)، أما بشأن ولادته فتشير المصادر إلى أنه ولد سنة (٨٠هـ - ٦٩٩م)^(٥) في المدينة المنورة، وفي مورد آخر ذكر الذهبي أنه ولد سنة نيف وثمانين^(٦)، إلا بعض الباحثين المتأخرين ذكر ولادته سنة (٨٥هـ - ٧٠٤م)^(٧).

وذكر ابن النديم^(٨) أنه كان حسن الوجه والشعر فقد ((رقي إلى أمير المؤمنين أن محمداً يغازل النساء فأمر باحضاره وضربه أسواطاً ونهاه عن الجلوس في مؤخرة المسجد))، وقد كان ابن إسحاق من مصنفي المغازي^(٩)، فقد واظب على طلب العلم وكثرت عنايته واهتمامه به^(١٠)، وكان بحق من علماء المغازي آنذاك، وقد حدث عن

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص

(٣) هوروفنتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٧٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٦.

(٥) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٧، ص ٣٤.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٩، ص ٥٨٨.

(٧) هوروفنتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٧٦، سزكين، تاريخ التراث العربي، ج ٢، ص ٨٧

(٨) الفهرست، ص ١٠٥.

(٩) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٧٢.

(١٠) ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ص ٢٢٢.

مجموعة من أصحاب العلم منهم أبوه إسحاق بن يسار، وعمه موسى بن يسار، وعن أبان بن عثمان، والإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، والزهري، وفاطمة بنت المنذر^(١) وغيرهم كثيرون^(٢)، ويعتبر ابن إسحاق أول من دون العلم في المدينة وفق منهج صحيح وكان ذلك قبل مدونة مالك بن أنس^(٣).

وقد أدرك ابن إسحاق أنس بن مالك ففي رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق قال: ((رأيت أنس بن مالك عليه عمامة سوداء، والصبيان ينشدون ويقولون: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يموت حتى يلقي الدجال))^(٤).

وقد حدث عنه إبراهيم بن سعد^(٥)، وزيد بن عبد الله البكائي وسلمة بن الفضل الأبرش ومحمد بن سلمة الحراني، ويونس بن بكير وغيرهم^(٦).

إن نشأة ابن إسحاق في المدينة المنورة أثرت عليه كثيراً، إذ كانت المدينة مركزاً

(١) فاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوام الأسدية زوجة هشام بن عروة روت عن جدتها اسماء بنت أبي بكر وام سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعمره بنت عبد الرحمن، وعن زوجها هشام بن عروة ومحمد بن إسحاق بن يسار وقد كانت تكبر هشاماً بثلاث عشرة سنة وكانت ولادتها (٤٨هـ - ٦٦٨م). ينظر ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٣٩٤

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٧، ص ٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٣٥.

(٤) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٣٥.

(٥) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، من المحدثين ولي قضاء بغداد وحدث بها فكتب عنه العراقيون مات سنة (١٨٣هـ - ٧٩٩م)، وكان عمره ٧٣ سنة. ينظر ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ص ٢٢٥.

(٦) الذهبي، تذكرة الفاظ، ج ١، ص ١٧٢.

مهما من المراكز العلمية في الدولة الإسلامية آنذاك حيث تطور الحركة العلمية وتناقل الروايات من الصحابة إلى التابعين أسهم مساهمة فاعلة في التطور العلمي الذي حازه ابن إسحاق وعد من العلماء البارزين في السير والمغازي وأيام الناس وأخبار المبتدأ والخبر وقصص الأنبياء^(١)، إضافة إلى هذا لا يمكن إغفال دور الأسرة التي نشأ فيها ابن إسحاق فقد كان والده من المهتمين برواية الحديث وكذلك عمه موسى بن يسار وعمه الآخر عبد الرحمن اللذان روي أحاديث عن أبي هريرة وشكّل ذلك دافعاً معرفياً لدى ابن إسحاق الذي روى كثيراً عن أبيه وعميه^(٢).

وتعد الجذور المعرفية والكتابية لدى عائلة ابن إسحاق قديمة منذ صبا جده يسار الذي أسر من الدير في عين التمر كما ذكرنا، فقد كان يدرس مع الفتيان هناك، فكل ذلك أعطاه دافعاً قوياً للتحصيل المعرفي ويتضح ذلك أكثر من خلال القصص والروايات التي ينقلها عن عصور ما قبل البعثة النبوية المباركة، ويبدو أنه كان يعرف السريانية فربما ظلت تلك اللغة متوارثة في أسرته^(٣).

عقيدة بن إسحاق

تشير المصادر إلى أن ابن إسحاق اشتهر بعد عودته من مصر سنة (٥١٢٣ - ٧٢٩م) بالقول بالقدر وجلد على ذلك في المدينة^(٤)، إلا أن الإشارات الثابتة تقريباً عن الكثير

(١) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي ت (٦٣٤ هـ - ١٠٣٠ م)، تاريخ بغداد، (دار الكتب العلمية - بيروت، د.ت)، ج ١، ص ٢١٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٢١٥.

(٣) ابن إسحاق، محمد ت (١٥١ هـ - ٧٦٨ م)، السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار (دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م)، ص ١١ (مقدمة المحقق).

(٤) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ١٢ (مقدمة المحقق)، ينظر ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٩،

من المؤرخين هي تشيعه، فقد ذكر الخطيب البغدادي ((أنه كان يتشيع، وينسب إلى القدر))^(١) وعد من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)^(٢).

وقد ذكر المدائني كان محمد بن إسحاق يتشيع ويقدم علياً على عثمان وقال الشاذكاني ت (٢٣٤هـ - ٨٤٨م) ((كان محمد بن إسحاق يتشيع وكان قدرياً))^(٣)، أما ابن أبي الدنيا^(٤) فذكر أنه رمى بالتشيع، وقد ذكر الذهبي إمساك غير واحد من العلماء عن روايات ابن إسحاق لأشياء منها تشيعه ونسب إلى القدر ثم يكمل روايته عنه ((ويدلس في حديثه، فأما الصدق فليس بمدفوع عنه))^(٥) من خلال ذلك يتبين أن العلة في الإشكال على روايته من البعض الذين يختلفون معه مذهبياً إن صحت الرواية أعلاه جعلته يرمى بالتدليس في أحاديثه.

مكانته العلمية وموقف العلماء منه :

إن ما وصلنا من نتاجات علمية لابن إسحاق باعتبارها باكورة التدوين التاريخي يعطي انطباعاً واضحاً لما تتمتع به شخصيته من مكانة علمية بارزة في وقته وقد دفعت تلك المكانة العلمية إلى الإشادة به وبمكانته من قبل العلماء المعاصرين له والذين لم يعاصروه والآن نورد آراء العلماء الذين أشادوا بابن إسحاق:

ص ٣٧.

(١) تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٢٥.

(٢) الطوسي، رجال الطوسي، ص ١٥٥.

(٣) الحموي، معجم الأدباء، ج ١٨، ص ٧.

(٤) أبو بكر عبد الله بن عبيد ت (٨١هـ - ٨٩٤م)، الورع، تحقيق أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود

(الدار السلفية - الكويت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ص ٢٠.

(٥) سير اعلام النبلاء، ج ٧، ص ٣٩، ينظر المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٤، ص ٤١٦.

فأستأذنه الزهري قال لا يزال بالمدينة علمٌ جمٌّ ما كان فيها محمد بن إسحاق أما شيخه الآخر عاصم بن قتادة فكان رأيه فيه لا يختلف عن الزهري^(١).

وروي عن الشافعي (٢٠٤هـ - ٨٢٠م) (قال من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق)^(٢) أما يزيد بن هارون ت (٢٠٦هـ - ٨٢١م) (قال لو كان لي سلطان لأمرت ابن إسحاق على المحدثين)^(٣)

وقال يحيى بن كثير ت (٢٣٤هـ - ٨٤٨م) سمعنا شعبة يقول: ((ابن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث) وقال أيضاً ((هو صدوق))^(٤)، وقال العجلي ت (٢٦١هـ - ٨٧٤م) مدني ثقة. وعن المفضل الغلابي ت (٢٤٦هـ - ٨٦٠م) قال سألت يحيى بن معين^(٥) عن ابن إسحاق فقال: ((كان ثقة، من الحديث، فقلت انهم يزعمون انه رأى سعيد بن المسيب فقال انه قديم)^(٦).

وقد كانت من خصاله العلمية المميزة هي حفظه للحديث حيث ذكر هارون بن معروف ت (٢٣١هـ - ٨٤٥م) عن أبي معاوية يقول: ((كان ابن إسحاق من أحفظ الناس وإذا كان عند رجل خمسة أحاديث أو أكثر جاء واستودعها محمد بن إسحاق

(١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٧، ص٣٥.

(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٤، ص٢٧٦.

(٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٧٣.

(٤) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٤٦٩.

(٥) يحيى بن معين أبو زكريا المري البغدادي وهو من الحفاظ ورواة الحديث وكان من العلماء المشهورين في زمانه وأشاد به النسائي وأحمد بن حنبل وغيره توفي في المدينة (٢٣٣هـ - ٨٤٧م)، ينظر الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٤٢٩-٤٣٠.

(٦) المزي، تهذيب الكمال، ج٢٤، ص٤٢٥.

وقال احفظها عني فإن نسيتهما حفظتها علي))^(١).

وقد روي أن أستاذه الزهري سمح بالدخول عليه بأي وقت يشاء تعظيماً لقدره ومكانته العلمية حيث أمر حاجبه بأن لا يعترضه مطلقاً^(٢).

وذكر ابن حبان^(٣) ((عني بعلم السنن وواظب على تعاهد العلم وكثرت عنايته فيه وجمعه له على الصدق والاتقان يروي عن مشايخ قد رأهم ويروي عن مشايخ عن أولئك ربما روى عن أقوام رووا عن مشايخ يرون عن مشايخه، يدل ما وصفت من توقيه على صدقة)).

وقد ذكر أبو يحيى الساجي ت (٣٠٧هـ - ١٩١٩م) بإسناد له عن الزهري أنه خرج إلى قريته فخرج إليه طلاب الحديث فقال لهم: أين انتم من الغلام الأحول أوقد خلفت فيكم الغلام الأحول يعني ابن إسحاق؟ وذكر الساجي أيضاً قال: كان أصحاب الزهري يلجأون إلى محمد بن إسحاق فيما شكوا فيه من حديث الزهري ثقة منهم بحفظه^(٤).

إن المكانة العلمية لابن إسحاق جعلته شيخ كتاب السيرة وصاروا من بعده عيالاً عليه كما ذكرنا وهذا يقتضي المحافظة على مكانة كهذه كمثل هذا المنجز العلمي، فقد وعى ذلك ابن سيد الناس وأدرك أن سيرة النبي نفسها وقيمتها التاريخية تتعرضان

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٢٠.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٣٦.

(٣) مشاهير علماء الامصار، ص ٢٢٢.

(٤) السهيلي، عبد الرحمن ت (٥٨١هـ - ١١٨٥م) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، (دار الكتب الإسلامية ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م)، ج ١، ص ٣٨.

للخطر إن تعرضت الثقة بابن إسحاق للتساؤل، لذا فقد رأى واجباً عليه أن يعقد في مطلع سيرته - عيون الأثر^(١) - فصلاً للدفاع عن ابن إسحاق في وجه ناقديه^(٢).

رحلاته العلمية

لم يكتفِ ابن إسحاق في تحصيل علمه على المدينة المنورة فقط بوصفها قلب المجتمع الإسلامي النابض والمكان الذي تبنى الإسلام وأحاطه، ولذلك كانت لها أهمية خاصة في التاريخ الإسلامي، وطبعت بحكم هذا المركز بطابع خاص في الحديث والرواية^(٣)، وعلى الرغم من المكانة العلمية للمدينة التي غذت ابن إسحاق بمعلوماته المعرفية، والجو الأسري الذي عاشه شجعه على الكتابة والتعلم إلا أنه فكر في الرحيل خارج المدينة ليطلع بصورة أكبر على العلم والمعرفة الموجودة في الأمصار والمدن الإسلامية.

وكانت أولى رحلاته العلمية إلى الاسكندرية سنة (١١٥هـ - ٧٣٣م) وقد التقى هناك بعلماء مصر وروى عنهم منهم يزيد بن حبيب ت (١٢٨هـ - ٧٤٥م) وآخرون. إضافة إلى نقله لأحاديث أهل المدينة إلى هناك^(٤)، ولم يرحل ابن إسحاق من مصر إلى العراق مباشرة كما يظن البعض من عامة الناس حيث رجع إلى المدينة والتقى

(١) ينظر ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد ت (٧٣٤هـ - ١٣٣٣م) عيون الأثر (في فنون المغازي والشئال والسير)، تعليق محمد العيد الخطراوي ورحي الدين متو (مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، د.ت)، ج ١، ص ٦٣ - ٦٧.

(٢) ابن إسحاق، المغازي والسير، ص ٩ (مقدمة المحقق).

(٣) علي، أبحاث في التاريخ الإسلامي، ج ٢، ص ٢٠.

(٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٨، المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٤، ص ٤٢٥.

أستاذه الزهري وقد برزه من علماء السير^(١).

ثم بدأت بعد ذلك رحلاته خارج المدينة نتيجة للخلافات الحاصلة مع علماء المدينة ومنهم مالك بن أنس وهشام بن عروة^(٢) - كما سنورد ذلك لاحقاً - حيث كانت رحلته إلى الجزيرة ثم أتى أبو جعفر المنصور (١٣٦هـ - ١٥٨هـ) (٧٥٣م - ٧٧٤م) بالخير وأتى الري فسمع منه أهل الري، فرواته من هؤلاء البلدان أكثر من رواته من أهل المدينة^(٣).

خلافه مع علماء المدينة

على الرغم مما ذكرنا من ثناء العلماء على ابن إسحاق إلا أن هذا لا يعني عدم وجود قادحين له، وقد ينشأ الخلاف لأسباب متعددة وبحسب علمنا أن ابن إسحاق لديه ميول عقائدية مغايرة إلى عقائد كثير من العلماء الذين كانوا في المدينة، إضافة إلى سطوع نجمه كعالم في المغازي والسير وسوف نتطرق في هذه الفقرة إلى خلافه مع أبرز علماء المدينة آنذاك وهما مالك بن أنس ت (١٧٩هـ - ٧٩٥م) عالم الحديث وهشام بن عروة بن الزبير ت (١٤٦هـ - ٧٦٣م) عالم السيرة.

فقد ذكر المؤرخون والكتاب عدة أسباب لخلافه مع مالك بن أنس منها وكما هو معلوم الخلاف العقائدي إذ علمنا أنه رماه بالقدر^(٤)، إضافة إلى تشيعه، فهذا كان سبباً جوهرياً ومباشراً للخلاف إن صححت تلك التهم لابن إسحاق، وقد أعزى بعض

(١) هوروفنتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٧٧-٧٨.

(٢) هوروفنتس، المغازي الأول ومؤلفوها، ص ٧٨.

(٣) المزني، تهذيب الكمال، ج ٢٤، ص ٤٢٦.

(٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٧٣.

المؤرخين إلى أن الخلاف جاء من اتباع ابن إسحاق لمنهجية جديدة في رواية السيرة وهو اعتماده بشكل مباشر على رواية غزوة خيبر على أبناء اليهود الذين حفظوا قصة خيبر على الرغم من إسلامهم^(١).

وقد ذهب بعض المستشرقين إلى اعتبار الخلاف نتيجة لعوامل مجتمعة منها علمي لتخصص ابن إسحاق بكتابة السيرة والمغازي على خلاف ما يريده مالك على اعتباره أحد المحدثين المشهورين آنذاك إضافة إلى كونه متهماً بالقول بالقدر وتشيعه^(٢).

الآن أحد الباحثين أرجع السبب إلى طعن ابن إسحاق بنسب الإمام مالك الذي اعتبره من موالي (ذي أصبح) وكان مالك يزعم أنه من نفسها^(٣).

إلا أننا نميل إلى أن الخلاف ناتج عن خلافات عقائدية في الدرجة الأولى وبعد ذلك ألقى هذا الخلاف بظلاله على مسيرة الرجلين العلمية التي أدت إلى تنافر واختلاف واضح وكبير حيث صرح ابن إسحاق عن عدم رضاه على علم مالك حيث قال: ((أعرضوا عليّ علم مالك فأنا يبطاره))^(٤)، مما أدى إلى رد مالك بقوة حيث قال: ((انظروا إلى دجال من الدجاجلة))^(٥) فكانت هذه ردة فعل من قبل مالك ونعت

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٩، ص٣٩.

(٢) بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة، عبد الحلیم النجار، (ط٥)، دار المعارف - مصر. د.ت)، ج٣، ص١١.

(٣) هادي، رياض هاشم ونضال مؤيد مال الله ((منهجية ابن إسحاق في تدوين السيرة النبوية)) بحث منشور في مجلة العلوم الإسلامية - جامعة الموصل)) العدد السادس عشر (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)، ص٧.

(٤) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٧، ص١٧١، العقيلي، ضعفاء العقيلي، ج٤، ص٢٣، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٧٣.

(٥) الجرجاني، الكامل، ج٦، ص١٠٢، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٧٣.

ابن إسحاق بالكذب والدجل، إلا أن هناك من ذكر بأنَّ الرجلين اصطلاحاً قبل مغادرة ابن إسحاق المدينة وأعطاه مالك مبلغاً قدره خمسين ديناراً ونصف ثمرة تلك السنة وعاد الود فيما بينهم^(١)، إلا أنَّنا نشك في أمر الصلح بين الرجلين لقول مالك عندما ورده نعت ابن إسحاق له بأنه يطار علمه قال بعد أن نعته بالكذب كما بينا أعلاه: ((نحن نفيناها من المدينة))^(٢)، وما يؤيد ذلك أكثر عدم عودة ابن إسحاق إلى المدينة حتى وفاته سنة (١٥١ هـ - ٧٦٨ م) أو سنة (١٥٠ هـ - ٧٦٧ م) في بغداد ودفنه في مقابر الخيزران^(٣).

أما خلافه مع هشام بن عروة وهو من رواة السيرة المعروفين فقد اتهمه الأخير بالكذب^(٤). وذلك لأنه كان يأخذ الأحاديث من زوجته فاطمة بنت المنذر، وقد شك هشام بن عروة في حديث ابن إسحاق لأخذه الحديث من زوجته حيث يقول: ((كيف يدخل على امرأتي؟))^(٥) مستغرباً دخوله عليها وأخذه الحديث منها حيث يقول: ((عدو الله الكذاب يروي عن امرأتي من أين رآها))^(٦).

إلا أن ابن إسحاق يذكر أنه أخذ الحديث منها، فقد ذكر سفيان بن عيينة عن ابن إسحاق أنه جالس فاطمة بنت المنذر وحدث عنها وقد حدثته ودخل عليها إلا أن زوجها هشام أنكر ذلك حيث يقول: ((ودخلت بها وهي بنت تسع سنين وما رآها

(١) ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج ١، ص ٦٦.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٢.

(٤) العقيلي، ضعفاء العقيلي، ج ٤، ص ٢٣، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٧٣.

(٥) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٧، ص ٤١.

(٦) ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج ١، ص ٦٠.

مخلوق حتى لقيت الله عز وجل))^(١).

ولكن هذه المسألة فيها وجهات نظر كثيرة، على سبيل المثال ما يذكره ابن حجر^(٢) معللاً إذا كانت التهمة لابن إسحاق متأتية من حرجية التحدث عن النساء في رواية الحديث والسيرة فهناك ما يرفع تلك الشبهة أو الحرج لقوله: ((إن التابعين سمعوا من عائشة من غير أن ينظروا إليها، وكذلك ابن إسحاق كان سمع من فاطمة والستر بينهما مسبل)).

وعند مناقشة تلك الحالة نرى أن فاطمة بنت المنذر أكبر من ابن إسحاق ب ٣٠ إلى ٤٠ سنة فقد كان مولدها سنة (٤٨هـ - ٦٦٨م) وهي أكبر من هشام بن عروة^(٣) بثلاث عشرة سنة^(٤)، وهذا ما يفند رواية هشام الذي يذكر أنه دخل بها وعمرها تسع سنين، ولعل من المناسب إيراد الرواية التالية عن العقيلي الذي قال حدثني الفضل بن جعفر عن عبد الله بن محمد عن سليمان بن داود قال لي يحيى القطان ((أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب. قلت وما يدريك؟ قال لي وهيب. فقلت لوهيب: ما يدريك؟ قال: قال لي مالك بن أنس، فقلت لمالك ما يدريك؟ فقال: قال لي هشام بن عروة، قلت لهشام: ما يدريك؟ قال: حدث عن امرأتي فاطمة بنت المنذر، ودخلت عليها وهي ابنة تسع سنين، وما رأها حتى لقيت الله...، قلت: معاذ الله أن يكون يحيى وهؤلاء بدا منهم هذا بناء على أصل فاسد وإه، ولكن هذه الخرافة صنعها سليمان، وهو الشاذكاني - لا صبحه الله بالخير - فإنه مع تقدمه بالحفظ متهم

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٢٢.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٣٩.

(٣) علمان ولادته كانت سنة (٦١هـ - ٦٨٠م) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ٣٤.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٢، ص ٣٩٤، هيروفتس المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٧٩.

عندهم بالكذب، وانظر كيف سلسل الحكاية وبين على بطلانها أن فاطمة بنت المنذر لما كانت بنت تسع سنين لم يكن زوجها هشام خلق، فهي أكبر من نيف وعشر سنين وأسند منه فإنها أوردت عن... اسماء بنت أبي بكر، وصح أن ابن إسحاق سمع منها، وما عرف بذلك هشام. أفبمثل هذا القول الواهي يكذب الصادق))^(١).

من الرواية أعلاه يظهر أن الخلاف بين ابن إسحاق وهشام لم يكن يقوم على خلافات علمية وإنما يمكن إرجاعها إلى الخلاف العقائدي.

وقد كان لهذا الخلاف الأثر الواضح على آراء بقية العلماء حيث قال يعقوب بن شيبة ت (٢٦٢هـ-٨٧٥م): ((سمعت ابن تميم - وذكر ابن إسحاق - فقال: إذا حدث عمن سمع من المعروفين، فهو من الحديث صدوق، وإنما أوتي من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة))^(٢).

أما الدار قطني فذكر ((أنه صالح الحديث، ماله عندي ذنب إلا ما قد حشاني السيرة من الأشياء المنكرة والمتقطعة والأشعار المكذوبة))^(٣).

أما النسائي قال عنه: ((ليس بالقوي)) ولعل أبرز الإشكالات على ابن إسحاق التي ساقها عنه معاصروه هي حديثه عن أهل الكتاب^(٤).

شيوخ ابن إسحاق

إن المادة التاريخية التي استطاع ابن إسحاق جمعها كانت اعتماداً على ما يمتلكه من مؤهلات وكذلك عن طريق أسفاره ومشاهداته إلا أن ذلك غير كافٍ فلا بد أن

(١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٧، ص٤٩-٥٠.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٧، ص٤٣.

(٣) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٤٦٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٦٩.

يكون له شيوخ أكفاء استطاعوا أن يغرسوا في نفس ابن إسحاق حب العلم فقد ذكر أحد الباحثين^(١) أن ابن إسحاق أخذ علومه عن جماعة من المشايخ بلغ عددهم ١١٤ شيخاً، وليس هذا العدد بشيء كبير.. بالنسبة لمألوف ذلك الزمان كان فيه العلم شعبياً مشاعاً، فقد كان من عادة رجال العلم الإكباب على الدراسة، فهذا الكم من المشايخ الذين تتلمذ على أيديهم ابن إسحاق لم يكن في المدينة فقط فقد سمع من أهل العراق والجزيرة والري^(٢)، وروى عن أبيه، وعمه موسى بن يسار، وعن أبان بن عثمان، وعن الإمام أبي جعفر محمد الباقر (عليه السلام)، والزهرري، وعاصم بن عمرو بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، ومحمد بن جعفر بن الزبير وغيرهم الكثير إلا أننا سوف نسلط الضوء على مجموعة من هؤلاء المشايخ:

والده إسحاق بن يسار ت (١١٠هـ - ٧٢٨م)

يعد من رواة الحديث المدنيين، وقد عاصر معاوية بن أبي سفيان في بداية الدولة الأموية وروى عن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعروة بن الزبير والمغيرة بن عبد الرحمن^(٣). وروى عنه ابنه محمد بن إسحاق، وعده ابن حبان من الثقات^(٤)، وقد وثقه أيضاً عدد من العلماء مثل أبي زرعة ت (٢٨١هـ - ٨٩٤م)، ويحيى بن معين^(٥).

أما الدار قطني فقد قال لا يحتج به^(٦)، فهو من الرواة الذين تركوا بصمات

(١) علي، ابحاث في التاريخ الإسلامي، ج ٢، ص ٧٢.

(٢) هادي، منهجية ابن إسحاق في تدوين السيرة النبوية، ص ٢٠.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٢٢٥.

(٤) الثقات، ج ٦، ص ٤٨.

(٥) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٢، ص ٢٣٨.

(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٢٢٥.

واضحة في كتابة الحديث والسيرة النبوية حيث نقل عنه ابنه محمد كثيراً من الروايات في السيرة النبوية^(١).

موسى بن يسارت (١١٠هـ - ٧٢٨م)

القرشي المطلبي المدني^(٢)، من رواة الحديث المدنيين روى عن أبي هريرة^(٣)، وقد روى عنه ابن أخيه محمد بن إسحاق^(٤)، وذكره ابن حبان^(٥) من الثقات، وكذلك ابن معين^(٦)، وأبو حاتم الرازي، وقد روى عنه أصحاب الحديث الستة^(٧)، وروى عنه ابن إسحاق حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في جرحى أحد^(٩).

محمد بن علي بن الحسين الباقر (عليه السلام) ت (١٢٦هـ - ٧٣٦م)

(١) ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٣٧-١٦٥، ج ٢، ص ٢٧٤، ص ٢٨٦ ج ٣، ص ٥٢-١٠٤-١٩٣ ج ٤، ص ٩١.

(٢) المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٩، ص ١٦٨.

(٣) ابن سعد، في الطبقات، ج ٧، ص ٢٤٧، ابن حبان، الثقات، ج ٥، ص ٤٠٤، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٣٣٦.

(٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ١٠٦.

(٥) الثقات، ج ٥، ص ٤٠٤.

(٦) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ١٠٦.

(٧) البخاري ت (٢٥٦هـ - ٨٦٩م) الامام مسلم ت (٢٦١هـ) الامام أبو داود ت (٢٧٥هـ - ٨٨٨م) الامام الترمذي ت (٢٧٩هـ - ٨٩٢م) الامام النسائي ت (٣٠٣هـ - ٩١٥م) ابن ماجه ت (٢٧٣هـ - ٨٨٦م)

(٨) الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة، تعليق محمد عوامه (دار القبلة للثقافة الإسلامية - جده) (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، ج ٢، ص ٣٠٩.

(٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٠٤.

ابن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب^(١) ويكنى أبا جعفر^(٢)، واشتهر بأبي جعفر الباقر، والباقر من بقر العلم: أي شقه فعرف أصله وخفيه، وكان إماماً مجتهداً تالياً لكتاب الله كبير الشأن^(٣).

إن هذه العجالة لا تسع إلى ذكر ما يليق بالإمام الباقر لكن لا بد من الإشارة إلى مكانته العلمية؛ لكونه أحد شيوخ ابن إسحاق موضوع بحثنا؛ ليكون المتلقي بالصورة، فالمكانة العلمية للإمام الباقر واضحة المعالم ولا تحتاج إلى عناء بحث؛ لكونه إماماً معصوماً.

فعن جابر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ((أنه قال له: يا جابر إنك ستعيش حتى تدرك رجلاً من أولادي اسمه اسمي يقر العلم بقراً فإذا رايته فاقرأه عني السلام، فلما دخل محمد الباقر (عليه السلام) وسأله عن نسبه وأخبره، فقام إليه واعتنقه وقال جدك رسول الله يقرأ عليك السلام))^(٤)، وبلا شك أن إمكانيات الإمام الباقر العلمية متأية من كونه من أهل البيت وهم أهل علم ومعرفة ودراية، وذكر الذهبي أنه روى الحديث عن جديه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٥)، وكذلك عن جديه الحسن بن علي والحسين بن

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٣١٥.

(٢) ابن عنبه، أحمد بن علي الحسيني، ت (٨٢٨هـ - ١٤٢٤م) عمدة الطالب في أنساب أبي طالب، تصحيح محمد حسن آل الطالقاني (منشورات المكتبة الحيدرية - النجف، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م)، ص ١٩٤.

(٣) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٠٢.

(٤) ابن عنبه، عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب، ص ٩٤. ينظر، الطبرسي، الفضل بن الحسين بن الفضل، ت (٥٤٨هـ - ١١٥٣م)، تاج المواليد (المجموعة)، (مطبعة الصدر - قم، ١٤٠٦هـ)، ص ٤٠.

(٥) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٠١.

علي (عليه السلام)^(١)، إلا أن كثيراً من المؤرخين ذكروا إلى جانب أجداده وأبيه خلقاً كثيراً قد أخذ العلم منهم وهذا منافٍ للواقع إذ لم يحدثنا التاريخ بأن الإمام الباقر حدث يوماً ما عن أحد غير أجداده.

أما من أخذ الحديث عن الإمام الباقر فهم خلق كثير منهم ابنه الإمام الصادق وأبو إسحاق السبيعي والزهري وغيرهم^(٢)، وقد اشتهر بالوثاقة حيث وثقه النسائي عندما عدّه من الفقهاء التابعين في المدينة واتفق الحفاظ على الاحتجاج بأبي جعفر^(٣).

وذكر ابن سعد^(٤) أنه كان ثقة كثير الحديث، وعدّه ابن حبان من أفاضل أهل البيت وأمرائهم^(٥)، وذكره العجلي بأنه مدني، تابعي، ثقة^(٦). وذكر سفيان بن عيينة أنه كان خير محمدي على وجه الأرض^(٧). وقد أخذ منه ابن إسحاق أحاديث منها على سبيل المثال اليوم الذي وقعت فيه معركة بدر^(٨)، وكذلك حديث الرسول عقب معركة بدر ((نصرت بالرعب، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً...))^(٩). وغيرها من الروايات المهمة التي نقلها ابن هشام عن ابن إسحاق في السيرة النبوية.

(١) المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٦، ص ١١٦.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٠١ ينظر المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٦، ص ١٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٠٣.

(٤) الطبقات، ج ٧، ص ٣١٨.

(٥) مشاهير علماء الامصار، ص ١٠٣.

(٦) المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٦، ص ١٣٧.

(٧) المصدر نفسه، ج ٢٦، ص ١٣٧.

(٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٧٨.

محمد بن جعفر بن الزبيرت (١١٠هـ - ٧٢٨م)

ابن العوام القرشي^(١)، المدني^(٢)، كان من فقهاء أهل المدينة وقرائهم^(٣)، روى عن عمه عروة بن الزبير، وعن عباد بن عبد الله بن الزبير، وعن عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر بن الخطاب^(٤)، وروى عنه محمد بن إسحاق وغيره كثيرون^(٥). وقد ذكر محمد بن سعد بأنه عالم وله أحاديث^(٦)، واعتبره ابن حبان^(٧) من الثقات، وذكره الدارقطني بأنه مدني ثقة^(٨)، كذلك اعتبره النسائي من الثقات^(٩)، وروى عنه ابن إسحاق عدداً كبيراً من الروايات^(١٠).

تلاميذ ابن إسحاق

كان لابن إسحاق الكثير من التلاميذ ذكر منهم ستين راوياً موزعين في مدن الكوفة، والبصرة، والمدينة، والري، وواسط، وحران وغيرها من مدن الدولة

(١) البخاري، التاريخ الكبير، ج ١، ص ٥٤.

(٢) أبو ايوب الباجي المالكي، سليمان بن خلف بن سعدت (٤٧٤هـ - ١٠٨١م)، التعديل والجرح، تحقيق، أحمد البزاز (وزارة الاوقاف الشؤون الدينية - مراکش، د.ت)، ج ٢، ص ٦٧٥

(٣) ابن حبان، الثقات، ج ٧، ص ٧٩٤.

(٤) المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٤، ص ٥٧٩.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٨١.

(٦) المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٤، ص ٥٧٩.

(٧) الثقات، ج ٧، ص ٣٩٤.

(٨) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٨١.

(٩) الباجي المالكي، التعديل والجرح، ج ٢، ص ٦٧٥.

(١٠) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٣٧-١٥٦ ج ٣، ص ٤٧-١٠١-٣٠٧ ج ٢ ص ١٥-٢٤-٤٠-٥٤-٦٠-٢٩٥.

الإسلامية، إلا أن المستشرق فول أعد ثبناً ب ١٥ تلميذاً لابن إسحاق معظمهم عراقيون وجزريون ومن أهل الري^(١).

إلا أننا نقتصر في دراستنا على عدد منهم ممن كان له دور مميز في نقل السيرة النبوية إلينا:

- سلمة بن الفضل الأبرش ت (١٩١هـ - ٨٠٦م)

الرازي، قاضي الري^(٢)، وقد روى عن الكثير لكن الذي يهمنا في هذا المورد هو روايته للمغازي عن ابن إسحاق حيث روى عنه المبتدأ والمغازي^(٣)، وحدث عنه الكثيرون منهم يحيى بن معين ومحمد بن حميد^(٤).

وإن مؤلف السيرة محمد بن إسحاق كان قد كتب نسخة من السيرة في قراطيس ثم صيرهن إلى سلمة بن الفضل وكان هذا الأمر بعدما طلب منه المنصور العباسي كتابة السيرة إلى ولده المهدي^(٥).

ولذلك يمكن الميل إلى أفضلية روايته عن ابن إسحاق لمكانة تلك القراطيس^(٦) وقد اثنى عليه عدد من العلماء منهم يحيى بن معين الذي يقول عنه (ثقة كتبنا عنه كان كيباً ليس في الكتب أتم من كتابه)^(٧).

(١) الطرايشي، مطاع، رواة محمد بن إسحاق بن يسار، (دار الفكر - بيروت - ١٩٩٤م)، ص ١٠٨، هادي، منهجية ابن إسحاق في تدوين السيرة النبوية، ص ٢٣.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٩، ص ٤٩.

(٣) ينظر المزي، تهذيب الكمال، ج ١١، ص ٣٥٠.

(٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٩، ص ٥٠.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٢١.

(٦) علي، ابحات في التاريخ الإسلامي، ج ٢، ص ٦٥.

(٧) المزي، تهذيب الكمال، ج ١١، ص ٣٠٦، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٢٣٥

وعن ابن معين أيضاً قال سمعت جريراً يقول: ((ليس من لدن بغداد إلى أن يبلغ خراسان اثبت في ابن إسحاق من سلمة))^(١).

إلا أن تشيع سلمة بن الفضل^(٢) جعله عرضة للنقد ليس على وثاقة حديثه ونقله عن ابن إسحاق وإنما تدخلت القضية العقائدية في النظر إلى تلك الشخصية من قبل العلماء والمؤرخين آنذاك فأصبح بين قادح ومادح وكان المادحون له كثيراً، فقد عدّه ابن سعد ثقة^(٣). وقال عنه ابن حاتم: ((محله الصدق، في حديثه إنكار، لا يمكن أن أطلق لساني فيه أكثر من هذا))^(٤)، وقد ذكره ابن حبان من الثقات (وقال يخطئ ويخالف)، وذكر أبو داود (بأنه ثقة)، وذكر أن أحمد بن حنبل سئل عنه فقال: لا أعلم منه إلا خيراً^(٥).

أما بالنسبة لمن قدح فيه فالبخاري قال عنه عنده مناكير^(٦)، وقد ذكره النسائي^(٧) من الضعفاء والمتروكين حيث قال: ((ضعيف يروي عن ابن إسحاق المغازي))، والملاحظ أن أصحاب الحديث هم الذين ضعفوه إلا أن أصحاب المغازي أخذوا بروايته ومنهم الطبري حيث أخذ منه كثيراً من الروايات في تاريخه عن طريق تلميذه محمد بن حميد^(٨).

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ١٣٥.

(٢) المزي، تهذيب الكمال، ج ١١، ص ٣٠٥، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٥، ص ٢٠٠، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ١٣٥.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ١٣٥.

(٤) المزي، تهذيب الكمال، ج ١١، ص ٣٠٦.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ١٣٦.

(٦) المزي، تهذيب الكمال، ج ١١، ص ٣٠٥.

(٧) أحمد بن شعيب ت (٣٠٣هـ-٩١٥م)، الضعفاء والمتروكين، (دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت، ١٩٨٦)، ص ١٨٤.

(٨) ينظر، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ١٩٨-١٩٩-٢٠٤-٢٠٦-٢٠٩-٢١١-٢١٥.

وقد ذكر أحد الكتاب بأن لسلمة بن الفضل نفسه كتاباً في المغازي قيل عنه ليس من الكتب أتم منه وقد علل ذلك بأنه قد يكون منتزعاً من سيرة ابن إسحاق وبرواية سلمة وقد اجريت عليه بعض التعديلات والتنقيحات فعرفه باسمه كما حدث في سيرة ابن هشام^(١)، وفي الختام لا بد أن نذكر ما قاله الذهبي فيه (كان قوياً في المغازي توفي سنة (١٩١هـ - ٨٠٦م)^(٢)).

يونس بن بكير ت (١٩٩هـ - ٨١٤م)

ابن واصل الشيباني^(٣)، وهو الإمام الحافظ الصدوق، العالم المؤرخ من أهل الكوفة^(٤)، صاحب المغازي والسير^(٥)، ويكنى أبا بكر الجمال^(٦)، وكانت له أحاديث كثيرة عن محمد بن إسحاق صاحب السيرة النبوية، وقد روى عنه يحيى بن معين وأبو كريب^(٧) وغيرهم كثير^(٨).

أما حياته غير العلمية فإنه يعمل لدى البلاط العباسي صاحب مظالم جعفر بن

٢١٩-٢٢٠-٢٢١-٢٢٣-٢٢٧.

(١) علي، ابحاث في التاريخ الإسلامي، ج ٢، ص ٦٥.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٩، ص ٥٠.

(٣) المزي، تهذيب الكمال، ج ٣٢، ص ٤٩٢.

(٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٩، ص ٢٤٥.

(٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٣٢٦.

(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ٣٨٢.

(٧) أبو كريب محمد بن العلاء الهمداني الحافظ الثقة وكان من المحدثين المشهورين واشتهر بكثرة الحفظ والجمع عن مشايخه وقد اوصى ان تدفن كتبه معه توفي سنة (٢٤٨هـ - ٨٦٢م) ينظر الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٢، ص ٤٩٧.

(٨) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٩، ص ٢٤٦.

يحيى البرمكي ت (١٨٧هـ - ٨٠٣م) وكان ميسور الحال^(١).

وقد رمي بالزندقة إلا أن يحيى بن معين دافع عن ذلك وقال: ((رأيت ابني أبي شيبة أتياه فأقصاهما وسألاه كتاباً فلم يعطهما فذهبا يتحاكمان فيه))^(٢).

أما حياته العلمية فكان لابن إسحاق دور مميز ومهم في ذلك حيث سمع منه المغازي في الري^(٣) وقد أجاز الكثير عن رواية المغازي عنه منهم على سبيل المثال أبو كريب وغيره من علماء الكوفة المعروفين آنذاك، وقد اختلف في تحديد عقيدته المذهبية فمنهم من ذهب ((إلى أنه مرجئ))^(٤)، ((وقال آخرون أنه شيعي))^(٥).

ومن الملاحظ أن الأحكام والنعوت المذهبية تطلق على المؤرخين والرواة والعلماء حسب التوجهات العقائدية للكاتب عن تلك الشخصية أو حسب الأهواء والمصالح، وكل شخص لا يتفق معه الآخر يرميه بشتى التهم وهذا واضح من رمي ابن بكير بالزندقة كما بينا وكيف دافع عنه ابن معين عندما فند رأي من نعت ابن بكير بالزندقة، فإن التهمة جاهزة لمجرد الخلاف البسيط.

أما آراء العلماء في وثاقته وإمكاناته العلمية فقد اختلف في ذلك أيضاً بين من يوثقه وبين من يضعفه فأبو داود قال: ((ليس هو عندي بالحجة كان يأخذ من ابن

(١) المزي، تهذيب الكمال، ج ٣٢، ص ٤٩٦، العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله ت (٢٦١هـ - ٨٧٤م)، معرفة الثقات، (مكتبة الدار - المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ)، ج ٢، ص ٣٧٧.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ٢٨٣.

(٣) ابن العماد الحنبلي، عبد الحسي العكري ت (١٠٨٩هـ - ١٦٧٨م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (دار احياء التراث العربي - بيروت، د.ت)، ج ١، ص ٣٥٧.

(٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٩، ص ٢٤٧، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ٣٨٣

(٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ١، ص ٣٥٧

إسحاق فيوصله بالأحاديث))^(١)، أما ابن حبان فقد وثقه^(٢)، وأما النسائي فقال: ليس بالقوي وقال مرة ضعيف^(٣)، وأبو حاتم الرازي فذكر بأنه ((محل الصدق))^(٤)، أما يحيى بن معين فذكر بأنه ثقة صدوق إلا أنه يعيب عليه اشتغاله مع جعفر بن يحيى البرمكي^(٥) ت (١٨٧هـ-٨٠٣م).

وفيما يخص رواياته عن ابن إسحاق في السيرة النبوية فقد أكثر النقل عنه وكان الدور البارز للبيهقي في دلائل النبوة فقد نقل عن يونس أغلب موارد سيرته^(٦)، وذكر أحد الكتاب أن نسخة يونس بن بكير عن ابن إسحاق تمثل النسخة الكوفية الأولى على كثير من النسخ الكوفية في مغازي ابن إسحاق فهي ذات شهرة وامتياز على غيرها^(٧)، وهي أتم وأكمل من نسخة ابن هشام والرواية عنها مستفيضة في الكتب المتقدمة، وكانت أشهر عند المشاركة عنها عند المغاربة، وبقيت في أيدي أهل العلم والرواية زمنًا طويلاً^(٨).

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ٣٨٣.

(٢) الثقات، ج ٩، ص ٢٨٩.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ٣٨٣.

(٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٩، ص ٢٤٧.

(٥) المزي، تهذيب الكمال، ج ٣٢، ص ٤٩٦.

(٦) الطرايشي، رواه محمد بن إسحاق بن يسار، ص ١٠٨.

(٧) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ١٣ (مقدمة المحقق سهيل زكار).

(٨) ولم تفقد سوى في عصر متأخر وهو نهاية القرن الحادي عشر، وقد عثر على قطعة من نسخة يونس بن بكير في خزانة القرويين بفاس، نشرتها نبيهة عبود في شيكاغو سنة (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م) ثم محمد حميد الله في الرباط سنة (١٣٩٦هـ - ١٠٧٦م) وأتبعه سهيل بن زكار في بيروت سنة (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

زياد بن عبد الله البكائي ت (١٨٣هـ - ٧٩٩م)

ابن طفيل بن عامر القيسي العامري من بني عامر بن صعصعة ثم من بني البكاء^(١)، كوفي، كنيته أبو محمد^(٢)، أو أبو يزيد الكوفي، روى عن كثير من العلماء إلا أن أبرز رواياته كانت عن محمد بن إسحاق حيث روى عنه المغازي، وقدم بغداد ثم رجع إلى الكوفة^(٣) وحدث بها^(٤).

وروى عنه أحمد بن حنبل، وابن هشام الدوسي النحوي صاحب السيرة - الذي سيكون مورد كلامنا في المبحث القادم - وغيرهم الكثير، أما آراء العلماء فيه فقد عده النسائي من الضعفاء والمتروكين وليس بالقوي^(٥)، وقال فيه ابن حنبل قال: ((ليس به بأس، حديثه حديث أهل الصدق))^(٦)، وعن يحيى بن معين حين سئل عن زياد البكائي قال: إنه ضعيف^(٧).

وقد ورد أنه قوي الحديث في المغازي والسير؛ لكونه أمليت عليه المغازي مرتين بالحيرة^(٨).

(١) سلامه، مصادر السيرة النبوية، ص ٩٧ ينظر ابن إسحاق، المغازي والسير، ص ١٨-١٩.

(٢) الجرجاني، عبد الله بن عدي ت (٣٦٥هـ - ٩٧٥م)، الكامل، تدقيق يحيى مختار عزاوي (ط ٣، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، ج ٣، ص ١٩١.

(٣) المزي، تهذيب الكمال، ج ٩، ص ٤٨٩.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٤٧٧.

(٥) الضعفاء والمتروكين، ص ١٨٢.

(٦) أحمد بن حنبل، ت (٢٤١هـ - ٨٥٥م)، العلل، تحقيق وصي الله بن محمود عباس (الكتب الإسلامية - بيروت، ١٤٠٨هـ)، ج ٣، ص ٢٩٨، المزي، تهذيب الكمال، ج ٩، ص ٤٧٨.

(٧) العقيلي، الضعفاء والمتروكين، ج ٢، ص ٧٩.

(٨) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٣، ص ٥٣٧.

أما أبو داود السجستاني فذكر أنه ثقة في روايته للمغازي عن ابن إسحاق لكن يضعفه في غير ذلك^(١)، أما المدائني فقد ضعفه^(٢)، وقال في موضع آخر لا اروي عنه شيء^(٣). وذكر الترمذي أنه كثير المناكير، لكن غيره من أصحاب الحديث كالبخاري خرج عنه في كتاب الجهاد ومسلم في مواضع من كتابه^(٤).

فمن خلال آراء العلماء وأصحاب الحديث لم يكن هناك جزم واضح في عدالة البكائي أو جرحه وإنما كل ذكر حسب ميوله واتجاهاته السياسية أو المذهبية وعليه لا يمكن اعتبار الجرح والتعديل لأي من العلماء الأوائل موضع ثقة مطلقة، ولكن الذي نريد أن نصل إليه في النهاية أن زياد البكائي هذا واحد من رواة السيرة الرئيسيين وقد عدت روايته بأنها تمثل الرواية الثانية للسيرة النبوية^(٥).

ولكن رواية البكائي لم تصل إلينا للأسف في شكلها الأول بل نالها تعديل ابن هشام واختصاره^(٦).

ولم يهتم البكائي بتاريخ أهل الكتاب كما فعل شيخه ابن إسحاق، فقد ترك الحديث من آدم إلى إبراهيم ولم يذكر عن سلالة إسماعيل (عليه السلام) غير أجداد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المباشرين وغيرها من المحذوفات الكثيرة^(٧).

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٤٧٨، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٣٢٧

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٤٧٩.

(٣) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٩، ص ٦.

(٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٩، ص ٦.

(٥) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ١٣ (مقدمة المحقق سهيل زكار).

(٦) المصدر نفسه، ص ١٤ (مقدمة المحقق).

(٧) هادي، منهجية ابن إسحاق في تدوين السيرة النبوية، ص ٢٦.

آثار ابن إسحاق العلمية

يذكر ابن النديم في الفهرست لابن إسحاق كتابين أحدهما كتابه المشهور ويسميه ((السيرة والمبتدأ والمغازي، وكتاب آخر باسم الخلفاء))^(١)، إلا أن ابن سعد ذكر فقط جمعه لمغازي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتأليفها في كتاب ولا يذكر غيرها من مؤلفاته^(٢)، وقد أسماها بالمغازي خلافاً لابن النديم المتأخر عن ابن سعد كثيراً، إلا أن المستشرق سزكين^(٣) يضيف إلى المؤلفين السابقين لابن إسحاق مؤلفين آخرين هما كتاب الفتوح حيث يقول: ومن المرجح أن ابن إسحاق ألف كذلك كتاباً بعنوان (كتاب الفتوح)، ثم يضيف أن له كتاباً آخر رابعاً بعنوان (أخبار كليب وجساس) توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة آل سيد عيسى العطار ببغداد. إلا أن الكتاب الأهم لابن إسحاق هو كتاب المغازي أو ما يسمى السيرة النبوية (المبتدأ والمبعث والمغازي)، ولم يصل إلينا بصورته الأصلية ولكن وصل إلينا جزء كبير منه في السيرة النبوية لابن هشام^(٤)، فعليه لا بد من تسليط الضوء على ذلك، ولكن قبل الذهاب إلى ذلك يمكن الإشارة إلى كتاب الخلفاء فقد ذكر المستشرق كب^(٥) ((أنه ضيق النطاق مختصر العبارة))، وذكر أحد الكتاب^(٦) بأنه ((كان عاقراً فلم ينل منه المؤرخون عناية تستحق الذكر ولم يكتسب الشهرة التي نالتها السيرة، وقد اقتبس منه الطبري في تاريخ الخلفاء وخلافة معاوية وصدر الدولة الأموية)).

(١) الفهرست، ص ١٠٥.

(٢) الطبقات، ج ٧، ص ٥٥٣.

(٣) تاريخ التراث العربي، ج ٢، ص ٢٩٠.

(٤) نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ص ٥٩.

(٥) علم التاريخ، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون (دار الكتاب اللبناني - بيروت - ١٩٨١م)، ص ٥٧.

(٦) علي، أبحاث في التاريخ الإسلامي، ج ٢، ص ٧٠.

وبالعودة إلى إنجازاه العلمي الأبرز وهو السيرة النبوية (المبتدأ - المبعث - المغازي) يعد قمة عطائه المعرفي وخير ما وصل إلينا وهذا لا يعني أنه لم تكن هناك محاولات سبقت ابن إسحاق في هذا المجال إلا أن تلك المحاولات وإن كانت ناجحة إلا أنها لم تكن بمستوى الإنجاز الذي جاد به ابن إسحاق في مجال التدوين التاريخي، فقد أوضحنا أن هناك مرويات لعروة بن الزبير ولكنها لا ترقى إلى مستوى الكتاب المبوب ثم مغازي ابن شهاب الزهري على الرغم من اهتمامه الكبير في تدوين مروياته التاريخية إلا أنها لا ترقى إلى مستوى التدوين وفق منهج خاص ومميز كما حصل في سيرة ابن إسحاق، إضافة إلى وجود كتاب لمعاصره موسى بن عقبة إلا أن هذا الكتاب على الرغم من وصوله إلينا بشكل كامل إلا أنه لا يرقى إلى عمل ابن إسحاق^(١).

وقد كانت هناك عوامل ساعدت ابن إسحاق على بروزه في تدوين السيرة ونتاجه العلمي بشكل كتاب خاص إضافة إلى مورثه، الأسري أيضاً البيئة المدنية التي كانت تحتضن العلم وتواجد حلقات للدرس في المسجد النبوي المبارك سواء على مستوى الرواية للأحاديث أم السيرة المطهرة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) شكلاً الأرضية العلمية الصالحة لمحمد بن إسحاق كي ينطلق في تصنيف مصنفه العلمي في مجال السيرة النبوية^(٢).

إن كتاب ابن إسحاق في السيرة النبوية هو كتاب عام وشامل يحتوي كل الأخبار التاريخية من بداية حياة آدم (عليه السلام) حتى نهاية حياة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) لكنها لم تصل إلينا فقد نالها تهذيب ابن إسحاق أولاً بطلب

(١) ناجي، عبد الجبار، نقد الرواية التاريخية (عصر الرسالة نموذجاً)، (دار المحجة البيضاء، بغداد،

٢٠١١هـ)، ص ٣٥.

(٢) ينظر، نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ص ٦٤.

من المنصور كما سنلاحظ ذلك ثم تهذيب ابن هشام، وتجدر الإشارة إلى أن سيرة ابن إسحاق الأصلية كانت ذات نظرة تاريخية شاملة، إذ يقول المستشرق كب^(١) في وصفه لسيرة ابن إسحاق: ((فقد كانت ثمرة تفكير أبعد أفقاً وأوسع نطاقاً من تفكير سابقيه ومعاصريه؛ لأنه نزع فيها لا إلى تدوين تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فحسب بل إلى تاريخ النبوة بذاتها أيضاً، وكان هذا الأسلوب يشمل ثلاثة أقسام (المبتدأ) وهو تاريخ العصور السابقة للإسلام منذ الخليفة وقد استمد أكثره من وهب بن منبه ومن المصادر العبرية، ثم (المبعث) وهو تاريخ حياة النبي حتى السنة الأولى للهجرة ثم (المغازي) وتناول هذا التاريخ إلى وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)).

أما سبب تأليف ابن إسحاق لكتابه موضوع بحثنا فقد ذكر الخطيب البغدادي^(٢) ((دخل محمد بن إسحاق على المنصور وبين يديه ابنه المهدي فقال له: أتعرف هذا يا ابن إسحاق قال: نعم هذا ابن أمير المؤمنين، قال: اذهب وصنف له كتاباً منذ خلق الله تعالى آدم إلى يومك هذا، فذهب وصنف له هذا الكتاب، فقال له: لقد طولته يا ابن إسحاق اذهب فاخصره فذهب فاخصره فهو هذا الكتاب المختصر))، وحفظ المنصور الكتاب الكبير في خزائنه^(٣).

ولكن أحد الباحثين^(٤) ينقل لنا رأي أحد المستشرقين (فيك) أن ابن إسحاق لم يؤلف كتابه بأمر الخليفة ولا في الحيرة أو بغداد وإنما في المدينة قبل إقامته لدى

(١) علم التاريخ، ص ٥٥-٥٦.

(٢) تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٢١، ينظر ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٤، ص ٢٧٧.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٢١.

(٤) نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ص ٥٩.

العباسيين ويستدل على ذلك بأن رواته الذين أخذ عنهم جميعاً مدنيون ومصريون ولا يذكر فيهم أحد من العراقيين، إلا أن مستشرقاً^(١) آخر يرى أن ابن إسحاق أجرى بعض التغييرات الإضافية لإرضاء الخليفة، أو أنه اختصر الفقرات التي لا ترضيه، منها على سبيل المثال دور العباس بن عبد المطلب جد الخليفة ووقوفه في معركة بدر إلى جانب المشركين، إلا أنه ابن إسحاق لطفه وذكر أنه حارب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بغير رضاه، وربما أجرى ابن إسحاق بعض التغييرات الإضافية الطفيفة التي ترضي الخليفة العباسي المنصور مثل مناصرة العباس للإسلام اثر اعتناقه له سراً وغيرها من الأمور.

أما موارد في تأليف السيرة النبوية فقد مثل أهمها وجزءها الأعظم علماء المدينة المنورة وحفاظها وقد تطرقنا إلى قسم من شيوخه الذين أخذ منهم موارد مؤلفة، فقد ذكر أخذه عن عدد كبير من الشيوخ من بينهم أصحاب المغازي المتقدمين الذين أدركهم مثل أبان بن عثمان والزهري وموسى بن عقبة وعاصم بن قتادة وغيرهم، كما أخذ عن الإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، وأخذ عن عبد الله بن الحسن المثنى وغيرهم كثير^(٢).

أما موارد التي انتقى منها الجزء الأول من مؤلفه وهو المبتدأ الذي تحدث فيه عن أخبار الأنبياء والملوك قبل الإسلام، فكان عن علماء أهل الكتاب، ووهب بن منبه - في أخبار اليمن خاصة - إضافة إلى الكتب السماوية القرآن والتوراة والانجيل^(٣).

(١) هوروفنتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٨٣.

(٢) عبد الحميد، صائب، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، (مركز الغدير للدراسات والنشر - لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ص ١٦١.

(٣) عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ص ١٦١.

وعند النظر إلى محتويات السيرة (المبتدأ والمبعث والمغازي) لابن إسحاق نلاحظ أنه قسم مادته على ثلاثة أقسام مهمة ورئيسة القسم الأول وهو المبتدأ: قسمه على أربعة فصول يتناول أولها تاريخ الرسالات السابقة للإسلام إلى ظهور عيسى.

أما الفصل الثاني فيتناول فيه تاريخ اليمن في عصور الجاهلية، وقد شجع ابن إسحاق للعناية بهذا الفصل وجود الإشارات القرآنية إلى ذلك مثل إشارته إلى أصحاب الأخدود وأصحاب الفيل وغيرها.

أما الفصل الثالث من مادة المبتدأ فيتناول القبائل العربية وعبادة الأصنام.

والفصل الرابع يتناول فيه أجداد النبي المباشرين وديانات أهل مكة ولا يعنى ابن إسحاق في هذا الفصل كثيراً بالأسانيد إلا نادراً^(١).

أما القسم الثاني فتناول فيه مبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مبتدئاً بحياته في مكة قبل البعثة ومراحل صباه وشبابه ثم معيشه وحاله وحال المسلمين في مكة قبل الهجرة إلى أن هاجر إلى المدينة وربما شمل أيضاً العام الأول من الهجرة، وإن ميزة هذا الجزء بأنه زاد فيه عدد الأسانيد خلاف سابقه حيث يعتمد على روايات أساتذته المدنيين في إيراد رواياته المسندة إلى جانب القصص المسندة أو غير المسندة^(٢).

إضافة إلى ذكره لوثيقة المدينة ثم قوائم بأسماء المتوفين الأولين^(٣)، وقائمة بأسماء

(١) نصار، نشأة التدوين التاريخي، ص ٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٢.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٦٧-٢٨٠.

المهاجرين إلى الحبشة^(١)، وقائمة بأسماء أول من أسلم من الأنصار^(٢)، فضلاً عن قوائم أخرى^(٣).

أما القسم الثالث الذي يسمى المغازي يذكر به ابن إسحاق حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة حين بدأ فيها من حيث انتهى القسم الثاني إلى التحاق النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرفيق الأعلى سنة (١١هـ - ٦٣٢م) إضافة إلى بعض الأحداث التي ترتبت بعد وفاة النبي مثل أحداث سقيفة بني ساعدة إضافة إلى ما شهدته وفاته ودفنه (صلى الله عليه وآله وسلم)، والملاحظ في هذا القسم تفاصيل كثيرة عن الأمور التي قام بها الرسول بالمدينة بدءاً من المؤاخاة ومروراً ببناء المسجد ثم وثيقة المدينة التي تعتبر دستوراً لها ثم أخبار غزوات الرسول وسراياه إضافة إلى التشريعات الصادرة من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذلك أخباره الشخصية وذكر أزواجه وعلاقاته بهن^(٤).

منهج ابن إسحاق في كتابة وتدوين السيرة

الشمول والاستيعاب لما يتصل بالسيرة النبوية المباركة، فقد جمع بين أي القرآن، والحديث النبوي، والوثائق، والأخبار الهامة، فقدم تاريخاً للنبوة وليس تاريخاً للنبي^(٥).

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٤-٢٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧١-٧٢.

(٣) هوروفنتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٨٥.

(٤) عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، بحوث في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، (دار السلام للطباعة والنشر، د.ت)، ص ٤٧.

(٥) عبد الحميد، علم التاريخ ومنهجا المؤرخين، ص ١٦١.

لم يقتصر في تدوين السيرة النبوية على علماء المسلمين بل ذهب إلى أخذ الرواية من غيرهم وذلك في الأخبار التي تخص مجتمعاتهم وديانتهم، فنراه يذكر بين رواة أهل العلم من أهل الكتاب الأول وأهل التوراة أو من يسوق الأحاديث عن الأعاجم، حيث يعد هذا تحولاً مهماً في مدرسة المدينة التي كانت مغلقة ولم تقبل أخباراً مثل هذه ولا رواة كهؤلاء فهو أول من اقترب بمدرسة المدينة من مدرسة اليمن في قبول هذه الأخبار^(١) حيث تنوع المصادر المعتمدة وتعددها مما أظهر آثاره في سعة الكتاب، واستيعاب ودقة وصفه وتحديده للأحداث^(٢).

إن تعامل ابن إسحاق مع الأسانيد ليس على منهجية واحدة، فأحياناً رواياته من دون أسانيد وكان ذلك في روايات المبعث مثل ذكره الأول من أسلم وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث ذكر حديثه هنا بدون إسناد^(٣)، وقد يستخدم أحياناً الأسلوب القصصي في رواياته^(٤).

ويعتمد في رواياته عن المغازي على الإسناد والتسلسل دون انقطاع مثل قال ابن إسحاق حدثني يزيد بن حبيب عن بكير بن عبد الله بن الأشجع عن سليمان بن يسار عن أبي إسحاق الدوسي عن أبي هريرة ثم يسرد الرواية الخاصة وفي هذا المورد يذكر بعث الرسول لسرية لتعقب أحد المطلوبين^(٥).

ويعتمد أحياناً الجمع بين الأسانيد وتوحيد الخبر - أو ما يسمى بالإسناد الجمعي

(١) نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ص ٦٣.

(٢) عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ص ١٦١.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٦٢.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨-١٩-٢٢-٢٥-١٤٥.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣١٢.

- ينتقل بذلك الخبر إلى المتلقي ويقدم الحدث التاريخي بصورة واحدة متكاملة جمعها من عدة روايات مختلفة، فقد لا تعطي الواحدة منها الحدث بتمامه، ويمكن اعتبار ذلك من الإنجازات الكبيرة والمهمة في العمل التاريخي حيث يحسب لابن إسحاق إجادته في تلك المواضيع ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن هشام^(١) في بداية ذكره لمعركة أحد حيث أعطى مجموعة من الأسانيد المتداخلة ليخرج بمحصلة واحدة وهي سرد حادثة المعركة بكل تفاصيلها ودقائقها - مثال على ذلك - (وكان من حديث أحد، كما حدثني محمد بن مسلم الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد) وهناك مجموعة من التعبيرات التي تتقدم رواياته دون ذكر الإسناد، أو أن يكتفي بذكر العبارة فقط مثل ((حدثني بعض أهل العلم))^(٢)، و((حدثني من لا أتهم))^(٣)، و((فيما بلغني عن...))^(٤)، وبعض الأحيان يذكر ((وحدثني رجل من أسلم، كان واعية))^(٥) ويذكر تعبيراً آخر في إسناد روايته ((فحدثني من يسوق الأحاديث عن الاعاجم من توارثوا من علمه))^(٦) وغيرها من العبارات التي يضعها أمام رواياته الغير مسندة، والذي نريد أن نصل إليه أن ابن إسحاق لم يتقيد بالإسناد مطلقاً بل يورد الحادثة حسب ما حصل عليها وبذلك يمكن القول بأن أسانيد ابن إسحاق بعضها موصول وبعضها منقطع

(١) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٠، ج ٢، ص ١٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٤.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٣.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١١.

(٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٢٨.

أو منفصل وهناك أخبار يوردها دون إسناد^(١).

انفرد ابن إسحاق عن باقي الرواة بكثرة الأشعار التي ادخلها في كتابه، حيث افزعت كثرتها معاصريه ومن بعدهم، إذ لم يكن يتحقق من صحة الشعر بل يدخل ما يحصل عليه دون تحقيق، وعدت هذه الحالة من المآخذ على ابن إسحاق في تدوينه السيرة النبوية، حيث ذكر الحموي^(٢) ((كانت تعمل له أشعار فيضعها في كتب المغازي فصار بها فضيحة عند رواة الأخبار والأشعار)).

لكن أحد المستشرقين^(٣) اعتذر عنه بأنه اقتبس بعض الأشعار لتزيين تاريخه لا لصحتها عنده فهو ما كان يتمسك بأنها صحيحة لو ثبت غير ذلك، لكن فن الكتابة التاريخية اعتاد إدخال الشعر للتولية منذ الجاهلية، وحتى ابن إسحاق نفسه يورد عدم تأكده من تلك الأشعار التي ينقلها مثال ذلك في سرية حمزة آل سيف البحر وعبدة حيث كانا معاً، وذكر قد زعموا أن حمزة قال شعراً يذكر فيه أن رأيه هي أول راية عقدها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم يقول إن كان حمزة قال ذلك - يقصد الشعر - فقد صدق إن شاء الله^(٤). . . من خلال ذلك يظهر أن سوقه للشعر كان كمحل للشاهد وليس للبعد التاريخي للرواية وبيان مدى صحتها.

اخترق في كتابه هيمنة الاتجاه الثقافي الأموي من خلال فكه للحصار الثقافي الذي قام به الأمويون على ذكر علي وآل علي وعامة بني هاشم والأنصار حيث فاق أستاذه الزهري الذي كان يدور في فلك الحكام الأمويين ولكنه لم يستطع التجرد بالكامل

(١) هادي، منهجية ابن إسحاق في تدوين السيرة النبوية، ص ٣٢.

(٢) معجم الأدباء، ج ١٨، ص ٨.

(٣) هوروفنتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٩٣.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٤٦.

من آثار ذلك الحصار، وكانت بصمات الأمويين واضحة في تغذية الفكر المعادي لبني هاشم والأنصار حيث اعتبر أحد الباحثين^(١) من الأمثلة على ذلك ((اسقاط ذكر خطبة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم غدیر خم، عن طريق عودته من حجة الوداع وهو حق هام لا ينبغي أن يغيب عن كتاب جمع من تفاصيل السيرة ما جمعه هذا الكتاب)). إلا أن الباحث يرى من وجهة نظره أن إسقاط تلك الخطبة ليس خشية من الأمويين إنما من ضمن التهذيبات والتلطيفات التي عملها ابن إسحاق في السيرة بعد أن طلب منه المنصور تهذيبها لأن قضية خلافة الإمام علي لا تريح العباسيين وهذا ما سنناقشه في مورده إن شاء الله.

اهتمامه بإيراد الأنساب وأسماء القبائل التي ينتمي إليها الشخصون الذين يعرض لهم ولأعمالهم ولدورهم في أحداث عصرهم عند حديثه عن حوادث عصر الرسالة^(٢)، وذلك يرجع إلى الشأن الكبير للنسب عند العرب حيث اهتم العرب كثيراً بالأنساب لا سيما عرب البادية فيذكر أحد الكتاب^(٣) ((فعلى نسب المرء في البداية تقوم حقوق الإنسان بل حياته في الغلب، فنسب الإنسان هو الذي يحميه)) فلذلك كان التأثير واضحاً على ابن إسحاق عند كتابة السيرة، فإسقاطات المرحلة كانت واضحة على سيرة ابن إسحاق.

(١) عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ص ١٦٢.

(٢) نصار، تطور كتابة السيرة النبوية، ص ١٠٥.

(٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط ٢، د. م. ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣)، ج ١، ص ٤٦٦.

عصر ابن إسحاق السياسي

لقد أشرنا إلى أن ولادة ابن إسحاق كانت سنة (٨٠هـ - ٦٩٩م) أو على رأي آخر سنة (٨٥هـ - ٧٠٤م) ومن ذلك يتضح أن ولادته كانت زمن خلافة عبد الملك ابن مروان (٦٥هـ - ٨٦هـ) (٦٨٤م - ٧٠٥م) إلا أن ابن إسحاق بلغ السن الذي يؤهله للدراسة والتعلم زمن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٩٩هـ - ١٠١هـ) (٧١٧م - ٧١٩م)، وقبل الخوض في المؤثرات السياسية في حياة ابن إسحاق العلمية لا بد لنا من إلقاء نظرة ولو بشكل مبسط على نهج آل أمية السياسي وكيف كان تعاملهم مع معارضيتهم آنذاك لتتضح الصورة أكثر، فسياسة الأمويين هي سياسة العداوة المستحكم لخصومهم السياسيين ومنهم العلويون وكل أتباعهم ومريديهم، حيث عمدوا إلى محاربتهم بكل ما أوتوا من قوة بدءاً من مؤسس دولتهم معاوية بن أبي سفيان (٤١هـ - ٦٠هـ) (٦٦١م - ٦٧١م) مروراً بالحكام من بعده ولا بأس أن نذكر الرواية الآتية كمحل شاهد على ذلك العداوة وجذوره ((لما مات الحسن ابن علي (عليه السلام) حج معاوية فدخل المدينة وأراد أن يلعن علياً على منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقبل له إن هنا سعد بن أبي وقاص ولا نراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخذ برأيه، فأرسل إليه وذكر له ذلك، فقال: إن فعلت لأخرجن من المسجد ثم لا أعود إليه فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد، فلما مات لعنه على المنبر وكتب إلى عماله أن يلعنوه على المنابر، ففعلوا، فكتبت أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى معاوية أنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، وذلك تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله))^(١).

(١) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد ت (٣٢٨هـ - ٩٤٩م)، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م)، ج ٥، ص ١١٤.

من خلال الرواية يتضح العداء المستحكم والبغض لعلي وآل علي ونحن هنا لا نريد مناقشة تفاصيل ذلك لكن الذي يهمنا لبيان النهج السياسي الأموي إزاء خصومهم، وقد كتب المقرئزي^(١) (وهو أحد المتأخرين) مؤلفاً في هذا الصدد أسماه (النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم) لبيان العداء الأموي للهاشميين وبالخصوص علي وآل علي، يذكر فيه مثالب بني أمية وما فعلوه بالمسلمين وكيف وضعوا الأمور بأكملها إلى صالحهم من أجل مصالحهم السياسية رغم ماضيهم البعيد كل البعد عن الدين ونصرته.

وقد يتصور المرء تاريخ عصابة كهذه وهو تاريخ قائم على الحقد والكرهية لكل من عارضهم - وهم الذين أخذوا الخلافة دون وجه حق - كيف يكون تأثيرهم على مناحي الفكر الإسلامي وعلى التاريخ الحقيقي للإسلام والمسلمين.

إن القاعدة لدى السلاطين في الدولة الأموية أصبحت تقوم على أن أي شخص مالم يترض على خصوم الإمام علي (عليه السلام) لا يعد من أهل السنة، وأن مجرد التشيع لعلي وآل بيته (عليهم السلام) يوجب الطعن في قائله ووضع موضع التهمة والشك^(٢).

وقد كان الأمويون ممن وضعوا الأساس النظري والعملي لهذه القاعدة حيث كل من انتهج غير سياسة الأمويين المعادية لأعدائهم بالخصوص للعلويين يعد من الذين لا يمكن الاحتجاج بروايته وضعف حديثه مهما كانت درجته العلمية وقد كان

(١) ينظر، تقي الدين ت (٨٥٤هـ - ١٤٥٠م)، النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم، تحقيق حسين موسى (دار المعارف - القاهرة، د.ت).

(٢) الحيدري، كمال، معالم الإسلام الأموي (ط٣)، مؤسسة الهدى للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٣٢هـ - (٢٠١١م)، ص ١٨٧.

واضحاً ذلك المقياس الذي وضعه الأمويون حيث استمر فيها بعد وأصبح كقاعدة ملزمة للجميع من الذين أعقبوا بني أمية، فذكر ابن حجر^(١) في مقدمة كتاب فتح الباري عندما يعد من يوالي علياً وآل علي بأنه شيعي مطعون بصحة أقواله حيث يقول: ((والشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غالٍ في تشيعه ويطلق عليه رافضي وإلا فشيوعي فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فقال في الرفض وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو)).

هذه المنطلقات الفكرية التي يحكم على كل من يعتقد غير اعتقادهم، ببطلان حديثه وضعفه حيث طعن الأمويون وعلماء الدين الذين يدورون في فلكهم السياسي بكل العلماء والحفاظ والأئمة لا لشيء إلا لطعنهم في معاوية، ولم يشفع لهم حتى القول بأفضلية الشيخين على علي (عليه السلام)، وقد أخذ الكثير من الكتاب تطبيق تلك القاعدة في مصنفاتهم وكتبهم^(٢). وبما أن ابن إسحاق نشأ وترعرع في هذه الأجواء الفكرية المسيطرة عليها السياسة بدرجة كبيرة جداً فلا شك تكون هناك مردودات على سلوكه العلمي بشكل خاص وحياته بشكل عام سواء أكان سلباً أم إيجاباً.

وهذا الوضع السياسي المأزوم رافقته مواقف سلبية للأمويين من تدوين السيرة النبوية حيث كانت بداية التدوين للسيرة في خلافة عبد الملك وقد أشرنا إلى ذلك من خلال حديثنا عن أبان بن عثمان وطلب سليمان بن عبد الملك من أبان تدوين السيرة ومغازي النبي سنة (٨٣هـ - ٧٠٢م) وقد بيننا ذلك فيما مر سابقاً.

وكانت المحاولة الأخرى أيضاً هي طلب خالد بن عبد الله القسري من الزهري

(١) ابن حجر، أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ت (٨٥٢هـ - ١٤٤٦م) هدي الساري في مقدمة فتح الباري، (ط ٤، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ص ٤٦٠.

(٢) الحيدري، معالم الإسلام الأموي، ص ١٨٨.

تدوين السيرة النبوية فلما أخبره الزهري إن ذلك سوف يمر على ذكر علي بن أبي طالب ولا يمكن تجاوزه رفض خالد وطلب منه الكف عن التدوين كما بينا سابقاً.

إذاً ابن إسحاق نشأ في جو كهذا رافضٍ لكل حقيقة تقال مهما كان أمرها إلا أن هناك فتوراً حصل في حدة تلك السياسة خلال خلافة عمر بن عبد العزيز. بعد أن كان حصاراً أمويّاً شاملاً على رواية الحديث والسيرة إلا أنه رُفِع شيءٌ من ذلك الحصار خلال مدّة خلافة عمر وهي مدّة قصيرة من عمر الدولة الأموية، ولكن سرعان ما عادت تلك السياسة إلى ممارسة أفعالها السابقة نفسها في خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١هـ - ١٠٥هـ) (٧١٧م - ٧٢١م) وبعده هشام بن عبد الملك (١٠٥هـ - ١٢٥هـ) (٧٢١م - ٧٤٢م) الذي استمر بسياسة أسلافه نفسها، وقد حصلت في عهده ثورة زيد بن علي في الكوفة التي أدت إلى استشهاده على يد هشام بن عبد الملك سنة (١٢١هـ - ٧٣٨م)^(١).

من خلال ما تقدم يتضح لنا الوضع السياسي العام الذي عاش فيه محمد بن إسحاق وبدأ باكورة حياته العلمية فقد بقي في المدينة لم يغادرها مطلقاً إلا مرة واحدة (١١٥هـ - ٧٣٣م) وعاد إليها بعد مدّة من الزمن ومن الملاحظ أن ابن إسحاق لم تكن له علاقة ودية مع الحكام الأمويين، فلم نسمع أنه قام بزيارة إلى عاصمتهم دمشق وذلك عكس استاذة الزهري الذي كانت له علاقات مميزة وواضحة ووثيقة مع الأمويين، ولعل موقف ابن إسحاق من الأمويين يمكن أن نعزوه إلى تشييعه أو كما علل أحد الباحثين^(٢) للموقف السلبي الذي اتخذته أهل المدينة من الأمويين بعد

(١) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ت (٢٩٢هـ - ٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي، تعليق خليل منصور، (مؤسسة العطار الثقافية - النجف، د.ت)، ج ٢، ص ٢٢٨.

(٢) عبد اللطيف، بحوث في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ص ٣٥.

واقعة الحرة سنة (٦٣هـ - ٦٨٢م)، وقد قتل الكثير من أهل المدينة نتيجة تلك الحادثة المشهورة^(١).

إلا أننا نميل إلى السبب الأول على الرغم من عدم جزمنا بتشييعه حيث كانت تهمة التشيع تلصق بكل شخص يكتب عن علي بن أبي طالب وآل علي وابن إسحاق واحد من هؤلاء؛ لأن كاتب السيرة النبوية لا يمكن له إغفال دور الإمام علي المحوري فيها. فالمؤثرات السياسية القائمة في أي عصر ومنها عصر ابن إسحاق لابد أن تلقي بظلالها وتأثيرها على أوجه الحياة المختلفة ومنها الحركة العلمية بشكل خاص، وأن رضا رجال السياسة عن العلماء كان يعطيهم فرصة كبيرة في حرية الحركة والتجوال في البلاد وزيارة المراكز الهامة آنذاك.

إلا أن المتغيرات السياسية التي تحصل تساعد على تغير واقع الحال، فبعد سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية (١٣٢هـ - ٧٤٩م) وتولي أبي العباس السفاح الحكم (١٣٢هـ - ١٣٦هـ) (٧٤٩م - ٧٥٣م)، دخل ابن إسحاق في مرحلة جديدة من حياته فقد رحل فور حصول ذلك التغير الذي مكن ابن إسحاق من إظهار ما كتبه من مؤلف عن السيرة النبوية إلى العلن وتمكن من ممارسة حياته العلمية والفكرية بشيء من الحرية وقد تطرقنا إلى ذلك في ذكر رحلاته العلمية المتعددة واستقراره النهائي في بغداد عاصمة العباسيين حيث توفي فيها هناك سنة (١٥١هـ - ٧٦٨م)^(٢)، ولعل الموقف العباسي المناهض للعلويين أيضاً قد ألقى بظلاله على موقف ابن إسحاق من السيرة النبوية حيث اقتصر سيرته على ذكر بعض فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقد لا يروق للسلطات السياسية ذكر فضائل علي

(١) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج ٥، ص ١٦٣.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٣٢.

بن أبي طالب كلها، فقد وقع ابن إسحاق مرة أخرى بين متناقضين المنهجية العلمية الصحيحة والرواية السليمة التي تعتمد على الصدق ورغبات وميول العباسيين القائمة على مصالحهم ورغباتهم السياسية.

وفي ذلك يقول ابن عدي ت (٣٦٥هـ-٩٧٦م): ((لولا لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء إلا الاشتغال بمغازي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومبعثه ومبتدأ الخلق لكانت الفضيلة سبق بها، ثم من بعده صنفها قوم آخرون فلم يبلغوا مبلغ ابن إسحاق منها، وقد فتشت أحاديثه كثيراً فلم أجد من أحاديثه ما أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ أو أوهم في الشك بعض الشيء كما يخطأ غيره ولم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة وهو لا بأس به)).

المبحث الثالث

عبد الملك بن هشام ودوره في تهذيب السيرة النبوية

عبد الملك بن هشام ت (٢١٨هـ - ٨٣٣م)

ابن أيوب الحميري المعافري وقيل الذهلي^(١)، العلامة النحوي الإخباري^(٢)، وكنيته أبو محمد، إلا أن قسماً من الرواة من يرده إلى معافر بن يعفر^(٣)، وهم قبيلة كبرى نزع إلى مصر منها جمهرة كبيرة، ومنهم من يرده إلى ذهل^(٤)، كما يرده آخرون إلى سدوس^(٥)، حيث لم يكن هناك رأي فاصل في هذا الشأن^(٦)، وهو من مشاهير حملة العلم، وكان له علم متقدم في علم النسب والنحو^(٧).

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ١٤٢.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١، ص ٤٢٨.

(٣) معافر بن يعفر: معافر بالفتح وهو اسم قبيلة من اليمن، وهو معافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن ادد بن هميسع بن عمرو بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ينظر الحموي، ياقوت، ت (٦٢٦هـ - ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ج ٥، ص ١٥٣.

(٤) ذهل: وهو بطن من بطون بكر بن وائل وهو ذهل بن ثعلبة بن عطابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل ينظر النويري، نهاية الارب، ج ٢، ص ٣٣٢.

(٥) السدوسي: بفتح السين وضم الدال المهملتين وسكون الواو وفي اخرها سين أخرى هذه النسبة إلى سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عطابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل. ينظر، ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري ت (٦٣٠هـ - ١٢٣٢م)، اللباب في تهذيب الأنساب، (دار صادر - بيروت، د.ت)، ج ٢، ص ١٠٩.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ف (مقدمة المحقق).

(٧) السهيلي، الروض الانف، ج ١، ص ٢٤.

نشأ ابن هشام في البصرة ثم ارتحل إلى مصر وسكن فيها^(١)، لكن المصادر لاتذكر سبب رحلته إلى مصر واكتفت بالإشارة إلى ذلك دون توضيح لهذا الانتقال وفي أي مرحلة من مراحل حياته، إذ لم يذكر له أنه عاش في غير هذين المصرين وقد علل بعض المهتمين^(٢) في دراسة شخصيته أن حياته لم تكن محصورة بين هذين المصرين وخاصة في عصر كان يأخذ العلم سماعاً، وكانت الرحلة في طلبه ديدن العلماء^(٣).

ولكن نستبعد ذلك من وجهة نظرنا؛ لأنه لو كان ذلك صائراً على الواقع لذكره من ترجم له وهذا متعارف عليه بذكر الرحلات العلمية لمن يترجم له من قبل العلماء، إلا أن الواضح من خلال دراسة سيرته أن ابن هشام لم يكن من ذوي الاختصاص في الرواية والتاريخ حيث كانت اهتماماته لغوية وقد أثر ذلك تأثيراً كبيراً في اختيار الأخبار وفي إيرادها، وقد ذهبت بعض اهتمامات ابن إسحاق التاريخية والإخبارية ضحية دقة ابن هشام اللغوية^(٤)، وقد اختلف في تاريخ وفاته فمنهم من ذكر ذلك في (٢١٣هـ - ٨٢٨م)^(٥) وآخر ذكر وفاته (٢١٨هـ - ٨٣٣م)^(٦).

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ف.

(٢) هذا ما ورد من ترجمة ابن هشام، محققو السيرة النبوية (مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي) ينظر ابن هشام السيرة النبوية، ج ١، ص ف.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١ ص ف.

(٤) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ٥، (مقدمة المحقق سهيل زكار).

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ١٤٣، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ت (٧٧٤هـ - ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد الحسن تركي (هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ - ١٩٨٩)، ج ٤، ص ١٨٩، الحموي، معجم الأدباء، ج ٢، ص ٥٨.

(٦) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ت (٥٩٧هـ - م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٢م)،

أما آراء العلماء فيه فذكر القفطي^(١) ((بصري، قدم مصر وحدث بها المغازي وغيرها روى المغازي عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق كان ثقة))، أما السهيلي^(٢) فذكر ((أما عبد الملك بن هشام فمشهور بحمل العلم، متقدم في علم النسب والنحو)) وقد ذكره ابن الجوزي^(٣) ((أنه كان ثقة))، وفي أثناء وفادته وإقامته فيها التقى الشافعي، حيث ذكر الدارقطني عن المزني قال: ((قدم علينا الشافعي وكان بمصر عبد الملك بن هشام صاحب المغازي، وكان علامة أهل مصر بالعربية والشعر. فقيل له في المصير إلى الشافعي، فتثاقل ثم ذهب إليه فقال ما ظننت أن الله يخلق مثل الشافعي))^(٤).

وقد تناشدا من أشعار العرب أشياء كثيرة^(٥) حيث امتدح ابن هشام الشافعي بعد لقائهما وكان يقول الشافعي حجة الله في اللغة^(٦)، وقد لاحظنا من خلال الإطلاع على مصادر ترجمة ابن هشام أنه كان من ذوي الاختصاص في اللغة والأدب وهذا واضح تماماً من خلال شهادته بأن الشافعي حجة في اللغة والشافعي لم يكن علمه الأول في اللغة وإنما كما هو معروف أنه فقيه ومحدث^(٧).

(١) علي بن يوسف ت (٦٢٤هـ - ١٢٢٦م، إنباه الرواة عن انباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة العصرية - صيدا، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٤م)، ج ٢، ص ٢١١.

(٢) القفطي، إنباه الرواة، ج ٢، ص ٢١١.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١، ص ٣٧.

(٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٤٢٩. ينظر الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٩، ص ١٤٣.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٣٠٨.

(٦) السيوطي، جلال الدين ت (٩١١هـ - ١٥٠٥م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (د. م. ط)، ج ٢، ص ١١٥.

(٧) ينظر الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٧.

فابن هشام بتهذيبه لسيرة ابن إسحاق التي بقيت مقترنة باسمه وكان صاحبها الحقيقي ابن إسحاق لم يكن هو من جمع تلك السيرة وأنجز ذلك الإنجاز فقد كان لغرام المصريين بها كما ذكر القفطي^(١) ((وللمصريين بها فرط غرام وكثرة روايته وعن المصريين نقلت إلى سائر الآفاق)).

إنَّ الاهتمام الواضح من قبل المصريين في مؤلفات كهذه من نتاج علمائهم جعل سيرة ابن هشام تصل إلينا وبهذه الكيفية، وإن إزدهار الحركة العلمية في مصر مع وجود ابن هشام أعطى دافعاً معرفياً كبيراً فبقي نتاج ابن هشام محفوظاً إلى أن قبض الله له الأستاذ فستفيلد فقام على تحقيقه وطبعه بمدينة جو نتجين بألمانيا سنة ١٨٥٩ م، ومنذ ذلك الوقت ظهر مطبوعاً وعرف الناس قيمته^(٢).

إنجازات ابن هشام العلمية

ذكر سزكين^(٣) آثار ابن هشام وهي سيرة محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو ما يعرف بالسيرة النبوية وكانت بدايات تحقيقها على يد الأستاذ فستفيلد كما ذكرنا أعلاه غير أن سزكين يذكر أنها ترجمت إلى الألمانية وطبعت في اشتونجارت سنة ١٨٦٤ بينما ذكرنا أن أحد الباحثين ذكر أول طبعة لها على يد المحقق نفسه كان سنة ١٨٥٩ فيعتقد أن سزكين ذكر هنا الطبعة الثانية لها، ولكن الذي قام بتحقيقها وطبعها هو فستفيلد لكي يظهرها إلى العلن بشكل كتاب مبوب ومطبوع ثم بعد ذلك نشر السيرة محمد محي الدين عبد الحميد من أربعة مجلدات في القاهرة ١٩٣٧ م

(١) إنباه الرواة، ج ٢، ص ٢١١.

(٢) عبد اللطيف، بحوث في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ص ٥٠.

(٣) تاريخ التراث العربي، ج ٢، ص ١٠٨. ينظر بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ٣، ص ١٢.

ثم نشرها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي بالقاهرة ١٩٥٥م، وقد أشار سزكين أيضاً إلى أن هناك قطعة تناولت بيعة العقبة الثانية من السيرة مدونة على جلد قديم توجد في فينا ضمن مجموعة الدوق راينر وقد نشرتها نبيهة عبود في دراستها للبرديات العربية.

الإنجاز الثاني لابن هشام (كتاب التيجان في ملوك حمير)

ولهذا الكتاب أهمية خاصة؛ لأنه يجمع بين الحداثة التاريخية والقصص الديني، وبين الخرافة والاسطورة، والاهتمام به ليس الاهتمام بالتاريخ فقط فهو لا يشكل مرجعاً تاريخياً أو مصدراً علمياً وإنما يأتي الاهتمام به والحرص عليه من أنه كتاب فني يسجل ميلاد فجر القصة العربية وطريقة روايتها.

وقد ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام (١٣٣٧هـ - ١٩١٨م) بمجلس إدارة المعارف العثمانية في الهند ببلدة حيدر آباد، وقد تم العثور على النسخة الأصلية في صنعاء وهي نسخة قديمة يبلغ عمرها خمسمائة عام تقريباً، فقد انتهى كاتبها كتابتها سنة (١٠٣٤هـ - ١٦٢٤م)، أما النسخة الثانية التي قوبلت بها النسخة الأصلية فقد كانت محفوظة في المتحف البريطاني بلندن تحت رقم ٢٩٠١، وقد فرغ ناسخها من كتابتها في غرة شهر شعبان (١٠٣١هـ - ١٦٢١م) وناسخها هو أحد أبناء اليمن، ويعد ما قام به عبد الملك بن هشام تهذيباً لرواية وهب بن منبه وقام بإخراجها بكتاب جديد أطلق عليها العنوان المذكور^(١).

إلا أننا سوف نسلط الضوء في دراستنا على كتابه الأول وهو السيرة النبوية لتتعرف على أسباب التهذيب وغيرها من الأمور في الموارد القادمة.

(١) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، التيجان في ملوك حمير، تحقيق مركز الدراسات والبحوث اليمنية، (مركز الأبحاث والدراسات اليمنية - صنعاء، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م، ص ٨.

أسباب تهذيب السيرة النبوية

إن قيام ابن هشام بعمل تهذيب السيرة لم يأت اعتباطاً أو ترفاً فكرياً وإنما جاء لأسباب وضرورات اعتقد ابن هشام أنها توجب القيام بذلك العمل الذي جعل السيرة النبوية تقترب باسمه حيث أصبح التلازم واضحاً بين الاسم والمهذب، أما ابن إسحاق صاحب السيرة الأصلي ومؤلفها الأول لم يذكر له اسم في هذا الكتاب سوى اسمه في رواياته المهذبة التي أتى بها ابن هشام، فقد ذكر محققو السيرة في مقدمتهم ((ثم قيض الله لهذا المجهود - مجهود ابن إسحاق - رجلاً له شأن، هو ابن هشام فجمع هذه السيرة ودونها، وكان له فيها قلمٌ لم ينقطع عن تعقب ابن إسحاق في كثير مما أورده بالتحريير، والاختصار، والنقد، أو يذكر رواية أخرى فاتت ابن إسحاق ذكرها هذا إلى تكملة أصنافها وأخبار أتى بها))^(١).

إن ابن هشام لم يهذب السيرة فقط كما هو معلن بل أضاف إليها إضافات أخرى وذكر أسباب ذلك بالقول: ((وانا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل ابن إبراهيم، ومن ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ولده، وأولادهم لأصلابهم، الأول فالأول من إسماعيل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما يعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل، على هذه الجهة للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتارك بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه ذكر، ولا تزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث بها، وبعض يسوء الناس

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ١ (مقدمة المحقق).

ذكره، والبعض لم يقر لنا البكائي بروايته، ومستقص إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به^(١).

إن نظرة فاحصة لكلام ابن هشام يمكن أن نستدل منها على خمسة أسباب جوهرية حسب اعتقاده في تهذيب السيرة:

الاختصار حيث كان هدفه الأول المعلن للتهذيب والاختصار وترك كل شيء ليس له صلة بنسب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

الزيادات في الأشعار حيث قدم على حذفها لم ير أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها.

أشياء غير مقبولة الحديث بها ولم يبين لنا نوعية تلك الأشياء والأمثلة عليها وماهي شناعة الحديث بتلك الأمور؟

بعض الأمور كانت غير مقبولة لدى فئة معينة من الناس ولم يوضح من هؤلاء الناس الذين لا يقبلون ما ورد في سيرة ابن إسحاق وهل تلك مستندة إلى أسانيد صحيحة أو غير ذلك.

وبعض لم يروه البكائي لابن هشام ولكن ابن هشام تمكن من الحصول عليها من روايات أخرى، وفي تلك الفقرة يبين ابن هشام أنه لم يقم بالتهذيب فقط بل أضاف إضافات أخرى.

وعند مناقشة أسباب ابن هشام وحسب ما تقتضيه متطلبات البحث، وبالعودة إلى السبب الأول من الأسباب المعلنة التي دعت ابن هشام إلى تهذيب السيرة فإن حذف

(١) السيرة النبوية، ج ١، ص ١ (مقدمة المحقق).

الزيادات في السيرة التي ذكرها ابن إسحاق وهي غير داخلة في موضوع السيرة أصلاً وهي الأمور المختصة بالأنبياء والرسل الذين ليس محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من أصلهم فبذلك تصبح السيرة كبيرة وواسعة وهذا خلاف المنهج الذي أريد له من التأليف إلا أنه هناك إشارات إلى أن السيرة التي تقدم بها ابن إسحاق بطلب المنصور هي مهذبة في الأصل حيث يذكر الخطيب البغدادي^(١) أن سبب تأليف ابن إسحاق للسيرة كان بطلب المنصور وذكرنا ذلك في موضعه المناسب إلا أن المنصور كما رأى أن الكتاب كبير ومطول قال له: ((لقد طولته يا ابن إسحاق اذهب فاختره فهو هذا الكتاب المختصر)) أما الكتاب المطول ألقى في خزانة المنصور. إذاً السيرة النبوية لابن إسحاق أصلاً هي مهذبة وأصبحت في شكل ارتضاه المنصور.

لكن هذا لا يعني أن ابن هشام أخطأ في عملية التهديب للسيرة النبوية لابن إسحاق لكن هذه العملية اعتبرت كعملية جراحية مشوهة قام بها ابن هشام حيث اختصر المختصر وهذبه^(٢). وقد ذكر أحد الباحثين^(٣) ((أن الذين تناولوا السيرة بالتلخيص والاختصار ومنهم ابن هشام، إنما خففوا من ثقل الكتاب بعض أخباره التي استبعدوها غير مؤمنين بصحتها، ناقلين من الأخبار ما يرون فيه القرب من الحق، ومستبعدين ما لا يجري في ذلك مع فكرتهم وعقيدتهم مفندين إياه رادين له))، وهذه الفكرة الأساسية (حسب اعتقادنا) المستوحاة من عملية التهديب للسيرة هي ترك كل ما لم يؤمن به أصحاب نظرية التهديب من أفكار يعتبرونها بعيدة عقائدياً

(١) تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٢١.

(٢) ناجي، عبد الجبار، نقد الرواية التاريخية (منشورات دار الجمل - بغداد، ٢٠١١)، ص ٤١.

(٣) اليوسفي، محمد هادي، موسوعة التاريخ الإسلامي، (اضواء الحوزة - لبنان ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)،

وفكرياً عما يرون ويعتقدون به، وهذا الأمر فيه مجافاة للحقائق العلمية وبعيدة عن روح الحياد المطلوبة لمن يتناول أي حقل من حقول العلم.

إنَّ تهذيب ابن هشام لسيرة ابن إسحاق حذف ما سماه الزوائد وكل ما ليس له صلة بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا يتنافى مع منهج ابن إسحاق الذي اعتمده في السيرة حيث تعد أهم مزية له هي سبكه المنظم للمعلومات الواردة في السيرة التي لا يمكن أن تكون من بنات أفكاره وحدها، بل هي مزيج من عمل شيخه الزهري وسائر المصنفين الذين لهم باع في هذا العمل قبل ذلك^(١).

ويمكننا القول إن السيرة النبوية لابن إسحاق هي عمل متكامل ومنظم أما التهذيب فهو أمر أريد به تسويق أمور معينة تكون متماشية مع الواقع السياسي والمذهبي آنذاك وهذا ما سيتضح من خلال مناقشاتنا لاحقاً.

أما الرجوع إلى مناقشة النقطة الثانية التي دعت ابن هشام إلى التهذيب فهي رفع الأشعار التي تكون منحولة ودخيلة على الشعر مستخدماً في ذلك إمكاناته في هذا المجال على اعتباره إماماً في اللغة والنحو^(٢).

ولابدَّ لنا في البداية من إلقاء نظرة ولو بسيطة على أهمية ومكانة الشعر عند العرب سواء في الجاهلية أم بعد مجيء الإسلام، فقد ورد عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً))^(٣).

(١) جعفریان، رسول، سيرة سيد الأنبياء والمرسلين (محمد) جامع المحامد (دار الرسول الأكرم - بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، ص ٨٤.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٣٠٨.

(٣) أبو خطاب القرشي، أبو زيد، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق محمد علي الجبجوي (نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت) ص ٣٤.

وفي الرواية الآتية عن الشعبي قال: ((أتى حسان بن ثابت إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا رسول الله: إن أبا سفيان بن الحارث^(١) هجاك، وأسعده على ذلك نوفل بن الحارث^(٢) وكفار قريش، أفتأذن لي أن أهجوهم يا رسول الله؟ فقال كيف تصنع بي؟ فقال: أسلك كما تسلّ الشعرة من العجين! قال له: اهجهم روح القدس معك))^(٣).

وفي مورد آخر قال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): ((الشعر كلام العرب جزل تتكلم به في نواديبها، وتسلب به الضغائن بينها))^(٤).

كان الشعر مهماً جداً عند العرب فقد وثق به أحداثهم ومآثرهم، وكان الوسيلة الإعلامية البارزة في توثيق الأحداث والذي يهمنها هنا هدف ابن هشام من تهذيب الأشعار فنذكر هنا الإشارات لتلك الأهداف من وراء تهذيب ابن هشام للشعر الوارد في السيرة.

إلا أن ابن هشام بإقدامه على تهذيب وحذف بعض الأشعار التي أوردها ابن إسحاق كمحل لشاهد الحدث التاريخي الذي يورده فقد ضعف الرواية التاريخية لاقتران تلك الأشعار بالأحداث التاريخية وسوف نورد على سبيل المثال أحد تلك

(١) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، كان شاعراً ويهجو أصحاب رسول الله، وكان مباعداً للإسلام شديداً على كل من دخل فيه وكان كذلك يهجو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله حنين وغيرها من مشاهد الرسول ويقال توفي سنة ٢٠ هـ. ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٤٥-٤٦.

(٢) نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أخو أبو سفيان بن الحارث وربيعة بن الحارث مات لستين من خلافة عمر بن الخطاب. ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ٥٨.

(٣) ابن الخطاب، جمهرة أشعار العرب، ص ٣٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٥.

الشواهد وهي شك ابن هشام في القصيدة اللامية التي قالها أبو طالب حيث كان شكه ليس في نسبة قائلها بل قال فيها ((ويعض أهل العلم بالشعر ينكرون أكثرها))^(١).

من غير أن يردف بقوله (له) مما يجعل الإنكار على أبيات القصيدة وليس على قائلها ويوحي من خلال طرحه لذلك أن الأبيات موضع الشك هي من وضع الوضاعين حيث وضعت لأسباب معينة، ولا سيما إن في القصيدة تعريضاً ببعض الشخصيات من زعماء قريش الذين كان لأبنائهم في ما بعد أثرهم السياسي في تولي دفة الحكم في العهدين الأموي والعباسي، فكان هؤلاء القلة من أهل العلم أسقطوا من الأبيات الشعرية في هذه القصيدة التي تسيء إلى مسامع سلطة الحاكم فحكموا عليها أنها موضوعة، وجاء من بعدهم تبع قال بقولهم، لما لهذه القصيدة من وقع خاص يعرفه ابن هشام وغيره وقد حرص ابن هشام على ذكر (أهل العلم) للأمانة العلمية وإن كان يخالف رأيه وقد خفض حدة الشك إلى أقل قدر ممكن، فأثبت ما اعتقد بصحته وإن خالفهم وهذا يدل على أن الشك في أبيات القصيدة ضعيف لا تؤيده أدلة قاطعة، حيث أبقى ابن هشام الشك بدرجة ترجيحية، وقد ذكر ابن أبي الحديد^(٢) رأيه في القصيدة اللامية لأبي طالب والذي شكك ابن هشام فيها معللاً ذلك لإنكار أهل العلم لها حيث يعتبر شهرتها كشهرة (قفا نبكي)^(٣) وإن جاز الشك

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٩٩.

(٢) شرح النهج، ج ١٤، ص ٢٧٢.

(٣) ((قفا نبكي)) مطلع معلقة الشاعر امرئ القيس بن حجر بن عمرو الكندي

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ينظر الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين ت (٤٨٦هـ - ١٠٩٣م) شرح المعلقات العشر،

(دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٩٨٣م)، ص ٢٩.

فيها أو في شيء من أبياتها جاز الشك في (قفانك) وفي بعض أبياتها.

ويذكر استشهاده على صحة القصيدة وهي حادثة المبارزة بين عبيد بن الحارث ابن عبد المطلب وعتبة بن ربيعة حيث جرح عبيد بن الحارث وحمل وهو جريح قد قطع ساقه فألقي بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا رسول لو كان أبو طالب حياً لعلم أنه قد صدق في قوله:

كذبتم وبيت الله نبي محمداً ولما نطاعن دونه وناضل
ونصره حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل^(٢)

وقد وردت هذه القصيدة في ديوان أبي طالب مكونة من ١١٠^(٢) أبيات من الشعر بينما ابن هشام أورد فيها ٩٤ بيتاً فقط^(٣) يعني حذف ١٦ بيتاً لشك أهل العلم بالشعر حسب قول ابن هشام، إلا أن ابن كثير في رده على تشكيك ابن هشام في قصيدة أبي طالب اللامية ((إن هذه قصيدة عظيمة فصيحة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أجمل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعاً))^(٤).

وقد أوردنا في حديثنا عن منهجية ابن إسحاق في كتابة السيرة النبوية ذلك وقد علل أحد المستشرقين استشهاد ابن إسحاق بالأشعار يقول: ((ولكنه لم يقيم بأبحاث خاصة عن صحتها لم يعتد العلماء المحترفون القيام بها ولا تمسه مسألة صحتها مسألاً

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ٢٧٣.

(٢) ينظر، التوينجي، محمد، ديوان أبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، (دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، ص ٦٦.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٩١-٩٩.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ١٤٣.

خاصاً، فهو استشهد بهذه الأشعار، على قدر ظهورها له جدير بالاستشهاد^(١) إلا أن نظرة ابن إسحاق الحياضية في نقل الحقيقة التاريخية ساقته إلى تثبيت بعض الأشعار الخاصة بهجاء المشركين للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاضطر ابن هشام إلى حذفها للتلطيف من حدة هذه الأشعار.

أما الأسباب التي دعت ابن هشام لتهديب الأشعار فهي:

حذف الأشعار المنحولة، إذ تمثل هذا الحذف بعبارة التي افتتح فيها كتابه والتي مفادها ((وتارك ذكر.. أشعاراً ذكرها لم أرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها))^(٢)، فمن خلال كلامه هذا يتبين أن لديه القناعة الخاصة المتأتية من علمه بأن بعض الأشعار الموجودة في سيرة ابن إسحاق منحولة.

حذف الأشعار الرديئة وشملت هذه الأشعار ما لم يتكامل وزنه والتي في وزنها الشعري ركافة والتي اختلفت قوافي أبياتها، إذ نراه قد طبق هذا المسمى في أماكن عديدة^(٣). وإن انتقائية ابن هشام في حذف الأشعار ليس لشكها في صحتها وصدورها من أفواه قائلها وإنما على أساس انتقائه وقناعته في تلك الأشعار سواء بالرفع أم بالإثبات^(٤).

حذف الأشعار المقذعة^(٥)، وقد شمل الحذف الأشعار من المسلمين والمشركين

(١) هوروفنتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ص ٩٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٤.

(٣) ينظر المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠٣، ج ٣، ص ٤٣-٢٢٣، ج ٤، ص ٨٤.

(٤) نصار، تطور كتابة السيرة النبوية، ص ١١٣.

(٥) المقذعة وأصلها قذع: والقذع سوء القول من الفحش ونحوه فقدعته قذعاً رميته بالغش.

ينظر الفراهيدي، العين، ج ١، ص ١٤٨.

على حد سواء^(١). وتوجد أمثلة كثيرة على ذلك^(٢).

أما فيما يخص مناقشة بقية أسباب تهذيب السيرة فالسبب الثالث هو ورود ذكر أمور غير مقبول الحديث فيها أو يتسع الحديث فيها على حد تعبيره فهو لم يوضح لنا تلك الأشياء وماهي الموارد التي قام بحذفها لشناعة الحديث بها، وهذا ما نركز عليه في بحثنا وبالأخص في الفصول القادمة؛ لأنه سيكون محور حديثنا الأساسي، غير أنني وجدت نفسي مضطراً لإيراد أحد الأمثلة وهي حديث الدار أو الإنذار بعد أن أمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٣).

هذه الحادثة حذفها ابن هشام بالكامل غير أن ابن إسحاق أوردها بكل تفاصيلها^(٤)، وهذا ما سنناقشه في مورده وبتفصيل أكثر، إلا أن ذكرها هنا فقط لمحل الشاهد، فهل حذفه لأمر كهذا مهم هو لشناعة الحديث بها أم لأغراض أخرى...

أما ما يخص السبب الرابع للتهذيب هو أن بعض الأمور غير مقبولة لدى فئة معينة من الناس أو ما يسوء بعض الناس ذكره، وقد أبقى المتلقي في حالة مبهمه حيث لم نعرف ما هي تلك الأمور، فنلاحظ مما حذف من السيرة النبوية ولم يذكره ابن هشام هو تمثيل هند بنت عتبة^(٥) زوج أبي سفيان بجثة حمزة بن عبد المطلب

(١) نصار، تطور كتابة السيرة النبوية، ص ١١٤.

(٢) ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٤، ج ٣، ص ٣٣-٩٧-٩٨.

(٣) الشعراء، آية (٢١٤ و ٢١٥).

(٤) السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٨١.

(٥) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد الشمس بن عبد المناف، وأمها صفية بنت الحارث بن الأوقص، تزوجت هند من حفص بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فولدت له ابانا، ثم تزوجت بأبي سفيان بن

حيث (بقرت عن كبده فلاكتها) وكذلك فعلن بقية النسوة معها حيث مثلن بجثث الشهداء البقية^(١).

أما السبب الخامس والأخير فهو ليس تهديباً للسيرة وإنما أضاف إليها ابن هشام أشياء حسب قوله إن البكائي لم يروه إلى ابن هشام حيث أضاف إضافات ينتهي سند روايتها إليه هو كما يلي ((قال ابن هشام^(٢): حدثنا عبد الله بن وهب، عن عبد الله بن لهيعة، عن عمر مولى غفرة. ثم يسرد الرواية التي لم يكن لابن إسحاق فيها أي ذكر...)).
إلا أن هناك الكثير من الإيجابيات والمحاسن التي أطرت السيرة النبوية المهذبة بأطر علمية توضيحية منها:

إيضاحه لمعاني الآيات القرآنية التي وردت كشواهد في حوادث السيرة وتفسيرها لغوياً وإعطاء معاني كلماتها والأمثلة كثيرة على ذلك منها عندما يذكر الآية الكريمة التي نزلت في أثناء هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المباركة ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾^(٣) فهنا ابن هشام يفسر كلماتها بإعطائه المعنى اللغوي لمن غمض منها حيث يذكر المنون: الموت وريب المنون: ما يريب ويعرض منه^(٤).

كذلك إيضاح معاني الكلمات الصعبة في الأشعار الواردة في السيرة النبوية وبيان معانيها اللغوية إضافة إلى القصدية المستوحاة من إيراد تلك الأشعار^(٥).

حرب وهي أم معاوية بن أبي سفيان أسلمت يوم الفتح ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ١٠، ص ٢٢٣.

(١) ابن إسحاق، السيرة والمغازي، ص ٣٣٣.

(٢) السيرة النبوية، ج ١، ص ٦-٨-٤٢-٦٢-٧٧-٧٩، ج ٢، ص ٢٢٣-٢٨٦-٢٨٧-٢٩١-٣٠٠.

(٣) سورة الطور، آية (٣٠).

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٢٨. ينظر ص ١٧٠-١٨٣-١٨٧-١٩٩.

(٥) ينظر المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٩-٢٠٤-٣٥٦.

إيضاح ابن هشام للكثير من الأمور التي ترد في روايات ابن إسحاق وكذلك قيامه بتصحيح الكثير من الهفوات والأخطاء التي وقع فيها ابن إسحاق في السيرة النبوية^(١).

التعريف بالأعلام الذين ترد اسمائهم في الروايات واسماء قبائلهم وأنسابهم ولم يكن هذا التعريف يقتصر على الأعلام فقط بل أيضاً كان هناك تعريف بأسماء الاماكن والبقاع التي ترد في سياق العرض بأخبار السيرة^(٢).

ذكر ابن هشام من أغفلهم ابن إسحاق من الذين استخلفهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على المدينة في أثناء غزواته على سبيل المثال ذكره استعمال الرسول لابن أم مكتوم على الصلاة بالناس عندما خرج إلى معركة أحد^(٣)، وكذلك ذكره لاستخلاف سباع بن عرقطة الغفاري^(٤) عندما خرج الرسول في غزوة دومة الجندل^(٥)، وكذلك استعمال الرسول لأبي ذر الغفاري أو لنميلة بن عبد الله الليثي^(٦) عند خروجه (صلى الله عليه وآله وسلم) في غزوة بني المصطلق^(٧).

(١) ينظر المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩-٢٠-٧٨-٢٨٣، ج ٢، ص ٧٣-٨٥-٩٣-٢٥٧-٢٦٤-٢٦٧، ج ٣، ص ٤٨-٥٩.

(٢) ينظر المصدر نفسه، ج ١ ص ٦٢-٧٧-٨٣-١٠٩-٢٣٢، ج ٢ ص ٨٦-٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٦٨.

(٤) سباع بن عرقطة الغفاري استعمله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على المدينة لما خرج إلى خيبر ودوحة الجندل وهو من مشاهير الصحابة. ينظر، ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٤٠٣.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٢٤.

(٦) نميلة بن عبد الله بن فقيم بن سمان بن عبد الله بن كعب بن عوف الليثي وهو صحابي، ينظر، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٧، ص ١٠٥.

(٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٠٢.

المؤثرات السياسية في عصر ابن هشام على الرواية التاريخية:

من خلال ترجمتنا لابن هشام لاحظنا أن وفاته كانت (٢١٨هـ - ٨٣٣م) أو على قول آخر (٢١٣هـ - ٨٢٨م) والذي نريد قوله إنه توفي نهاية خلافة المأمون العباسي، وإن بدايات اهتماماته بالعلم كانت في ظل الدولة العباسية التي قامت بعد قضائهم على الأمويين سنة (١٣٢هـ - ٧٤٩م)^(١). وهذا يعني أن عصر المهدي العباسي (١٥٨هـ - ٧٧٤م) (١٦٩هـ - ٧٨٥م) ومن بعده الرشيد (١٧٠هـ - ٧٨٦م) (١٩٣هـ - ٨٠٨م) برزت فيه إمكانات ابن هشام العلمية حيث روي أنه سمع الحديث من زياد البكائي الذي توفي (١٨٣هـ - ٧٩٩م)^(٢).

إلا أننا لم نعرف كيف كانت تلك الرواية هل هي مشافهة؟ أو هل اطلع ابن هشام على السيرة التي دونها البكائي؟ هذا غير واضح ولم تتمكن من الوصول إليه لقلّة المعلومات في هذا المورد ولكن بكل الأحوال فإن رواية البكائي للسيرة النبوية هي المعتمدة من قبل ابن هشام كما هو واضح وتم إيراده، وبالرجوع إلى أصل تدوين السيرة على شكل كتاب مدون وإهدائه إلى المنصور العباسي، والذي نريد أن نصل إليه هو ذكر العلاقة بين تدوين السيرة النبوية وبين الخلفاء العباسيين من زمن المنصور صعوداً وإن أمر المنصور لابن إسحاق ((أذهب والفت كتاباً))^(٣)، هذا يوضح أن ابن إسحاق كان لديه الكتاب في قراطيس غير مبوبة جلبها معه عند خروجه من المدينة، وأن أصل السيرة توجد بها إشارات للعباس بن عبد المطلب جد العباسيين، الذي ظل على دين الوثنية طيلة مدّة الدعوة الإسلامية في مكة والمدينة ولم يسلم حتى

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٦٣.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٩، ص ٧.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٢٥.

عام (٨هـ - ٦٢٩م) بعد فتح مكة ولم توجد أي إشارات حول تقديم العباس بن عبد المطلب العون والمساعدة للنبي أو إلى المسلمين في تلك المرحلة^(١).

إلا أن موقف العباس من الرسالة السماوية والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه لا يمكن أن يتماشى مع نظرية العباسيين للحكم والتي بينها أبو العباس السفاح في أول خطبة له حيث كانت دعواه قائمة على التدين وأنهم أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ يذكر في خطبته التي كانت في بداية خلافته ((الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه وكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا فأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والناصرين له فألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها، وخصنا برحم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقرابته وأنشأنا من آبائنا وأنبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته، جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عتتنا حريصاً علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم، ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يتلى عليهم فقال تبارك وتعالى فيما أنزل من محكم كتابه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٣)، وقال ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٤)، وقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾^(٥)، وقال:

(١) عبد الجبار ناجي، نقد الرواية التاريخية، ص ٤٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٣٢.

(٣) سورة الشورى، آية ٢٣.

(٤) سورة الشعراء، آية ٢١٤.

(٥) سورة الحشر، آية ٧.

﴿وَأَعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١). فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا وأجزل من والغنيمة نصيبنا وتكرمه لنا وفضله علينا والله ذو الفضل العظيم...))^(٢).

وكذلك يمكن أن نلاحظ ذلك من خلال رد المنصور العباسي على أحد خصومه العلويين في رسالة له ((وقد علمت أن المكرومة في الجاهلية - يقصد العباس بن عبد المطلب - سقاية الحاج الأعظم وولاية بئر زمزم، وكانت للعباس بين إخوته وقد نازعنا فيها أبوك - يقصد علي بن أبي طالب - فقضى لنا بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلم نزل عليها في الجاهلية وفي الإسلام، وقد علمت أنه لم يبق أحد من بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من بني عبد المطلب غير العباس وحده، فكان وارثه من بين إخوته، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله الا ولده فالسقاية سقايتنا وميراث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ميراثنا، والخلافة بأيدينا، فلم يبق فضل بالإسلام إلا والعباس وارثه ومورثه))^(٣).

من خلال هذين النصين اللذين أوردناهما نلاحظ تغير بوصلة السياسة إلى الإدعاء بالقرابة النسبية من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وترك كل من له صلة ونسب بالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وبالخصوص العلويين وهذا يستوجب تلميع صورة العباس بن عبد المطلب وإظهار مواقفه المشرفة مع الرسول والرسالة ويتطلب إدخال روايات مهمة في السيرة الغرض منها رفع منزلة العباس وإعلاء شأنه، ويتم ذلك من خلال إيراد الشواهد التاريخية في السيرة

(١) سورة الانفال، آية ٤١.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٦٦-٦٧.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ٣٤٢.

النبوية، فعليه فإن المنصور وبعده هارون والمتوكل وغيرهم قد أولوا اهتماماً كبيراً في احتضان مؤلفي الفتوح والمغازي الكبار وأغدقوا عليهم الأموال والمناصب الإدارية لكي يقدموا رواية فيها منقبة للعباس بن عبد المطلب، وما يؤيد ذلك اهتمام المنصور بالأسمار والأخبار والاستماع إلى رواة المغازي، حيث ذكر ابن الفقيه الهمداني^(١) أن المنصور جعل يدي من يقول بها ويجزيهم على انتاجاتهم تلك بالأموال فكان يقول عن أسامة بن معقل ((فلم يبق شيء من الأسمار والأشعار إلا حفظته طلباً للقرابة منه ومظفرة بها)) ويمكن ملاحظة ما كان يتطلع المنصور إلى تأسيسه فكرة (آل البيت) التي استثمرها العباسيون إبان تنظيم دعوتهم ثم ما بعد ثورتهم في الكوفة وخراسان وقد أوردنا جزءاً من رسالة المنصور أعلاه لتأكيد ذلك.

فيتضح من ذلك أن أمام المنصور عمل مجهد في تنقية تاريخ جد الأسرة العباسية وتطهيره من رجس الوثنية، كما فعل قبله معاوية تماماً، من صنع رواية محرفة أو معدلة للسيرة النبوية بما له علاقة بالعباس بن عبد المطلب وكانت الوسيلة الأساسية لذلك تكمن في إعادة النظر في كتابة السيرة النبوية بأقلام مؤيدة للبلاط العباسي^(٢).

وهذا ما سنلاحظ من خلال مايلي:

ذكر ابن هشام^(٣) في السيرة النبوية حول بيعة العقبة الثانية رواية ابن إسحاق عن معبد بن كعب بن مالك عن أخيه عبد الله بن كعب (وكان أعلم الأنصار) عن ابيه كعب (خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء

(١) أبو بكر أحمد بن محمد ت(٢٩٠هـ) مختصر كتاب البلدان، (طبقة البدن - ١٣٠٢هـ) ص ٢.

(٢) ناجي، نقد الرواية التاريخية، ص ٤٤.

(٣) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٨٢.

ابن معرور^(١) سيدنا وكبيرنا، فلما وجهنا لسفرنا خرجنا من المدينة، قال البراء لنا يا هؤلاء: إني رأيت رأياً، فوالله ما أدري اتوافقوني عليه أم لا؟ قال قلنا: ما ذلك؟ قال: إني رأيت أن لا جعل هذه البينة مني بظهر -عني الكعبة- وأن أصلي إليها. قال والله ما بلغنا أن نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه قال: فقال إني لمصل إليها، قال فقلنا له: لكننا لا نفعل. قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة، قال: وكنا عينا عليه ما صنع، وأبى إلا الإقامة على ذلك، فلما قدمنا مكة قال لي: يا ابن أخي انطلق بنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى نسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله لقد وقع في نفسي شيء منه، كما رأيت من خلافكم إياي فيه. قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكنا لا نعرفه، ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: هل تعرفانه؟ قلنا: لا، قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قال قلنا: نعم - قال: وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجراً - قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس. قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم هذا البراء بن معرور، سيد قومه وهذا كعب بن مالك. قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الشاعر؟ قال: نعم،

(١) البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة، امه الرباب بنت النعمان بن أمرؤ القيس بن زيد بن عبد الأسهل بن جشم بن الأوس وهو أحد النقباء الاثني عشر توفي قبل قدوم النبي إلى المدينة فلما قدم صل عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو اول من مات من النقباء ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٢٧١-٢٧٢.

فقال له البراء بن معرور... ثم روى رواية صلواته إلى الكعبة فأجابه الرسول... كنت في قبلة لو صبرت عليها، قال فرجع البراء إلى قبلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم))، إن الرواية الواردة أعلاه كأنها راويها صممها على مقياس معين وهو إظهار منقبة العباس بن عبد المطلب جد العباسيين حيث يمكن ملاحظة ذلك من خلال عدة أمور:

ذكر الراوي عبد الله بن كعب الذي هو السند الرئيس في الرواية بأنه أعلم الأنصار وذلك لبيان مكانة الرواية وقوتها؛ لأنها صادرة من أعلم إنسان في الأنصار ولم يذكر لنا الراوي ما هو العلم الذي تصدر عبد الله بن كعب.

الرواية جهلت تماماً دور مصعب بن عمير الذي أرسله رسول الله إلى المدينة ليفقه أهلها بالدين ويعلمهم تعاليمه وكذلك يقرؤهم القرآن حيث كان يسمى المقرئ في المدينة^(١). حيث ترك البراء بن معرور يعمل باجتهاداته الشخصية في ممارسة عباداته وكأن لم يكن هناك من يرشده إلى ذلك وكأن الرواية هيأت الأذهان إلى حتمية اللقاء برسول الله ل طرح المسألة عليه.

مقدمات الرواية توحى وكأنها مخططة مسبقاً لغرض إظهار حدث مهم وإبرازه بشكل ملفت للنظر حيث أعده ليكون اللقاء برسول الله واضحاً وبشكل علني.

الملاحظ أن الرواية تجاهلت تماماً السرية التامة التي أحاطت بتلك المرحلة الحاسمة من حياة الدعوة الإسلامية وهذا ما نلاحظه لاحقاً عند مناقشة تكملة الجزء الثاني من الرواية حيث السؤال العلني من قبل كعب والبراء عن مكان رسول الله لغرض الوصول إليه ومعرفة رأيه في تلك المسألة.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٧٦.

إرشادهم من قبل أحد المكيين حيث أرشدهم إلى المسجد وأشار لهم إلى العباس ابن عبد المطلب كنقطة دالة للوصول من خلالها إلى الرسول وكأن العباس هو الأساس في الموضوع^(١).

وهنا إبراز واضح لدور العباس وقد علل الراوي سبب المعرفة بوفود العباس على أهل المدينة عندما كان تاجراً وقد بين الراوي مكانة العباس الاجتماعية حيث الجميع يعرف تلك الشخصية قياساً إلى شخصية الرسول التي تجاهلها الراوي قليلاً في سبيل رفع شخصية العباس ثم يذكر بعد ذلك دخولهم إلى المسجد ولقاءهم بالعباس ورسول الله جالس إلى جنبه وهذا أمر بعيد عن الواقع من وجهة نظرنا حيث رسول الله يجلس في مكان عام كهذا والرسالة تمر في احلك الظروف واصعبها حيث يبحث الرسول عن ملجأ له وللمسلمين ولو كان أمر العباس هكذا من مرافقته للرسول وحمایته فلماذا الرسول يبحث عن مكان يجعله منطلقاً لتبليغ دينه الجديد؟! وإن كانت استراتيجية الرسول في اختيار المدينة منطلقاً ليلبغ رسالته متأتية من عوامل عديدة لم تقتصر على توفير الحماية فحسب وهذا سوف نناقشه في محله.

رفع منزلة العباس أكثر حيث كناه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأبي الفضل وهذا دال على علو مكانة ومنزلة الشخص المكنى من الذي كناه^(٢).

ثم نعود إلى تكملة الجزء الثاني من الرواية: ((ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العقبة من أواسط أيام التشريق، قال فما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها، ومعنا

(١) ناجي، نقد الرواية التاريخية، ص ٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٩.

عبد الله بن عمرو بن حزام أبو جابر، سيد ساداتنا وشريف أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإننا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطياً للنار غداً، ثم دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إيانا العقبة، قال فأسلم وشهد العقبة معنا. قال: فمنا ثلث الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل، خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً.. قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى جاءنا معه عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويوثق له، فلما جلسنا كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال يا معشر الخزرج، قال: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها: إن محمداً منا حيث علمتم وقد منعه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، وإن كنتم ترون أنكم وافوه له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم، فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة في بلده، قال فقلت له: سمعنا ما قلت. فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت. قال فتكلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم.. الخ وتمت بيعة العقبة^(١). الملاحظ من خلال تكملة الرواية العقبة الثانية التي أوردها ابن هشام

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٨٢.

في السيرة النبوية عن ابن إسحاق وعند التمعن في تلك الرواية نلاحظ النقاط الآتية:

السرية التامة في أي تحرك يتحركونه وهذا ما صرح به الراوي حيث كانت سرية الأمر حتى على مرافقيهم من مشركي المدينة والسرية مطلوبة بأمر كهذه، إلا أن الراوي أنكر المنسق لهذا اللقاء والذي يضع خطة اللقاء حيث تجاهل دوره بالكامل وهذا ما أشرنا إليه عند مناقشة القسم الأول من الرواية وهو مصعب بن عمير، وما يدل على السرية هو تسللهم إلى لقاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

اختلاف واضح مع الطبري^(١) في تاريخه في عدد الذين حضروا العقبة وهي الرواية نفسها والسند نفسه فذكر الطبري سبعين بينما ذكر ابن هشام اثنين وسبعين وهذا يدل على أن الرواية تعرضت للدرس والتشويه^(٢).

بيان حضور العباس بن عبد المطلب تلك البيعة واعتبر أول المتكلمين قبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكأن القضية يسودها الطابع القبلي والعباس يدافع عن ابن أخيه ومن وجهة نظرنا هذا الأمر بعيد عما يتصرف به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بوصفه حامل الرسالة السأوية السامحاء ومن غير الجائز أن يحضر العباس وهو على دين قومه في أمر كهذا في غاية السرية والخطورة أي معناه خرق واضح للسرية التي أرادها الرسول، وربما سؤال يتبادر للذهن عند ابتداء العباس الكلام، ما هي الصفة التي يحملها للتكلم نيابة عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هل هي القرابة؟ وهذه ليس لها اعتبارات عند النبي فالقرابة بلا إيمان لا تعني لديه شيئاً، إضافة إلى أن النبي هو صاحب الشأن وصاحب الدعوة فلا داعي

(١) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٢٦.

(٢) ناجي، نقد الرواية التاريخية، ص ٥٢.

لكلام العباس قبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

إن حشر العباس في هذا المورد لإبراز شخصيته؛ لأنه جد المنصور الأعلى لكي يبين للناس أنه من أهل بيت النبي وهو صاحب الشريعة والحكم، وهذا ما سنلاحظه من خلال سير البحث في الفصول اللاحقة إن شاء الله تعالى، وهناك خط آخر عمل عليه العباسيون هو طمس كل منقبة وفضيلة لعلي بن أبي طالب وآله وإبعاد صفة كونهم آل بيت الرسول وحجب صورتهم عن المتلقي وقد تجلى بشكل واضح من خلال رسالة المنصور إلى محمد ذي النفس الزكية التي أوردناها حيث أعلن المنصور فيها إعلاناً رسمياً بالوقوف ضد نهج علي وآل علي لغرض طمس مناقبه وفضائله زوراً وبهتاناً.

إن المنطلقات الفكرية لابن زياد البكائي أو تلميذه ابن هشام هي ترجمة واضحة للواقع السياسي الذي فرضته الإدارة العباسية فقد كان من نتائج ذلك العداء هو تنكيل المنصور العباسي بعبد الله بن الحسن^(١)، والقضاء على الثورة التي قام بها ولده محمد ذو النفس الزكية وإبراهيم في سنة ١٤٥ هـ^(٢)، واستمر القتل والتنكيل بالعلويين وكان من أبرز تلك الممارسات قضاء الهادي العباسي (١٦٩ هـ - ١٧٠ هـ) (٧٨٥ م -

(١) لما ولي أبو جعفر المنصور الح في طلب ولدي عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب بالمحض محمد الملقب بالنفس الزكية وإبراهيم فتغييا بالبادية، فأمر أبو جعفر أن يؤخذ أبوهما واخوته حسن وداود وإبراهيم وأن يشدوا وثاقاً وأن يرسلوا إلى بغداد عاصمة الدولة العباسية وبالفعل أرسلوا مكتفين إلى حيث وافوه بالريذة فأبى المنصور لقاءهم وأبقاهم بالسجن إلى أن ماتوا جميعاً، وخرج ابنه محمد وإبراهيم وغلبا على المدينة ومكة والبصرة فبعث إليهما المنصور بعثاً فقتل محمداً في المدينة وقتل إبراهيم بعد ذلك في باخرا قرب الكوفة. ينظر، ابن أبي حاتم المشغري، الدرر النظيم، ص ٥١٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ١٤٧.

٧٨٦م) على ثورة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(١).

وبعد ذلك لما جاء الرشيد إلى الخلافة (١٧٠هـ - ١٩٣هـ) (٧٨٦م - ٨٠٨م) واستمر على نهج أسلافه حيث التنكيل بالعلويين والقتل وكان أبرز أعماله التي نالت العلويين هي قتل الإمام موسى بن جعفر الكاظم (١٨٣هـ - ٧٩٩م)^(٢). والكلام كثير جداً عن اضطهاد العلويين ولكن ذكرنا ما يمكن الاستشهاد به فمن المؤكد في ظل أجواء عداوية كهذه لا بد من توجيه من يكتب التاريخ والسيرة أن يكون رأيه كرأي أصحاب الحل والعقد من الحكام.

(١) من الحوادث المشهورة تاريخياً حيث وقعت بمنطقة فح بمكة بعد أن ثار الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب على العباسيين في المدينة وامتدت ثورته إلى مكة حيث أرسل إليه الهادي العباسي سنة ١٦٩هـ جيشاً من أصحابه بقيادة محمد بن سليمان حيث تم القضاء على ثورة الحسين بالكامل وقتل جميع من كان معه وأسر عدد قليل منهم وقد انهزم منهم آخرون منهم ادريس بن عبد الله.... ينظر ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ٢٦٨-٢٧٢.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٤٣.

الفصل الثاني

علي عليه السلام من الولادة حتى الهجرة



المبحث الأول

نسب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومآثر آبائه

أورد ابن هشام مجموعة من الروايات تتحدث عن نسب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) تناولت تفاصيل حياة آبائه ومآثرهم وشرفهم في قومهم فذكر في رواياته كيفية وفاة هاشم وتولي إخوته لوظائف الكعبة فقال: ((ثم هلك هاشم ابن عبد مناف بغزة من أرض الشام تاجراً، فولي السقاية والرفادة من بعده المطلب ابن عبد مناف، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم وكان ذا شرف في قومه وفضل وكانت قريش إنما تسميه الفيض لسماحته وفضله))^(١).

ثم تطرق بعد إيراده رواية وفاة هاشم بن عبد مناف بن قصي إلى عبد المطلب ابنه وكيف كانت ولادته ونشأته ((وكان هاشم بن عبد مناف قدم المدينة فتزوج سلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار، وكانت قبله عند أحيحة بن الجلاح ابن الحريش.... فولدت له عمر بن أحيحة، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشرطوا لها أن أمرها بيدها، إذا كرهت رجلاً فارقت، فولدت لهاشم عبد المطلب فسمنته شيبية، فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفاً أو فوق ذلك، ثم خرج إليه عمه المطلب ليقبضه فيلحقه ببلده وقومه، فقالت سلمى له: لست بمرسلته معك، فقال لها المطلب: إني غير منصرف حتى أخرج به معي إن ابن أخي قد بلغ، وهو غريب في قومه، ونحن أهل بيت شرف في قومنا، نلي كثيراً من أمورهم، وقومه وبلده وعشيرته خير له من الإقامة في غيرهم أو كما قال وقال شيبية لعمه المطلب -

(١) السيرة النبوية، ج ١، ص ١٤٤.

فيما يزعمون - لست بمفارقها إلا أن تأذن لي، فأذنت له، ودفعته إليه، فاحتمله فدخل به مكة مردفه معه على بعيره، فقالت قريش: عبد المطلب ابتاعه، فيها سمي شيبه عبد المطلب، فقال المطلب ويحكم! إنما هو ابن أخي هاشم، قدمت به من المدينة))^(١).

من خلال ما أورده ابن هشام أعلاه تبين المكانة السامية لبني هاشم في قومهم إلا أن ابن سعد^(٢) ذكر الكيفية التي وصل بها خبر شيبه بن هاشم إلى عمه المطلب حيث قال: ((وقدم ثابت بن المنذر بن حزام، وهو أبو الشاعر حسان بن ثابت الشاعر، مكة معتمراً فلقي المطلب وكان له خليلاً، فقال له لو رأيت ابن أخيك شيبه فينا لرأيت جمالاً وهيبة وشرفاً...)).

وروى البلاذري^(٣) بسنده عن الواقدي رواية ابن هشام نفسها عن كيفية ولادة شيبه بن هاشم حيث سمي بذلك لوجود شيبه في رأسه أو يقال لوجود شيبتين حول ذؤابته ثم يكمل الرواية ((وقيل له عبد المطلب؛ لأنه لما ترعرع بالمدينة، وأنت له سبع أو ثماني سنين، بلغ عمه المطلب بن عبد مناف خبره في لبسه ونظافته وشبهه بهاشم أبيه، فاشتاق إليه وركب حتى أتى المدينة فوفاه وهو يرمي مع الصبيان، فلما أصاب قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيد البطحاء، فقال له من أنت يا غلام؟ قال أنا شيبه بن عبد مناف قال: وأنا عمك، المطلب بن عبد مناف، وقد جئت لحملك إلى بلدك وقومك ومنزل أبيك وجوار بيت الله إن طاوعتني، وجعل يشوقه إلى مكة فقال: يا عم أنا معك، وقال له رجل من بني نجار: قد علمنا أنك عمه فإن أحببت فاحمله الساعة قبل أن تعلم أمه، فتدعوننا إلى منعك منه فنمنعك فانطلق به معه...))

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤٥.

(٢) الطبقات، ج ١، ص ٦٣.

(٣) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٦٤.

ثم أورد تفاصيل الرواية نفسها التي أوردها ابن هشام إلا أن ما أورده في نهاية الرواية أعلاه يمكن أن يكون مجانباً للحقيقة؛ لأنها ليست من صفة زعماء قريش وهي أخذ ابن أخيه بدون علم أمه ولكن الأقرب إلى الواقع ما أورده ابن هشام.

وقد اختلفت الروايات في كيفية تعرف المطلب على ابن أخيه شيبة الحمد - عبد المطلب - ولكن الذي يهمننا هو وصوله إلى مكة لينشأ ويتربص في ربوعها، حيث قام المطلب بالإشراف عليه وتربيته وكفالاته وقد اشتهر في مكة باسمه الجديد وهو عبد المطلب^(١)، ولم يزل عبد المطلب مقيماً في مكة حتى بلغ مبلغ الرجال، ثم يكمل ابن هشام نقل الرواية عن المطلب ((ثم هلك المطلب بردمان من أرض اليمن...))^(٢)، وبعد وفاة المطلب آلت الأمور إلى عبد المطلب ابن هاشم حيث ذكر ابن هشام^(٣) عن ابن إسحاق ((ثم ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم وشرف في قومه شرف لم يبلغه أحد من آبائه^(٤))، وأجله قومه وعظم خطره فيهم)).

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٦٥.

(٢) السيرة النبوية، ج ١، ص ١٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٠.

(٤) لما افضى أمر مكة إلى قصي بن كلاب جد النبي الأعلى (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذلك أمر حجابة الكعبة أعطى ولده عبد الدار السدانة ودار الندوة واللواء، وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة، فأما السقاية (فحياض من آدم كانت في عهد قصي توضع في الكعبة ويسقى فيها الماء العذب من الآبار على الإبل ويسقاه الحاج) (أما الرفادة فخرج كانت قريش تخرجه من أموالها في كل موسم فتدفعه إلى قصي يصنع به طعاماً للحجاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد) ثم انتقلت هاتان الوظيفتان من بعد عبد مناف إلى هاشم ثم إلى المطلب ثم إلى عبد المطلب... ينظر الازرقي، محمد بن عبد الله ت (٢٥٠هـ - ٨٦٤م) أخبار مكة وما جاء فيها من آثار تحقيق ارشدي الصالح ملحق (انتشارات الشريف الرضي - قم، ١٤١١هـ، ج ١ ص ١١٠)، الحنفي، محمد بن

ثم نقل ابن هشام^(١) رواية ابن إسحاق التي ينتهي سندها إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) والتي تبين حفر عبد المطلب بئر زمزم قال: ((قال عبد المطلب إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة، قال قلت: ما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر أبره. قال قلت: ما أبره؟ ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال احفر المضمونة، قال قلت: وما المضمومة؟ قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر زمزم؟ قال قلت: وما زمزم؟ قال لا تنزف أبداً ولا تدم، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم، عند نقرت الغراب الأعصم، عند قرية النمل... - ثم يكمل - فلما بين له شأنها، ودل على موضعها، وعرف أنه صدق، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فيها)).

الرواية أعلاه تدل على منزلة عبد المطلب ومكانته الدينية والاجتماعية حيث جاءه الأمر بحفر زمزم لكي يسقي الحجاج منها.

وتطرق ابن هشام^(٢) إلى ذكر أولاد عبد المطلب فقال: ((فولد لعبد المطلب عشرة نفر وست نسوة، العباس وحمزة وعبدالله، وأبو طالب - واسمه عبد مناف - والزبير، والحارث وحجل، والمقوم، وضرار، وأبو لهب - واسمه عبد العزى - وصفية، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبرة)) ثم ذكر تفاصيل أكثر

أحمد المكي ت (٨٥٤هـ - ١٤٥٠م)، تاريخ مكة المشرفة، تحقيق علاء إبراهيم الأزهرى وايمان نصر الأزهرى، (دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، ص ٦٢.

(١) السيرة النبوية، ج ١، ص ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٣.

حول أولاد عبد المطلب ((فأم العباس وضرار نتيلة بنت الحارث بنت حباب بن كليب.. وأم حمزة والمقوم وحجل - كان يلقب بالغيذاق لكثرة خيره وسعة ماله - وصفية، هالة بنت وهيب بن عبد مناة.. وأم عبد الله وأبي طالب والزبير وجميع النساء غير صفية، فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن مخزوم.. وأم الحارث بن عبد المطلب، سمراء بنت جندب بن حجير بن رئاب، وأم أبي لهب، لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن خاطر...)).

ومن المناسب أن نورد هنا أن ابن هشام في سرده للنسب لم يلتزم التسلسل الموضوعي والزمني فهو أورد أولاد عبد المطلب قبل أن يتحدث عن ولادته ونشأته، وغيرها من الموارد المختلفة، وأن القارئ للجزء الأول من السيرة وبالذات الموارد الخاصة بالنسب لم يكن لديه وضوح كامل، فقد تشكلت هناك ضبابية تامة وهذا بسبب التهذيب الذي أراده ابن هشام للسيرة.

أما مكانة عبد المطلب فقد برزها ابن هشام - وكذلك قبله ابن إسحاق حسب إطلاعنا - بشكل جيد وذكر مناقبه منها دفاعه عن مكة عندما غزاها أبرهة^(١)، وحفره لبئر زمزم، ونذر عبد المطلب، وقصة ذبح ولده عبد الله^(٢).

ولابد لنا أن نذكر بعض مواقف عبد المطلب التي ذكرها ابن هشام في الدفاع عن مكة وعن أهلها وقداستها - وأهمها حادثة الفيل، إذ قدم أبرهة صاحب الفيل ليهدم الكعبة - فذكر وفادة عبد المطلب إلى أبرهة - فعن ابن إسحاق قال: ((وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجلهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٥١.

(٢) ينظر المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٠.

يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان. فقال: حاجتي أن يرد الملك علي مئتي بعير أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت اعجبني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه، لا تكلمني فيه، قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه. قال: ما كان ليمنع مني. قال: أنت وذاك))^(١).

وقد انتهت قصة ابرهة بهزيمة منكرة بفضل بركة السماء وقد حكاها القرآن ﴿الْمُتَرَكِّفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾^(٢). وتعد تلك القصة معجزة سماوية تبين مدى إيمان عبد المطلب برب هذا البيت حيث كان عبد المطلب زعيم مكة بدون منازع وآلت هذه الزعامة من بعده إلى ابنه أبي طالب^(٣).

وذكر ابن هشام^(٤) عن ابن إسحاق كفالة عبد المطلب للرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد وفاة والدته آمنة بنت وهب^(٥) ((فكان رسول الله

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥١، البيهقي، تاريخ البيهقي، ج ١، ص ٢١٥ مع اختلاف بسيط بالالفاظ لا يوتر على المعنى العام للرواية).

(٢) سورة الفيل.

(٣) الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ١١٢.

(٤) السيرة النبوية، ج ١، ص ١٧٨.

(٥) آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، قريشية زهرية تزوجها عبد الله بن عبد المطلب، وهو ابن ثلاثين وقيل بل كان يومئذ ابن خمسة وعشرين سنة وقيل زوجها عبد المطلب ابنه من أبوها وهب وقيل كانت آمنة عند عمها وهيب فولدت آمنة لعبد الله رسول الله (صلى الله

(صلى الله عليه وآله وسلم) مع جده عبد المطلب بن هاشم، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه. لا يجلس عليه أحد من بنيه أجلالاً له. فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأتي وهو غلام صغير حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخره عنه، فيقول عبد المطلب، إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله إن له لشأناً، ثم يجلس على الفراش، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع)).

فيما تقدم ذكرنا نسب الإمام علي كما أورده ابن هشام في السيرة النبوية وكان ذكره للنسب لأنه نفس نسب النبي الأكرم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم (والد الإمام علي عليه السلام

لم يهتم ابن هشام بتفاصيل حياة أبي طالب فلم يذكر روايات تتعلق بولادته، وساق الحديث عنه بقدر ارتباط الأمر برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال في بداية حديثه عن أبي طالب: ((فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد عبد المطلب مع عمه أبي طالب وكان عبد المطلب - فيما يزعمون - يوصي به عمه أبا طالب؛ وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبا طالب أخوان لأب وأم...))^(١).

إلا أن البلاذري^(٢) ذكر ((قالوا: لما احتضر عبد المطلب جمع بنيه فأوصاهم برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان الزبير بن عبد المطلب وأبو طالب أخوا عبد

عليه وآله وسلم). ينظر ابن عبد البر، الاستيعاب ص ٢٨.

(١) السيرة النبوية، ج ١، ص ١٨٩.

(٢) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٨٥.

الله لأمه وأبيه، وكان الزبير أسنهما، فاقترح الزبير وأبو طالب أيهما يكفل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأصابت القرعة أبا طالب، فأخذه بيده. ويقال: بل اختاره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الزبير، وكان ألطف عميه به، ويقال: بل أوصاه عبد المطلب بأن يكفله من بعده...)).

عند التمعن في رواية ابن هشام الذي عزی سبب الكفالة من قبل أبي طالب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للقراية القريبة بين عبد الله وأبي طالب؛ لأنها من أمّ واحدة وهذا قد يكون جزءاً من السبب وليس الكل لأن الزبير وكما ذكر البلاذري أيضاً أخوهما لأمهما وكان أسن من أبي طالب فلماذا لا يكفله؟ وترك الكفالة لأبي طالب؟ إن ما ذكره البلاذري أكثر دقة وموضوعية مما ذكره ابن هشام من أن أبا طالب كان عطوفاً على رسول الله وهو كان في كفالة جده مما هياً ذلك للرسول أن يختار أبا طالب لكفالاته، وقد تكون الوصية هي تحصيل حاصل للكفالة له لتأكيد أهمية هذه الكفالة من قبل عبد المطلب لأبي طالب، إذ لاحظنا أن الرسول عند وفاة جده عبد المطلب كان له من العمر ثماني سنوات^(١)، وهو يميز بشكل جيد من يعطف عليه ومن يوده ويرعاه من أعمامه.

إنَّ كفالة أبي طالب للرسول الأكرم تعني توفير الحماية والرعاية لشخصه الكريم وهو في بداية حياته حيث أورد ابن هشام مجموعة من الروايات تخص كفالة أبي طالب وسوف نحاول تسليط الضوء عليها، فقد ذكر ابن هشام^(٢) عن ابن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه ((إنَّ رجلاً من هلب^(٣)... كان

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ١٧٧.

(٢) السيرة النبوية، ج ١، ص ١٩٠.

(٣) قبيلة من العرب تعرف بالقيافة والصواب: بالعيافة وهو هلب بن احجن بن كعب بن الحارث

عائفاً^(١)، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم، قال: فأتاه به أبو طالب وهو غلام، مع من يأتيه، فنظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم شغله عنه شيء، فلما فرغ قال: الغلام عليّ به، فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه، فجعل يقول ويلكم الغلام الذي رأيت آنفاً، فو الله ليكون له شأن قال فانطلق أبو طالب)).

أما بقية الرواة والمؤرخين فقد أوردوا روايات قريبة من هذا المعنى، فأورد ابن سعد^(٢) عن الواقدي رواية قال فيها: ((لما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إليه فكا يكون معه، وكان أبو طالب لا مال له، وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج معه، وصب به أبو طالب صبابة لم يصب مثلها بشيء قط، وكان يخصه بالطعام، وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شبعوا، فكان إذا أراد أن يغذيهم قال كما انتم حتى يحضر ابني، فيأتي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا، فيقول أبو طالب إنك مبارك! وكان الصبيان يصبحون رمضاً شعثاً ويصبح رسول الله كحياً دهنياً)).

وهذه الرواية على الرغم من قصر محتواها إلا أن الواقدي أوجز فيها كيفية كفالة

وكان لهب اعيف العرب وكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر، الزبيدي، محب الدين أبي فيض محمد مرتضى الحسيني ت (١٢٠٥هـ - ١٧٩٠م)، تاج العروس، تحقيق، علي ستري (دار الفكر العربي - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، ج ٨، ص ١٣٢.

(١) رجل عائف: يتكهن ينظر الفراهيدي، الخليل بن أحمد ت (١٧٥هـ - ٧٩١م)، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (ط ٢، مؤسسة دار الهجرة - إيران ١٤٠٩هـ - م)، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٢) الطبقات، ج ١، ص ٩٨.

أبي طالب للرسول وعطفه عليه ومعرفته التامة به وبمؤهلاته على خلاف ما ذكر ابن هشام حيث اقتصرت روايته على مجيء العائف وفراسته برسول الله وكأنه يوحى للمتلقي بأن أمر الرسول ونباهته مخفية على أبي طالب، أما اليعقوبي^(١) فذكر ((فكفل رسول الله بعد وفاة عبد المطلب أبو طالب عمه، فكان خير كافل، وكان أبو طالب سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً مع إملاقه)).

كما أورد ابن هشام^(٢) عن ابن إسحاق رواية تبين اهتمام أبي طالب بالرسول وعدم مفارقتة له وعطفه الكبير عليه حتى في رحلته إلى بلاد الشام لغرض التجارة ((فلما تهباً للرحيل - أبو طالب - وأجمع السير صب به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - فيما يزعمون - فرق له أبو طالب، فقال: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً أو كما قال فخرج به معه. فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحرى، في صومعة له وكان ذا علم من أهل النصرانية.. ثم بين تفرسه بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعرفته له من خلال علاماته المميزة ثم قال الراهب لأبي: ما هذا الغلام منك؟ قال ابني، فقال بحيري ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال فإنه ابن أخي، قال ما فعل أبوه؟ قال مات وأمه حبلى به قال صدقت ارجع إلى بلدك، واحذر عليه من اليهود، والله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً، فإنه كائن له شأن عظيم، فاسرع به إلى بلدك فخرج به عمه سريعاً حتى أقدمه على مكة))^(٣).

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠، ينظر، الكليني اصول الكافي، ج ١، ص ٢٨٣ (بألفاظ مختلفة لاتؤثر على المعنى العام للحديث).

(٢) السيرة النبوية، ج ١، ص ١٩١-١٩٣.

(٣) ينظر ابن سعد الطبقات، ج ١، ص ٩٩، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٧٧، البيهقي، دلائل النبوة، ج ٢، ص ٢٧-٢٨-٢٩.

هذا يظهر الاهتمام الواضح والاحتضان للرسول الأكرم وهو في مستقبل حياته من قبل عمه أبي طالب ولا بأس أن نلقي نظرة ولو بسيطة إلى أن معظم المستشرقين ينظرون إلى قصة بحيرى على أنها اسطورة وقصة موضوعة ليس لها أهمية تاريخية بالنسبة إلى نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما اتخذها البعض حجة لإثبات أن الرسول كان قد تعلم منه الدين، وأنه كان قد تلقن من علم اليهود والنصرانية فوضعه في الإسلام. أما بعض المؤرخين والرواة حاولوا أن يجعلوا من تلك الرحلة منقبة لأشخاص آخرين لكي يبرزوهم إلى واجهة الأحداث في الرسالة الإسلامية وقد ناقش ذلك أحد الباحثين مناقشة مستفيضة ووافية^(١).

إن اهتمام أبي طالب بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في أثناء تبنيه عندما كان صغيراً وحرصه الكامل عليه وملازمته إياه ورعايته له، تؤكد أن أبا طالب يدرك عظم شأن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكنه لا يصرح بذلك من خشيته عليه ((ولما بلغ العشرين ظهرت فيه العلامات وجعل أصحاب الكتب يقولون فيه، ويتذكرون أمره، ويتوصفون حاله، ويقربون ظهوره، قال يوماً لأبي طالب عمه: يا عم إنى أرى في المنام رجلاً يأتيني ومعه رجلان فيقولان هو هو، وإذ بلغ فشأنك به والرجل لا يتكلم. فوصف أبو طالب ما قاله لبعض من كان بمكة من أهل العلم. فلما نظر إلى رسول الله قال هذه الروح الطيبة: هذا والله النبي المطهر، فقال له أبو طالب: فاتكم على ابن أخي لا تغربه قومه فو الله إنما قلت لعل ما قلت، ولقد نبأني أبي عبد المطلب بأنه النبي المبعوث وأمرني أن أستتر ذلك لئلا يغري به الأعداء))^(٢).

(١) ينظر الشرهاني، حسين علي، اضواء على السيرة النبوية (دراسة حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع السيدة خديجة (عليها السلام)، (تموز للطباعة والنشر والتوزيع - سوريا، ٢٠١٣م)، ص ١٥-١٢١.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١.

إن حديثنا عن أبي طالب في هذا المورد يندرج كونه والد الإمام علي (عليه السلام) فلا بد لنا من التعرف ولو بإيجاز على ما نقله ابن هشام عن نسبه عليه السلام والملاحظ أن ابن هشام لم يعطِ أبا طالب حقه الكامل في سيرته، وقد اقتصر على روايات كانت من ورائها قصدية، فنراه يعزف عزوفاً تاماً عن ذكر أي رواية يرد بها دور أبي طالب خلال فترة احتضانه إلى الرسول حتى إذا بلغ سن الزواج وهي الخامسة والعشرون أورد ابن هشام^(١) عن ابن إسحاق الرواية الآتية ((بعثت خديجة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت له، فيما يزعمون: يا بن عم إني قد رغبت فيك لقربتك، وسلطتك في قومك، وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك ثم عرضت عليه نفسها... فلما قالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب رحمه الله حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها)).

من خلال الرواية التي أوردها ابن هشام يمكن ملاحظة ما يلي:

١. إغفال دور أبي طالب بشكل تام في عملية زواج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من خديجة ولم يكن ابن هشام هو الذي أغفل ذلك الدور إنما الذي أغفله ابن إسحاق^(٢).
٢. على الرغم من كفالة أبي طالب للرسول ونشوءه في بيته ورعايته إلا أن الملاحظ من خلال الرواية بروز حمزة بن عبد المطلب وحمزة لم يبلغ مبلغ أبي طالب في

(١) السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٠٠-٢٠١.

(٢) ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٠١، ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ١٠٩ ((حيث يذكر فحضر رسول الله في عمومته فزوجه أحدهم.))، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ١٧٩، البيهقي، دلائل النبوة، ج ٢، ص ٦٨.

الوجاهة في قريش حيث كان أبو طالب هو صاحب الشأن وصاحب الزعامة ((وكان أبو طالب سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً...))^(١)، وقال علي بن أبي طالب: ((أبي ساد فقيراً وما ساد فقير قبله))^(٢)، فصاحب السيادة كان أبو طالب وليس حمزة بن عبد المطلب.

٣. ولعل من المناسب ذكر أن القصصية من وراء حجب دور أبي طالب في عملية التزويج من قبل ابن إسحاق هو جزء من سياسة العباسيين في كتابة السيرة الرامية إلى طمس مناقب أعمام النبي عامة وأبي طالب بشكل خاص؛ كونه الأب المباشر لمنافسيهم العلويين وتسليط الضوء على العباس بن عبد المطلب، إلا أن هناك سؤالاً يتبادر إلى الذهن لماذا لم يورد اسم العباس في عملية التزويج؟ فهذا شيء بعيد عن الواقع إذا علمنا أن عمر العباس كان قريباً من عمر النبي حيث يكبره بثلاث سنوات وقد تمت مناقشة ذلك في الفصل الأول من بحثنا عند مناقشة المؤثرات العباسية على كتابة سيرة ابن إسحاق، فوجود أولاد عبد المطلب الأكبر سناً من العباس لا يمكن أن يكون ذلك، فكان بروز اسم حمزة لأنه أهون على السياسة العباسية من ذكر أبي طالب جد العلويين المنافسين الحقيقيين للعباسيين في الحكم.

وبالعودة إلى رواية الزواج ذكر اليعقوبي^(٣) ((روى بعضهم عن عمار بن ياسر أنه

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٤، وينظر فخار بن معد الموسوي، شمس الدين بن علي ت (٦٣٠هـ -

١٢٣٢م)، إيمان أبي طالب (الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب) (الأدب - النجف الاشرف،

١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م)، ص ١٨٥.

قال: أنا أعلم الناس بتزويج رسول الله من خديجة بنت خويلد: كنت صديقاً له، فإنا لنمشي يوماً بين الصفا والمروة إذا بخديجة بنت خويلد وأختها هالة، فلما رأت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جاءتني هالة أختها فقالت: يا عمار: ما لصاحبك حاجة في خديجة؟ قلت: والله ما أدري، فرجعت فذكرت ذلك له، فقال: ارجع فواضعها ووعدها يوماً نأتيها فيه. فقلت فلما كان ذلك اليوم أرسلت إلى عمرو بن سعد - عمها - وسقته ذلك اليوم ودهنت لحيته في دهن أصفر وطرحت عليه حبراً، ثم جاء رسول الله في نفر من أعمامه تقدمهم أبو طالب فخطب أبو طالب فقال: الحمد لله الذي جعلنا من إبراهيم وذرية إسماعيل وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، ثم أن ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوزن برجل من قريش إلا رجح ولا يقاس بأحد إلا عظم عنه، وإن كان في المال قل فإن المال رزق حائل وظل زائل، وله في خديجة رغبة ولها رغبة وصدق ما سألتموه عاجله من مالي، وله والله خطبٌ عظيمٌ ونبأ شائع))، هذه الخطبة تدل على معرفة تامة بشخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وإيمان واضح بمستقبله المشرق (١).

(١) للتفاصيل أكثر ينظر الشراهاني، اضواء على السيرة النبوية، ص ١٣٠.

أبو طالب حامي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد البعثة :

نشأ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في كنف عمه أبي طالب وقد أفاض عليه أبو طالب ما أفاض من عطف وحنان، فكان يؤثره على أولاده في كل شيء وقد خطب له خديجة زوجته الأولى، فكان بحق نعم الحافظ والكافل وقد استمرت هذه العناية بعد البعثة النبوية، حيث بعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن أتم الأربعين^(١)، وبقي أبو طالب يمارس الدور نفسه في حماية النبي وكان يدعمه ويحنو عليه.

وفي هذا الباب أورد ابن هشام^(٢) عن ابن إسحاق ((وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلاة فيها، فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم أن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال أي عم، هذا دين الله، ودين ملائكته، ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم... بعثني الله به رسولاً للعباد، وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه، أو كما قال: فقال أبو طالب: أي ابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص إليك شيء تكرهه ما بقينا)) من خلال ما أورده ابن هشام في الرواية أعلاه عن ابن إسحاق يمكن ملاحظة ما يلي:

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٤٩.

(٢) السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٦٢.

أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي بن أبي طالب يصليان وهما متخفيان عن الأعين، ويتضح أن لا أحد يعلم بالرسول في بداية البعثة ولا يصلي معه إلا علي ابن أبي طالب وهذا ما سنناقشه في مورده الخاص.

إخبار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمه أبي طالب بأن ما جاء به دين أيهم إبراهيم هذا يعني أن أبا طالب على معرفة تامة بديانة إبراهيم التوحيدية.

أن أبا طالب لم يقل للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إنه لا يستطيع مفارقة دين قومه بل قال لم أفارق دين آبائي؛ لأن قومه يعبدون الأوثان، وآبأؤه ومنهم عبد المطلب يعدون من الموحدين، حيث روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ((والله يبعث جدي عبد المطلب أمة واحدة في هيئة الأنبياء وزبي الملوك))^(١).

في نهاية الرواية كان تأييد أبي طالب واضحاً للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا دليل على المؤازرة والاستمرار في الرعاية من لدنه إلى ابن أخيه في تبليغ رسالته.

بداية الدعوة بشكلها الاختياري الذي استمر على هذا الحال ثلاث سنوات ثم أمر الله تعالى نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصدع بالدعوة وإعلانها^(٢): ((حيث أقام رسول الله بمكة ثلاث سنين يكتم أمره وهو يدعو إلى توحيد الله عز وجل وعبادته والإقرار بنبوته، فكان إذا مر بملاً قريش، قالوا: إن فتى ابن عبد المطلب يكلم من السماء حتى عاب عليهم آهتهم وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ١١٦.

كفاراً ثم أمره الله عز وجل أن يصدع بما أرسله... وآذوه أشد الإيذاء))^(١)، وأبرز من آذاه أبو لهب والحكم بن العاص^(٢) وغيرهم كثير من كبار مشركي قريش فكان أبو لهب يكذب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل مناسبة عامة يقوم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها بتبليغ رسالته حيث قام يوماً في سوق عكاظ وقال: ((أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتنجحوا))^(٣). وقد انبرى للناس أبو لهب يكذب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى طمع فيه من طمع من قريش وصبيانها وعبيدها فيلقون عليه ما لا يجب ((حتى أنهم نحرروا جزوراً.. ورسول الله قائم يصلي، فأمروا غلاماً لهم فحمل السلى والفرث حتى وضعه على كتفه وهو ساجد))^(٤).

إن إيراد أمور كهذه في هذا المورد هو لبيان إيذاء قريش لرسول الله ثم لبيان موقف أبي طالب من ذلك الموقف القرشي ضد الرسول وهل صور ابن هشام في سيرته تلك المواقف؟ وعلى الرغم من أن المصادر الأولية التي اهتمت بالسيرة ذكرت هذه المواقف لأبي طالب نرى أن ابن هشام أغفل هذه الأمور وقبله ابن إسحاق^(٥)

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٦.

(٢) الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب وأمه امنة بنت كليب ابن ربيعة، كان ممن يؤذون النبي قبل الهجرة ينظر ابن السائب الكلبي، هاشم أبو المنذر محمدت (٢٠٤هـ - ١١٩م) جمهرة النسب، تحقيق محمود فردوس العظم (دار اليقظة العربية - سوريا، د. ت) ج ١، ص ٢٨، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ١٥١.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٦.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٧.

(٥) المقصود هنا موقف المواجهة المسلحة بين أبي طالب وقريش وليس مواجهة المنع بالكلام والموقف.

لم يذكرها أيضاً بينما نجد اليعقوبي^(١) ذكر أن الرسول كان يلجأ إلى كافله وحاميه والصور المنيع ليحتمي به كلما اشتد أذى قريش له فقال: ((فأقبل أبو طالب مشتتلاً على السيف يتبعه غلامٌ له فاخترط سيفه وقال: والله لا يتكلم رجلٌ منكم إلا ضربته، فأمر ذلك السلي والفرث على وجوههم واحداً واحداً)).

وهذه الصورة التي نقلها اليعقوبي واضحة وجلية، نرى فيها كيف دافع أبو طالب عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ورسالته حتى اضطره الأمر إلى مواجهة قريش بالسلاح، رغم مكانته الاجتماعية لكنه أبى إلا أن يحمي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من كيد المشركين.

وفي خضم تلك الأحداث من صدع رسول الله بدعوته وردة فعل قريش القوية ضد الرسول والمسلمين، فقد روى ابن هشام^(٢) كيف تعاملت قريش مع الدعوة وموقف أبي طالب من هذا الأمر، فقال عن ابن إسحاق: ((وحدب^(٣) على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمه أبو طالب، ومنعه وقام دونه ومضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما أمره الله مظهراً لأمره لا يرده عنه شيء، فلما رأت قريش أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يعتبرهم من شيء أنكروه عليه... رأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه، وقام دونه ولم يسلمه لهم، مشى رجالاً من أشرف قريش إلى أبي طالب... فقالوا يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه)).

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٧.

(٢) السيرة النبوية، ج ١، ص.

(٣) حدب: أي عطف عليه وحنا وإنه كالوالد ينظر، الفراهيدي، العين، ج ٣، ص ١٨٦.

فهذا الوفد الأول من قريش إلى أبي طالب حيث أورد ابن هشام في السيرة تسلسل إرسال الوفود القريشية إلى أبي طالب لبيان موقفه من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث كانت نتائج هذا الوفد واضحة من خلال الرواية أعلاه أنه ردهم رداً جميلاً وقال لهم قولاً رقيقاً لكي لا يخسر قومه وبالمقابل يستمر في مناصرة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والوقوف إلى جانبه اعتماداً على المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها باعتباره أحد زعمائهم، وقد استمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في نشر دعوته مستغلاً موقف أبي طالب إلى جانبه وأخذ يقوي شوكة المسلمين.

وبعد الوفد الأول نقل ابن هشام^(١) الوفد الثاني الذي أرسلته قريش إلى أبي طالب بعد أن رأوا من قوة أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتكاثر أعداد المسلمين ((ثم أنهم - أي كبار قريش - مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له: يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإننا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإننا والله لا نصبر على هذا من شتم آباءنا وسفه أحلامنا، وعيب أهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين... ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطيب نفساً بإسلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم ولا خذلانه)).

ثم عاد ابن هشام^(٢) لنقل رواية أخرى عن ابن إسحاق حيث استكمل ردة فعل أبي طالب بعد أن رأى موقف قريش المتشدد من الرسول والمسلمين فقال: ((إن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة، بعث إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له: يا بن أخي، ان قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا... فابق علي

(١) السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٢) السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٨٤.

وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق قال فظن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قد بدى لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهر أو أهلك فيه، ما تركته. قال ثم استعبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فبكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا بن أخي. قال: فأقبل عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: اذهب يا بن أخي فافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً).

من خلال هذه الرواية التي أوردناها عن ابن هشام نلاحظ أن أبا طالب اختار جانب الرسول والميل له وطمأنه بأنه سوف يكون ناصره ومعينه على ما هو عليه ولم يسلمه أبداً إلى الأعداء فقد كانت تلك المحاوراة بين أبي طالب والرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بمثابة اختبار حقيقي لموقف الرسول الصلب في تبليغ ما حمل وبالمقابل تأييد واضح وصريح من أبي طالب إلى خطوات النبي التبليغية.

وقد نتلمس أن هناك شبه جفوة حصلت بين أبي طالب وقومه من خلال الوفادة الثانية وكانت الأمور تسير إلى غير ما كان يأمل أبو طالب من إبقاء جسور التواصل مستمرة بين الطرفين.

أما الوفد الثالث الذي نقل تفاصيله ابن هشام^(١) في السيرة النبوية عن ابن إسحاق فهو لاء يختلفون في اهدافهم عن الوفدين السابقين فقد ركزوا على سعي المشركين إلى إقناع أبي طالب بضرورة التخلي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٨٦، ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ١٧١، البعقوي، تاريخ البعقوي، ج ٢، ص ١٧، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٠٦.

ولكن بطريقة أخرى ((ثم أن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب أبا خذلان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة^(١)، فقالوا: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد^(٢)، فتى في قريش وأجمله فخذته فلك عقله ونصره، واتخذه ولدًا فهو لك، وسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك وسفّه أحلامهم فنقتله إنما هو رجل برجل، فقال والله لبئس ما تسوموني^(٣) اتعطوني ابنكم اغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلوه! هذا والله لا يكون أبدًا، قال فقام المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه فما أراك، تريد ان تقبل منهم شيئاً، فقال أبو طالب للمطعم والله ما انصفتوني ولكنك اجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي فاصنع ما بدالك)).

ويتضح من النص المتقدم أن الوفد الثالث لأبي طالب كان يحمل المقايضة التي لم يرضها أبو طالب أبداً كما يؤكد ان أبا طالب التزم جانب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتعهد بحمايته والوقوف إلى جانب المسلمين وذلك من خلال رده على المطعم بن عدي، وهو من بني عمومته المقربين فكان رده عليه يحمل نبرة التحدي وعدم الاكتراث بما صنع القوم؛ لأنه صمم على نصره النبي محمد (صلى الله عليه

(١) عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان يكنى أبا فايد، وكان أكثر فتیان قريش جمالاً، وقد كان مع عمرو بن العاص عندما وفدوا إلى الحبشة لاسترجاع المهاجرين من المسلمين ولم يكن له عقب، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١٠ ص ٢٠٧.

(٢) أنهد: رجلٌ أنهد كريم ينهض إلى معالي الأمور ينظر ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين ت (٧١١هـ - ١٣١١م)، لسان العرب، (نشر ادآب الحوزة، د.ت)، ج ٣، ص ٤٣٠.

(٣) ما تسوموني: سيوم جمع سائم أي تسوموني في بلدي كالغنم السائمة لا يعارضكم أحد ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٢١٤.

وأله وسلم) مهما كلفه الأمر، ثم ذكر ابن هشام^(١) شعر أبي طالب في هذا الأمر الذي يرويه ابن إسحاق حيث يعرض بالمطعم بن عدي ويعمم من خذله من بني عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش:

ألا قُلْ لعمرِ والوليدِ ومطعمِ	ألا ليت حظي من حياضكم بكرُ
من الخورِ حجابِ كثيرِ رغوئه	يرُش على الساقين من بوله قطرُ
تخلف خلف الوردِ ليس بلاحقٍ	إذا ما على الفيفاء قيل له وبر
أرى إخويننا من أبيننا وأمننا	إذا سئلا قالوا إلى غيرنا الأمر
بلى لهما الأمر ولكن تجرهما	كما جرحمت من رأس ذي علق الصخر
أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً	هما نابذانا من ينبذ الحجر

إن استعراضنا لمواقف أبي طالب مع الرسول وكيف صورها لنا ابن هشام لكي تبرز الصورة الحقيقية لأبي طالب وبنيه مع الرسول ووقوفهم المشرف إلى جانب تبليغ الرسالة حيث قوى موقف أبي طالب هذا من شوكة المسلمين وبدأ أمرهم يكبر وسبب الحرج إلى قريش الذين خابت كل مساعيهم عن ثني أبي طالب عن نصره الرسول الأكرم، فقد رفض أن يمسه أحدهم محمداً بأي سوء، وقد انتهجوا على إثر ذلك سياسة التعذيب والاضطهاد لمن دخل الإسلام من غير الهاشميين، وقد منع الرسول من أذى قريش بموقف عمه أبي طالب المساند والمقوي له، وقد قام أبو طالب بعد ما رأى من أذى المسلمين فدعا بني هاشم وبني عبد المطلب إلى الالتفاف حول الرسول ومنع أي أحد من الوصول إليه ((فاجتمعوا إليه وقاموا معه، وأجابوه لما دعاهم إليه إلا ما كان من أبي لهب عدو الله الملعون))^(٢).

(١) السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٨٧.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٨٧.

وقد همت قريش بقتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأجمع مالأوها على ذلك فلما بلغ أبا طالب قال:

والله لن يصلوا إليه بجمعهم
وعدوتني وزعمت أنك ناصح
وعرضت ديناً قد علمت بأنه
حتى أغيب في التراب دفينا
ولقد صدقت وكنت ثم أميننا
من خير أديان البرية ديننا^(١)

إلا أن نصره أبي طالب لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم تقتصر على المحاوره مع قريش والموقف الكلامي فقط بل هناك مواقف اضطرت بني هاشم بقيادة أبي طالب أن يحمل السلاح فيها للدفاع عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذه المواقف أهمها ابن إسحاق ومن بعده ابن هشام تماماً ومنها على سبيل المثال ما ذكره ابن سعد^(٢) في الطبقات بعد أن يئست قريش من أبي طالب في تسليم محمد لهم ورأوا إصرار محمد على تبليغ دينه مهما كلفه الأمر، فقد غادروا مجلس أبي طالب ((وهم يقولون اصبروا على اهتكم إن هذا الشيء يراد، ويقال المتكلم بهذا عقبه بن أبي معيط، وقالوا: لا نعود إليه أبداً، وما خير أن يغتال محمد، فلما كان مساء تلك الليلة فقد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه، فجمع فتياناً من بني هاشم وبني عبد المطلب ثم قال: ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة ثم ليتبعني إذا دخلت المسجد فلينظر كل فتى منكم فليجلس من عظمائهم فيهم ابن الحنظلة - يعني أبا جهل - فإنه لم يرغب عن شر إن

(١) المهزومي، ابو هفان عبد الله بن أحمد ت(٢٥٧هـ - ٨٧٠م)، ديوان شيخ الأباطح أبي طالب (رضوان الله تعالى عليه)، تحقيق محمد باقر المحمودي، (مجمع احياء الثقافة الإسلامية، د-ت)، ص ٤١، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٩.

(٢) ج ١، ص ١٧٢.

كان محمد قد قُتل، فقال الفتيان نفعل، فجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على تلك الحال، فقال يا زيد أحمست ابن أخي؟ قال: نعم كنت معه آنفاً، فقال أبو طالب: لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه، فخرج زيد سريعاً حتى أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في بيت عند الصفا ومعه أصحابه يتحدثون، فأخبره الخبر، فجاء رسول الله إلى أبي طالب فقال يا ابن أخي أين كنت؟ أكنت في خير؟ قال: نعم. قال: ادخل بيتك فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما أصبح أبو طالب غداً على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأخذه بيده فوقف به على أندية قريش، ومعه الفتيان الهاشميون والمطلبيون، فقال: يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به؟ قالوا: لا فأخبرهم الخبر، وقال الفتيان: اكشفوا عما في أيديكم، فكشفوا، فاذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة، فقال والله لو قتلتموه ما بقيت منكم أحداً حتى نتفانى نحن وأنتم، فانكسر القوم وكان أشدهم انكساراً أبا جهل)).

تكشف لنا هذه الرواية أن أبا طالب لم يكن مدافعاً عن رسول الله بلسانه كما صوره لنا ابن هشام بل كان هناك تصرف مسلح لردع قريش عن رسول الله، ومن المواقف التي برزت فيها قوة أبي طالب المسلحة في الدفاع عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ((وفي الليلة التي أسري به افتقده أبو طالب فخاف أن تكون قريش قد اغتالته أو قتلته فجمع سبعين رجلاً من بني عبد المطلب معهم الشفار وأمرهم أن يجلس كل رجل منهم إلى جانب رجل من قريش وقال لهم: إن رأيتموني ومحمداً معي فأمسكوا حتى آتيكم وإلا فليقتل كل رجل منكم جلسه ولا تنتظروني، فوجده على باب أم هاني^(١)، فأتى به بين يديه حتى وقف على قريش فعرفهم ما كان

(١) أم هاني: بنت أبي طالب الهاشمية، اسمها فاختة وقيل هند اسلمت عام الفتح وصلى ابن عمها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الفتح في بيتها وكانت زوجة هبيرة بن عمرو المخزومي

منه فأعظموا ذلك وجل في صدورهم وعاهدوا وعاقدوا أنهم لا يؤذون رسول الله ولا يكون منهم إليه شيء يكرهه أبداً^(١).

لكن إغفال ابن إسحاق ومن بعده ابن هشام لتلك المواقف لعله من المحذورات السياسية لكي لا يفرط في ذكر آل أبي طالب ومناصرتهم للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا ما لا يروق لمن دون السيرة أو دونت السيرة في عهده وهو كما ذكرنا المنصور العباسي فقد اكتفى بإظهار نصف الحقيقة وحجب النصف الآخر.

موقف أبي طالب من المقاطعة:

تعد مرحلة المقاطعة مرحلة أخرى مهمة وحساسة في حياة الدعوة الإسلامية وهي مقاطعة قريش لبني هاشم بشكل عام وبني عبد المطلب بشكل خاص، لما عرفت قريش أن لا سبيل لها في الوصول إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لما له من منعة من قبل عمه أبي طالب:

فقد نقل ابن هشام^(٢) في السيرة رواية ابن إسحاق التي قال فيها ((واجتمعوا - أي قريش - وأتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يتاعون منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم... فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو

ولها أربعة أولاد هانئ، ويوسف، وعمرو، وجعدة، ينظر الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٣٤٥.

(١) يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٩.

(٢) السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٧٥، ينظر، يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٢١، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢١٢، ابن الجوزي، المنتظم، ج ٢، ص ٢٨٨.

هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب، فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب، عبد العزى بن عبد المطلب، إلى قريش فظاهرهم)).

ان إظهار العداوة لبني هاشم من قبل قريش وسعيهم لقتل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) سرّاً وعلانيةً، دعا أبا طالب للتفكير بأن يجعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في مأمن من كيدهم وبذلك عمد إلى الدخول إلى الشعب للحفاظ على حياة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١). وفي ذلك قال أبو طالب:

ألا أبلغا عني ذات بيننا	لؤياً وخص من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً	نياً كموسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبةً	ولا خير في من خصه الله بالحب
وأن الذي اضمتم في كتابكم	لكم كأن نحساً كراغية السقب
افيقوا افيقوا قبل أن تحضر الثرى	ويصبح من لم يجد ذنباً كذي ذنب
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا	أباصرنا بعد المودة والقرب ^(٢)

وقد أغفل ابن هشام في السيرة تفاصيل ما دار في الشعب وما لقي بنو هاشم من أذى، ودور أبي طالب المميز في توفير الحماية للرسول، إلا أن ابن إسحاق برز جانباً من ذلك الدور، ففي رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق ((وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد مكرأ به واغتياله، فإذا نوم الناس أمر أحد بنيه أو أخوته أو

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٣٠.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٧٧.

بني عمه فاضطجع في فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يأتي بعض فراشهم فينام عليه^(١).

وعمد ابن هشام إلى إغفال تلك الرواية التي تبين حرص أبي طالب الشديد على حياة النبي وذلك لحجب أجزاء مهمة من الصورة الحقيقية لأبي طالب إرضاءً لرغبات وميول العباسيين.

وقد أثرت المقاطعة في حياة بني هاشم حيث قطعت عنهم المياه والمؤن وكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغ بهم الجهد مبلغاً كبيراً وسمع أصوات صبيانهم وراء الشعب، فمن قريش من سره ذلك ومنهم أساءه^(٢).

فكانت هناك ردة فعل قوية داخل صفوف القرشيين وكان لهشام بن عمرو بن ربيعة^(٣) - ابن اخت بني هاشم - دور مميّز في نقل المؤن والأرزاق إلى محمد وبني هاشم في الشعب وقد كانت له سعاية مميزة في تأليب الرأي العام القرشي ضد الحصار والصحيفة^(٤). وقد ذكر ابن هشام^(٥) عن بعض أهل العلم ((أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لأبي طالب: يا عم إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسماً هو الله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة

(١) البيهقي، دلائل النبوة، ج ٢، ص ٣١٢، ينظر ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ١٦٠.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٥.

(٣) هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب، ذكر من ترجم له انه لا توجد معلومات تفصيلية عنه وأنه من المؤلفات قلوبهم، وهو من أسلم في فتح مكة إضافة إلى دوره المميز في نقض الصحيفة. نظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٧٤٢، ابن حجر، الاصابة، ج ١، ص ٢٣٠.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٥.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٦.

والبهتان، فقال أربك أخبرك بهذا؟ قال: نعم. قال: فوالله ما يدخل إليك أحد، ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا، فهل من صحيفتكم، فإن كان كما قال ابن أخي فانتهموا عن قطيعتنا، وانزلوا عما فيها، وإن كان كاذباً دفعت إليكم ابن أخي فقال القوم رضينا، فتعاقدوا على ذلك، ثم نظروا، فإذا هي كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فزادهم ذلك شراً...)).

ولابد لنا ونحن نستعرض رواية ابن هشام أعلاه أن نثبت نقطة مهمة يمكن الرجوع إليها عند مناقشة إيمان أبي طالب فيما بعد وهذه النقطة هي إخبار أبي طالب لقريش قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بما أخبره به بشأن الصحيفة وأنه احتج على قريش بذلك وقد أعطاهم غاية ما سألوه، وهو تسليم محمد لهم وهو طلبهم قبل المقاطعة، لكن أبا طالب على يقين صادق بأن قول محمد هو الحق فلذلك ذهب هذا المذهب في الاحتجاج معهم ولكن قريشاً لما رأوا الحق وصدق الدعوة أصرروا واستكبروا، والذي نريد أن نصل إليه هو إن دفاع أبي طالب عن النبي ومساندته إياه لم يكن مستنداً إلى القرابة القريبة فقط وإنما كان هناك دافع قوي آخر هو الإيمان بما يقول به محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وصدق دعواه في كل ما يقول.

وبعد أن تبين الحق وصدق قول أبي طالب سقط ما بأيدي قريش ونكسوا رؤوسهم بعد أن بانَت الحقيقة فقد خاطبهم أبو طالب ((علام نحبس ونحصر وقد بأن الأمر؟ ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة والكعبة فقال: اللهم انصرونا ممن ظلمنا وقطع أرحامنا، واستحل ما يحرم منا ثم انصرفوا إلى الشعب))^(١).

إلا أن القرشيين تلاوموا فيما بينهم على ما فعلوه في بني هاشم ولبسوا السلاح ثم

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ١٧٩.

خرجوا إلى بني هاشم وأمرهم بالخروج إلى مساكنهم ففعلوا وبذلك انتهت المقاطعة الظالمة طويت صفحة سوداء من صفحات اضطهاد قريش ضد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وبني هاشم، وكان الدور البارز والمحوري فيها بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمه أبي طالب الذي ضحى بكل ما يملك في سبيل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعوته وكان خروجهم من الشعب في السنة العاشرة من نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١).

وفاة أبي طالب:

ذكر ابن هشام ^(٢) في سيرته نقلاً عن ابن إسحاق عن العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس بداية شكاية أبي طالب أن القرشيين ((مشوا إلى أبي طالب فكلموه، وهم أشرف قومه: عتبة بن ربيعة ^(٣) وشيبة بن ربيعة ^(٤)، وأممية بن خلف ^(٥)، وأبو سفيان بن حرب ^(٦) في رجال من أشرفهم، فقالوا: يا أبا

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٩.

(٢) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٨.

(٣) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمهم بنت المضر من بني عامر قتل يوم بدر كافرًا. ينظر، ابن السائب، جمهرة النسب، ج ١، ص ٥١.

(٤) شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأمهم بنت المضر من بني عامر قتل يوم بدر كافرًا. ينظر، ابن السائب، جمهرة النسب، ج ١، ص ٥١.

(٥) أممية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، وكان من عظماء أهل الكفر، وكان أحد المطعمين يوم بدر، وقتل يوم بدر كافرًا. ينظر، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٢٤٦.

(٦) أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي واسمه (صخر) وأمهم صفية بنت حزن، قاد قريش في حروبها ضد النبي ثم أسلم يوم الفتح. ينظر، ابن السائب الكلبي، جمهرة النسب، ج ١، ص ٣٩-٤٠.

طالب، إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى، وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه، فخذ له منا، وخذ لنا منه، ليكف عنا، ونكف عنه، وليدعنا وديننا، وندعه ودينه، فبعث إليه أبو طالب، فجاءه، فقال: يا ابن أخي: هؤلاء أشرف قومك، قد اجتمعوا لك، ليعطوك ويأخذوا منك، قال: فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): نعم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين معكم العجم، قال: فقال أبو جهل: نعم وأبيك، وعشر كلمات، قال تقولون لا إله الا الله وتحلعون ما تعبدون دونه، قال فصفقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً! وإن أمرك لعجب، قال: ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه، قال ثم تفرقوا.. فقال أبو طالب لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): والله يا ابن أخي، ما رأيتك سألتهم شططاً)) بهذه العبارة أثنى أبو طالب على طلب الرسول من قومه حيث يتضح من ذلك التأييد الواضح لما قاله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لقومه في حضرة عمه أبي طالب.

والرواية الواردة أعلاه التي تشير إلى وفادة قريش إلى أبي طالب وهي الرابعة وقد ذكرهن ابن هشام في السيرة النبوية بتسلسل واضح وقد أوردناهن إلا أن البلاذري في الأنساب يورد الروايات بصورة مبعثرة غير متسلسلة فأورد الرواية أعلاه، وعن ابن عباس ((لما رأت قريش إجابة من أجاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الإسلام، وأن نبي الله غير نازع عما يكرهون، مشوا إلى أبي طالب فقالوا له أنت سيدنا وأفضلنا في أنفسنا، وقد ترى ما يصنع ابن أخيك، وجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له أبو طالب: هؤلاء عمومتك وسادات قريش، فاسمع ما

يقولون، فتكلم الأحنس بن شريق الثقفي^(١)، فقال: تدعنا وأهتنا، ندعك وإهلك. قال أبو طالب قد أنصفك القوم، فأقبل منهم، فقال: (صلى الله عليه وآله وسلم): إنه لا بدَّ من نصحهم، وأنا أدعوهم إلى كلمة أضمن لهم بها الجنة فقال أبو جهل: إن هذه لكلمة مريجة، فقلها. قال: تشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فقاموا وهم يقولون امشوا واصبروا على آهتكم إن هذا الشيء يُراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة وكان الذي قال هذا الاحنس والملة الآخرة: النصرانية^(٢). ان التلاعب بالألفاظ في الرواية التي أوردها البلاذري قد أثر بالفعل على المضمون حيث نلاحظ من الرواية كأن أبا طالب انحاز نحو قومه، وهذا خلاف رواية ابن إسحاق التي ذكرها ابن هشام في السيرة.

أما الطبري^(٣) في تاريخه فقد أورد رواية بسندها عن محمد بن الحسين عن أحمد بن المفضل عن اسباط عن السدي حيث ذكر فيها أن قريشاً لما رأوا أبا طالب في حالة مرضه الذي توفي على إثره فقد اجتمع وجهائهم ((فقال بعضهم لبعض: انطلقوا إلى أبي طالب فلنكلمه فيه فلينصفنا منه، فيأمره فليكيف عن شتم أهتنا، ندعه وإله الذي يعبد، فإننا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء فتعيرنا العرب، يقولون: تركوه، حتى إذا مات عمه تناولوه)).

والذي يهمنا من إيراد هذه الرواية هي مقالة أبي طالب بعد أن عرض الرسول

(١) الاحنس بن شريق الثقفي واسمه أبي بن عمرو بن وهب بن علاج وهو حليف بني زهرة، وهو الذي خنس في بني العلاج يوم بدر فسمي الاحنس بذلك، وقد سلم من القتل يوم بدر وكان حرقاً وقاتلاً حماراً فنزلت فيه ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]. ينظر، أنساب الأشراف، ج ١٣، ص ٤٧٣.

(٢) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٣١.

(٣) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٠٥.

على كبار قريش قول كلمة لا اله الا الله، إلا أن أبا طالب قال: ((ما رأيتك سألتهم شططا)) يعني أنك مصيب في دعواك .

ثم يكمل ابن هشام^(١) نقل رواية ابن إسحاق ((ولما قالها أبو طالب - يعني العبارة التي ذكرناها انفاً - طمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في إسلامه، فجعل يقول: أي عم، فأنت فقلها استحل لك بها شفاعتي يوم القيامة، قال فلما رأى حرص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه قال يابن أخي، والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بني ابيك من بعدي وأن تظن قريش اني إنما قتلتها جزعاً من الموت لقلتها، لا اقولها إلا لأسرك بها قال: فلما تقارب من أبي طالب الموت، قال، نظر العباس إليه يحرك شفتيه، قال فأصغى إليه بإذنه، قال: فقال يابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها، قال: فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لم اسمع)).

وبهذا انتهت حياة حامي رسول الله بعد عقود من الكفاح سواء أكان حاضناً أم مدافعاً بكل ما يملك من أجل الحفاظ على رسول الله وأن لا يصيبه أي مكروه لغرض ديمومة الدعوة إلى الله من خلال صاحب الرسالة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لكن القضية المهمة التي لا بدّ الوقوف عليها هي إسلام تلك الشخصية، فقد اختلف المؤرخون والرواة في إسلام وإيمان أبي طالب وأصبحت قضية خلافية نابذة من مواقف سياسية ليس نكاية بأبي طالب ولكن نكاية بابن أبي طالب وهذا الموضوع سوف نناقشه في الفقرة اللاحقة وبقدر المتيسر، إذا بعد وفاة أبي طالب فقد الرسول الحامي والمدافع، فلما توفي أبو طالب نالت قريش من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأذى ما لم تكن نالته من قبل في حياة أبي طالب،

(١) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٩.

حتى اعترضه أحد سفهاء قريش فنثر على رأسه التراب^(١).

وقد ذكر ابن هشام^(٢) الرواية الآتية عن ابن إسحاق عن عروة بن الزبير قال: ((لما نثر ذلك السفية التراب على رأس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لها: لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع اباك، قال: ويقول بين ذلك ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب)).

وذكر اليعقوبي^(٣) ((توفي أبو طالب بعد خديجة بثلاثة أيام وله ست وثمانون سنة وقيل بل تسعون سنة، ولما قيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن أبا طالب قد مات عظم ذلك في قلبه واشتد له جزعه ثم دخل ومسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات ثم قال: يا عم ربيت صغيراً وكفلت يتيماً ونصرت كبيراً فجزاك الله عني خيراً. ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول وصلتك رحم وجزيت خيراً)).

إسلام أبي طالب (عليه السلام) :

لقد اختلفت أقوال وأحاديث الرواة والمؤرخين في قضية إيمان أبي طالب عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووالد الإمام علي ونحن هنا لا نريد الاستطراد بتلك القضية ولكن سنورد ونقارن مقارنة بسيطة ما استطعنا الحصول عليه من خلال نقل المؤرخين القدامى لروايات الرواة وهي شتى ومتنوعة ونحن الآن نبتدئ بما نقله

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٥٧-٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٤.

ابن هشام في السيرة من نهاية حياة أبي طالب وما كان عليه عند وفاته.

فقد ذكر ابن هشام^(١) في سيرته رواية ابن إسحاق التي تتحدث عن وفاة أبي طالب وكما ذكرنا من خلال إيراد الرواية في صدر الفقرة السابقة حيث ينتهي سند الرواية إلى ابن عباس ((قال فلما تقارب من أبي طالب الموت، قال: نظر العباس إليه وهو يحرك شفثيه، قال فأصغى إليه بإذنه قال: فقال يابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها، قال فقال رسول الله لم اسمع)).

الملاحظ إن ابن هشام في إيراد الرواية أعلاه دس اسم العباس بن عبد المطلب فيها من قبل ابن إسحاق ومن بعده ابن هشام وهذا فيه شيء من المجاملة للعباسيين؛ لأن العباس لم يسلم بعد وكان إسلامه كما هو معروف سنة (٨هـ - ٦٢٩م)، أما رواية محمد بن الحسين الذي ينتهي سندها بالسدي فيقول في نهاية الرواية وهي أيضاً لما طلب الرسول من أبي طالب الشهادة فأعطى أبو طالب تعليلاً لذلك ((فقال: لولا أن تعيبكم بها العرب، يقولون: جزع من الموت، لأعطيتها، ولكن على ملة الأشياخ))^(٢). وهنا الأشياخ حسب سياق الرواية المراد بها أبوه عبد المطلب وأجداده.

وفي رواية أبي بكر بن أبي ظاهر البزاز عن أبي محمد عن أبي عمر بن حيوية عن أحمد بن معروف عن الحارث بن أبي أسامة عن محمد بن سعد عن محمد بن عمر بن واقد عن معمر بن راشد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: ((لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فوجد عنده

(١) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٩.

(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٠٥.

عبد الله بن أبي أمية وأبا جهل بن هشام، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا عم، قل (لا اله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله) فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب قال فلم يزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعرضها عليه، ويقول: (يا عم، قل: لا اله إلا الله أشهد لك بها عند الله ويقولان له: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب، حتى قال آخر كلمة تكلم بها: أنا على ملة عبد المطلب، ثم مات))^(١) إذ لم تشر المصادر إلى أن عبد المطلب كان يعبد الأصنام أو أنه على دين الشرك بل إشارة إلى أنه كان موحداً، وهناك إشارات تدل على ذلك منها حفر زمزم بأمر الله تعالى وفي رواية الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن مخرمة بن نوفل الزهري ذكر عبد المطلب قال: ((وكان أول من تحنث بحراء - والتحنث التأله والتبرر - وكان إذا هل هلال شهر رمضان، دخل بحراء فلم يخرج حتى ينسلخ الشهر، ويطعم المسكين، وكان يعظم الظلم بمكة، ويكثر الطواف بالبيت))^(٢).

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ((إن الله يبعث جدي عبد المطلب أمة واحدة على هيئة الأنبياء وزي الملوك))^(٣).

فمن خلال ما تقدم يمكن القول إن لدينا ثلاث روايات نقلها المؤرخون حول وفاة أبي طالب وهذه الروايات لم تذكر أنه كان مشركاً وهذا ما أكده ابن أبي الحديد المعتزلي^(٤) في شرح النهج ((قال أكثر الناس من أهل الحديث والعامّة من شيوخنا

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ٨.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ح ١، ص ٨٤.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٣، ص ١٠.

(٤) شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ٢٦٢.

البصريين وغيرهم - مات أبو طالب على دين قومه - ويرون في ذلك حديثاً مشهوراً أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال له عند موته: قل يا عم كلمة أشهد لك بها غداً عند الله تعالى، فقال: لولا أن تقول العرب: إن أبا طالب جزع عن الموت لأقررت بها)).

لكن هذه الرواية غير مسندة ولا يمكن الركون إليها كثيراً إذ لم نجد بها تواتراً واضحاً وعند الطعن بها نلاحظ كأنها اقتطعت من رواية ابن إسحاق التي ذكرها ابن هشام في السيرة النبوية ولكن بانتقائه لأهداف خاصة أريدت لها، فلا يوجد نص حقيقي يبين كفر أبي طالب وأنه عبد الأوثان كما كانت تعبد قريش قبل البعثة النبوية وقد نوقش إيمان أبي طالب من قبل أحد الباحثين^(١) مناقشة معمقة ومستفيضة ونحن الآن بصدد إيراد ما يخص بحثنا لكي نكمل الصورة التي نقلها ابن هشام عن الإمام علي (عليه السلام). لقد أوردنا كثير من الروايات في أثناء كفالة أبي طالب للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) تبين الاهتمام الواضح بصاحب الرسالة سواء أكان ذلك قبل البعثة النبوية أم بعد البعثة فكانت مواقف أبي طالب المناصرة والمساندة للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بحيث خلصنا إلى شيء مهم وهو كان موقف أبي طالب المساند لصاحب الرسالة جعل الرسول يتحرك بحرية تامة في تبليغ رسالته وقد ذكر المفيد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سئل ف قيل له: ما تقول في عمك أبي طالب يا رسول الله؟ قال: ((أرجو له كل خير من ربي))^(٢).

(١) ينظر الغفاري، عبد الرسول، أبو طالب كبير الصحابة، (المعارف للمطبوعات، النجف، ٢٠١١م)، ص ٨٨-١٤٧.

(٢) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العبكري ت (٤١٣هـ - ١٠٢٢م)، إيمان أبي طالب، (ط ٢، دار المفيد للطباعة والنشر - بيروت)، ص ٢٧.

وروي أن رجلاً من رجال الشيعة وهو أبان بن محمود كتب إلى علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ((جعلت فداك: إني شككت في إسلام أبي طالب: فكتب إليه ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١) وبعدها أنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك النار))^(٢).

وقد روي عن علي بن محمد الباقر (عليه السلام) أنه سئل عما يقول الناس إن أبا طالب في ضحضاح من نار، ((فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه. ثم قال: ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) كان يأمر أن يحج عن عبد الله وأبيه أبي طالب في حياته ثم أوصى وصيته بالحج عنهم))^(٣).

وعن عفان بن مسلم عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ((بعثت ولي أربعة عمومة، فأما العباس فيكنى بأبي الفضل ولولده الفضل إلى يوم القيامة، وأما حمزة فيكنى بأبي يعلى فأعلى الله قدره في الدنيا والآخرة، وأما عبد العزى فيكنى بأبي لهب، فأدخله الله النار، وألهبها عليه، وأما عبد مناف فيكنى بأبي طالب فله ولولده المطاولة والرفعة إلى يوم القيامة))^(٤).

(١) سورة النساء، آية ١١٥.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ٢٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٦٤.

(٤) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٦، ص ٣١٢.

ومما يؤيد ما ذكرنا من إيمان أبي طالب (عليه السلام) أنه لما قبض رحمه الله ((أتى أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فأذنه بموته فتوجع لذلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقال امض يا علي ، فتول غسله وتكفينه وتحنيطه ، فإذا رفعته من سريريه فأعلمني ، ففعل أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ، وقال وصلتك رحم وجزيت خيراً ، فقال : أما والله لأشفعن لعمي شفاعة يعجب منها الثقلان))^(١) ، والشواهد كثيرة ولكن الآن لنرى جانباً من أشعار أبي طالب التي تدل على إيمانه :

عن أبان بن تغلب عن جلهمة بن عرفطة أن قريشاً قصدوا إلى أبي طالب بعد أن أجدبت العباد يطلبون منه الاستسقاء ((يا أبا طالب قحط الوادي ، وأجدب العباد فهلم فاستسق ، فقال رويدكم زوال الشمس وهبوب الرياح فلما زاغت الشمس أو كادت ، خرج أبو طالب معه غلام كأنه شمس دجنة تجلت عنه سحابة قتهاً وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ بأضبعة الغلام وبصبصت الأغيلمة حوله وما في السماء قزعة (قطعة من الغيم) فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا فأغدق واغدودق وانفجر له الوادي ، وأخصب الناي والبادي وفي ذلك يقول أبو طالب :

(١) المفيد، إيمان أبي طالب، ص ٢٥-٢٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ١٥٤.

وأبيض يسقى الغمام بوجهه
يلوذُ به الهلاك من آل هاشم
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان عدل لا يخسُّ شعيرة
ودازن صدق وزنه غير عائل^(١)

وذكر ابن هشام^(٢) عن ابن إسحاق قصيدة أبي طالب رداً على قومه لما طلبوا منه تسليمهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فرد عليهم بالشعر الآتي:

ولما رأيت القوم لا ود فيهم
وقد صارحونا بالعداوة والأذى
وقد حالفوا قوماً علينا أظنةً
صبرتُ لهم نفسي بسمرء سمحة
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي
قياماً معاً مستقبليين رتاجه
وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
يعضون غيضاً خلفنا بالأنامل
وأبيض غضب من تراث المقاول
وأمسكت من أثوابه بالوصائل
لدى حيث يقضي حلفه كل نافل

ثم يقول:

أعوذ برب الناس من كل طاعنٍ
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبةٍ
علينا بسوء أو ملحٍ بباطل
ومن ملحق في الدين ما لم نحاول

(١) المهزومي، ديوان شيخ الاباطح أبي طالب (رضوان الله تعالى عليه)، ص ٣٠، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٥٣. ينظر السيوطي، جلال الدين ت (٩١١هـ - ١٥٠٥م)، كتاب الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى)، (حيدر اباد - الهند، ١٣٢٠هـ - م)، ج ١، ص ٨٦، الصالحى الشامى، محمد بن يوسف ت (٩٤٢هـ - ١٥٣٥م)، سبيل الهدى والرشاد، تحقيق عادل أحمد وعلي محمد معوض (دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ج ٢، ص ١٣٧.

(٢) السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٩١-٢٩٢.

وثرٍ ومن أرسى ثبيراً مكانه
وبالبيت حق البيت من بطن مكة
وبالحجر المسود إذ يمسحونه
وموطى إبراهيم في الصخر رطبة
وراق ليرقى في حراء ونازل
وبالله إن الله ليس بغافل
إذا اكتنفوه بالضحى والاصائل
على قدميه حافياً غير ناعل

ثم يقول:

كذبتم وبيت الله نترك مكة
كذبتم وبيت الله نبذي محمداً
ونسلمه حتى نصرع حوله
ونطعن إلا أمركم في بلابل
ولما نطاعن دونه وناضل
ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم يقول:

فأصبح فينا أحمد في أرومة
حدبت بنفسي دونه وحميته
فأيده رب العباد بنصره
لتُقصِر عنه سورة المتناول
ودافعت عنه بالذرى والكلاكل
وأظهر ديناً حقه غير باطل

وذكر ابن هشام^(١) أيضاً في قصيدة لأبي طالب لما اشتدت قريش في أذاها للرسول
(صلى الله عليه وآله وسلم) وعمه وبني عمومته قال:

ألا بلغاعني على ذات بيننا
الم تعلموا انا وجدنا محمداً
لؤياً وخصماً من لؤي بني كعب
نياً كموسى خُط في أول الكتب

(١) السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٧-١٩.

ولا خير ممن خصه الله بالحب
لكم كائن نحساً كراغية السقب
ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنب
أواصرنا بعد المودة والقرب
أمر على من ذاقه جلبُ الحرب
لعزاء من عض الزمان ولا كرب

وأن عليه في العباد محبةً
وأن الذي ألصقتم من كتابكم
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما
فلسنا ورب البيت نسلم أحمداً

وفي قصيدة له عندما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها، قال أبو طالب:

على نأيهم والله بالناس أروءُ
وأن كل ما لم يرضه الله مُفسد
ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
فطائرها في رأسها يتردد
فرائصهم من خشية الشر ترعد
أيتهم فيهم عند ذاك وينجد
لها حُدج سهم وقوس ومرهد
فعزبنا في بطن مكة أتلد
فلم تفكك نردادخي—راً ونحمدُ
إذا جعلت ايدي المفيضين ترعد

الاهل أتى بحرنا صنع ربنا
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت
تراوحها إفك وسحر مجمّع
تداعى لها من ليس فيها بقرقر
ويظعن أهل المكتين فيهربوا
ويترك حرّاثٌ يقلب أمره
وتصعد بين الأخشيين كتيبةٌ
فمن ينس من حصار مكة عزّه
نشأنا بها والناس فيها قلائل
ونطعمُ حتى ينزل الناس فضلهم

ثم يقول:

إذا سيم خسفاً وجهه يتبريدُ

من الأكرمين من لؤي بن غالب

طويل النجاد خارج نصف ساقه على وجهه يسقى الغمام ويسعد
عظيم الرماد سيّد وابن سيّد يحض على مقرى الضيوف ويحشد^(١)

وقد قال أبو طالب شعراً بحق أبي جهل بن هشام حيث أراد أن يرمي رسول الله
بحجر وهو يصلي فلصق الحجر به وقال:

افيقوا بني عمنا وانتهوا عن الغي من بعض ذا المنطق
والا فإني إذا خائف يوائق في داركم تلتقي
كما ذاق من كان من قبلكم ثمود وعاد وماذا بقي
ومنها:

واعجب من ذلك في أمركم كعجائب في الحجر الملصق
بكف الذي قام من حينه إلى الصابر الصادق المتقي
فأثبتته الله في كفه على رغمه الخائن الأحمق^(٢)

وقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي^(٣) أن المأمون كان يقول: أسلم والله أبو طالب
بقوله:

نصرتُ الرسولَ رسولَ الملِكِ بيضٍ تلالئِ كلمح البروقِ

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٧.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ٢٦٨، ينظر، التوينجي، ديوان أبي طالب عم النبي، ص ٥٧-٥٨.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ٢٦٩، ينظر، المهزومي، ديوان شيخ الأباطح أبي طالب (رضوان الله تعالى عليه)، ص ٧٠.

اذب واحمي رسول الإله حماية حامٍ عليه شفيق
ومما إن أدب لأعدائه ديب البكار حذار الفنيق
ولكن أزيروهم سامياً كما زار ليث بغيل مضيق

وفي شعر أبي طالب يخاطب اخاه حمزة، وكان يكنى أبا يعلى:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهراً للدين وُفقت صابراً
وحطّ من أتى بالحق من عند ربّه بصدقٍ وعزمٍ لا تكن حمزُ كافراً
فقد سرنى إذ قلت أنّك مؤمنٌ فكن لرسول الله في الله ناصراً
وبادٍ قريشاً بالذي قد أتيت به جهاراً وقل ما كان أحمد ساحراً^(١)

إن أشعار أبي طالب في نصرة النبي ومدحه ومدح دينه الجديد والوقوف إلى جانبه قد ملئت بطون كتب السير وأجادها الرواة كثيراً^(٢)، غير أننا اخترنا شواهد من تلك الأشعار لغرض تعضيد قولنا حول إيمان أبي طالب.

ولابدّ لنا من إيراد مجموعة من الملاحظات عند مناقشة إيمان أبي طالب وكما هو معلوم وحسب المعطيات التي ذكرت من روايات وأشعار توحيدية تدل على إيمان أبي طالب رغم ذهاب البعض غير ذلك إلا أنه لابدّ لنا من إيراد الأمور الآتية لنخرج بنتيجة حول إيمان هذا الرجل الذي دافع بكل ما أوتي من قوة في سبيل حماية رسول

(١) المهزومي، ديوان شيخ أباطح أبي طالب (رضوان الله تعالى عليه)، ص ١٢١، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ٢٧٠.

(٢) ينظر، ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص ١٥٥-١٦٣، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٩١-٢٩٢، ج ٢، ص ١٧-١٨، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ٢٦٦-٢٧٤.

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

إن المكانة الاجتماعية لأبي طالب تجعله يأخذ حالة عدم الجهر بالإسلام أي إخفاؤه لأن قريشاً إذا علمت وأصبحت على يقين بأن أبا طالب زعيمها أصبح على دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لانقطعت عرى التواصل بين الفريقين ولا يمكن لأبي طالب دفع الأذى عن الرسول بشكل خاص وعموم المسلمين، فإن رؤية أبي طالب للأمور لغرض مساقرة الوضع والحفاظ على مكانته الاجتماعية ليس طمعاً فيها وإنما لكي ينطلق منها لحماية الرسول وبذلك حافظ بهذه الطريقة على الرسول طيلة حياته ولم ينل الرسول أي أذى حتى توفي ((وإنما تمكن أبو طالب من المحاماة عنه بالثبات في الظاهر على دين قريش وإن ابطن الإسلام))^(١).

إن القرآن الكريم يصرح بواضح الكلام أن هناك شخصيات رسالية كتبت إيمانها، وعلى سبيل المثال لا الحصر إبراهيم (عليه السلام) وقصته مع قومه الذين يعبدون الأصنام وقد شاع فيما بينهم الكفر واستحكم الجهل في نفوسهم فما كان لنبي الله إبراهيم (عليه السلام)، إلا أن يستعمل الأسلوب الحسي في تبليغ رسالته وكانت أساليبه (عليه السلام) كثيرة في مخادعة قومه منها تقديمه للطعام أمام الأصنام ويطلب منهم الأكل ويقول: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٢﴾، ومنها تحطيمه لأصنامهم ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٣﴾. وهذا النوع من التبليغ أوقع في النفس من مخاطبة العقل؛ لأن الجاهل لا يؤوب إلى

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ٢٧٤.

(٢) الصافات، آية ٩١-٩٢.

(٣) الأنبياء، آية ٥٨.

عقله بقدر ما يلتفت إلى ما حواليه من الأمور المحسوسة^(١) حيث كان أسلوب نبي الله إبراهيم وحكمته وكيف جرى قومه حتى وصل بهم إلى إيقاظ ضمائرهم، ومع كونه نبياً ومن أولي العزم إلا أنه لا يستطيع العمل بطريقة التبليغ العلنية، وكان شأن أبي طالب مع قريش كإبراهيم الخليل كل منهما كتم إيمانه^(٢)، وبعد ذلك من أخفى إيمانه مؤمن آل فرعون حيث يقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾^(٣).

وكذلك هناك مثل قرآني آخر وهم أصحاب الكهف وقد نزلت فيهم سورة كاملة حيث قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾^(٤).

أما قومهم فكانوا مشركين يعبدون آلهة لا تسمع ولا تعي حيث آمن هؤلاء الفتية بالله فنبذهم قومهم بل سعوا إلى قتلهم فكتموا إيمانهم حتى ينجوا بأنفسهم وقصتهم مشهورة^(٥)، فقد ذكر ابن أبي الحديد^(٦) عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) أن رسول الله قال: ((إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان، وأظهروا الكفر فاتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب، أسر الإيمان وأظهر الشرك، فاتاه

(١) الغفاري، كبير الصحابة أبو طالب، ص ٩٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٣) غافر، آية ٢٨.

(٤) الكهف، آية ٩-١٠.

(٥) الغفاري، أبو طالب كبير الصحابة، ص ٩٦.

(٦) شح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٢٦٦.

أجره مرتين)).

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي^(٧) ((فأما الصلاة وكونه لم ينقل عنه أنه صلى، فيجوز أن يكون لأن الصلاة لم تكن بعد فرضت، وإنما كانت نفلاً غير واجب، فمن شاء صلى، ومن شاء ترك، ولم تفرض إلا في المدينة))، وبهذا نكون قد ألقينا إطلالة بسيطة بقدر ما يتسع له مجال البحث حول إيمان أبي طالب عم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبي علي بن أبي طالب موضوع دراستنا ثم نكمل النسب الطاهر بإلقاء الضوء على سيرة السيدة الطاهرة فاطمة بنت أسد.

فاطمة بنت أسد أم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

لقد أهمل ابن هشام في السيرة ذكر السيدة فاطمة بنت أسد أم الإمام علي على الرغم من كونها حضنت الرسول وحتت عليه وكانت تحبه أكثر من أبنائها، لذلك سنحاول عرض جزء من سيرتها بشكل مختصر، فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي^(٨)، وأمها فاطمة بنت هرم بن رواحة من بني عامر بن لؤي^(٩)، وكانت ممن كفل النبي وربته بعد موت عبد المطلب^(١٠)، وقد ولدت لأبي طالب، طالباً وعقياً وجعفرأً وعلياً وأم هاني، وجمانة، وكان علي أصغر ولد أبي طالب^(١١).

(٧) المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٢٧٥.

(٨) المصعب الزبيري، نسب قريش، ص ١٦.

(٩) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٤٢٨.

(١٠) المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، ت (٩٧٥هـ - ١٥٦٧م)، كنز العمال، ضبط بكري حياتي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ج ٣، ص ٦٣٥.

(١١) المحب الطبري، أبو جعفر أحمد ت (٦٩٤هـ - ١٢٩٤م)، الرياض النظرة في مناقب العشرة، (دار الكتب العلمية - بيروت، د.ت)، ج ٣، ص ١٠٤.

وعن الزهري قال: ((كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يزورها ويقبل عندها في بيتها وهي أول امرأة بايعتالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة بعد خديجة))^(١)، وقد كانت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمنزلة الأم ربه في حجرها وكانت من السابقات إلى الإيوان وهذه منزلة ومنقبة لم تسبقها إليها امرأة إلا خديجة^(٢). ونحن هنا لسنابصدد إيراد تفاصيل عن حياة السيدة فاطمة بنت أسد بقدر ذكر ما يتعلق الأمر بإسلامها ومنزلتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وعندما هاجر الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت من أوائل المهاجرات إلى المدينة على قدميها^(٣)، وقال ابن عباس وفيها نزلت ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ﴾^(٤)^(٥)، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) ما يؤيد ذلك ((كانت فاطمة بنت أسد من أبر الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسمعت رسول الله وهو يقول: إن الناس يحشرون يوم القيامة عراة كما ولدوا. فقالت: واسوأته فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإني أسأل الله أن يبعثك كاسية))^(٦).

(١) سبط بن الجوزي، يوسف بن مرغلي بن عبد الله البغدادي ت (٦٥٤هـ - ١٢٥٦م)، تذكرة الخواص، تقديم محمد صادق بحر العلوم، (مكتبة الحديثة - طهران، د.ت)، ص ١٠، ابن حجر، الاصابة، ج ٨، ص ٢٠١.

(٢) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ت (٢٧٦هـ - ٨٨٩م)، المعارف، تحقيق، ثروة عكاشة، (ط٤، دار المعارف - القاهرة، د.ت)، ص ٢٠٣.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، ت (٣٢٩هـ - ٩٤٠م)، اصول الكافي، (الفجر للطباعة والنشر، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م)، ج ١، ص ٢٨٧.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٨٧، ينظر سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ١٠.

(٥) الممتحنة، آية ١٢.

(٦) الكليني، اصول الكافي، ج ١، ص ٢٨٨، الشريف الرضي، خصائص الأئمة، ص ٦٥.

إن لفاطمة بنت أسد منزلة عظيمة ومكانة رفيعة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنه بعد سماعه خبر موتها من أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حيث قال له لقد ماتت أمي فاطمة^(١)، فكانت ردة فعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إزاء الخبر المحزن ((وأمي والله))^(٢).

ثم قام بعد ذلك مسرعاً حتى دخل إلى المكان الذي توفيت فيه (فنظر إليها وبكى)^(٣) ثم جلس عند رأسها وقال: ((رحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة))^(٤).

وقد روي عن سعيد بن المسيب عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) عن أبيه عن جده الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ((لما ماتت فاطمة بنت أسد ابن هاشم كفنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قميصه وصلى عليها وكبر عليها سبعين تكبيرة ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه عليها وخرج من قبرها وعيناه تذرغان وحثا في قبرها فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب... يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد؟ فقال: يا عمر إن هذه المرأة كانت كأمي التي ولدتني، إن أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة وكان يجمعنا على طعامه فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبنا فأعود فيه. وإن

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٨٨.

(٤) ابن حاتم الشامي، يوسف المشغري العاملي، ت (٥٦٦٤ - ١٢٦٥م)، الدر النظيم، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، د.ت، ص ٢٢٢.

جبريل (عليه السلام) أخبرني عن ربي عز وجل أنها من أهل الجنة وأخبرني جبريل أن الله تعالى أمر سبعين ألفاً من الملائكة يصلون عليها))^(١).

(١) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٠٧. ينظر، الكليني اصول الكافي، ج ١، ص ٢٨٨، ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٩٢٩، الطبرسي، تاج المواليد، ص ١٢، ابن الصباغ، الفصول المهمة، ج ١، ص ١٧٧، المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١٣، ص ٦٣٥-٦٣٦.

المبحث الثاني

علي عليه السلام من الولادة حتى الهجرة

ولادته المباركة

لقد أحجم ابن هشام ومن قبله ابن إسحاق عن أي ذكر للولادة الشريفة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على الرغم من مكانته الكبيرة ومنزلته الرفيعة من صاحب الرسالة وصاحب السيرة التي دونها ابن إسحاق وهذها من بعده ابن هشام حيث قال الرسول الأعظم في ذلك: ((الناس من أشجار شتى وأنا وأنت يا علي من شجرة واحدة))^(١).

ولابد لنا أن نذكر بعض الروايات التي تناولت الولادة الميمونة للإمام وما هيتهها وكيف أوردتها الرواة والمؤرخون، فقد ولد الإمام علي (عليه السلام) في البيت الحرام - الكعبة - لثلاث عشرة ليلة خلن من شهر رجب سنة ثلاثين من عام الفيل^(٢)،

(١) الصدوق، علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، ت (٣٨١هـ - ٩٩١م)، عيون أخبار الرضا، تصحيح حسين الاعلمي (مؤسسة الاعلمي - بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، ج ٢، ص ٦٨، الطوسي، محمد بن الحسن ت (٤٦٠هـ - ١٠٦٧م)، الامالي، (دار الثقافة للطباعة والنشر - قم، ١٤١٤هـ)، ص ٦١٠ (حيث أورد زيادة في الحديث انا أهلها وانت فرعها، فطوبى لعبد تمسك بأصلها وأكل من فرعها)، الحاكم الحسكاني أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت (٤٧٠هـ - ١٠٧٧م) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق محمد باقر المحمودي (مؤسسة التابعة لوزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، ج ١، ص ٣٧٧، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٢، ص ٦٥.

(٢) الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى، ت (٤٠٦هـ - ١٠١٥م)، خصائص الأئمة، تحقيق محمد هادي الاميني، (مجمع البحوث الإسلامية - مشهد، ١٤٠٦هـ)، ص ٣٨، الطبرسي، اعلام الوري المهدي، ج ١، ص ٣٠٦.

وفي رواية أخرى ولد (عليه السلام) في ليلة الأحد الثالث والعشرين من شهر رجب وكانت ولادته بعد زواج الرسول من أم المؤمنين خديجة بثلاث سنين وعمر رسول الله يوم ولادته ٢٨ سنة^(١).

فكانت ولادته بمكة المشرفة داخل البيت الحرام ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد ولا بعده، وهي فضيلة خصه الله تعالى بها إجلالاً له وإعلاءً لمرتبته وإظهاراً لتكريمته^(٢).

إن قدسية الولادة متأتية من قدسية المكان، فالمكان هو الكعبة المكرمة حيث ذكر الله تعالى ذلك المكان المقدس في محكم كتابه الكريم ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣)، هذه بيان واضح من الله تبارك وتعالى على مكانة وقدسية هذا البيت الذي شيد بأمر الله لغرض عبادته وقد اختلف في بكة فقيـل: ((بكة بطن الكعبة.. وقيل: موضع البيت والمكان، ومكة اسم البلدة))^(٤).

وللكعبة مكانة سامية ومنزلة كبيرة في نفوس الناس حيث ذكر الواقدي ((رأيت قريشاً يفتحون البيت في الجاهلية يوم الاثنين والخميس وكان حجابهم يجلسون عند بابه.. وكانوا لا يدخلون الكعبة بحذاء ويعظمون ذلك))^(٥).

(١) ابن طلحة الشافعي، محمدت (٦٥٢هـ - ١٢٥٤م)، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، تحقيق ماجد أحمد العطية، (د. م. ط)، ص ٥٨.

(٢) ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة في حياة الأئمة، ج ١، ص ١٧١.

(٣) سورة آل عمران، آية ٩٦.

(٤) الطبرسي، الفضل بن الحسن بن الفضل ت (٥٤٨هـ - ١١٥٣م)، تفسير مجمع البيان، تحقيق العلماء (مؤسسة الاعلمي - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، ج ٢، ص ٣٤٧.

(٥) الأزرفي، أخبار مكة، ج ١، ص ١٧٤.

إذا قدسية المكان هو الذي أعطى الولادة قدسية، والآن نلاحظ الروايات التي تشير إلى تلك الولادة المباركة، فعن المفضل بن عمر عن ثابت بن دينار عن سعيد بن جبير قال: ((قال يزيد بن قعنب: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب، وفريق من بني عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين (عليه السلام) وكانت حاملاً به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق فقالت: رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق النبي الذي بنى البيت وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت عليه ولادتي. قال زيد بن قعنب فرأينا البيت انفتح من ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا والتزق الحائط فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح فعلمنا أن ذلك أمر الله عز وجل ثم خرجت بعد الرابع ويدها أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم قالت: إني فضلت على من تقدمتني من النساء؛ لأن آسيا بنت مزاحم عبدت الله سرأفي موضع لا يجب أن يعبد فيه الا اضطراراً؛ وأن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت رطباً جنياً، وأني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأوراقها، فلما أردت أن أخرج هتف هاتف: يا فاطمة سميه علياً، والله العلي الأعلى يقول: إني شققت اسمه من اسمي وأدبته بأدبي ووقفته على غامض علمي وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن في بيتي ويقدرني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه))^(١).

(١) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، ت (٣٢٩هـ - ٩٩١م)، معاني الأخبار، تعليق علي أكبر غفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٣٧٩هـ)، ص ٦١-٦٢، الراوندي، قطب الدين ت (٥٧٣هـ - ١١٧٧م)، الخرائج والجرائح، تحقيق محمد باقر الموحّد الأبطحي (مؤسسة الامام المهدي - قم، ١٤٠٩هـ)، ج ١، ص ١٧١، ابن حمزة الطوسي، محمد بن علي ت (٥٦٠هـ - ١١٤٦م)، الثاقب في المناقب، تحقيق نبيل رضا علوان، (ط ٢، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر - قم، ١٤١٢هـ)، ص ٩٧.

وذكر ابن جبر^(١) في نهج الإيمان لدى المقارنة بين يونس (عليه السلام) والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ((يونس عبد الله في مكان ما عبده بشر وعلي ولد في موضع ما ولد قبله ولا بعده أحد، ولد في جوف الكعبة)).

وذكر ابن المغازلي^(٢) عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: ((كنت جالساً مع أبي ونحن زائران قبر جدنا عليه السلام وهناك نساء كثيرة، إذ أقبلت امرأة منهن فقلت لها من أنت يرحمك الله؟ قالت زيدة بنت قريبة من بني ساعدة، فقلت لها: هل عندك شيء تحدثينا؟ قالت إيه والله، حدثتني أمي أم عمارة بنت عباد بن نضلة بن مالك بن العجلان الساعدي أنها كانت ذات يوم في نساء العرب إذ أقبل أبو طالب كئيباً حزيناً فقلت له: ما شأنك يا أبا طالب؟ قال: إن فاطمة بنت أسد في شدة المخاض، ثم وضع يديه على وجهه، فبينما هو كذلك إذ أقبل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له ما شأنك يا عم، فقال: إن فاطمة بنت أسد تشتكي المخاض، فأخذ بيده وجاء وهي معه فجاء بها إلى الكعبة، فأجلسها في الكعبة، ثم قال أجلسي على اسم الله قال: فطلقت طلقة فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً منظفاً لم أر كحسن وجهه فسماه أبو طالب علياً وحمله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أواه إلى منزلها قال علي بن الحسين (عليه السلام): فو الله ما سمعت بشيء قط إلا وهذا أحسن منه)).

ولعل من المناسب أن نورد إشارة إلى أن الروایتين أعلاه مختلفتان حول الكيفية التي حصلت بها ولادة الإمام علي بن أبي طالب داخل الكعبة فقد أوردنا الرواية

(١) زين الدين علي بن يوسف، ت (ق ٥٧ - ق ١٣ م)، نهج الإيمان، تحقيق أحمد الحسيني، (مجمع الامام الهادي، مشهد، ١٤١٨ هـ)، ص ٦٦٠.

(٢) علي بن محمد بن محمد الطيب ت (٤٨٣ هـ - ١٠٩٠ م)، مناقب علي بن أبي طالب، (انتشارات سبط النبي - قم، ١٤٢٦ هـ)، ص ٢٥-٢٦.

الأولى بسندها عن يزيد بن قعنب والثانية الواردة أعلاه التي أوردها ابن المغازلي عن الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) فلاختلاف واضح بين الروایتين من حيث التفاصيل واتفاق في المضمون وهو ولادة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) داخل الكعبة إلا أن الناظر إلى الرواية التي ينتهي سندها إلى يزيد بن قعنب وعند التفحص في سند تلك الرواية نلاحظ أنها جاءت عن طريق سفیان بن عيينة عن الزهري عن عائشة بنت أبي بكر زوج الرسول أو في مورد آخر لسند الرواية فهي تنقل عن ابن شاذان ت (٥٢٦٠ - ٨٧٣م) حيث ينتهي سندها إلى قتادة عن أنس بن مالك عن العباس بن عبد المطلب وابن شاذان أيضاً يورد الرواية عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عن آبائه عليهم السلام مما يعطي للرواية قوة أكثر لتعدد طرق إسنادها^(١).

أما المسعودي^(٢) فذكر ولادته المباركة في الكعبة دون ذكر أي توضيحات تسند تفاصيل أخرى وكأن الأمر من المسلمات.

وقد وجدنا من الضروري استعراض ما ذكر بعض المؤرخين الذين أوردوا رواية ولادة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بشيء من الإيجاز وإن حصل فيها تكرار إتماماً للفائدة فقد ذكر السيد الحميري^(٣):

ولدته في حرم الإله وامنّه
بيضاء طاهرة الثياب كريمة
والبيت حيث فناؤه والمسجد
طابت وطاب وليدها والمولد

(١) الطوسي، الامالي، ص ٧٠٦.

(٢) مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٦١.

(٣) ديوان السيد الحميري ت (١٧٣هـ - ٧٨٩م)، شرح ضياء الدين الاعلمي (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، د.ت) ص ٦٩-٧٠.

في ليلة غابت نحوس نجومها وبدت مع القمر المنير الاسعد
ما لُفَّ في خرق القوابل مثلهُ إلا ابن امنة النبي محمدُ

وذكر محمد بن طلحة الشافعي^(١): ((ولد عليه السلام ليلة الأحد الثالث والعشرين من شهر رجب. .. فقيل: ولد بالكعبة البيت الحرام وكان مولده بعد أن تزوج رسول الله خديجة بثلاث سنين وكان عمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم ولادته ثماناً وعشرين سنة)). وعن عتاب بن أسيد أنه قال: ((ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بمكة في بيت الله الحرام يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب وللنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمان وعشرون قبل النبوة باثني عشرة سنة))^(٢).

أما سبط بن الجوزي^(٣) فقد جاء عنده ((روي أن فاطمة بنت أسد كانت تطوف بالبيت وهي حامل بعلي (عليه السلام) فضر بها الطلق ففتح لها باب الكعبة فدخلت فوضعت)).

وذكر الكنجي الشافعي^(٤): ((ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بمكة في بيت الله الحرام ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، ص ٥٨.

(٢) المجلسي، محمد باقرت (١١١ هـ - ٧٢٩ م)، بحار الانوار، (ط ٢ مؤسسة الوفاء - بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م)، ج ٣٥، ص ٧.

(٣) تذكرة الخواص، ص ١٠.

(٤) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي ت (٦٥٨ هـ - ١٢٥٩ م)، كفاية الطالب في مناقب علي ابن أبي طالب، تحقيق محمد هادي الاميني، (ط ٣ دار احياء تراث أهل البيت - طهران، ١٤٠٤ هـ)، ص ٤٠٧.

ثلاثين من عام الفيل ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه إكراماً له بذلك...)).

من خلال ما ذكرنا من روايات أعلاه يمكن ملاحظة أن منقبة ولادة أمير المؤمنين في الكعبة قد اختص بها دون غيره، وأن بعض المصادر ذكرت أن حكيم بن حزام^(١) أيضاً ولد في الكعبة إلا أنها لا ترقى إلى تواتر روايات ولادة الإمام علي (عليه السلام).

كفالة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

ذكر ابن هشام^(٢) في السيرة النبوية نقلاً عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجیح عن مجاهد بن جبر قال: ((كان من نعمة الله علي بن أبي طالب، ومما صنع الله، وأراد به الخير أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للعباس عمه، وكان من أيسر بني هاشم: يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفلها عنه فقال العباس: نعم فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له إنا نريد أن نخفف عنك عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما - قال ابن هشام - ويقال عقيلاً أو طالباً، فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي يذكر أن له صحبة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين سنة وإليه صارت دار الندوة فباعها منه معاوية بن أبي سفيان ببائة الف درهم. ينظر، ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الاندلسي ت (٤٥٦هـ - ١٠٦٣م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون (ط ٥، دار المعارف - مصر، د.ت)، ص ١٢١.

(٢) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٦٢-٢٦٣.

علياً، فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرأ فضمه إليه، فلم يزل علي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً، فاتبعه علي (عليه السلام) وآمن به وصدقته ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه)).

هكذا أورد ابن هشام دافع كفالة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي بن أبي طالب ولكن لنلاحظ بقية الروايات في هذا المورد ثم ناقش تلك الروايات:

أما الطبري^(١) فذكر في تاريخه رواية ابن إسحاق نفسها التي أوردها ابن هشام وبالسنن نفسه الذي ذكر فيها كفالة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأنها أكثر الروايات تواتراً في نقلها من قبل المؤرخين^(٢).

والبلاذري^(٣) ذكر ((قالوا: وكان أبو طالب قد افقر فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً ليخفف عنه مؤنته فنشأ عنده)).

(١) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ١٩٨-١٩٩.

(٢) ينظر القاضي النعمان المغربي، النعمان بن محمدت (٣٦٣هـ - ٩٧٣م)، شرح الأخبار، تحقيق محمد الحسيني الميلاني (ط ٢)، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤١٤هـ، ص ١٨٨، الصدوق، علل الشرائع، ج ٢، ص ١٦٩، البيهقي، دلائل النبوة، ج ٢، ص ١٦١-١٦٢، الموفق الخوارزمي، الموفق ابن أحمد بن أبي سعيدت (٥٦٨هـ - ١١٧٢م)، المناقب، تحقيق مالك المحمودي، (ط ٢)، مؤسسة النشر الإسلامي - قم - ١٤١٤هـ، ص ٥١-٥٢، ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٢، ص ٢٧-٢٨، ابن البطريق، يحيى بن الحسن الأسديت (٦٠٠هـ - ١٢٠٣م)، عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب امام الابرار، (مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤٠٧هـ)، المحب الطبري، الرياض النظرية، ج ٢، ص ١٠٩، ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيلت (٧٧٤هـ - ١٣٧٢م)، السير النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد (دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٦هـ - ١٩٧١م)، ج ١، ص ٤٢٨، ابن الصباغ، الفصول المهمة، ج ١، ص ١٧٩، الباعوني الشافعي، جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ص ٤١-٤٢، الصالحى الشامى، سبيل الهدى والرشاد، ج ٢، ص ٣٠١،

(٣) أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٤٦.

إلا أن ابن شهر آشوب^(١) في المناقب يذكر روايتين تدل على كفالته (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) منها رواية ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام وذكرناها في صدر الفقرة ورواية أخرى عن أبي القاسم في أخبار أبي رافع ((أن النبي حين تزوج خديجة قال لعمه أبي طالب إني أحب أن تدفع لي بعض ولدك يعينني على أمري ويكفيني واشكر لك بلاءك عندي فقال أبو طالب: خذ أيهم شئت فأخذ علياً (عليه السلام)).

وهذه الرواية لا يمكن التسليم بصحتها إذ كيف يكون للنبي أخذه إليه حين تزوج خديجة في حين أن علياً لم يولد بعد، فقد ذكرنا أن ولادته كانت بعد الثلاثين من عام الفيل - على المشهور - والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تزوج خديجة قبل ذلك بخمس سنوات على المشهور أيضاً^(٢).

أما القاضي النعمان^(٣) المغربي فذكر أمراً آخر تحت عنوان اختصاص علي بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ((أما علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) فإن سببه في ذلك أن أشرف العرب وأهل السيادة منهم كان إذا شب لأحدهم ولد وأراد تقويمه وتأديبه دفعه إلى شريف من أشرف قومه ذلك منه ويستخدمه فيما يقومه به لئلا يدل في ذلك عليه دلالة الولد على الوالد، وكان لأبي طالب ثلاثة من الولد^(٤). أكبرهم سنناً عقيل بن أبي طالب وأوسطهم جعفر، وبينه وبين عقيل عشر سنين فلما شب عقيل دفعه أبو طالب إلى العباس أخيه ولما شب جعفر دفعه إلى حمزة أخيه ولما شب

(١) مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ٢٧-٢٨.

(٢) اليوسفي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ١، ص ٣٢١.

(٣) شرح الأخبار، ج ١، ص ١٨٨.

(٤) لم يذكر المؤلف طالباً الولد الأكبر لأبي طالب في هذه الرواية.

علي دفعه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وذكر في رواية أخرى أنه دفع جعفرًا إلى العباس وعليًا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبقى عقيلًا عنده^(١).

أما صاحب الشأن علي بن أبي طالب فقد بين كفالة الرسول له من خلال خطبته المشهورة بالقاصعة حيث ذكر ((وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصیصة، وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطة في فعل. لقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله وسلم) من لدن أن كان فطيمًا أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علمًا، ويأمرني بالاعتداء به))^(٢).

هذا وصف واقعي على لسان أمير المؤمنين نفسه إلى تبنيه من قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ بداية ولادته ولم يفارقه أبدًا خلاف ما ذكر الرواة وأصحاب السير فإن القرابة القريبة ووصفها الدقيق جدًا من قبل الإمام يقطع الشك باليقين أن تبني علي من قبل الرسول ليس من بنات أفكار أحد من البشر بل هو تسديد وتوجيه وفعل سماوي لكي يصنع الظل لرسوله الأكرم والمساند والمدافع عن الإسلام دينًا وعقيدة، ولعل المتدبر جيدًا إلى ذلك المقطع من الخطبة يتضح له وبجلاء غير قابل للشك أن اتصال الرسول بعلي لم يقتصر على مرحلة من مراحل حياته، بل حياة علي بأكملها كانت مع رسول الله من أول يوم ولد فيه حتى فارق الرسول دنيا الناس إلى

(١) القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار، ج ١، ص ١٨٨.

(٢) الصالح، نهج البلاغة، ص ٣٧٨.

الملكوت الأعلى.

وعند مناقشة ما أورده الرواة والمؤرخون من كفالة الرسول لعلي وكيف ذهبت مشاربهم في تلك الحالة ووصفها، والذي يعيننا أكثر ويهمننا مناقشة ما أورده ابن إسحاق ونقله ابن هشام من رواية مسنودة ينتهي سندها بمجاهد بن جبر حيث صور لنا حالة الكفالة وكأنها أمر طبيعي يحصل نتيجة لظروف معينة فرضتها وقائع الحياة المعاشة، وعند المناقشة لتلك الرواية لا بدّ من تسجيل نقاط عدة:

إن إيراد الرواية الخاصة بكفالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي من قبل ابن هشام شيء طبيعي جداً؛ لأنه لم يدخل عليها أي إضافة وحذف وإنما وجدها هكذا في مؤلف سلفه ابن إسحاق الذي نقل الرواية بسند واضح، ونحن ناقشنا الظروف والاضاع السياسية التي دونت فيها سيرة ابن إسحاق بشكل كتاب ممنهج فقد تدخل العباسيون في كتابة السيرة وبالخصوص المنصور لأجل كتابة سيرة وفق ميولهم ورغباتهم خالية من صورة مشرقة للإمام علي بن أبي طالب؛ لأن ذلك يخالف مبادئهم التي قامت عليها دولتهم وهي دعواهم بأنهم آل البيت، ولأجل ذلك جرى إبعاد منافسهم القوي لهذا الوصف وهو علي وآل علي ويتم ذلك بتشويه صورته وتسويق شخصيته إلى الناس بأنه كسائر الصحابة وأن عملية تبني الرسول له جاءت وفق ظروف واعتبارات طبيعية تحدث في دنيا الناس وهذا التبني وليد المصادفة التي جعلت من علي بن أبي طالب من أوائل المؤمنين برسالة النبي، فاستطاع ابن إسحاق بهذا الأمر شراء رضا المنصور العباسي وقد نهج من بعده ابن هشام باقتباسه نفس معالم الصورة التي نقلها ابن إسحاق ووضعها بدون زيادة أو نقص، وقد سار من أتى بعدهما من الرواة والكتّاب فأخذوا تلك الرواية على أنها من المسلمات التاريخية وأخذت تتناقل بين المؤرخين وعلى مختلف مذاهبهم حتى من كان يحسب على علي وآل علي.

إن كفالة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي بن أبي طالب كانت وفق إعداد إلهي منظم حالها كحال إعداد صاحب الرسالة الرسول الأكرم وتبيأت كل الظروف والأسباب لبناء شخصيته وإعدادها بالشكل الذي يليق بحمل رسالة السماء والدفاع عنها كذلك في إعداد شخصية الإمام علي بن أبي طالب، فقد تعد تربية أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيت الرسالة البداية لتفتح آفاقه الذهنية وقدرته على استيعاب حقائق وأسرار الكون، وكان عليه السلام مخصوصاً بخلاوات يخلو بها مع النبي فلا يطلع على ما يدور بينهما أحد^(١)، وهذا ما لاحظنا التصريح به من قبل أمير المؤمنين نفسه فيما ورد من خطبته التي ذكرت أعلاه.

ناقش عدد من الباحثين^(٢) قضية مهمة وهي الحالة الاقتصادية في مكة واعتبروا قضية فقر أبي طالب مشكوكاً فيها إلا أننا نختلف معهم في هذا المورد الخاص بفقر أبي طالب فهم يقولون بيسر حالة أبي طالب المادية، إلا أن ذلك يتعارض مع ما ذكره اليعقوبي عن الإمام علي (عليه السلام) حيث قال: ((أبي ساد فقيراً وما ساد فقير قبله))^(٣)، أما بخصوص الوضع الاقتصادي العام بمكة وهل حصلت أزمة أم لا؟ فإن الوضع الاقتصادي في مكة لم يكن بمستوى الاستقرار فكثيراً ما تتعرض مكة إلى أزمات اقتصادية^(٤)، إذا علمنا أن أكثر اعتماد أهالي مكة على التجارة ومواسم

(١) النصر الله، جواد كاظم، الإمام علي في فكر معتزلة البصرة، (دار الفيحاء للطباعة والنشر - البصرة. ١٤٢٣هـ - ٢٠١٣م)، ص ١٩-٢٠.

(٢) ينظر النصر الله، الإمام علي في فكر معتزلة البصرة، ص ٢٠، العواد، انتصار عدان عبد الواحد، السيرة النبوية في رؤية أمير المؤمنين، (ط ٢، دار الفيحاء، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، ص ٦٩، عجمي، أحمد فاضل، العرب قبل الإسلام في شرح نهج البلاغة (دار الحصاد، دمشق، ٢٠١٤م)، ص ٤١٥.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠ (ذكر هذا الحديث في مورد سابق).

(٤) ينظر الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٥٣.

الحج، والتجارة كانت مهنة أبي طالب إلا أننا نعتقد أن أبا طالب عزف عن ممارسة تلك المهنة لضرورات منها زعامة قريش وما يترتب عليها التواجد المستمر لرعاية شؤون القبيلة وشؤون البيت والحجيج، أبو طالب قد يكون في حالة فقر مادي لكن التناقض الواضح الذي يقودنا للاتفاق مع الباحثين حول أولاد أبي طالب حيث تذكر المصادر أنهم أربعة أبناء وهم طالب وعقيل وجعفر وعلي (عليه السلام) وبنت واحدة أخته (أم هاني) وبين كل واحد عشر سنين^(١)، وهذا يعني إذا كان علي عليه السلام عندما احتضنه الرسول عمره ست سنوات فإن جعفرًا عمره آنذاك ست عشرة سنة وعقيل ست وعشرون سنة وطالب ست وثلاثون سنة وهذا يعني فقط علي وأم هاني الذين هم بمستوى إعالة أبو طالب وفي ضوء هذا لا يمكن يطلق على أبي طالب كثير العيال^(٢).

أما من ناحية سند الرواية التي أوردها ابن هشام عن ابن إسحاق التي ينتهي سندها إلى مجاهد بن جبر الذي ولد سنة إحدى وعشرين للهجرة وتوفي سنة مائة وثلاثة للهجرة وهو من التابعين^(٣) حيث لم يسند روايته إلى أحد الصحابة وبذلك تكون روايته من المراسيل وهي موضع شك لدى الباحثين وذلك لوجود فاصل زمني كبير بين وقوع حادثة الكفالة للإمام علي من قبل الرسول وبين ولادة مجاهد ومن ثم تعلمه لرواية الحديث^(٤).

إن الأسباب المادية لكفالة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي التي

(١) المصعب الزبيري، ، نسب قريش، ، ص ٣٩ .

(٢) النصر الله، الإمام علي رؤية معتزلية، ص ٢٠ .

(٣) ابن حيان، مشاهير علماء الامصار، ص ١٣٣ .

(٤) العواد، السيرة النبوية في رؤية أمير المؤمنين، ص ٧٠ .

ذهب إليها ابن إسحاق لا يمكن الاطمئنان لها وإنما يمكن اعتبار التخطيط السماوي لتلك الكفالة، وكما ذكرنا وما يعزز ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ((اخترت من اختار الله لي عليكم علياً))^(١)، فمهما كانت الأسباب المادية والاقتصادية ودواعي التبني إلا أنها تبقى ضعيفة أمام خطط المولى تبارك وتعالى للنهوض بالرسالة المخطط لها على يد الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

إسلام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

أورد ابن هشام^(٢) في السيرة النبوية رواية ابن إسحاق حول إسلام علي بن أبي طالب ((ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، رضوان الله وسلامه عليه، وهو يومئذ ابن عشر سنين)).

ثم أورد قصة انتقال علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى حجر النبي وكفالته له وقد تم تفصيل ذلك فيما تقدم، ثم المحاوراة التي حصلت بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين عمه أبي طالب حول دعوة النبي لعمه إلى الإيمان واعتذار أبي طالب عن ذلك حسب رواية ابن إسحاق التي ينقلها ابن هشام ثم يكمل تلك الرواية ((ذكروا أنه قال لعلي - يعني أبا طالب -: أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبتى آمنت بالله وبرسول الله، وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته فزعموا أنه قال له: أما أنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه))^(٣).

(١) أبو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين، ت (٣٥٦هـ - ٩٦٦م)، مقاتل الطالبين، (دار المتقين للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ص ١٧.

(٢) السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٦٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٣.

وقد أورد ابن هشام^(١) عن ابن إسحاق ((ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل ابن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب)).

أما الإمام علي بن أبي طالب فذهب بقضية إسلامه إلى أبعد بكثير مما ذهب إليه ابن هشام ومن قبله ابن إسحاق فيقول في حديثه عن علاقته بالنبي الأكرم ((لقد كان يجاور كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ بالإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد يأس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك لوزير، وإنك على خير))^(٢) من خلال كلام الإمام علي (عليه السلام) يتبين أن إسلامه لم يكن كما صورته لنا الرواة والمؤرخون ومنهم ابن هشام أنه أتى عن شيء غير معلوم للإمام علي وبدعوة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي (عليه السلام) كي يؤمن بما جاء به الرسول الأكرم، وإنما الأمور معروفة لدى الإمام علي دون سابقة إنذار من خلال مرافقته للرسول ومعرفته المسبقة وملازمته له من خلال تعبده بحراء، فالأمر لا يحتاج إلى مفاتحة من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي فهو (عليه السلام) مهياً من قبل الرسول ومعدّ إعداداً جيداً لأجل تقبل كل شيء يأتي به الرسول، ويبقى أمر واحد مهم هو استفهام علي عن أشياء لا يعرفها مما يدل على أن إيمان علي (عليه السلام) لم يكن إيماناً أعمى كما يسمى وإنما ناتج عن بيئة

(١) السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٦٤.

(٢) الصالح، نهج البلاغة، ص ٣٧٨.

وعلم وذلك متأتٍ من سؤاله الاستفهامي للرسول حيث يقول: ((ولقد سمعت رنة الشيطان.. فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟..)) إلا أن الرواة والمؤرخين قد تناولوا مسألة إسلام علي بن أبي طالب بنقولات شتى وآراء مختلفة وروايات متباينة كل حسب ما تمليه عليه منطلقاته الفكرية سواء أكانت مذهبية أم سياسية لكي يصور لنا هذه القضية بطريقته وأسلوبه الخاص، والآن لنرى هذه الآراء وتلك الروايات:

ذكر أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بن علي بإسناده إلى يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: ((ثم أن علي بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيوم - يعني بعد إسلام خديجة وصلاتها معه - قال فوجدهما يصليان، فقال علي: يا محمد، ما هذا؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (دين الله الذي اصطفاه لنفسه، وبعث به رسوله، فأدعوك إلى الله وإلى عبادته وكفر باللات والعزى). فقال له علي هذا أمر لم أسمع به من قبل، فلست بقاض أمراً حتى أحدث به أبا طالب. فكره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له يا علي: إن لم تسلم فإتكم فمكث علي تلك الليلة ثم أن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى جاء فقال ماذا عرضت علي يا محمد؟ فقال له (تشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد فقال علي وأسلم ومكث علي يأتيه سرّاً خوفاً من أبي طالب، وكنتم علي إسلامه))^(١).

الرواية التي أوردناها عن ابن إسحاق لم يذكرها ابن هشام في السيرة؛ لأن سندها يونس بن بكير والمعلوم أن ابن هشام أخذ رواية ابن إسحاق عن طريق البكائي كما

(١) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٨٩، البيهقي، دلائل النبوة، ج ٢، ص ٦١ (حيث ذكر البيهقي في دلائل النبوة نفس الرواية التي ذكرها ابن الأثير إلا أننا اعتمدنا ابن الأثير لكونه يذكر السند بالكامل).

بيناً ذلك في الفصل الأول إلا أن الذي نريد إيضاحه هنا جملة أمور منها:

الرواية تصور الإمام علياً وكأنه يعيش بعيداً عن الرسول لم يجمعها بيت واحد، وهذا خلاف للوقائع والروايات التاريخية التي نقلها لنا أصحاب السير والتاريخ ومنهم ابن إسحاق نفسه الذي نقل لنا ابن هشام عنه رواية تبني أو كفالة الرسول لعلي بن أبي طالب منذ بداية حياته.

تأكيد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي (عليه السلام) حين عرض عليه قضية الإسلام وأمره وطلب منه كتمان الأمر وهو إجماع إلى المتلقي بأن علياً (عليه السلام) كان قد كتم إسلامه ولا يظهره لكي تكون الأفضلية إلى غيره كما سنرى من خلال سيرة البحث في هذه الفقرة.

المعلوم وبشكل قاطع أن الإمام علي بن أبي طالب لم يعبد الأوثان إطلاقاً إلا أن الرواية فيها طلب من الرسول لعلي أن يكفر باللات والعزى ويتبرأ من الأنداد وهذا الشيء أصلاً غير موجود في نفس الإمام علي (عليه السلام)؛ لأنه لم يعبد الأصنام والأوثان وبذلك لا يطلب منه شيء وهو غير عامل به وهذا خلاف للمنطق.

إن أولية إسلام علي بن أبي طالب تناولتها كثير من الروايات التي نقلها المؤرخون مما جعلها بشكل متواتر غير قابل للشك وفي تفاصيل قد أحجم عن ذكرها ابن هشام في السيرة النبوية فقد اقتصر على إشارات بسيطة لم توضح بيان تلك الحالة.

فقد ذكر الطبري^(١) في تاريخه عن محمد بن عبيد المحاربي عن سعيد بن خثيم عن

(١) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ١٩٧، ينظر النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، ت (٣٠٣هـ - ٩١٥م)، خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام)، تحقيق محمد هادي الاميني، (مكتبة الحديث - طهران، د.ت) ص ٤٥، ابن الجوزي المتظم، ج ٢، ص ٣٥٩، أبو طلحة الشافعي، مطالب

أسد بن عبدة البجلي عن يحيى بن عفيف قال: ((جئت في الجاهلية إلى مكة فنزلت على العباس بن عبد المطلب. قال: فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة، أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء، ثم استقبل الكعبة فقام فاستقبلها فلم يلبث حتى جاء غلام، فقام عن يمينه، قال: فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفها، فركع الشاب، فركع الغلام والمرأة فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجداً فسجداً معه. فقلت: يا عباس، أمر عظيم! فقال: أمر عظيم أتدري من هذا؟ فقلت: لا، قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي. أتدري من هذا معه؟ قلت: لا، قال هذا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، ابن أخي، أتدري من هذه المرأة التي خلفها؟ قلت: لا، قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي، وهذا حدثني أن ربك رب السماء، أمرهم بهذا الذي تراهم عليه، وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة)).

وقد أورد الطبري^(١) في موضع آخر الرواية أعلاه بسنده عن كريب عن يونس ابن بكير عن ابن إسحاق عن يحيى بن أبي الأشعث الكندي، من أهل الكوفة قال: حدثني إسماعيل بن ياس بن عفيف عن جده حيث يورد الرواية نفسها التي أوردناها أعلاه ولكن بألفاظ مختلفة لا تؤثر على المعنى العام حيث يذكر في نهاية الرواية قول

السؤال، ص ٦٤، البري، محمد بن أبي بكر الأنصاري ت (ق ٧هـ - ق ١٣م) الجوهرة في نسب الإمام علي وآله، تحقيق محمد التويجي (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت، د.ت)، ص ٩٠٨ (ويضيف على الرواية أعلاه وهو يزعم انه ستفتح عليه كنوز كسرى وقيصر، فكان عفيف يقول وقد أسلم بعد ذلك، وقد احسن إسلامه: لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ فأكون ثانياً مع علي)، الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، ت (٨٠٧هـ - ١٤٠٤م)، مجمع الزوائد، (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ج ٩، ص ١٥٣.

(١) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ١٩٨.

عفيف: ((فليتني كنت آمنت يومئذ فكنت رابعاً)).

إن رواية عفيف أوردها ابن إسحاق ولم يوردها ابن هشام صاحب السيرة النبوية، وبذلك حجب جزءاً مهماً من الصورة الحقيقية لعلي بن أبي طالب المتأتية من خلال إيراد تلك الرواية التي تدل على أن إسلام علي بن أبي طالب كان قبل كل الناس.

وفي رواية عبد الله بن مسعود قال: ((إن أول شيء علمته من أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أني قدمت مكة مع مجموعة من عمومتي. فأرشدونا إلى العباس ابن عبد المطلب فانتبهينا إليه وهو جالس إلى زمزم فجلسنا إليه، فبينما نحن عنده، إذ قبل رجل من باب الصفا تعلوه الحمرة، له وفرة جعدة إلى أنصاف أذنيه، ألقى الأنف، براق الثنايا، أدعج العينين، كث اللحية، دقيق المسربة، شثن الكفين، حسن الوجه معه مراهق أو محتلم، تقفوه امرأة قد سترت محاسنها، حتى قصد نحو الحجر فاستلمه، ثم استلمه الغلام، ثم استلمته المرأة، ثم طافا بالبيت سبعاً، والمرأة والغلام يطوفان معه، فقلت: يا أبا الفضل إن هذا الدين لم نكن نعرفه فيكم أو شيء حدث؟ قال: هذا ابن أخي محمد بن عبد الله، والغلام علي بن أبي طالب، والمرأة خديجة بنت خويلد ما على وجه الأرض أحد يعبد الله تعالى بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة))^(١).

(١) ابن مردويه، أحمد بن موسى الاصفهاني ت (٤١٠هـ - ١٠١٩م)، مناقب علي بن أبي طالب، جمع عبد الرزاق محمد حسين (ط٢، دار الحديث - قم، ١٤٢٤هـ) ص ٤٧، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٥٥-١٥٦.

وهذه الروايات التي أوردتها المصادر التاريخية تجعلنا نسجل مايلي:

لم يكن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في بداية دعوته ملتزماً بالسرية كما ذكر المؤرخون وأن الدعوة بهذه الصفة التي ذكرناها في الروايات الواردة أعلاه منطلقة من بيت الله الحرام فاتخذنا من الكعبة مكاناً للعبادة وأمام مرأى ومسمع الناس حيث أثارت استغراب من أتى لزيارة الكعبة أمثال ابن مسعود، وقام بتنفيذ أدوارها محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حاملها ومبلغها وعلي بن أبي طالب أول من أسلم وآمن برسوله ونبوته وخديجة بنت خويلد، هذه الصورة غيبت بالكامل عن المتلقي؛ لأن فيها فضيلة السبق بالإسلام لعلي بن أبي طالب وبدأت تنسج أمامها قصص وأقاويل لغرض حجب الحقيقة وإعطاء الفضيلة إلى غير علي (عليه السلام).

الدلالة الأخرى التي يمكن أن نتلمسها من خلال الرواية أعلاه هي ممارسة الأمور العبادية وكما أرادها الله تعالى حيث الصلاة وتقبيل الحجر والطواف بالبيت وهو إعلان رسمي لإنطلاق العبادة وبصفة لم تكن مؤلفة من أهل مكة من قبل فالقضية ليست قضية عبادة الله في شعاب مكة بعيدة عن أنظار الناس لغرض تسويق مفاهيم التكتم والسرية لإيجاد أعذار مناسبة لمن لم يلتحق بالدعوة الإسلامية من بداياتها الأولى.

ثم أورد البلاذري^(١) ((وصلى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - يقصد علي بن أبي طالب - وهو ابن إحدى عشرة سنة وذلك الثبت ويقال ابن عشر، ويقال ابن تسع، ويقال ابن سبع)).

وعن إبراهيم بن المختار عن شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن

(١) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٤٦.

عباس قال: ((أول من صلى عليّ))^(١).

وعن زكريا بن يحيى الضرير عن عبد الحميد بن بحر عن شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال: ((بعث النبي يوم الاثنين، وصلى علي يوم الثلاثاء))^(٢).

وعن كريب عن وكيع عن شعبة عن عمرو بن حرة عن أبي حمزة مولى الأنصار عن زيد بن أرقم قال: ((أول من أسلم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب (عليه السلام))^(٣).

وفي رواية أحمد بن الحسن الترمذي التي ينتهي سندها إلى عباد بن عبد الله قال: ((سمعت علياً يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب، مفترٍ، صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين))^(٤).

وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب مجموعة من الروايات وبأسانيد مختلفة تبين أسبقية علي بن أبي طالب إلى الإسلام من غيره فذكر ((روي عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخباب وجابر وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أول من أسلم وفضله هؤلاء على غيره))^(٥).

وفي رواية أخرى عن الفضل بن صالح عن عكرمة عن ابن عباس ((قال لعلي أربع خصال ليست لأحد غيره: هو أول عربي وأعجمي صلى مع رسول الله، وهو

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ١٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩٧.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩٧.

(٥) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٥٢٣، ينظر النسائي، خصائص أمير المؤمنين، ص ٤٣.

الذي كان لواؤه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم فرّ غيره، وهو الذي غسله وأدخله قبره))^(١).

وعن سلمان الفارسي عن النبي أنه قال: ((وأول هذه الأمة وروداً على الحوض أولها إسلاماً علي بن أبي طالب))^(٢).

وعن أنس بن مالك يقول قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((صلت الملائكة علي وعلى علي بن أبي طالب سبع سنين، وذلك أنه لم ترفع شهادة أن لا إله إلا الله إلى السماء إلا مني ومن علي))^(٣).

وعن عمر بن الخطاب قال كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصحابة: إذ ضرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي منكب علي فقال: ((يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً وأول المسلمين إسلاماً وأنت مني بمنزلة هارون من موسى))^(٤).

وذكر ابن عقدة الكوفي^(٥) عن أبي سخيلة قال: ((حججت أنا وسلمان فنزلنا بأبي ذر فكننا عنده ما شاء الله، فلما حان منا حفوف قلت يا أبا ذر إني أرى أموراً قد حدثت

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٥٢٣، الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١١١.

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٥٢٣ (وقد أورد ابن عبد البر في الاستيعاب أكثر من عشر روايات بأسانيد مختلفة تفيد بأن علياً أول الناس إسلاماً)).

(٣) ابن مردويه، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٤٧، ابن المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٣٢، الموفق الخوارزمي، المناقب، ص ٥٣، المفيد، الارشاد، ج ١، ص ٣٠.

(٤) الباعوني الشافعي، جواهر المطالب، ج ١، ص ٣٧.

(٥) أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد، ت (٣٣٢هـ - ٩٤٣م) فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، تجميع عبد الرزاق محمد حسين فيض الدين (د. م. ط)، ص ١٩، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٤١.

وإني أخاف أن يكون في الناس اختلاف فإن كان ذلك فما تأمرني؟ قال: إلزم كتاب الله عز وجل وعلي بن أبي طالب، فأشهد أنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: عليٌّ أول من آمن بي، وأول من يصفحني يوم القيامة وهو الصديق الأكبر، وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل)).

إن أولية إسلام علي بن أبي طالب لا تحتاج إلى عناء مناقشة واستحضار روايات، فقد مر الذكر أن علياً (عليه السلام) تربى في حضن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ونهل من منهل علومه وتخلق بطيب أخلاقه فكان ذلك دافعاً قوياً أن يلتصق بالرسول ويصدق ما جاء به (صلى الله عليه وآله وسلم).

وعن عبد الرحمن بن عوف يذكر سبب نزول قوله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾^(١) قال هم ستة من قريش أولهم إسلاماً علي بن أبي طالب^(٢)، وبذلك يمكن أن نخلص إلى أن أرجح الروايات تميل^(٣) إلى أولوية علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الإسلام، وإن ذهب بعض من الرواة والمؤرخين إلى جعل أبي بكر أولاً^(٤).

(١) التوبة: آية (١٠٠).

(٢) الحاكم النيسابوري، شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٣٣٣.

(٣) إضافة إلى ما ذكرنا من روايات، ينظر النسائي، أبو عبد الرحمن بن شعيب، ت (٣٠٣هـ - ٩١٥م) فضائل الصحابة، (دار الكتب العلمية - بيروت، د.ت)، ص ١٣، وكذلك كتاب خصائص أمير المؤمنين، ص ٤٣، المحب الطبري، الرياض النظرية، ج ٣ ص ١٠٩، ابن كثير، السيرة النبوية، ج ١ ص ٤٢٨، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٨٣، الهيتي، أحمد بن حجر المكي، ت (٩٧٤هـ - ١٥٦٦م) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تعليق عبد الوهاب عبد اللطيف، (ط ٢)، شركة الطباعة الفنية المحدودة - مصر، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، ص ١٢٠، المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٣ ص ١١١، ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة، ج ١ ص ١٨٣، الصالحي الشامي، سبيل الهدى والرشاد، ج ٢ ص ٣٠٠.

(٤) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٠٠، في رواية رواية جرير عن مغير عن إبراهيم قال:

والبعض الآخر جعل زيد بن حارثة^(١)، ولكن البغوي^(٢) في تفسيره يجمع بين هذه الأخبار فيقول: ((أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان علي بن أبي طالب، ومن الموالى زيد بن حارثة ومن العبيد بلال))^(٣)، وعلى الرغم من أن خديجة أول من أسلمت من النساء بوصفها زوج الرسول والقريبة منه كذلك تكون أولية إسلامه حيث القرابة المكانية من الرسول إضافة إلى ما ذكرنا من مقومات وتهيئة الرسول لعلي من أجل تقبل الإسلام والإيمان بما جاء به الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

إلا أن الملاحظ أن كثيراً من الرواة والمؤرخين حاولوا أن يسلبوا تلك الفضيلة من علي (عليه السلام) وجعلها إلى غيره فمنهم من كان متشدداً في ذلك ومنهم من حاول أن يجد مخرجاً لذلك الأمر، فقد نلاحظ المقرئزي^(٤) في إمتاع الأسماع يجد تخريجة مناسبة للذين يقولون بسبق أبي بكر إلى الإسلام وليس علي بن أبي طالب حيث يقول إن علياً (عليه السلام) كان في بيت الرسول أما أبو بكر هو أول من أسلم لأنه له أهلية الذب عن رسول الله والحماية والمناصرة، ولم يحدثنا المقرئزي عن تلك المناصرة وكيف تمت وما هو الذب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

((أول من أسلم أبو بكر)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٣٦.

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٠٠ في رواية عروة بن الزبير (أول من أسلم زيد بن حارثة)، القرطبي، جامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٢٣٦.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٣٢٢.

(٣) بلال بن رباح ويكنى أبا عبد الله، واسم أمه حمامة، وكان من المؤمنين الأوائل المستضعفين في مكة وكان يعذبه أمية بن خلف واشتراه أبو بكر وأعتقه ويذكر أنه من السبعة الذين اظهروا الإسلام، وهو مؤذن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٢١٣.

(٤) تقى الدين أحمد بن علي ت (٨٤٥هـ - ١١٤١م)، امتاع الاسماع، تحقيق محمد عبد الحميد النمسي (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩١م)، ج ١، ص ٣٣-٣٤.

إذا علمنا وبإجماع كل الرواة والمؤرخين أن تلك مهمة كانت من اختصاص أبي طالب وتم توضيح ذلك فيما تقدم، ثم أن المقرئ يجد مبرراً آخر يجعل من علي بن أبي طالب ليس أول من أسلم، حيث ذكر سئل محمد بن كعب القرظي^(١) عن أول من أسلم، علي بن أبي طالب أو أبو بكر؟ ((فقال: سبحان الله علي أولهما وإنيما اشتبه علي الناس لأن علياً أول من أسلم كان يخفي إسلامه من أبي طالب، وأسلم أبو بكر فأظهر إسلامه! فكان أبو بكر أول من أظهر إسلامه وكان عليّ أولهما))، فإخفاء علي لإسلامه فيه مجانبة للحقيقة وقد ذكرنا روايات في أعلاه تدل على عدم إخفائه لإسلامه وأنه كان يمارس عبادته على مرأى ومسمع الجميع.

إلا أن أبا جعفر الإسكافي المعتزلي يرد على كل من يقول بعدم أولوية إسلام علي ابن أبي طالب معتبراً ذلك إخفاءً متعمداً لمنقبة علي وهذا ما دأب عليه أهل الحكم والسلطان من أمويين وغيرهم، حيث ذكر ((فقد علم الناس كافة أن الدولة والسلطان لأرباب مقاتلتهم وعرف كل واحد علو أقدار شيوخهم وعلماهم وأمرائهم وظهور كلمتهم، وقهر سلطانهم وارتفاع التقية عنهم والكرامة، والجائزة عن رؤى الأخبار والأحاديث في فضل أبي بكر وما كان من تأكيد بني أمية على ذلك، وما ولده المحدثون من الأحاديث طلباً لما في أيديهم فكانوا لا يألون في طول ما ملكوا أن يخملوا ذكر علي (عليه السلام) وولده، ويظفئوا نورهم ويكتموا فضاء لهم ومناقبهم وسوابقهم، ويحملون على شتمهم وسبهم ولعنهم على المنابر، فلم يزل السيف يقطر من دمائهم، مع قلة عددهم وكثرة عدوهم، فكانوا بين قتيل وأسير، وشريد،

(١) محمد بن كعب بن سليم القرظي وكان أبوه من حلفاء الأوس حيث كان حيي بن قريظة سكن الكوفة ثم المدينة وولد محمد في نهاية خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام وكان من رواة الحديث ومن مفسري القرآن الكريم توفي في (١١٧هـ - ٧٣٥م)، ينظر، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٥، ص ٦٥، المزي، تهذيب التهذيب الكامل، ج ٢٦، ص ٣٤٠.

وهارب، ومستخف ذليل، وخائف مترقب، حتى أن الفقيه والمحدث والقاضي والمتحکم يتقدم إليهم، ويتوعد بغاية الإبعاد وأشد العقوبات ألا يذكر شيئاً من فضائلهم ولا يرخسوا لأحد أن يطيف بهم، وحتى بلغ من تقية المحدث أنه إذا ذكر حديثاً عن علي (عليه السلام) كنى عن ذكره، فقال: قال رجل من قريش، وفعل رجلٌ من قريش، ولا يذكر علياً ولا يتفوّه باسمه))^(١).

هذا واقع الحال الذي عليه الناس كما نقلها أبو جعفر الإسكافي فيما تقدم في ظل تلك الاوضاع لا بدّ أن يحرف التاريخ، ومن ضمن التحريف دس أحاديث وتشويه حقائق وإبراز أشخاص بأن لهم مناقب والسبق بالإسلام على حساب المنقبة الفعلي وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي كان سبقه إلى الإسلام منقبة حاول المدلسون إعطاءها إلى أبي بكر في أحاديث مزيفة وبعيدة عن الواقع وفي إيراد حجج واهية منها على سبيل المثال لا الحصر احتجاجهم ومنهم الجاحظ الذي احتج بإمامة أبي بكر على الناس بكونه أول الناس إسلاماً ولكن رد عليه أبو جعفر الإسكافي ((لو كان هذا صحيحاً لاحتج به أبو بكر يوم السقيفة وما رأيناه صنع ذلك لأنه أخذ بيد عمر وبيد عبدة بن الجراح، وقال للناس: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين))^(٢).

وغيرها من الحجج والبراهين التي تفند ذلك الادعاء، نعم كان لعلي السبق إلى الإسلام رغم التضليل والتدليس حيث لاحظنا ذلك من خلال تواتر الروايات التي أوردناها في سياق بحثنا لهذه الفقرة ومنها رواية ابن هشام عن ابن إسحاق ونختم ذلك برواية الزهري التي تبين حقد الأمويين ((قال ابن عباس لمعاوية: ألا تكف عن شتم هذا الرجل - يعني علياً - ؟ قال: ما كنت لأفعل حتى يربو عليه الصغير

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٣، ص ١٥١.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٣، ص ١٥١.

ويهرم فيه الكبير، فلما ولي عمر بن عبد العزيز كَفَّ عن شتمه، فقال الناس: ترك السنة^(١).

إنذار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشيرته الأقربين:

إن حديث الدار من الأحاديث المشهورة، إذ أمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن ينذر عشيرته الأقربين حيث قال: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢)، وعلى إثر هذا الأمر ترتب الصدع بالدعوة الإسلامية ليكون للرسول ناصر من بين عشيرته، إلا أن ابن هشام أغفل ذلك الحديث تماماً ولم يتطرق إليه فذكر عن ابن إسحاق ((ثم دخل الناس في الإسلام إرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشى ذكر الإسلام بمكة وتحدث به، ثم أن الله عز وجل أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يصدع بما جاء منه، وأن يبادئ الناس بأمره، وأن يدعو إليه، وكان من بين ما أخفى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمره واستتر به إلى أن أمره تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه ثم قال تعالى له ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، وقال تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)﴾ [الشعراء]].

بهذه الرواية المقتضبة جداً ذكر ابن هشام^(٣) تلك القصة وقد حجب عن المتلقي كل الحقيقة التي ذكرها صاحب السيرة ابن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن

(١) المصدر نفسه، ج ١٣، ص ١٥١.

(٢) الشعراء، آية (٢١٤).

(٣) السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٨٠.

عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب قال: ((لما نزلت هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعاني فقال لي: يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أني متى أبادؤهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عليه حتى جاءني جبرائيل فقال يا محمد: إنك إن لم تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من الطعام، واجعل عليه رجل شاة، واملاً لنا عساً من اللبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلهم، وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون، فيهم أعمامه أبو طالب والحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعته لهم. فجئت به، فلما وضعت تناول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جذية^(١) من اللحم فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصفحة، ثم قال خذوا بسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيم والله والذي نفسي بيده كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لهم جميعاً، ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس، فشربوا منه حتى رووا جميعاً، وأيم والله كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكلمهم بادره أبو لهب إلى الكلام، فقال هُد^(٢) ما سحركم صاحبكم! فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال الغدي علي: إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم لي.

(١) جذية: قطعة من أصل اللحم. ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ١٣٨.

(٢) هُد الرجل هو الذي اثنى عليه بالجلد والشدة، ينظر الزمخشري، أبو القاسم محمود (٥٣٨هـ -

١١٤٣م)، أساس البلاغة، (دار مطابع الشعب - القاهرة، ١٩٦٠م)، ص ١٠٥٢.

قال: ففعلت، ثم جمعهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال أسقهم، فجتهم بذلك العس، فشربوا حتى رووا منه جميعاً ثم تكلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، وإني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم؟ قال فأحجم القوم عنه جميعاً، وقلت: وإني لأحدثهم سنناً وأرمصهم^(١) عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم^(٢) ساقاً، أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^(٣).

إن حديث الإنذار أو حديث الدار من المفاصل المهمة والحيوية التي لا يمكن لأي راوٍ أو كاتب سيرة إغفال روايته؛ لأن فيه انتقالاً صريحة إلى مرحلة أكثر تطوراً في حياة الدعوة الإسلامية إلا أن ابن هشام أغفل إيراد تلك الرواية في سيرته خشية من دلالات مضمونها الذي يبين وكما رأينا في رواية ابن إسحاق أعلاه على الخلافة والوصاية لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب، وهذا ما لا يروق لبعض الناس سماعه ومنهم العباسيون أصحاب السلطة في عصر ابن هشام؛ لأن هذه الرواية تنسف ما بناه أولئك من تحريف وتزييف لحقائق التاريخ فبذلك حجب ابن هشام كل الحقيقة

(١) ارمص: ما يجتمع في الموق للعين إن سال فهو غمض وإن جمع فهو رمص. ينظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٧، ص ٤٣.

(٢) احمش الساقين: دقيقتها ينظر الجوهري، الصحاح، ج ٢، ص ١٠٠٢.

(٣) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٠٣. ينظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج ٣،

بإخفائه لتلك الحادثة المشهورة تاريخياً كما سيمر علينا من خلال البحث والتي سوف نتناولها بشيء من الإيضاح، ولكن قبل ذلك لا بدّ أن نوضح أن دعوة عشيرته الأقربين نابعة من تكليف ألقاه الله تعالى على عاتق رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن منظار اجتماعي من وحي الظروف السائدة في مكة ينبغي أن نقول كانت لدعوة العشيرة الأولوية التامة وللأسباب الآتية:

إن عشيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تشكل قوة في مكة ولها مكانتها في الداخل والخارج، فاذا دخلوا في الإسلام وناصروه يصبح مرهوب الجانب وفي منعة من أعدائه^(١)، حيث كانت عشيرته مطلعة على أخلاقه وسلوكه عن قرب، فكانت تعتقد بنزاهته وصدقه أكثر من بقية العرب^(٢).

إيمان القبيلة يترجم شعورها القبلي العاطفي حياله ويضاف إلى ذلك أن بني عبد المطلب إلا من شذ مثل أبي لهب كانوا ينحازون إليه، فلو آمنوا به مع الشعور العاطفي الذي كانوا يحملونه إزاءه يشكلون قوة حماية ثابتة وقوية للرسول الأكرم وهذا ما لاحظناه في مواقف كثيرة بعد حديث الدار وبقيادة أبي طالب وتم التطرق إليها في المبحث السابق^(٣).

كانت عشيرته الأقربون يتوقعون منه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يطلعهم على رسالته في جلسة خاصة وهم رهطه وأبناء عمومته، ولو لم يفعل لاتهموه بعدم

(١) الحسن، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر (ط ٢، مطبعة ذي القربى - قم، ١٤٣٠ هـ) ج ١، ص ١٦٤.

(٢) جعفریان، سيرة سيد الأنبياء والمرسلين، ص ٣٣٦.

(٣) جعفریان، سيرة سيد الأنبياء والمرسلين، ص ٣٣٦.

الإعتناء بهم^(١).

إن عشيرته الأقربين لو رضيت وأمنت به فالقبائل الأخرى لا تتهم دعوته بعدم الشرعية، وهذا ما حصل فيما بعد، فقد قال له المشركون مرة بعد أن دعا القبائل إلى الإسلام إلا أن أبا لهب عمه كان يفسد عليه ذلك الأمر حيث يقول من ورائه: ((لا تطيعوه فإنه كذاب))، فيردون على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أقبح الرد، ويؤذونه ويقولون له: أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك^(٢)، وقال شيخ من عشيرة كلب خلال دعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما أحسن ما يدعو إليه هذا الفتى، إلا أن قومه قد باعدوه ولو صالح قومه، لا تبعته العرب^(٣). فإن العشيرة هي المطلق الأول لتبليغ الرسالة التي حمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بها^(٤).

ولابد لنا من بيان واستعراض ما نقله لنا الرواة والمؤرخون والمفسرون عن تلك الحادثة التي احجم ابن هشام عن ذكرها في السيرة النبوية لبيان أهميتها إضافة إلى أن من ذكرها غير ابن هشام فقد ذكرها في ألفاظ مغايرة مما يؤثر على المضمون والمقصود الأساسي من تلك الدعوة التي قام بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعشيرته وإنذارهم.

وقد أورد الطبري^(٥) في تفسيره رواية ابن إسحاق نفسها والتي ذكرها في تاريخه

(١) المصدر نفسه، ص ٣٣٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ١٦٩.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٣٨.

(٤) جعفریان، سيرة سيد الأنبياء والمرسلين، ص ٢٣٧.

(٥) محمد بن جرير ت (٣١٠هـ - ٩٢٢م)، جامع البيان عن تأويل القرآن، (دار الفكر للطباعة والنشر

وأوردناها أعلاه، إلا أنه ذكر بعد أن عرض الرسول على عمومته وبني عمومته وطلب منهم المؤازرة على الأمر الذي جاء به ومن ثم خلافته من بعد، فقد تم التلاعب بالألفاظ التي تخص الفقرة الأخيرة فعلى سبيل المثال ((أيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى وكذا وكذا))، وهذا خلاف ما ورد في التاريخ فنلاحظ التلاعب بالألفاظ وتوجيه الرواية إلى غير الوجه التي أريدت بها وتحريف كلام الرسول في هذا المحل من الرواية بكلام مبهم وغير واضح. مما يخلق ضبابية وعدم وضوح لدى القارئ عندما يطلع على ذلك، ثم يكمل الطبري المقطع الأخير للرواية التي ذكرها في التفسير منطلقاً في ذلك من قول الإمام علي (عليه السلام) وردّه على رسول الله بالإجابة على أن يكون وزيره ((فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخى وكذا وكذا، فاسمعوا وأطيعوا، قال فقام القوم يضحكون... الخ))^(١).

إن عبارة (كذا وكذا) حلت محل خليفتي ووصي من بعدي التي أوردها الطبري في أصل الرواية المذكورة في التاريخ، وبذلك فإن تحريف الرواية صدر من الطبري نفسه وليس من الراوي ابن إسحاق الذي أوضح الحقيقة في روايته.

وفي رواية الحسين بن عيسى بن ميسر الحارثي عن عبد المطلب بن عبد القدوس عن الأعمش بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال: ((قال علي وذكر تفاصيل الرواية نفسها التي وردت في رواية ابن إسحاق إلا أنه عندما يصل إلى الفقرة التي تخص دعوة الرسول لهم بالمؤازرة ذكر ((فقال: أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي؟ قال: فسكتوا أو سكت العباس خشية أن يحيط ذلك به... ثم قالها مرة أخرى: فسكت العباس قال: فلما رأيت ذلك، فقلت: أنا يا رسول، فقال أنت: قال:

والتوزيع - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، ج ١٩، ص ١٤٩.

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج ١٩، ص ١٤٩.

وإني يومئذ لأسوأهم هياًة وإني لأعمش العينين، ضخم البطن، حمش الساقين))^(١).

ولعل الوصف الأخير في هذه الرواية الهدف منه تشويه صورة الإمام علي وجعل المتلقي يشعر بأن شخصيته فيها من العيوب الخلقية التي لا تؤهله لخلافة الرسول، وإلا فالواقع خلاف ذلك فلياقته البدنية وقدراته القتالية والعسكرية تشهد بها ساحات المعارك والأمر لا يحتاج إلى سياق الأدلة والبراهين..

كما روى عبد الله بن حنبل حادثة الإنذار فقال: حدثني يحيى بن عبد الحميد الحماني قال: حدثنا شريك بن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله عن علي (عليه السلام) (قال لما نزلت آية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله رجلاً من أهل بيته، فكان الرجل منهم ليأكل الجذعة^(٢) فإن كان شارباً فزقا، فقدم إليهم رجلاً فأكلوا حتى شبعوا، فقال لهم: من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي؟ فعرض ذلك على أهل بيته فقال: علي (أنا))^(٣)، وذكر القمي^(٤) في تفسيره ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ((قال: نزلت بمكة فجمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بني هاشم وهم أربعون رجلاً كل واحد يأكل منهم الجذعة ويشرب القربة فأتخذهم طعاماً يسيراً فأكلوا حتى شبعوا، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من يكون وصيي ووزيري وخليفتي؟

(١) ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن ادريس ت (٣٢٧هـ - ٩٣٨م)، تفسير القرآن الكريم (تفسير ابن أبي حاتم)، تحقيق اسعد محمد الطيب، (دار الفكر - بيروت، ١٤٤٢هـ - ٢٠٠٣م)، ج٩، ص ٢٨٢٥.

(٢) الجذعة من الغنم ينظر الجوهرى، الصحاح، ج٣، ص ١٠٩٨.

(٣) ابن حنبل، أحمد ت (٢١٤هـ - ٨٥٥م) فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق حسن حميد السنيد، (المجمع العالمي لأهل البيت للطباعة والنشر - قم، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، ص ٣١٠.

(٤) تفسير القمي، ج٢، ص ١٢٤.

فقال أبو لهب جزماً: سحركم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فتفرقوا فلما كان اليوم الثاني أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً، ففعل بهم مثل ما فعل بهم مثل ذلك ثم سقاهم لبناً حتى روو فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أيكم يكون وصيي ووزير وخليفتي، فقال أبو لهب جزماً لقد سحركم فتفرقوا، فلما كان اليوم الثالث أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أيكم يكون وصيي ووزير وينيجز عدتي ويقضي ديني فقام علي (عليه السلام) وكان أصغرهم سناً وأحمشهم ساقاً وأقلهم مالاً فقال أنا يا رسول الله فقال: ((صلى الله عليه وآله وسلم): أنت هو)).

أما فرات بن إبراهيم الكوفي^(١) فذكر في تفسيره رواية جعفر بن محمد بن أحمد الأودي عن علي بن أبي طالب حيث يورد تفاصيل رواية ابن إسحاق نفسها المذكورة ولكن بألفاظ مختلفة لا تؤثر على المعنى العام للرواية وعندما يصل إلى حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع قومه فيذكر ((فأيكم يكون وزير علي أمرى هذا على أن يكون أخي وولي؟ فأحجم القوم عنه، قال علي، فقلت... أنا أكون وزيرك على ذلك، فأخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعنقي ثم قال: إن أخي هذا وولي فاسمعوا له، وأطيعوا قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرت أن تسمع له وتطيع)). لم نلاحظ أي ذكر لكلمة خليفتي في الرواية أعلاه فقد أهملها ابن فرات ولم يوردها.

أما ابن مردويه^(٢) في مناقب الإمام علي بن أبي طالب فيورد في حديث الإنذار أربع روايات وبثلاثة أسانيد، ففي الحديث الأول عن ربيعة بن ناجذ ((إن رجلاً

(١) تفسير فرات الكوفي، ص ٣٠٠.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب، ص ٢٨٨.

قال لعلي: يا أمير المؤمنين بم ورثت ابن عمك دون عمك؟ قال لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ((١))، ثم ذكر الرواية التي هي مضمون رواية ابن إسحاق نفسها إلى أن يقول: ((فقال: يا بني عبد المطلب إني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة، وقد رأيتم من فضل الله الآيات ما رأيتم فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي؟ فلم يقم إليه أحد، قال: فقامت إليه وكنت أصغر القوم سنًا قال: اجلس، ثم قال: ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه وهو يقول: اجلس، حتى كان في الثالثة فضرب بيده على يدي ثم قال: أنت أخي وصاحبي ووزير، وبذلك ورثت ابن عمي دون عمي)).

وفي رواية أخرى عن الإمام علي (عليه السلام) قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أيضاً يورد الرواية نفسها إلا أنه يذكر في نهايتها ((ثم قال لهم - ومدّ يده - من يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي، ووليكم من بعدي؟ فمددت يدي وقلت: أنا أبايعك - وأنا يومئذ أصغر القوم، عظيم البطن - فبايعني على ذلك))^(١).

أما الرواية الثالثة فيوردها عن الإمام علي (عليه السلام) بدون سند فيها تفاصيل رواية ابن إسحاق^(٢) نفسها، أما الرواية الرابعة عن البراء بن عازب فيسوق المحتوى نفس ما ذكرنا من رواية في حديث الإنذار ولكنه ينتهي إلى ((يا بني عبد المطلب إني أنا النذير إليكم من الله والبشير قد جئتكم بما لم يجرى به أحد، جئتكم بالدنيا والآخرة فأسلموا تسلموا وأطيعوا تهتدوا))^(٣)، ولا يذكر بها أي تفاصيل لمحاورة علي (عليه

(١) مناقب علي بن أبي طالب، ص ٢٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٨.

(٣) ابن مردويه، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٢٨٨.

(السلام) مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

أما البيهقي^(١) في دلائل النبوة فيذكر رواية حديث الإنذار عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن علي بن أبي طالب ثم يذكر الحديث كاملاً إلا أنه يقطع الجزء الأخير من المتن فيذكره في الهامش من الصفحة ((ثم قال من يؤازرنى على ما أنا عليه؟ فقال علي: فقلت: أنا يا رسول الله وأني أحدثهم سناً، وسكت القوم ثم قالوا: يا أبا طالب ألا ترى ابنك، قال دعوه فلن يألوا ابن عمه خيراً))، وفي رواية جعفر بن عبد الله بن جعفر المحمدي عن عمر بن علي بن عمر ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) عن أبيه عن أبي رافع قال: ((كنت جالساً بعدما بايع الناس أبا بكر فسمعت أبا بكر يقول للعباس أنشدك الله هل تعلم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جمع بني عبد المطلب وأولادهم وأنت فيهم وجمعكم دون قريش، فقال: يا بني عبد المطلب أنه لم يبعث الله نبياً إلا جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووصياً وخليفة في أهله فلم يقم منكم أحد، فقال: يا بني عبد المطلب كونوا في الإسلام رؤوساً ولا تكونوا أذناً والله ليقوم من قائمكم أو لتكونن في غيركم ثم لتدمن، فقام علي من بينكم فبايعه على ما شرط له ودعاه إليه اتعلم هذا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: نعم))^(٢).

إن إيراد حديث الإنذار جاء بطرق وأسانيد مختلفة ذكرت في كتب السير والتاريخ والحديث والتفسير إلا أن ابن هشام كما ذكرنا قطعه ولم يورده في السيرة النبوية وهذا يدل على حجب الجزء المهم والحيوي والحساس من مقاطع السيرة النبوية، نلاحظ من ذلك القطع القصدية الواضحة بما لا يقبل الشك للتماشي مع سياسة العصر

(١) دلائل النبوة، ج ٢، ص ١٨٠.

(٢) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٢، ص ٢٥٠.

الذي دوّن فيه السيرة أو حجبه هذه الفضيلة والمنقبة لعلي بن أبي طالب، وإن صورت ألفاظها ووجهه غير الوجهة المطلوبة من قبل رواة الحديث ومدوّنيه، حيث وصف ذلك لغايات مرجوة، وعند الرجوع إلى الروايات التي أوردناها نرى أن هناك أكثر من عبارة وردت في نهاية الرواية منها على سبيل المثال ((فأيكم يؤازرنى على أن يكون كذا وكذا))، و((أيكم يقضي ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي))، و((أيكم يبإيعني على أن يكون أخي وصاحبي)).

إن ابن هشام بإقدامه على عدم ذكر رواية حديث الإنذار في السيرة النبوية يدل بما لا يقبل الشك على عدم حياديته في تهذيب السيرة وأنه في ذلك كان يهدف إلى تشويه وحجب صورة الإمام علي (عليه السلام) الحقيقية والناصعة التي ذكرها رواة السيرة لكي تكون سيرته مهذبة مقبولة لدى من كتب لأجلهم تلك السيرة.

ولابد لنا في نهاية الأمر من إيراد بعض الملاحظات المهمة حول حديث الإنذار وأهميته:

إن حديث الإنذار له أهمية كبرى في مرحلة الدعوة الإسلامية حيث يعد الحد الفاصل بين مرحلتين من مراحل الدعوة من مرحلة اختيارية غير إجبارية ممهدة لنشر الإسلام إلى مرحلة أخرى هي مرحلة الاعلان الرسمي التكليفي لكل من يسمع الدعوة، فقد قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد نزول الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ على الصفاة ثم نادى يا صباحاه^(١) فاجتمع الناس إليه، فقال: يا بني هاشم، يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، وأخذ يعد بطون قريش، أریتکم لو أخبرتکم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا نعم،

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج ١٩، ص ١٤٧.

قال: ((فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد))، فقال أبو لهب بن عبد المطلب عم الرسول ((تباً: لكم سائر اليوم، ما دعوتموني إلا لهذا))، فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١) (٢).

إن الإعلان الرسمي للدعوة الإسلامية وبشكل معلن ودعوة كل بطون العرب وبطون قريش وبني هاشم وبني عبد المطلب هو الانتقال إلى مرحلة الصدام المباشر مع طواغيت قريش ومشركيها، إذا علمنا أن قومه في بداية الدعوة لم ينكروا ولم يبعدوا عنه ولكن ظهر من العداوة والعذاب للمسلمين والحرب على الرسول وأصحابه بعد ما عاب آهتهم^(٣).

يمثل حديث الإنذار بمثابة الإعلان الرسمي أيضاً لاستيوار وخلافة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهذا ما أدى إلى اختلاف الرواة والمؤرخين والمفسرين فمنهم من أحجم عن ذكره كما هو حال ابن هشام مهذب السيرة ومنهم من ذكر مقدمته^(٤)، ومنهم من ذكر تفاصيله^(٥)، ومنهم من تلاعب بألفاظه^(٦) إلا أن قطعية

(١) المسد، آية ١.

(٢) ابن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم، ج ٩، ص ٢٥-٢٨.

(٣) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ١٦٩، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١.

(٥) ينظر الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٣٥٦، الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١١٢، السيوطي، الدرر المأثور في التفسير بالمأثور، ص ٩٧، المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٣، ص ١١٤، الكاشاني، فتح الله بن شكر الله ت (٩٨٨هـ - ١٥٨٠ م) زبدة التفاسير (مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، ١٤٢٣هـ)، ج ٥، ص ٥٩، مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف (ط ٢)، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٧٨م)، ج ٥، ص ٥٢١.

(٦) ينظر ابن الجوزي، المنتظم، ج ٢، ص ٣٦٦.

الحديث وتواتره جعلت من علي بن أبي طالب خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من بعده ووزيراً له ووارثاً ووصياً وقائماً مقامه وولياً من بعده والناس كلهم مأمورون بأن يطيعوه ويسمعوه^(١).

فلذلك كانت أهم قضية عمد المحرضون والمزورون والمدلسون إلى تحريفها وتزويرها وتغييرها هي (كلمة خليفتي) حيث اجتهد من اجتهد من إفراغها من معناها الحقيقي الذي أريد لها وإبدالها بكلمات أخرى أو إضافة إليها كلمة مثل (وخليفتي في أهلي) وبذلك ينحرف المسار الحقيقي للرواية من أصلها.

مبيت الإمام علي (عليه السلام) في فراش النبي (صلى الله عليه وآله والسلام)

نقل ابن هشام^(٢) في السيرة النبوية الأسباب التي أدت إلى مبيت الإمام علي بن أبي طالب في فراش النبي، فعن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجیح عن مجاهد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال: ((ولما أجمعوا لذلك واتحدوا أن يدخلوا دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، غدوا في اليوم الذي اتعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة^(٣)، فاعترضهم ابليس على هيئة شيخ جليل، عليه بتلة فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا من الشيخ؟ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له، فحضر معكم يسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً، قالوا، أجل فادخل فدخل معهم، وقد اجتمع فيها

(١) الميلاني، علي الحسيني، حديث الدار، (مركز الابحاث العقائدية، ١٤٢١هـ)، ص ٢٣.

(٢) السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٢٥.

(٣) سمي بيوم الزحمة لتزاحم أشرف القبائل في دار الندوة. ينظر النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت (٥٧٣٣ - ١٣٣٢م) نهاية الأدب في فنون الأدب (المؤسسة المصرية العامة - القاهرة،

د.ت) ج ١٦، ص ٣٢٧.

أشرف قريش^(١).. فقال بعضهم لبعض إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم فإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فاجمعوا فيه رأياً. قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيراً والنابعة، ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا برأيي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلا وشكوا أن يشوا عليكم، فينتزعه من أيديكم، ثم يكثر وكم حتى يغلبوكم على أمره، ما هذا لكم برأيي، فانظروا في غيره ثم تشاوروا.. ثم تشاوروا في آراء مختلفة حتى قال أبو جهل بن هشام: والله إن لي منه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه، قالوا وما هو يا أبا الحكم؟ قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فتياً، ثم نعطي كل فتى منهم صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً فلم يقدر بنو عبد مناف حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم، ثم قال فقال الشيخ النجدي القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون)).

هذا واقع حال تحكيه الرواية؛ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مهددة

(١) وهم من بني عبد شمس، عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب ومن بني نوفل ابن عبد مناف طعيمة بن عدي، وجبير بن مطعم، والحارث بن عامر بن نوفل ومن بني عبد الدار بن قصي، النظر بن الحارث بن كلدة، ومن بني أسد بن عبد العزى أبو البخترى بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام ومن بني مخزوم: أبو جهل بن هشام ومن بني سهم نبيه ومنه ابنا الحجاج ومن بني جمح أمية بن خلف ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٢٥.

حياته ولا يوجد من ناصر ينصره حيث غاب أبو طالب عن الوجود بوفاة وتخلي الجميع عن حامل الرسالة وأخذت قريش تضع الخطط للخلاص منه حتى استقر رأيهم بمباركة القوى الشريرة على الخلاص منه بالقتل وفق ما خطط وأصبح الأمر على وشك التنفيذ.

يكمل ابن هشام^(١) روايته التي نقلها عن ابن إسحاق ((فأتى جبرائيل (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، قال فلما كانت عتمة الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام، فيثبتون عليه، فلما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي وتسبح بردي هذا الحضري الأخضر، فتم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ينام في برده ذلك إذا نام)).

من خلال إيراد الرواية أعلاه لا بد لنا من تسجيل بعض الملاحظات ثم ننتقل إلى تكملتها لغرض بيان موقف الإمام علي من هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). إعلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل السماء بخطة قريش لاغتياله والخلاص منه وقد أتى هذا الإعلام بصفة التحذير لأخذ الاحتياطات المناسبة حيث لم تذكر الرواية أن الله تعالى هيأ خطة للرسول لكي يخلص من ذلك الموقف إنما ترك الأمور إلى صاحب الرسالة ليخطط كيفية الخلاص علماً أن خلاصه لم يكن بمعجزة إنما الأمور تسير وفق القوانين الطبيعية ما عدا بعض المواقف التي تستدعي تدخل السماء في ذلك كما سنلاحظ من خلال سير البحث.

(١) السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٢٧.

الخطبة أحكمت إحكاماً جيداً وبدأ تنفيذها من قبل قريش وهدفها معلوم وأدوات التنفيذ معلومة والمكان معلوم أيضاً وهو بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

بدأت الخطبة المقابلة من الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لإفشالها والخلص من القتل لإكمال مشروع السماء الذي كلف به الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن كيف يتم إفشال هذه الخطبة، الأمر يتطلب توضيحاً كبيراً وثباتاً راسخاً من قبل المنفذين للخطبة المقابلة أو خطة الإفشال وهم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وبالفعل ((حيث قال النبي لعلي: إن قريشاً لم يفقدوني ما رأوك، فاضطجع على فراشه وكانت قريش تنظر إلى فراشه فيظنون أنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)))^(١).

إن التمويه الذي اعتمد في تلك الخطبة يبرز الفداء والشجاعة لدى الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) لكي يوحى إلى الأعداء أن الرسول موجود ولم يخرج ليكون هناك فسحة من الوقت ليتمكن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يتعد كثيراً عن أنظار قريش لكي لا يتمكنوا من الوصول إليه أو اللحق به بسرعة.

ورود عبارة (لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم) فيها إحاء إلى المتلقي بأن علي بن أبي طالب (عليه السلام) حصل على تطمينات من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان بقي في فراشه فهو آمن، لن ينال منه الأعداء وهذه عبارة مجانبة للحقيقة، لأن علياً (عليه السلام) لا يمكن أن يتبادر إلى ذهنه ايثار السلامة وكأن الراوي إن صحة روايته - لأن هناك تحريفاً كثيراً من قبل الناقلين كما رأينا في قضية حديث الإنذار في الفقرة السابقة - يريد من ذلك ان علياً لم يتصرف بهذا الموقف بشجاعة

(١) ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٩٢.

تامة صادرة من ذاته بل حصل على تطمينات بالسلامة.

ثم يكمل ابن هشام^(١) نقل رواية ابن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: ((وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخذ حفنة من تراب في يده... وأخذ الله تعالى على ابصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينشر التراب على رؤوسهم وهو يتلو هـذِهِ الآيات من سورة يس ﴿يس﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾^(٢) إلى قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٣)، ثم انصرف إلى حيث أراد يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ها هنا؟ قالوا محمداً، قال قد خبيكم الله: قد والله اخرج عليكم محمد، ثم ما ترك رجلاً منكم إلا وقد وضع على رأسه تراباً وانطلق إلى حاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال فوضع كل رجلٍ منهم يده على رأسه، فإذا عليه التراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً نائماً في الفراش متسجياً ببرد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائم عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي (عليه السلام) من الفراش، قالوا: والله لقد صدقنا الذي حدثنا)).

إلا أن ابن هشام^(٤) يعود ويورد رواية ثانية يصف بها هجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة إلى المدينة ويورد مقدمات تلك الهجرة فأورد ما يلي: عن ابن إسحاق قال حدثني من لا أتهم، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين

(١) السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٢٧.

(٢) يس آية (١ - ٥).

(٣) يس آية ٩.

(٤) السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٢٩.

قالت: ((كان لا يخطئ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله بالهجرة في ساعة كان لا يأتي بها، قالت فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الساعة إلا لأمر حدث، قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أخرج عني ما عندك، فقال يا رسول الله: إنما هما ابنتاي، وما ذاك فذاك أبي وأمي فقال: إن الله أذن لي في الخروج والهجرة قالت: فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله قال الصحبة، قالت فو الله ما شعرت قبل ذلك اليوم أحد يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم قال يا نبي الله، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتكما لهذا.. ثم يكمل الرواية ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحد حين خرج، إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر وآل أبي بكر)).

الآن لدينا روايتان لا يمكن التصديق بهما مجتمعين لأن حدوثهما في الوقت نفسه وهي بداية الهجرة فلذلك لابد من إيراد بعض الملاحظات من أجل التحقق أي من الروايتين صحيح ويمكن الاستناد إليه وهو يمثل حقيقة الموضوع.

أما ما أورده بقية الرواة والمؤرخون الذين نقلوا حادثة مبيت الإمام علي في فراش النبي، فالطبري^(١) يورد في تاريخه رواية ابن إسحاق نفسها بشقيها الأول والثاني، أما ابن سعد^(٢) فينقل رواية ليلة الهجرة في خمسة أسانيد مختلفة تداخل بعضها ببعض.

(١) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٣٣٢.

(٢) الطبقات، ج ١، ص ١٩٣.

((لما رأى المشركون أصحاب رسول الله حملوا الذراري والأطفال إلى الأوس والخزرج عرفوا أنها دار منعة وقوم أهل حلقة وبأس فخافوا خروج رسول الله فاجتمعوا في دار الندوة..)) ثم يذكر تفاصيل رواية ابن إسحاق نفسها التي ذكرها ابن هشام وهي الرواية الأولى ويضيف ((وجاء رسول الله إلى أبي بكر فقال: إن الله عز وجل قد اذن لي بالخروج، فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله؟ فقال رسول الله: نعم، فقال: أبو بكر فخذ بأبي وأمي أحد الراحلتين هاتين فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): بالثمن، وكان أبو بكر قد اشتراها بثمانمائة درهم من نعم بني قشير، فأخذ أحدهما وهي القصوى، وأمر علياً أن يبيت في مضجعه تلك الليلة، فبات علي وتغشى برداً أحمر حضر مي كان رسول الله ينام فيه)).

ونلاحظ أن ابن سعد وقع في خطأ ابن هشام نفسه في نقل صورة الهجرة ومبيت علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث دمج الروایتين في واحدة، وسوف نناقش صحة أي من الروایتين لتتضح الصورة، ثم بعد ذلك يذكر تفاصيل خروج الرسول من داره كما رواها ابن إسحاق في روايته الأولى إلى أن ينتهي ((فلما أصبحوا قام علي من الفراش فسألوه عن رسول الله فقال لا علم لي به))^(١).

أما البلاذري^(٢) وفي رواية غير مسندة يذكر تفاصيل اجتماع دار الندوة وقضية الشيخ النجدي وأخبار جبريل رسول الله بالأمر وتوجه رسول الله إلى منزل أبي بكر ((فأتى رسول الله منزل أبي بكر، وأمر علياً أن ينام على فراشه فلما دخلوا بيته وهم يرون أنه نائم على فراشه، فقام إليهم علي (عليه السلام) فقالوا له أين ابن عمك؟ قال: لا علم لي به، ويقال: إنهم رموه وهم يظنون أنه نبي الله، فلما قام تركوه وسألوه

(١) الطبقات، ج ١، ص ١٩٣.

(٢) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٦٠.

عن النبي فأخبرهم لا علم له به)).

وورد في رواية البلاذري قضية رمي الإمام علي بالحجارة وهو نائم مكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا ما أيده ابن أبي الحديد^(١) ((فلما رأوا إنساناً مسجى بالبرد الأخضر الحضرمي - يعني بعد أن دخلوا الدار - لم يشكوا أنه هو، وأتمروا في قتله فكان أبو جهل يذمرهم (يخصهم) عليه فهم يجمعون، ثم قال بعضهم لبعض: ارموه بالحجارة فرموه، فجعل علي يتضور منها ويتقلب ويتأوه وتأوهاً خفيفاً، فلم يزالوا كذلك في إقدام عليه وإحجام عنه، لما يريد الله تعالى سلامته ونجاته، حتى أصبح وهو وقيد (مشرف على الهلاك) من رمي الحجارة)).

وقد أورد الطبري^(٢) في تاريخ إضافة إلى روايات ابن إسحاق في هذا المورد زيادة بسيطة ((وزاد بعضهم هذه القصة في هذا الموضع: وقال له - يعني الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) - إن أتاك ابن أبي قحافة، فأخبره أي متوجه إلى ثور، فمره فليلحق بي، وأرسل إليّ بطعام، واستأجر لي دليلاً يدلني على طريق المدينة واشتر لي راحلة)).

وذكر^(٣) في مورد آخر ((وزعم بعضهم أن أبا بكر أتى علياً فسأله عن نبي الله فأخبره أنه لحق بالغار من ثور، وقال: إن كان لك حاجة فالحقه، فخرج أبو بكر مسرعاً فلحق نبي الله في الطريق، فسمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جرس أبي بكر في ظلمة الليل، فحسبه من المشركين، فأسرع رسول الله في المشي، فانقطع قبال نعله فعلق إبهامه حجر فكثر دمها، وأسرع السعي فخاف أبو بكر أن يشق على رسول

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٣، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٢) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣٢ (الرواية غير مسندة).

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فرفع صوته وتكلم، فعرفه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقام حتى أتاه فانطلق ورجل رسول الله تستن دماً حتى انتهى إلى الغار مع الصبح فدخله، وأصبح الرهط الذين كانوا يرصدون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدخلوا الدار، وقام علي (عليه السلام) من فراشه، فلما دنوا منه عرفوه فقالوا له أين صاحبك؟ قال لا أدري، أو رقيباً كنت عليه؟ أمرتموه بالخروج فخرج، فانتهره وضربوه وأخرجوه إلى المسجد، فحبسوه ساعة ثم تركوه)).

إن ما جاء في رواية الطبري أعلاه تكون أقرب إلى الواقع وتماشى مع أحداث ليلة الهجرة وإن كانت هناك بعض المغالطات التي وردت فيها وهي رفع مكانة أبي بكر في قبالة الرسول حيث صور الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكأنه خائف وأبو بكر أكثر صلابة، إلا أن هذا لا يعني القدح بصحة الرواية ككل.

أما ابن حبان^(١) فيورد تفاصيل اجتماع قريش في دار الندوة ووضع خطة قتل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتدخل الشيخ النجدي وثناءه على خطة القتل وينتهي روايته عندما يصل إلى مبيت علي بن أبي طالب (عليه السلام) في فراش النبي بالقول: ((فأمر النبي علياً فتغشى برداً له أحمر حضرمياً فبات في مضجعه واجتمعت قريش لرسول الله عند باب بيته يرصدونه، فخرج رسول الله وفي يده حفنة تراب فرماها في وجوههم، فأخذ الله أعينهم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فباتوا رصداً على بابه وانطلق رسول الله لحاجته، فخرج عليهم من الدار خارج، فقال ما لكم؟ قالوا: نتظر محمداً قال وقد خرج عليكم فانصرفوا بائسين ينفض كل واحد منهم التراب عن رأسه)).

(١) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ص ٦٦-٦٧.

إن ما تقدم هو أهم ما حصلنا عليه من روايات تخص ليلة الهجرة إلا أن ابن هشام الذي نقل روايات ابن إسحاق نقلها بصورة مشوشة غير واضحة المعالم، أراد ابن إسحاق أن يوفق بين الرواية الصحيحة والرواية التي هدفها إرضاء البعض وتحقيق أهداف سياسية وغايات مذهبية أخرى.

إن رواية مبيت الإمام علي في فراش الرسول هي الأقرب إلى الواقع وفق المعطيات الآتية:

لقد قال تعالى في تحذيره إلى الرسول الأكرم وأمره بالخروج من مكة بعد أن دبر له المشركون مؤامرة القتل حيث قال: ﴿وَإِذِ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

في هذه الآية دلالة واضحة إلى الإشارة إلى الرواية الأولى التي أوردها ابن إسحاق حيث ذكر عبد الرزاق الصنعاني^(٢) سبب نزول هذه الآية ((لما خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم) وأبو بكر إلى الغار أمر علي بن أبي طالب فنام في مضجعه وبات المشركون يجرسونه فإن رأوه نائماً صلى الله عليه وآله وسلم) حسبوا أنه النبي صلى

(١) الانفال آية ٢٩.

(٢) الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، ت (٢١١هـ - ٨٢٦م) تفسير القرآن، تحقيق مصطفى مسلم محمد (مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع - الرياض، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)، ج ٢، ص ٢٥٩، ينظر ابن سليمان، مقاتل، ت (١٥٠هـ - ٧٢٦م)، تفسير مقاتل، تحقيق أحمد فريد (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ج ٢، ص ١٣-١٤، الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج ٩ ص ٣٠٠-٣٠١، السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار، ت (٤٨٩هـ - ١٠٩٦م)، تفسير السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم ابن عباس (دار الوطن - الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، ج ٢ ص ٢٦٠، الرازي، تفسير الرازي، ج ١٦، ص ٦٣، البحراني، هاشم الحسيني، ت (١١٠٧هـ - م)، البرهان في تفسير القرآن (مؤسسة البعثة - قم، د.ت)، ج ٢، ص ٦٧٠.

الله عليه وآله وسلم)، فتركوه فلما أصبحوا وثبوا إليه وهم يحسبونه أنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فإذا هم بعلي، فقالوا أين صاحبك؟ قال: لا أدري، قال: فركبوا الصعب والذلول في طلبه)).

أما في كتب الحديث فروى أحمد بن حنبل^(١)، والحاكم النيسابوري عن ابن عباس ((وشرى علي نفسه فلبس ثوب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم نام مكانه وكان المشركون يرمون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فجاء أبو بكر وعلي نائم قال: أبو بكر يحسب أنه النبي قال: فقال له علي (عليه السلام): إن نبي الله انطلق نحو بئر ميمونة فأدركه فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار قال وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتضور وقد لف رأسه بالثوب لا يخرج حتى أصبح ثم كشف رأسه فقالوا: إنك للئيم كان صاحبك نرميه فلا يتضور وقد استنكرنا ذلك)). من خلال ذلك يمكن اعتبار هجرة أبي بكر مع الرسول الأكرم هي صدفة وليس من باب التخطيط المسبق.

ذكرت كتب التفسير^(٢) أن أسباب نزول الآية الكريمة ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٣) كان بحق الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ لأنه فدى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما بات في فراشه.

(١) مسند أحمد، ج ١، ص ٣٣١، المستدرک، ج ٢، ص ١٣٣، الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ج ٢ ص ١٢٧، سبط الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٣٥.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٥٦، الطوسي، ج ٢ ص ١٨٣، الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، ت (٤٢٧هـ - ١٠٥٣م) تفسير الثعلبي، تحقيق أبو محمد بن عاشور (دار احیاء التراث العربي - بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، ج ٢ ص ١٢٦، الحسكاني، شواهد التنزيل، ج ٢ ص ١٢٦، الرازي، تفسير الرازي، ج ٥ ص ٢٢٤، الحلي نهج الحق وكشف الصدق، ص ١٧٦.

(٣) البقرة: آية (٢٠٧).

هناك مواساة سماوية من قبل الملائكة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ذكرها اليعقوبي^(١) في تاريخه، حيث يذكر اجتماع قريش على قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبنفس الخطة التي أوردها ابن هشام عن ابن إسحاق في روايته الأولى ثم يذكر ((فلما بلغ رسول الله أنهم أجمعوا على أن يأتوه في الليلة التي فيها خرج رسول الله لما اختلط الظلام ومعه أبو بكر، وأن الله تعالى أوحى في تلك الليلة إلى جبرائيل وميكائيل أني قضيت على أحدكما بالموت فأيكما يواسي صاحبه؟ فاختار الحياة كلاهما، فأوحى إليهما هلاكتما كعلي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد وجعلت عمر أحدهما أطول من الآخر فاختار علي الموت وأثر محمداً ونام في مضجعه، اهبطا فاحفظاه من عدوه فهبط جبرائيل وميكائيل قعدا أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه يحرسانه من عدوه ويصرفان عنه الحجارة وجبرائيل يقول بخٍ بخٍ لك يا بن أبي طالب من مثلك يباهي الله به ملائكة سبع سموات...))، وهذا يدل على صحة الرواية الأولى، وهي رواية مبيت الإمام علي في فراش الرسول؛ لكون هذه المواساة بمن نام في فراش النبي وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام) مما يبعد التصديق بالرواية الثانية - رواية مجيء الرسول إلى بيت أبي بكر وهجرته منه - وقد ذكر ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب شعر ابن حماد^(٢):

بأهى به الرحمنُ أملاكُ العلى	لما انثنى من فرش أحمد يهجع
يا جبرائيل وميكائيل فإنني	أخيت بينكما وفضلتي اوسع
أفإن بدا في واحد أمرى فمن	يفدي اخاه من المنون ويقنع
فتوثقا كل يضمّن بنفسه	قال الإله أنا الاعزُّ الارفعُ

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٦. ينظر الثعلبي، تفسير الثعلبي، ج ١، ص ١٢٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٣٤٠.

إن الوصي فدى اخاه بنفسه ولفعله زلفى لديّ وموضع
فلتهبطا ولتمنعاً من رامة أم من لم بمكيده يتسرع

إن ابن هشام سلط الضوء أكثر على إبراز منقبة آل أبي بكر في رواية بعيدة عن الواقع من مجيء الرسول في الهجرة كما ذكر إلى انطلاقتها إلى إيجار أو شراء الدواب كلها تخرج عن السياق الحقيقي لتلك الحادثة، وكما بيننا ذلك إلا أنه أغفل ذكر القرآن الذي نزل في تلك الحادثة فلم يورد الآية الخاصة بالإمام علي وهي ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ في المقابل لم يتطرق إلى آية أخرى نزلت وهي ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(١)؛ لأنها توضح حزن وغم أبي بكر على تحمل الصعاب على الرغم من أنه مستخفٍ بالغار، وابن هشام تناسى تماماً ذكر علي بن أبي طالب، وما آلت إليه أموره وهو منفرد غير متخفٍ أمام الأعداء يترصبون به الدوائر وأبو بكر متخفٍ بالغار وهو خائف ومعه رسول الله وهذا ما أكد عليه بعض المفسرين مثل ابن الجوزي^(٢) في زاد المسير والفخر الرازي^(٣) في تفسيره حيث يؤكد أن المقصود بذلك هو أبو بكر لأنه كان خائفاً قبل هذا القول فلما سمع هذا سكن.

في رواية ابن إسحاق الثانية التي نقلها ابن هشام ((ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر وآل أبي بكر))^(٤).

(١) التوبة: آية ٣٩.

(٢) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن، ت (٥٩٧هـ - ١٢٠٠م)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق محمد عبد الرحمن عبد الله (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٤٠٧هـ

- ١٩٨٧م)، ج ٣، ص ٢٩٨.

(٣) تفسير الرازي، ج ٩، ص ٣٨.

(٤) السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٢٩.

من المؤكد أن السرية لابد أن تحيط عملاً كالذي أقدم عليه الرسول وهو الهجرة وهو يعلم علم اليقين أن القوم يطلبونه وقد تأمروا على قتله كما أخبر بذلك من السماء فعليه لابد أن تكون هناك سرية تامة في الموضوع، إلا أن رواية ابن إسحاق الثانية إن صحت فهي بعيدة عن واقع السرية؛ لأن رسول الله لم يخبر أحداً لكن إخباره لمقتضيات الحالة، حيث أخبر علي بن أبي طالب لأن الخطة والوضع تتطلب أمراً كهذا، وكان ذلك لتمويه الأعداء بالمبيت في فراشه ومخادعتهم ليروا أنه لم يبرح فلا يطلبوه، حتى تبعد المسافة بينهم وبينه، وإنه تخلف بمكة حتى يؤدي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الودائع التي عنده للناس، أما أبو بكر فكان رفيقه في الخروج^(١). ولكن آل أبي بكر ما هو الداعي لإعلامهم بالأمر وإن علل ذلك ابن هشام لإيصال المؤمن إليهم عندما كانا في الغار، إلا أن ذلك يتعد كثيراً عن السرية المطلوبة في وضع مثل هذا، ففي رواية محمد بن عبيد الله بن علي بن أبي رافع عن أبيه عن جده عن أبي رافع ((إن علياً كان يجهز النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين كان في الغار فيأتيه بالطعام واستأجر له ثلاث رواحل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولأبي بكر ودليلهم...))^(٢)، إذا علمنا أن قريشاً شددت من طلبها على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بحيث خصصت مائة ناقه لمن رده عليهم^(٣). والرسول على علم بأنه لابد أن يكون سره مأموناً ولا يزيد على أكثر من شخص واحد وهذا هو الحال التي تحكيه لنا رواية أبي رافع أعلاه وهي قريبة للواقع.

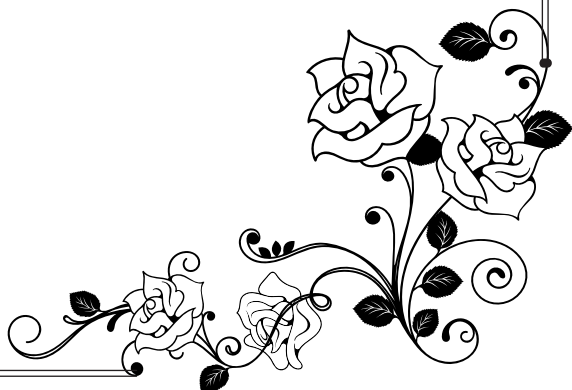
(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٣، ص ٢٠٩.

(٢) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٢، ص ٦٨، الطبرسي، إعلام السورى بأعلام الهدى، ج ١، ص ٣٧٤.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٣٤.

الفصل الثالث

علي (عليه السلام)
من الهجرة حتى فتح مكة سنة (٦٢٩ هـ - ٦٢٩ م)



المبحث الأول

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مهاجراً

بعد وفاة أبي طالب اجترأت قريش على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأخذ الرسول يفكر جدياً في أمر خلاص المسلمين مما هم فيه من أذى واضطهاد من مشركي قريش فأخذ يعرض نفسه على القبائل في كل موسم^(١)، وقد تكلفت جهوده بالنجاح حينما تمت بيعة العقبة الأولى^(٢) وبيعة العقبة الثانية^(٣)، وقد هياً

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٤.

(٢) العقبة الأولى: بعد لقاء الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) مع وفد من أهل المدينة الذين نقلوا الإسلام إلى قومهم حيث فشى الإسلام في المدينة وفي العام الذي يلي عام اللقاء وافى موسم الحج اثنا عشر رجلاً من الأنصار فلقوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالعقبة وهي العقبة الأولى فبايعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ببيعة النساء: بايعوا ألا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرفوا ولا يزنوا ولا يقتلوا اولادهم، ولا يأتوا بهتان يفترونه بين وراجلهم وان لا يعصوه بمعروف فإن وافوا فلهم الجنة، وإن غشيهم من ذلك شيئ فأمروهم الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر، وكانت تلك البيعة قبل أن تفرض عليهم الحرب حيث لم يتعرض فيها لأي نوع من القتال والمساندة فيه، ولما انصرف القوم بعث الرسول معهم مصعب بن عمير يقرأهم القرآن ويعلمهم تعاليم الدين الإسلامي. ينظر البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٢٣٩، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٧٥.

(٣) العقبة الثانية: حصلت في العام الذي بعد العقبة الأولى وفي موسم الحج أتى وفد من الأنصار معهم مصعب بن عمير حيث التقى بالرسول الأكرم بالعقبة وكان عددهم أكثر من سبعين رجلاً، حيث سألوا رسول الله الخروج معهم وعاهدوه أن ينصروه على القريب والبعيد والاسود والأبيض وقد خرج بطلب من الرسول اثنا عشر نقيباً من الأنصار تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وقد قال لهم الرسول الأكرم انتم كفلاء على قومكم الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي وبذلك انتهت العقبة الثانية، ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٨١، ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ١٨٨، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٦.

ذلك للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين مكاناً آمناً للهجرة وهو المدينة، وبالفعل أذن الله تعالى له وللمسلمين بالهجرة إلى المدينة، وكان هو آخر المهاجرين إليها بعد أن ترك علياً (عليه السلام) في مكة، لإيهام قريش بأنه لم يغادر مكانه، ويؤدي الأمانات عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أهلها^(١).

النزول في قباء

ذكر ابن هشام^(٢) في السيرة نقلاً عن ابن إسحاق ((وأقام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها، حتى أدى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنزل معه على كلثوم بن الهدم^(٣)، وإنما كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين، يقول: كانت بقباء امرأة لا زوج لها، مسلمة، قال فرأت إنساناً يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها، فتخرج إليه فيعطيها شيئاً معه فتأخذه، قال فاستربت بشأنه، فقلت لها يا أمة الله، من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة، فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً، لا أدري ما هو، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك؟ قالت: سهل بن حنيف^(٤) بن وهب، قد عرف أني امرأة لا أحدي، فإذا أمسى عدا

(١) ج ٢، ص ١٣٨.

(٢) السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٣٨-١٣٩.

(٣) كلثوم بن الهدم: ابن امرؤ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف الأوسي الأنصاري، شيخ الأنصار أول ما نزل عليه النبي بعد هجرته المباركة إلى المدينة، ينظر الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١، ص ٢٤٢.

(٤) سهل بن حنيف بن وهب الأوسي الأنصاري ويكنى أبا سعيد، صحابي من السابقين، شهد بدرًا، وثبت يوم أحد، وشهد المشاهد كلها، شهد مع علي بن أبي طالب يوم صفين توفي (٣٨هـ - ٦٥٨م) بالكوفة. ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٣٦-٤٣٧، ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢،

على أو ثمان قومه فكسرها، ثم جاءني بها فقال: احتطبي بهذا، فكان علي (عليه السلام) يؤثر ذلك من أمر سهل بن حنيف حتى هلك بالعراق.

ومن خلال قراءة الرواية المتقدمة يمكننا أن نسجل بعض الملاحظات قبل أن نقارنها بما ذكره مؤرخون آخرون:

إقامة الإمام علي (عليه السلام) بمكة لمدة ثلاثة أيام بعد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة لأداء الودائع، مع إغفال الرواية لذكر أسرة الرسول ومن اهتم بأمرها وكيف هاجرت.

الرواية لم تذكر أي تفاصيل عن مسيرة الإمام علي في طريقه إلى المدينة مهاجراً بعد أدائه للودائع إلى أهلها، إذ لم يذكر في روايته كيف كان خروجه من مكة، علماً أنه آخر المسلمين الخارجين منها، والوضع العام كان مشحوناً جداً؛ لأن القرشيين كانوا يطلبون رسول الله من أجل منعه من الهجرة والالتحاق بالمدينة وقد جعلوا مئة ناقة لمن رد رسول الله عليهم^(١). وإن قريشاً كانت مستعدة لتتبع أثر أي شخص من أصحاب النبي لغرض الوصول إليه، إذا ما علمنا أن رد الودائع لم يكن بشكل سري وإنما كان بشكل علني حسب طلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) منه: ((أن يقيم صارخاً يهتف بالأبطح غدوة وعشياً إلا من كان له قبل محمد أمانة أو وديعة فليأت إلى أمانته))^(٢).

ص ٥٧٢، ابن حجر، الاصابة، ج ٣، ص ١٦٥.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٣٤.

(٢) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، ت (٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م)، الامالي، (دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم، ١٤١٤ هـ)، ص ٦٤.

أما بقية المؤرخين فقد نقل الطبري^(١) رواية ابن إسحاق نفسها لكنه ذكر تفاصيل سند الرواية بشكل أشمل من ابن هشام فقال: ((عن ابن حميد عن سلمة قال: حدثني ابن سحاق قال حدثني هذا الحديث علي بن هند بن سعد بن سهل بن حنيف عن علي بن أبي طالب عليه السلام)).

وقد اختلف المؤرخون في نقلهم للواقعة فروى ابن سعد^(٢) عن محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد عن أبيه عن عبيد الله بن رافع عن علي قال: ((لما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة في الهجرة أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدي ودائع كانت عنده للناس، ولذا كان يسمى الأمين فأقمت ثلاثاً فكنت أظهر ما تغيبت يوماً واحداً، ثم خرجت فجعلت أتبع طريق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى قدمت دار عمر بن عوف ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مقيم فنزلت على كلثوم بن الهدم وهناك منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)).

أما البلاذري^(٣) فقد ذكر رواية غير مسندة ((وكانت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودائع، وإنما كان يسمى الأمين، فوكلت علياً (عليه السلام) بردها على أهلها، فلما وفاهم إيها شخص إلى المدينة حتى نزل على كلثوم بن الهدم ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)).

وذكر اليعقوبي^(٤) ((وقدم علي بن أبي طالب بفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك قبل نكاحها إياه وكان يسير ليلاً ويكمن نهاراً حتى قدم

(١) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٣٨.

(٢) الطبقات، ج ٣، ص ٢٠.

(٣) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٦١.

(٤) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٧.

فنزل مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)).

لقد أورد ابن هشام رواية ابن إسحاق نفسها عن هجرة الإمام علي (عليه السلام) من مكة إلى المدينة ونقل الصورة كما أوردتها ابن إسحاق، إلا أن الملاحظ أن تلك الرواية فيها قطع واضح، إذ لم يخبرنا الراوي ماذا فعل علي (عليه السلام) بعد أن أدى الودائع وما هو مصير عائلة رسول الله هل بقيت في مكة؟ وما هو موقف القرشيين منها؟ في حين ذكر اليعقوبي أن الإمام علياً هاجر بالسيدة فاطمة إلى المدينة من دون أن يشير إلى تفاصيل أخرى، وهذا غير كافٍ لإكمال صورة الهجرة إذ أغفلت هذه الروايات تفاصيل كثيرة، لكن المفيد^(١) ذكر تفاصيل وافية عن هجرة الإمام فقال: ((ومن ذلك أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أمين قريش على ودائعهم فلما جاءه الكفار ما أحوجه إلى الهرب من مكة بغتة، لم يجد في قومه وأهله من يأتمنه على ما كان مؤتمناً عليه سوى أمير المؤمنين (عليه السلام) فاستخلفه في رد الودائع إلى أربابها، وقضاء ما عليه دين، وجمع بناته ونساء أهله وأزواجه والهجرة بهم إليه، ولم ير أن أحداً يقوم مقامه في ذلك من كافة الناس، فوثق بأمانته، وعول على نجدته وشجاعته واعتمد في الدفاع عن أهله وحامته على بأسه وقدرته، واطمأن إلى ثقته على أهله وحرمة، وعرف من ورعه وعصمته ما تسكن النفس معه على اتئمانه على ذلك، فقام (عليه السلام) بأحسن القيام، وردّ كل وديعة إلى أهلها، وأعطى كل ذي حق حقه وحفظ بنات نبيه عليه السلام وآله وحرمة، وهاجر بهم ماشياً على قدميه، يحوطهم من الأعداء، ويكلؤهم من الخصماء، ويرفق بهم في السير حتى أوردتهم عليه المدينة، على أتم صيانة وحراسة ورفق ورأفة وحسن تدبير، فأنزله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأحلّه قراره، ولم يميزه من خاصة نفسه ولا احتشمه في باطن أمره وسره)).

(١) الارشاد، ج ١، ص ٥٣-٥٤.

ونقل الطوسي^(١) رواية أكثر تفصيلاً جاء فيها ((ثم كتب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه وقلة التلوم^(٢)، وكان الرسول إليه أبا واقد الليثي^(٣)، فلما أتاه كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تهيأ للخروج وأهجرة فأذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين، فأمرهم أن يتسللوا ويتخفوا إذا ملأ الليل بطن كلِّ واحدٍ إلى ذي طوى^(٤)، وخرج علي (عليه السلام) بفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمه فاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب - وقد قيل هي ضباعة^(٥) - وتبعهم أيمن بن أم أيمن مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأبو واقد رسول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهن، فقال علي (عليه السلام): ارفق بالنسوة يا أبا واقد، إنهن من الضعائف... وسار فلما شارف

(١) الامالي، ص ٤٦٩-٤٧١.

(٢) التلوم: الانتظار والتلبث ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٥٥٧.

(٣) أبو واقد الليثي: واسمه الحارث بن عوف صحابي شهد بدرًا وشهد الفتح وسكن مكة وقد حدث عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) توفي سنة (٦٨هـ - ٦٨٧م) وفي رواية الواقدي سنة (٦٥هـ - ٦٨٥م). ينظر الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٧٤-٥٧٥

(٤) ذي طوى: وهو أحد أودية مكة، ينظر البكري الاندلسي، عبد الله بن عبد العزيز، ت (٤٨٧هـ - ١٠٩٤م) معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، (ط ٢)، عالم الكتاب - بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ج ٣، ص ٨٩٦.

(٥) ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد المناف بن قصي وأمه عاتكة بنت أبي وهب المخزومي، زوجه رسول الله المقداد بن عمرو بن ثعلبة كان حليفاً للأسود بن عبد يغوث، فولدت للمقداد عبد الله وكريمة قتل عبد الله يوم الجمل فمهر به علي بن أبي طالب قتيلاً فقال: ((لبس ابن الاخت أنت حيث كان مع عائشة في حرب الجمل، ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ١٠،

ضحجان^(١) أدركه الطلب، وعددهم سبعة فوارس مستلمين^(٢)، وثامنهم مولى لحرب بن أمية يدعى جناحا، فأقبل علي (عليه السلام) على أيمن وأبي واقد، وقد تراءى إلى القوم، فقال لهما: انيخا الإبل واعقلاها، وتقدم حتى أنزل النسوة، ودنا القوم فاستقبلهم (عليه السلام) منتظياً سيفه، فأقبلوا عليه فقالوا: أظننت أنك يا غادر ناج بالنسوة؟! ارجع لا أبا لك. قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راغماً أو لترجعن بأكثرك شعراً وأهون بك من أهلك، ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثورهما، فحال علي (عليه السلام) بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه، فراغ علي (عليه السلام) عن ضربته وتحتله علي (عليه السلام) فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضياً فيه حتى مس كائبة فرسه^(٣)، فكان (عليه السلام) يشد على قدمه شد الفرس أو الفارس على فرسه فشد عليهم بسيفه وهو يقول:

خلو سبيل المجاهد الجاهد آليت لا أعبد غير الواحد

فتصدع عنه القوم وقالوا له: اغن عنا نفسك يا ابن أبي طالب، قال: فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يثرب، فمن سره أن أفري لحمه وأريق دمه فليتعبني أو فليدن مني، ثم أقبل على صاحبيه أيمن وأبي واقد فقال لهما: اطلقا مطايكما)).

إن ما تقدم في روايتي المفيد والطوسي يكشف حقيقة هجرة الإمام علي إلى المدينة،

(١) ضحجان: وهو موقع يبعد عن مكة خمسة وعشرين ميلاً وهي لأسلم وهذيل وغازة، ينظر الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٥٣.

(٢) مستلمين: أي لابسين عدة الحرب. ينظر، ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٣١٦.

(٣) كائبة فرسه: عند منتهى منبت العرف حتى القربوس المقدم، ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٣٧٧.

وتروي تفاصيل وافية لهذه الهجرة التي حاول من تقدم من المؤرخين إخفاءها، وهذه التفاصيل هي نفسها جعلت كتب السيرة تعزف عن ذكرها، ففيها مناقب لعلي (عليه السلام) وشجاعة بارزة لم يرغب الرواة إبرازها له؛ لأنه لا يروق لبعض الناس سماعه ويكون ثقيل الوقع على حكام عصره فهي منقبة عظيمة ((توحد بها عليه السلام من كافة أهل بيته وأصحابه ولم يشركه فيها أحد من أتباعه وأشياعه، ولم يحصل لغيره من الخلق فضل سواها يُعاد لها عند السير))^(١).

لكن التفاصيل الواردة في الروايتين والتي تحدثت عن رد الودائع واصطحاب العائلة ثم اللحاق برسول الله إلى قباء، تحتاج أكثر من الثلاثة أيام التي وردت في رواية ابن إسحاق؛ لأن رد الودائع وحده كان يحتاج إلى ثلاثة أيام فضلاً عن التحاق الإمام بالمدينة وبصحبه النساء، وفي هذا الباب ذكر الطبرسي^(٢) ((بقي رسول الله خمسة عشر يوماً فجاءه أبو بكر فقال يا رسول الله تدخل المدينة؟ فإن القوم متشوقون إلى نزولك عليهم فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا أريم^(٣) من هذا المكان حتى يوافي أخي علي... فقال أبو بكر: ما أحسب علياً يوافي، قال: بلى ما أسرعه إن شاء الله فبقى خمسة عشر يوماً فوافاه علي بعياله...)).

إلا أن ابن هشام ومن قبله ابن إسحاق أغفل تماماً تفاصيل لقاء النبي بعلي (عليه السلام) في المدينة كما أغفل من قبله تفاصيل الهجرة، ففي رواية عبيد الله بن الحسن قال: ((حدثني محمد بن عبيد الله بن علي بن أبي رافع، عن أبيه عن جده، عن أبي رافع حيث استقر في حديثه هجرة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فخرج علي في طلبه - يعني في طلب النبي - بعدما أخرج إليه أهله يمشي ليلاً ويكمن النهار،

(١) المفيد، الارشاد، ج ١ ص ٥٤.

(٢) إعلام الوری بأعلام الهدى، ج ١ ص ١٥٣.

(٣) أريم: لا أريم مكاني يعني لا أبرحه. ينظر، الزمخشري، أساس البلاغة، ص ٣٩٠.

حتى قدم المدينة، فلما بلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ادعوا لي علياً قبيلاً يا رسول الله، لا يقدر أن يمشي. فأتاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما رآه اعتنقه وبكى، رحمة لما بقدميه من الورم، وكانتا تقطران دماً، فتنفل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في يديه ومسح بهما رجله، ودعاه بالعافية فلم يشتكهما حتى استشهد عليه (السلام))^(١).

إلا أن بعض المؤرخين^(٢) ذكر أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث أبا رافع وزيد بن حارثة مواليه إلى مكة لحمل فاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله وبقية العائلة، وقد علل أحد المتأخرين^(٣) ذلك الأمر بالقول: ((إلا أنه يقال يجوز أن يكون الكتاب الذي فيه استدعاء سيدنا علي عليه السلام للهجرة كان مع زيد وأبي رافع رضي الله عنهما وأنهما صحباه حيث لا يتنافى ذلك مما تقدم من تأخر علي (عليه السلام) بمكة ثلاث ليالٍ يؤدي الودائع، إلا أن تلك الليالي الثلاث كانت مدة تأدية الودائع ومكث بعدها إلى أن جاءه كتاب رسول الله وحينئذ يكون قدومه على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة بعد نزوله بقباء))، وهذا التعليل يبدو معقولاً ويتماشى مع السياق الذي ذكرناه.

(١) ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٩٢، ينظر المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العبكري ت (١٣٤٤ هـ - ١٠٢٢ م)، الاختصاص، تصحيح علي أكبر الغفاري (جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم - د.ت)، ص ١٤٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٢٠٤، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١ ص ٢٦٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣ ص ٧٠.

(٣) برهان الدين الحلبي، إبراهيم بن محمد بن خليل، ت (١٠٤٤ هـ - ١٦٣٤ م)، السيرة الحلبية، (دار المعرفة - بيروت، د.ت) ج ٢، ص ٢٢٣.

المؤاخاة

ذكر ابن هشام^(١) رواية عن ابن إسحاق تتحدث عن المؤاخاة فقال: ((أخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا: ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل: تأخوا في الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال: هذا أخي. فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير^(٢)، ولا نظير من العباد، وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) أخوين، وكان حمزة بن عبد المطلب، أسد رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإليه وزييد بن حارثة مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخوين، وإليه أوصى حمزة يوم أحد حيث حضره القتال إن حدث به حادث الموت، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين، الطيار في الجنة، ومعاذ بن جبل أخو بني سلمة أخوين)). إلا أن ابن هشام قال: ((وكان جعفر بن أبي طالب يومئذ غائباً بأرض الحبشة...)) ثم يورد بعد ذلك تفاصيل المؤاخاة.

هذه صورة المؤاخاة في المدينة بعد الهجرة التي نقلها ابن هشام برواية ابن إسحاق وقد أوضح فيها مدى أهمية تلك المؤاخاة المدنية مؤكداً أن التأخي كان يتضمن ضم الشخص إلى من يناظره في المكانة وقد أوضح منزلة الرسول ومكانته وبين أنه لا يوجد من يناظره علي بن أبي طالب^(٣).

(١) السيرة النبوية، ج ١، ص ١٥١.

(٢) خطير: أي له قدر، ينظر الرازي، محمد بن أبي بكرت (٧٢١هـ - ١٣٢١م)، مختار الصحاح، ضبط أحمد شمس الدين (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٤م) ص ١٠١.

(٣) العواد، السيرة النبوية في رواية أمير المؤمنين، ص ٤٣.

إلا أن ابن هشام وكذلك ابن إسحاق أغفلا أن هناك مؤاخاة أخرى سبقت مؤاخاة المدينة، وهي مؤاخاة مكة التي ذكرها ابن حبيب^(١) في المحبر والتي أشار فيها إلى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) آخى بين أصحابه المهاجرين قبل الهجرة ((وكان آخى بينهم على الحق والمواساة وذلك بمكة فأخى (صلى الله عليه وآله وسلم) بين نفسه وبين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وآخى بين حمزة بن عبد المطلب رحمه الله وبين زيد بن حارثة مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ...)).

إلا أن ابن سيد الناس^(٢) في عيون الأثر ينقل تفاصيل رواية ابن حبيب نفسها ويضيف إليها رواية أخرى ينتهي سندها إلى جميع بن عمير^(٣) عن عبد الله بن عمر نصها ((حتى بقي علي (عليه السلام)، وكان رجلاً شجاعاً ماضياً على أمره إذا أراد شيئاً، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أما ترضى أن أكون أخاك؟ قال: بلى يا رسول الله لقد رضيت، قال: فأنت أخي في الدنيا والآخرة)).

أما بقية المؤرخين فقد ذكروا المؤاخاة بكيفيات مختلفة فنقل ابن سعد^(٤) تفاصيل تلك الحادثة وبأسانيد مختلفة ((لما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم البعض، وآخى بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم على الحق والمواساة ويتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام، وكانوا تسعين رجلاً،

(١) محمد، ت (٢٤٥هـ - ٨٥٩م)، المحبر، (مطبعة الدائرة، ١٣٦١هـ) ص ٧٠-٧١ ينظر البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٧٠، الصالحي، الشامي، سبيل الهدى والرشاد، ج ٣، ص ٢٧٥.

(٢) عيون الاثر، ج ١، ص ٣٢١.

(٣) جميع بن عمير من تيم يعد من الكوفيين سمع ابن عمر وعائشة وروى عنه العلاء بن صالح وآخرون. ينظر، البخاري، التاريخ الكبير، ح ٢، ص ٢٤٣.

(٤) الطبقات، ج ١، ص ٢٠٤-٢٠٥.

خمسة وأربعون مهاجراً، وخمسة وأربعون من الأنصار، ويقال كانوا مئة، خمسون من المهاجرين وخمسون من الأنصار. ((، وروايته هذه تخلو من ذكر مؤاخاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي بن أبي طالب، إلا أنه يعود في ترجمته للإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) لينقل رواية عن محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله ابن محمد بن عمر بن علي بن علي عن أبيه قال فيها: ((فأخى بينه وبين علي بن أبي طالب))^(١).

والملاحظ على روايتي ابن سعد أنها خلتا من أي ذكر للمؤاخاة المكية، إذ يبدو أنه قد وقع في لبس في هذا الموضوع وخلط بين الأمرين فدمج بينهما وجعل المؤاخاة واحدة، فاستبعد الأولى التي فيها مؤاخاة الرسول والإمام علي وأبقى فقط مؤاخاة المدينة.

أما البلاذري^(٢) فقد أورد رواية غير مسندة غلب عليها الطابع السياسي المحابي للسلطات العباسية استبعد فيها مؤاخاة النبي مع الإمام علي فقال: ((وكان ممن آخى بينهم حمزة بن عبد المطلب وكثوم بن الهدم - أو غيره - وعلي بن أبي طالب وسهل ابن حنيف. ((...)).

ولعل من المناسب أن نذكر أن المؤاخاة كانت من المناقب الكبرى للإمام علي بن أبي طالب فقد اجتهد البعض كما ذكرنا في إبعادها عن مسارها الحقيقي وجعل المؤاخاة بين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبين شخصية أخرى غير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهناك من انكر المؤاخاة المكية، كما أن هناك من تبنى أمراً

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٢٠-٢١.

(٢) أنساب الأشراف، ج ١ ص ٢٧٠، ينظر، ابن حبيب، المحبر، ص ٧١.

آخر وهو تصوير الإمام علي بن أبي طالب بصورة غير متزنة حيث عمل على تشويه صورة المؤاخاة من خلال تحريفها عن خطها الطبيعي ومن هذه الروايات الرواية الآتية: ((أخى النبي بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله أخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، قال: أنت أخي في الدنيا والآخرة))^(١)، وهذه الرواية في ظاهرها مدح لأمير المؤمنين لكن باطنها لا يخلو من ذم لمقامه الشريف^(٢).

وقد عمل بعض الرواة على توظيف أحاديث وأقوال شائعة قالها الرسول الأعظم بحقه ليدسوا بعض العبارات التي كان فيها قصدية تشويه صورة المؤاخاة، فذكرت إحدى هذه الروايات اعتراض وعتب الإمام علي بن أبي طالب على رسول الله ((فقال علي بن أبي طالب: يا رسول الله ذهب روعي فانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت، فإن كان من سخطك علي فلك العتبي والكرامة، قال: والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي، قال: يا رسول الله ما أرت منك؟ قال: ما ورثه الأنبياء قبلي، قال: وما ورثه الأنبياء قبلك؟ قال: كتاب الله وسنة نبيهم وأنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة ابنتي...))^(٣).

بل ذهب بعضهم إلى أكثر من ذلك حين صور الإمام علياً كأنه يستجدي المؤاخاة فيذهب إلى فاطمة الزهراء شاكياً ما لاقاه من رسول الله بعدم المؤاخاة وتركه، فنقلت

(١) الترمذي، سنن الترمذي، ص ٥٨١، ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٨٧، الاربلي، علي بن أبي الفتح، ت (٦٩٣ هـ - ١٢٩٣ م)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، (ط ٢)، دار الاضواء - بيروت، ١٩٨٥ م، ج ١، ص ٣٣٦، ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج ١، ص ٣٢٢.

(٢) العواد، السيرة النبوية في رؤية أمير المؤمنين، ص ٤٥.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، ت (٦٦٤ هـ - ١٢٦٥ م)، الطرائق في معرفة مذاهب الطوائف، (مطبعة الخيام - قم، ١٣٩٩ هـ)، ص ١٤٨-١٤٩.

بعض المصادر رواية ينتهي سندها إلى أنس بن مالك ((لما كان يوم الإخاء فأخى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بين المهاجرين والأنصار وعلي واقف يراه ويعرف مكانه ولم يؤاخ بينه وبين أحد فانصرف علي باكي العين، فافتقده النبي وقال: ما فعل أبو الحسن؟ قالوا: انصرف باكي العين يا رسول الله. قال: يا بلال اذهب فأنتني به، فمضى بلال إلى علي (عليه السلام)، وقد دخل منزله باكي العين، فقالت فاطمة: ما يبكيك لا أبكى الله لك عيناً. قال يا فاطمة: آخى النبي بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعرف مكاني ولم يؤاخ بيني وبين أحد، قالت فاطمة (عليها السلام): لا يحزنك الله، لعله ادخرك لنفسه، فقال بلال: يا علي أجب النبي فأنتي علي إلى النبي، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما يبكيك يا أبا الحسن؟ قال: آخيت بين المهاجرين والأنصار يا رسول الله وأنا واقف تراني وتعرف مكاني ولم تؤاخ بيني وبين أحد، قال: إنما ادخرتك لنفسي أما يسرك أن تكون أخا نبيك؟ قال: بلى يا رسول الله، أنى لي بذلك وأخذ بيده وأرقاه المنبر فقال: اللهم إن هذا أخي مني وأنا منه، ألا أنه مني بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه))^(١).

لقد كانت المؤاخاة من الحقائق التاريخية التي لا يمكن إنكارها ولا نريد هنا نفيها أو إثباتها وقد نقلت بتواتر كبير، لكن الشيء المهم في الموضوع محاولة البعض تصوير الإمام علي بصورة لا تتلاءم مع طبيعة هذه الشخصية العظيمة، فقد نعتته الروايات بأوصاف لا تليق بمكانته السامية، وعليه يمكن اعتبار ذلك دساً وتحريفاً في المسيرة التاريخية الناصعة للإمام علي (عليه السلام)، إلا أن الملاحظ أن ابن هشام نقل حقيقة الأمر في المؤاخاة، وذلك يعود إلى التواتر الكبير لهذه الحادثة في مصادر المسلمين

(١) ابن حبان، أبي حاتم محمد بن أحمد التميمي البستي ت (٣٥٤هـ-٩٦٥م)، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق سعد كريم الفقي (دار ابن خلدون - الاسكندرية، د.ت). ص ٨٠.

المتقدمة وبأسانيد مختلفة، فروي عن ابن عباس أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال للإمام علي: ((أنت أخي وصاحبني))، وأن النبي ((أخى بين علي بن أبي طالب ونفسه (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له: أنت أخي في الدنيا والآخرة))^(١)، وعن سعد بن حذيفة عن أبيه حذيفة بن اليمان قال: ((أخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين الصحابة والأنصار والمهاجرين فكان يؤاخي بين الرجل ونظيره، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال له: هذا أخي، قال حذيفة: رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له في الأنام شبيه ولا نظير، وعلي بن أبي طالب اخوان))^(٢).

وذكر ابن الجوزي^(٣) بعد استعراضه لقائمة المتأخين أن الرسول ((أخى بين علي ابن أبي طالب ونفسه...)) بينما ذكر ابن الأثير^(٤) المؤاخاة المكية والمدنية ((وأخاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مرتين فإن رسول الله أخى بين المهاجرين، ثم أخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة وقال لعلي في كل واحد منهما أنت أخي في الدنيا والآخرة)).

وروي أن الإمام علياً قال يوماً ((أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقوله بعدي إلا مفترٍ على الله كاذب، وفي رواية لا يقوله بعدي إلا كاذب أو مجنون فقالها رجل فجن))^(٥)،

(١) ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ٩٠.

(٢) ابن المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٥٤-٥٥.

(٣) المنتظم، ج ٣، ص ٧٤.

(٤) أسد الغابة، ج ٤، ص ٨٧.

(٥) الزرندي، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن ت (٧٥٠هـ - ١٣٤٩م)، نظم درر السبطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين، تحقيق، حسين الحسيني البيرجندي (ط ٢)، المجمع العالمي لأهل البيت - بيروت، ٢٠١٢م، ص ١٢٦.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت علي بن أبي طالب ينشد ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسمع:

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي
جدي وجد رسول الله منفرد
صدقته وجميع الناس في بهم
فالحمد لله شكراً لا شريك له

ربيت معاه وسبطاه هما ولدي
وفاطم زوجتي لا قول ذي فند
من الضلالة والاشراك والتلد
البر بالعبد والباقي بلا أحد

فقال رسول الله: صدقت يا علي^(١).

وعن أبي أمامة ((أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آخى بين الناس، وآخى بينه وبين علي عليه السلام))^(٢).

والشواهد كثيرة في هذا المورد التي تحكي تواتر الروايات في المؤاخاة بين الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ونختم فقرتنا هذه بما قاله أبو جعفر الإسكافي^(٣): ((ثم فكروا في حديث المؤاخاة وما فيه من الدلائل الواضحة، إذ ميزهم على قدر منازلهم، ثم آخى بينهم حسب مفاضلتهم فلم يكن أحد أقرب من فضل أبي بكر من عمر، فلذلك آخى بينهما وأشبه طلحة والزبير وقرب منازلهما، لذلك آخى بينهما وكذلك فعل بعبد الرحمن بن عوف آخى بينه وبين عثمان... ثم قال لعلي: إنما أخرجتك لنفسك أنت أخي وصاحبني فلم يكن أحد أشبه بالنبي من علي، ولا أولى بمؤاخاة النبي منه فاستحق بمؤاخاة النبي (عليه السلام)

(١) الزرندي، نظم ودرر السمطين، ص ١٢٧.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١١٢.

(٣) المعيار والموازنة، ص ٢١٠.

لتقدمه على القوم، وكانت مؤاخاة علي أفضل من مؤاخاة غيره لفضله على غيره)).

زواج الإمام علي (عليه السلام) من الزهراء (عليها السلام)

قبل أن ندخل إلى موضوع الزواج المبارك لا بد لنا أن نذكر باختصار جزءاً من سيرة السيدة فاطمة الزهراء، وذلك من أجل التعرف على تلك الشخصية لا سيما إننا اطلعنا على شخصية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وتعرفنا على ولادته ونشأته بوصفه صاحب الدراسة.

لقد فتحت الزهراء عينيها على الحياة وهي ترى وجه أبيها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وترضع من أمها خديجة الكبرى اللبن الممزوج بالفضائل والكمال، وقد تربت في بيت الوحي ومهبط الرسالة، يزقها أبوها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العلوم الإلهية ويفيض عليها بالمعارف الربانية، ويعلمها أحسن دروس التوحيد، وأرقى علوم الإيمان وأجمل حقائق الإسلام^(١).

وقد ولدت (عليها السلام) في مكة في العشرين من جمادى الآخرة سنة خمس من المبعث^(٢)، إلا أن هناك من يذهب إلى أن ولادتها قبل النبوة بخمس سنوات^(٣). وفي رأي آخر إن ولادتها قبل المبعث بقليل^(٤)، ولسنا بصدد التحقيق في ذلك بقدر ما يهمننا تاريخ ولادتها وبعدها فقدت أمها ولم تتجاوز الخمس سنوات من عمرها، وبقيت مع أبيها حتى هجرته إلى المدينة، فلحقته برفقة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

(١) القزويني، محمد كاظم، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، مؤسسة الرافد للمطبوعات، بغداد، ٢٠١١م، ص ٩٤.

(٢) الطبرسي، تاج الموالي، ص ٢١.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ١٠، ص ٢٠، ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج ١، ص ٢٥٧.

(٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٢، ص ١١٩.

أما زواجها بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقد اختلفت المصادر أيضاً في هذا، فمنهم من ذكر أن ذلك تم بعد الهجرة بشهرين^(١). ومنهم من ذكر أن الزواج تم بعد مقدم النبي إلى المدينة بخمسة أشهر^(٢)، وعلى رأي آخر تم زواجهما سنة اثنين بعد وقعة بدر^(٣).

أما ما يخص موضوعنا فإن ابن هشام في السيرة النبوية أغفل ذكر حادثة الزواج على الرغم من أهميتها لأنه كما يبدو أراد حجب الصورة المشرقة لآل البيت والثمار التي انتجها هذا الزواج المبارك، إذ لاحظنا من خلال دراستنا لابن هشام والوضع السياسي الذي كان يعيشه في ظل السلطات العباسية، إذ رأينا أن العباسيين في بداية استلامهم للحكم سعوا جاهدين إلى صرف أنظار الناس عن أهل البيت الحقيقيين وتوجيه أنظار الناس إلى أن أهل البيت هم العباسيون، ومن خلال ذلك نلاحظ أن هناك قصداً واضحاً هو صرف أنظار الناس عن هذا الزواج ونتائجه، إلا أن ابن إسحاق^(٤) لم يغفل ذلك، فقد ذكر في روايته المسندة إلى عبد الله بن أبي نجیح عن مجاهد عن علي قال: ((خطبت فاطمة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت لي مولاة لي هل سمعت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله؟ فقلت: لا، قالت فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيزوجك، فقلت: وعندني شيء أتزوج؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوجك فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جلال وهيبة، فلما قعدت

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ١٠، ص ٢٣.

(٣) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٢، ص ١١٩.

(٤) السير والمغازي، ص ٢٤٦.

بين يديه افحمت، فو الله ما استطعت أن أتكلم، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما جاء بك، ألك حاجة؟ فسكتُ فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ فقلت: نعم، فقال: هل عندك شيء تستحلها به؟ فقلت: لا والله يا رسول الله، فقال: ما فعلت درع اسلحتكها، فو الذي نفس علي بيده إنها لحطيمة ما ثمنها أربعة دراهم، فقلت: عندي، فقال: قد زوجتكما فابعث بها إليها فاستحلها بها، فإن كانت لصدوق فاطمة ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)).

وهذه الرواية المختصرة هي ما اكتفى به ابن إسحاق في ما يتعلق بالزواج، بينما نقلت مصادر أخرى روايات فيها تفاصيل كثيرة لم ترد عند ابن إسحاق، وهذا ما سنلاحظه من خلال استعراض بقية الروايات، فابن سعد^(١) نقل عن مسلم بن إبراهيم عن المنذر بن ثعلبة عن علباء بن أحمد الشكري أن أبا بكر خطب فاطمة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال له: ((يا أبا بكر انتظر بها القضاء فذكر ذلك أبو بكر لعمر، فقال له عمر: ردك يا أبا بكر، ثم أن أبا بكر قال لعمر: اخطب فاطمة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فخطبها، فقال له: مثل ما قال لأبي بكر انتظر بها القضاء، فجاء عمر إلى أبي بكر فأخبره، فقال له ردك يا عمر. ثم أن أهل علي قالوا لعلي: اخطب فاطمة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال بعد أبي بكر وعمر؟ فذكروا له قرابته من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فخطبها فزوجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فباع علي بغيراً له وبعض متاعه فبلغ أربعمئة وثمانين، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): اجعل ثلثين في الطيب وثلثاً في المتاع)).

وفي رواية أخرى عن الفضل بن دكين عن موسى بن قيس الحضرمي قال:

(١) الطبقات، ج ١٠، ص ٢٠.

سمعت حجر بن عنبس قال: وقد كان أكل الدم في الجاهلية وشهد مع علي الجمل وصفين: قال خطب أبو بكر وعمر فاطمة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): هي لك يا علي، لستُ بدجال، يعني لستُ بكذاب. وذلك أنه قد كان وعد علياً بها قبل أن يخطب إليه أبو بكر وعمر^(١).

أما اليعقوبي^(٢) فذكر وصول علي بن أبي طالب والتحاقه بالرسول في المدينة ((ثم زوجها رسول الله من علي - يعني فاطمة - بعد قدومه بشهرين، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها إلى رسول الله، فلما زوجها علياً قالوا في ذلك، فقال رسول الله: ما أنا زوجته ولكن الله زوجه)).

أما الواقدي فذكر عن ابن أبي سبرة حدثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر ((أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) بنى بفاطمة (عليها السلام) في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً...))^(٣).

وفي رواية جوير بن سعيد عن الضحاك بن حزام قال: ((سمعت علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: أتاني أبو بكر وعمر فقالا: لو أتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فذكرت له فاطمة، قال: فأتيته فلما رأني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ضحك، ثم قال: ما جاء بك يا أبا الحسن وما حاجتك؟ قال فذكرت له قرابتي وقدمي في الإسلام ونصرتي له وجهادي فقال: صدقت، فأنت أفضل مما تذكر.

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ١٠، ص ٢٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٧.

(٣) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٩٦.

فقلت يا رسول الله فاطمة تزوجنيها؟ فقال: يا علي، انه قد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك فدخل عليها فقامت إليه، فأخذت رداءه ونزعت نعليه، وأتته بالوضوء فوضأته بيدها وغسلت رجليه، فقال لها يا فاطمة. فقالت لبيك، حاجتك يا رسول الله؟ قال: إن علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضل إسلامه، وإني قد سألت ربي أن يزوجك خير خلقه وأحبهم إليه، وقد ذكرت من أمرك شيئاً فما ترين؟ فسكتت ولم تول وجهها ولم يرفيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر سكوتها إقرارها، فأتاه جبريل (عليه السلام) فقال: يا محمد، زوجها علي بن أبي طالب فإن الله رضيها له ورضيه لها^(١).

إن تواتر الروايات في تزويج علي من فاطمة والطريقة التي تم بها لا يمكن إغفاله، لكن إحجام بعض المؤرخين عنه فيه قصدية واضحة، وابن هشام من هؤلاء الذين أحجموا عن ذكره وهو غير خاف عليه، وهذا أمر يطرح الكثير من علامات الاستفهام؛ لأنه يخفي غايات ومقاصد كثيرة، منها أنه أراد إخفاء كل ما يتعلق بفضائل الإمام علي وأهل بيته، وحتى ذكر ابن إسحاق وغيره لحادثة الزواج فإننا نسجل عليه جملة من الملاحظات:

إن ابن إسحاق وإن أورد تلك الرواية في السيرة إلا أنه حجب الكثير من الحقائق فهو لم يذكر من خطبها قبل الإمام علي بن أبي طالب ولماذا خطبها، فالملاحظ من خلال ما أوردنا من روايات أن عملية الخطبة والتزويج من فاطمة لم تكن من المسائل الطبيعية وإنما خاضعة للتدخل الإلهي، وهذا واضح في رواية ابن سعد بعد أن رد رسول الله أبا بكر قال له: ((انتظر بها القضاء)) بمعنى أن أمر تزويجها مرتبط بالسما

(١) الطوسي، الامالي، ص ٣٩-٤٠.

بيد الله تعالى، وهذا ما حفز عمر بن الخطاب بعد أن قص أبو بكر عليه أمر الخطبة للذهاب إلى رسول الله لخطبة فاطمة لعله يظفر بتلك المنقبة ولكنه لم يفلح إلى أن خطبها الإمام علي (عليه السلام) وحصلت الموافقة.

جاء في رواية ابن إسحاق أن الذي حفز الإمام علياً لخطبة الزهراء هي جارية عنده وهذا فيه تجنٍ كبير على الحقيقة؛ لأن أمر الزواج كان بيد السماء وهذا ما قاله النبي الأعظم لأبي بكر وعمر، لكن يبدو أن هناك تغييباً متعمداً لهذه الحقيقة حتى لا تنسب هذه المنقبة لأمر المؤمنين.

أراد ابن إسحاق من خلال إيراد رواية التزويج أن يوحى للقارئ أن الأمر طبيعي وتحاشى ذكر أبي بكر وعمر تجنباً للحرَج الذي قد يقع فيه، فأراد أن يجعل الأمور مقبولة من كل الأطراف إذا عرفنا أن الظروف التي دونت بها السيرة، ومدى الضغط الذي تعرض له عندما كتب السيرة على مقاسات المنصور العباسي.

يؤكد ما ذهبنا إليه في النقاط الواردة أعلاه إيراد ابن المغازلي^(١) رواية ينتهي سندها إلى أنس بن مالك: ((جاء أبو بكر إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وأني.. . قال وما قال تزوجني فاطمة؟ قال فسكت عنه أو قال: فأعرض عنه، قال: فرجع أبو بكر إلى عمر فقال هلكت وأهلكت قال: وما ذاك؟ قال: خطبت فاطمة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأعرض عني، قال: مكانك حتى آتي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخطب منه مثل ما طلبت.

فأتى عمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله

(١) مناقب علي بن أبي طالب، ص ٢٧٢-٢٧٣.

قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وأنا وأني... قال: وما ذاك؟ قال تزوجني فاطمة قال: فأعرض عنه، قال فرجع عمر إلى أبي بكر فقال: إنه ينتظر أمر الله بنا. فانطلق بنا إلى علي حتى نأمره بطلب الذي طلبنا.

قال علي فأتيتني وأنا أعالج فسيلاً فقالا: ألا أتيت ابن عمك تخطب ابنته قال فنبهاني لأمر فقممت أجزردائي طرفاً على عاتقي وطرفاً على الأرض حتى أتيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقعدت بين يديه فقلت: يا رسول الله قد علمت قدمي في الإسلام ومناصحتي وأنا... قال: وما ذاك يا علي؟ قال: تزوجني فاطمة. قال: وما عندك؟ قال: عندي فرسي ودرعي...)).

ولا نريد الاسترسال في ذكر روايات الزواج فقد تمت الموافقة على العقد كما ذكرنا وبمباركة الله سبحانه وتعالى حيث لم يكن الزواج باجتهاد شخصي من الرسول الأعظم، وقد روي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: (أتاني ملك فقال يا محمد: ان الله يقرأ عليك السلام ويقول قد زوجت فاطمة من علي فزوجها منه)^(١)، وروي عن أبي عبد الله الصادق انه قال: ((لولا ان الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين (عليه السلام) لفاطمة ما كان لها كفؤ على ظهر الأرض من آدم ومن دونه))^(٢). وقد كان هذا الزواج المبارك بمباركة وحضور الرسول الأكرم، فقد روى الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بسنده إلى أنس بن مالك ((قال: لما زوج النبي فاطمة قال يا أم أنس زفي ابنتي إلى علي، ومريه أن لا يعجل إليها حتى أتيتها، فلما صلى العشاء أقبل بركوة فيها ماء فتفل فيها بما شاء ثم قال: اشرب يا علي وتوضأ. واشربي وتوضئي

(١) ابن الفثال النيسابوري، محمدت (٥٠٨هـ - ١١١٤م)، روضة الواعظين، (المطبعة الحيدرية -

النجف، ١٩٦٦م)، ص ١٤٦.

(٢) الكليني، اصول الكافي، ج ١، ص ٢٩٢.

ثم أجاف عليهم الباب فبكت فاطمة فقال: ما يبكيك يا بنية قد زوجتك أقدمهم إسلاماً وأعظمهم حلماً، وأحسنهم خلقاً وأعلمهم بالله تعالى وفي رواية أنه قال لهما: اللهم بارك عليهما وبارك لهما في شليلهما))^(١).

وقد خطب النبي على المنبر في تزويج السيدة فاطمة، فعن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع في سلطانه، المرغوب إليه فيما عنده، المرهوب من عذابه، النافذ أمره في سمائه وأرضه، خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامه، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد، إن الله تعالى جعل المصاهرة نسباً لاحقاً، وأمرأ مفترضاً، وشبح بها الأرحام، وألزمها الأنام، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ثم أن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي...))^(٢).

وعن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن آبائه عليهم السلام عن علي قال: ((قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا علي: لقد عاتبتني قريش في أمر فاطمة وقالوا خطبناها إليك فمنعتنا وتزوجت علياً فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوجته بل الله منعكم وزوجه فهبط عليّ جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله جل جلاله يقول: لو لم اخلق علياً (عليه السلام) لما كان لفاطمة ابنتك كفؤ على وجه الأرض من آدم فمن دونه))^(٣).

فكفاءة علي لفاطمة ليست كفاءة نسبية فقط، ولا خلقية فقط وإنما هي كفاءة

(١) الزرندي، نظم درر السمطين، ص ٢٩٩.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ١٢٧.

(٣) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٠١، المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٣ ص ١٤٥، القابنجي، حسن، مسند الامام علي، تحقيق طاهر السلامي (الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ٢٠٠٠م)، ج ٨،

سماوية إلهية في تعادها بالقرآن وتساويهما في ميراث النبوة وفي الحكمة وأهدى والرحمة وفي افتراض الولاء والطاعة على الناس اجمعين، فالزهراء (عليها السلام) وعلي كان أحدهما كفوًّا للآخر ولو أن النبي زوج الزهراء من رجال العرب الذين خطبوا إليه لكان حالها المادي يختلف عما كان عليه مع الإمام (عليه السلام) الذي لم يملك إلا درعه الذي ابتاعه وتزوج به^(١).

أما ثمرة هذا الزواج المقدس فكانت الإمامة الطاهرة وامتدادها الطبيعي، إلا أن ابن هشام أغفل كل شيء يمت بصلة إلى زواج الإمام وثمره ذلك الزواج المبارك، إلا أن ابن إسحاق أشار إلى ذلك في السيرة النبوية فذكر ((ولدت فاطمة لعلي الحسن والحسين ومحسناً، فذهب صغيراً وولدت له أم كلثوم وزينب))^(٢).

بهذه الكلمات المقتضبة جداً انتهت إشارة ابن إسحاق إلى ثمرة زواج الإمام علي (عليه السلام) من فاطمة إلا أنه يعود وفي رواية مسنده إلى يونس بن عمرو عن أبيه عن هاني بن هاني عن علي قال: ((لما ولد الحسن سميته حرباً قال فجاء الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: أروني بني ماذا سميتموه؟ قلت: سميته حرباً، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لله عليه، لا ولكن اسمه حسن، فلما ولدت حسيناً سميته حرباً، فقال: لا ولكن سمّه حسيناً، فلما ولدت الثالث سميته حرباً، فجاء رسول الله فقال: أروني ابني ماذا سميتموه؟ فقلنا سميناه حرباً، فقال لا ولكن سمّه محسن، ثم قال إني سميتهم ببني هارون شبر وشبير، يقول: حسن وحسين))^(٣).

(١) مغنية، محمد جواد، فضائل الامام علي، تحقيق سامي العيزي (ط٣)، مؤسسة دار التراث الإسلامي - قم، ٢٠٠٧م) ص ٤٩-٥٠.

(٢) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ٢٤٧.

(٣) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ٢٤٧.

وقد ذكر الرواة والمؤرخون تفاصيل كثيرة عن ثمرة الزواج المبارك وسوف نستعرض بعضاً من رواياتهم، فروى محمد بن عمر الواقدي: ((ولد الحسن بن علي ابن أبي طالب في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة))^(١)، وعن سفيان الثوري عن عاصم بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه: ((إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة))^(٢)، وعن سفيان أيضاً عن أيوب عن عكرمة: ((قال: ذبح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً))^(٣).

أما البلاذري^(٤) فأورد رواية غير مسندة قال فيها: ((وسمى رسول الله كل واحد من الحسن والحسين يوم سابعه ووزنت فاطمة (عليها السلام) شعرهما فتصدقت بوزنه))، وقد أجادت كتب السير والتراجم في ذكرها لتفاصيل حياة الحسن والحسين وذكر مناقبهم وذكر قربهما من رسول الله ونحن في هذا المورد لا نريد أن نستعرض حياتهما وكيف كانت ولادتهما المباركة، ولكننا بحاجة إلى استعراض جزء من سيرتهما المباركة ولو بشيء من الإيجاز.

لقد اهتم رسول الله بالحسين منذ ولادتهما حيث اشرف على تسميتهما ومن ثم تابع خطوات اجراء السنة عليهما وغيرها من الأمور التي توحى بقربهم الكبير من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد رويت عنه الكثير من الأحاديث التي تبين مكانتها وقربهما منه، فنقل عنه انه قال لعلي: (اوتيت ثلاثاً لم يؤتمن أحد

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٣٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٥٢.

(٤) أنساب الأشراف، ج٢، ص٢١١.

ولا أنا، أوتيت صهراً مثلي ولم أوتَ أنا مثلك، وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي، ولم أوتَ مثلها زوجة واوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم اوتي من صلبي مثلها ولكنكم مني وأنا منكم.. وفي رواية أخرى عن الإمام علي بن موسى الرضا في مسنده وزيادة في لفظه، يا علي - أعطيت ثلاثاً لم يجتمعن لغيرك - مصاهرتي وزوجك وولديك والرابعة لولاك لما عرف المؤمنون.. وقوله لولاك لما عرف المؤمنون معناها مستفاد من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((من كنت مولاه فعلي مولاه))^(١).

وروي عنه أيضاً أنه قال: ((يا علي لك أشياء ليس لي منها، إن لك زوجة مثل فاطمة وليس لي مثلها، ولك ولدين من صلبك وليس لي مثلها من صلبي، ولك مثل خديجة أم أهلك وليس لي مثلها حماة، ولك صهر مثلي وليس لي صهر مثلك، ولك أخ في النسب مثل جعفر وليس لي مثله في النسب، ولك مثل فاطمة بنت أسد الهاشمية المهاجرة وليس لي مثلها))^(٢).

وقد علق أحد الكتاب^(٣) على الحديث أعلاه قائلاً: ((وطبيعي أن لا يكون للنبي زوجة أبوها كمحمد سيد الأنبياء وخاتمهم، وطبيعي أيضاً أن لا تكون له زوجة كفاطمة سيدة نساء العالمين، ولكن من الطبيعي أن يكون له أبناء للصلب كالحسن والحسين، كما كان لإبراهيم وغير إبراهيم من الأنبياء (عليهم السلام)).

(١) المحب الطبري، الرياض النظرية، ج ٢، ص ١٧٢-١٧٣، ينظر الفيروز آبادي، مرتضى الحسيني، ت (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)، فضائل الخمسة في الصحاح الستة، (ط ٣)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت، (١٩٧٣م)، ج ١، ص ٣٤٣، بيومي، محمد، السيدة فاطمة الزهراء، (ط ٣)، اصفهان، ١٤١٨هـ)، ص ١٧٠.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ١٩.

(٣) مغنية، فضائل الامام علي، ص ٢٩.

وقد اتفقت الفرق الإسلامية كلها على أن الحسنين هما ابنا رسول الله بنص القرآن الكريم وكما جاء في آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن الحسن والحسين هما ابنا رسول الله، أما نساؤه الوارد ذكرهن في الآية الكريمة يقصد بهن فاطمة الزهراء (عليها السلام) أما أنفسنا فهو الإمام علي بن أبي طالب وقد أوضح ذلك الكثير من المفسرين^(٢). أما الأحاديث الشريفة التي أشارت إلى أن الحسن والحسين ابنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهي كثيرة منها على سبيل المثال ((ابنابي هذان إمامان إن قاما أو قعدا))^(٣)، كذلك الحديث الوارد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ((إن لكل بني أب عصابة يتتمون إليها إلا ولد فاطمة فأنا وليهم، وأنا عصبتهم وهم عترتي خلقوا من

(١) آل عمران، آية ٦١.

(٢) ينظر عبد الرزاق الصنعاني، تفسير القرآن، ج ١، ص ١٢٢، ابن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن الكريم (تفسير ابن أبي حاتم)، ج ٢، ص ٦٦٧، أبو الليث السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم، ت (٣٨٣هـ - ٩٩٣م)، تفسير السمرقندي، تحقيق محمود مطرجي (دار الفكر - بيروت، د.ت)، ج ١، ص ٢٤٥، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ١ ص ٣٣٨-٣٣٩ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن، ت (٦٠٦هـ - ١٢٠٩م)، تفسير الرازي، (ط. د. م. ط)، ج ٨، ص ٨٤-٨٥، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٤ ص ١٠٤، الحسكاني، شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٦٠، ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، ت (٨٥٢هـ - ١٤٤٨م) العجائب في بيان الأسباب، تحقيق، عبد الحكيم محمد الأنيس، (دار ابن الجوزي - السعودية، ١٩٩٧م)، ج ٢، ص ٦٨٣-٦٨٤ (٣) المفيد، الارشاد، ج ١، ص ٣٠، الطبرسي، مجمع البيان، ج ٨، ص ١٦٥، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ١٤١.

طيتي ويل للمكذبين بفضلهم، من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله))^(١).
والروايات والأحاديث في هذا المورد كثيرة جداً ملأت بطون الكتب إلا أننا نورد ما تيسر كمحل للشاهد على الأبوة من قبل النبي الأكرم للحسن والحسين (عليه السلام) اللذين أراد كتاب السيرة ورواة الحديث حجب دورهما ومكانتهما من رسول الله حيث عمدوا إلى تجاهل ذلك علناً من خلال عدم ذكرهما في رواية السيرة النبوية كما لاحظنا ذلك من خلال تجاهل ابن هشام وحجبه هذه الصورة، فهو في تهذيبه للسيرة حاول حجب هذا الأمر وأحجم عن نقل رواية ابن إسحاق مع ان رواية الأخير كانت مقتضبة ولا تفي بشيء من مكانة الإمامين الحسن والحسين.

(١) ابن عساکر، تاریخ مدينة دمشق، ج ٣٦، ص ٣١٣، المتقي الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين، ت (٩٧٥هـ - ١٥٦م)، كنز العمال، ضبط، بکري حیاتي و صفوة السقا (مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، ج ١٢، ص ٩٨، ينظر، ابو يعلى الموصلي، إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي ت (٣٠٧هـ - ١٩١٩م) مسند أبي يعلى الموصلي (دار المأمون للتراث - دمشق، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ج ١٢، ص ١١٠، الطبراني، المعجم الكبير، ج ٣، ص ٤٤، أبو القاسم الطبري، عماد الدين أبو جعفر محمد، ت (٥٢٥هـ - ١١٣٠م)، بشارة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) لشيعة المرتضى، تحقيق جواد القيومي، (مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤٢٠هـ)، ص ٧٥، الهيتمي، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٢٢٤، السيوطي، جلال الدين، ت (٩١١هـ - ١٥٠٥م)، الجامع الصغير، (دار الفكر - بيروت، ١٩٨١م)، ج ٢، ص ٢٧٨، القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ت (١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م)، ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق سيد علي جمال اشرف الحسيني (دار الاسوة للطباعة، ١٤١٦هـ)، ج ٢، ص ١٨.

تكنيته بأبي تراب

ذكر ابن هشام في السيرة النبوية روايتين في هذا المورد:

الأولى: عن ابن إسحاق بسنده عن عمار بن ياسر قال: ((كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العُشيرة^(١)، فلما نزلها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأقام بها، رأينا أناساً من بني مدلج يعملون في عين لهم وفي نخل، فقال علي بن أبي طالب: يا أبا اليقظان، هل لك أن تأتي هؤلاء، فننظر كيف يعملون؟ قال قلت: إن شئت، قال: فجئناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشنا النوم. فانطلقت أنا وعلي حتى اضطجعنا في سور من النخل، وفي رقعاء من التراب فنمنا، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يُركنا برجله، وقد تتربنا من تلك الرقعاء التي نمنا فيها، فيومئذ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي بن أبي طالب: مالك يا أبا تراب، لما يرى عليه التراب، ثم قال: ألا أحدثكما بأشقى الناس؟ قلنا بلى يا رسول الله، قال: احيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه - ووضع يده على قرنه - حتى يبيل منها هذه، وأخذ بلحيته))^(٢).

الثانية: قال ابن إسحاق وقد حدثني بعض أهل العلم ((أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما سمى علياً أبا تراب؛ أنه كان إذا عتب على فاطمة في شيء لم يكلمها ولم يقل لها شيئاً تكرهه، إلا أنه يأخذ التراب فيضعه على رأسه، قال فكان

(١) العُشيرة: ويقال ذات العُشيرة في جمادى الآخرة سنة (٢هـ - ٦٢٣م)، خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لطلب عير قريش التي كان القتال يوم بدر بسببها حيث انتدب الرسول لذلك مائة وخمسين أو مائتين، ولم يكن معهم غير فرس واحد ومرّ ببني مدلج فضيفوه واحسنوا ضيافتهم وقد صالحهم، وفاته العير ولم يلقَ كيدا. ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٩، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٨٨.

(٢) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٤٩-٢٥٠.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا رأى عليه التراب عرف أنه عاتب على فاطمة، فيقول مالك يا أبا تراب))^(١).

أما الطبري^(٢) فقد ذكر عن ابن إسحاق روايتي ابن هشام دون أي زيادة ونقص وكذلك ذكرهما البيهقي^(٣) في دلائل النبوة، أما بقية الرواة والمؤرخين، فابن سعد^(٤) وفي أثناء كلامه عن غزوة ذي العشيرة يذكر ((كنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب أبا تراب، وذلك أنه رآه نائماً متمرغاً في البوغاء فقال: اجلس يا أبا تراب، فجلس)).

أما أحمد بن حنبل^(٥) في المسند فروى رواية ابن إسحاق نفسها التي نقلها ابن هشام، أما البخاري^(٦) فنقل عن سهل بن سعد قوله: ((دخل علي (عليه السلام) على فاطمة ثم خرج فاضطجع في المسجد فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط من على ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول اجلس يا أبا تراب)).

أما مسلم^(٧) في صحيحه نقل رواية البخاري نفسها ولكن زاد عليها قول السيدة

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥٠.

(٢) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٥٤.

(٣) دلائل النبوة، ج ٣، ص ١٢.

(٤) الطبقات، ج ٢، ص ٩.

(٥) مسند أحمد، ج ٤، ص ٢٦٣، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٥٤.

(٦) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ت (٢٥٦هـ - ٨٥٦م)، صحيح البخاري، (دار الطباعة العامرة -

استانبول، ١٩٨١م)، ج ٤، ص ٢٠٧-٢٠٨، ينظر الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٥٤،

المحب الطبري، الرياض النظرة، ج ٣، ص ١٠٤.

(٧) أبو الحسن مسلم بن الحجاج، ت (٢٦١هـ - ٨٧٤م)، صحيح مسلم، (ط ٢، مؤسسة المختار -

فاطمة الزهراء للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن مكان زوجها: ((فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يبق عندي فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لإنسان: انظر أين هو فجاءه؟ فقال يا رسول الله: هو في المسجد راقدا...)) ثم يكمل رواية البخاري نفسها.

وذكر أبو يعلى الرواية نفسها بسند ينتهي إلى الإمام علي باختلاف في المعنى والألفاظ فقال: ((طلبني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فوجدني في جدول نائماً، فقال: قم ما ألوم الناس يسمونك أبا تراب، قال: فرأى كأني وجدت في نفسي من ذلك، فقال: قم فوالله لأرضيك أنت أخي وأبو ولدي...))^(١)، أما ابن شهر آشوب^(٢) فقد ذكر الرواية بكيفية مختلفة بسنده عن عمار فقال: ((خرجنا مع النبي في غزوة العُشيرة فلما نزلنا منزلاً نمنا فمنا نبهنا إلا كلام رسول الله لعلي: يا أبا تراب لما رآه ساجداً معفراً وجهه في التراب أتعلم من اشقى الناس؟...)).

ومن خلال ما تقدم من روايات متعددة ومتباينة يمكننا أن نخلص إلى مجموعة من النتائج:

إن ما ذكره ابن هشام من أن كنية الإمام علي (أبو تراب) جاءت في غزوة ذي العُشيرة نتيجة لنومه في التراب، وهذا أمر لا يمكن قبوله لعدم انسجامه مع سيرة

القاهرة، ٢٠١٠م)، ص ١٠٢٢، ينظر الاصفهاني، أبي الفرج علي بن الحسين، ت (٣٥٦هـ - ٩٦٦م) مقاتل الطالبين، (دار المتقين - بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ص ١٧، ابن مردويه، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٥٣، الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت (٤٠٥هـ - ١٠١٤م)، معرفة علوم الحديث، تصحيح معظم حسين (ط ٤)، دار الافاق الحديثة - بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢١١، ابن المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٢٨.

(١) مسند أبي يعلى، ج ١، ص ٤٠٢-٤٠٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ٣٠٥.

الإمام علي، فالرواية صورته على أنه كان يقضي وقته في غير طاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومصالحة المسلمين، فقد صورته الرواية وقد خرج بمهمة جهادية فكيف به يقضي وقته بالنوم، كما أنه عرف بملازمته للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونحن نرى أن المقام الذي وضع فيه الإمام علي من خلال تلك الرواية لا يليق به إطلاقاً حيث ينام في أي مكان والرواية تصوره كأنه ليس بحالة جهاد وغزو في سبيل الإسلام ومن أجل الإسلام^(١)، لذلك نستبعد أن يكون سبب الكنية هو ما ورد في الرواية؛ لأنها بعيدة عن الواقع وتقف ورائها دوافع وقصدية واضحة أراد روايتها تصوير الإمام بأنه غير مهتم وغير مكترث بأمر المسلمين، وذلك من أجل إسقاط صورته وتسويقه للناس بأنه شخص عادي تصدر منه أمور كما تصدر من غيره.

وعلى الرغم من استدراقات من وضع الرواية بوضع نبوءة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي في مقتله من قبل أشقى الناس في نهاية الرواية، إلا أن ذلك هدفه هو تقوية الرواية وعدم إضعافها، فالراوي أراد أن ينال من شخصية أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبالمقابل يبقي اهتمام الرسول به وسؤاله عنه.

أما الرواية الثانية التي ذكرها ابن هشام عن ابن إسحاق فلا تصمد كثيراً أمام النقد حيث تتكلم عن شخصية الإمام علي بن أبي طالب بهذا المستوى من التصرف الذي لا يصدر من أبسط الناس، إذ أراد الراوي من خلالها إظهار الإمام علي (عليه السلام) وكأنه شخص غير مؤهل ليكون قريباً للزهراء (عليها السلام)، إذا علمنا أن

(١) مطر، رحيم عباس، آل بيت النبوة (عليهم السلام) في كتاب تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري، ت (٣١٠) حتى عام ٥٦١هـ، اطروحة دكتوراه غير منشورة قدمت إلى الجامعة المستنصرية - كلية التربية - ٢٠١٢، ص ١٥٥.

الزهراء تعلم علم اليقين من هو علي بن أبي طالب الذي قال فيه رسول الله: ((أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة من أحبك فقد أحبني ومن أبغضك فقد أبغضني وبغضك بغض الله والويل لمن أبغضك))^(١)، وفي المقابل علي (عليه السلام) يعلم مكانة الزهراء من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث رُوي عن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لفاطمة: ((إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضائك))^(٢)، وهذا يعني أن الاثنين كانا على معرفة تامة بمكانة وقدر كل منهما، من حيث ماهيته وقربه من الله ورسوله، وإيراد روايات كهذه محاولة لتصوير علي وفاطمة بأنهم أناس عاديون وتحصل بينهما خلافات كما تحصل بين بقية الناس مما يرفع القدسية عن تلك العائلة الطاهرة الكريمة، وهذا ما سعى إليه الحكام الأمويون ومن بعدهم العباسيون في سعيهم الحثيث للتقليل من مكانة علي وآل علي (عليه السلام).

أما رواية البخاري التي أوردناها فيما سبق وهي قريبة للواقع جداً حيث تبين خروج الإمام علي بن أبي طالب إلى المسجد واضطجاعه فيه بدون أي خلاف حصل بينه وبين الزهراء وسؤال النبي عنه وهو وضع طبيعي، إلا أن غير المقبول ما أورده مسلم في نهاية الرواية، إذ صور السيدة فاطمة الزهراء والإمام علي بن أبي طالب في حالة خلاف، ويبدو أن من دس هذه التجنيات على حياة آل البيت كان يهدف إلى تبرير خلاف الزهراء (عليها السلام) مع الشيخين ونقمتها عليهما، وبذلك يحولوا خلافها مع أبي بكر إلى خلاف مع زوجها الإمام علي فيكون هو من كان يغضبها^(٣).

(١) الزرندي، نظم درر السمطين، ص ١٣٥.

(٢) الزرندي، المصدر نفسه، ص ٢١٧-٢١٨.

(٣) اليوسفي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ٢، ص ١٠٥.

ورد في الروايات أن كنية أبي تراب كانت أحب كنى الإمام علي إلى قلبه فروي عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: ((أحب أسماء علي إليه أبو تراب. وأنه كان ليفرح أن يدعى بها، وما سماه بذلك إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم))^(١).

وعلى الرغم من ذلك فإن بني أمية وظفوا هذه الكنية للنيل من مكانة الإمام علي وكانوا لا ينادونه إلا بهذه الكنية، وهذا يؤكد أنهم وراء الدس في الروايات، وكان هدفهم التقليل من قيمة شخصية علي بن أبي طالب وبعثه بأبي تراب لكي يظهروا إلى الناس أن هذه الكنية لم تأت من فضيلة لعلي وإنما جاءت نتيجة لخلافه مع الزهراء فجعلوا الكنية منقصة له^(٢).

(١) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ١٧.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٨.

المبحث الثاني

علي (عليه السلام) في معركتي بدر وواحد

الإمام علي في معركة بدر

مقدمة المعركة :

تعد معركة بدر^(١) من المعارك الحاسمة في التاريخ وهي تمثل نقطة التحول الحقيقية في مجرى أحداث التاريخ الإسلامي، فقد كانت من المعارك التي حددت مصير الدعوة الإسلامية^(٢)، إذ كان الانتصار على قريش بجبروتها وخيلائها وعدتها وعددها بداية لبروز القوة الإسلامية وأقول الشرك والطغيان المتمثل بقريش، ولهذا المعركة منزلة عظيمة في القرآن الكريم إذ خصها بمجموعة الآيات منها الآية التي سُمي فيها معركة بدر بيوم الفرقان: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾^(٣).

وعند الحديث عن أسباب هذه المعركة المباشرة منها وغير المباشرة يأتي في مقدمتها العامل الاقتصادي الذي كان له الدور الواضح والمميز من حيث ازدياد عدد المسلمين في المدينة والأزمة المالية التي كان يعاني منها المسلمون لاسيما المهاجرون منهم، وعلى الرغم من قوتهم وتماسكهم لكن الحالة الاقتصادية كانت متردية وكانت

(١) بدر: هو ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء ويقال ينسب إلى بدر بن نجاد بن النظر بن كنانة، ينظر الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٥٧.

(٢) الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، السيرة النبوية، (ط ٨ - دار الشروق، جدة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)، ص ٢١٥.

(٣) الانفال آية (٤١).

عامل ضاغط؛ لأن المهاجرين فروا بأنفسهم وعقيدتهم من مكة تاركين كل أموالهم هناك، والأنصار شاركوا المهاجرين في أرزاقهم القليلة، فلا عجب إذا رأينا المسلمين يفكرون جدياً في استخلاص أموالهم من قريش^(١)، زيادة على أسباب أخرى منها عسكرية وسياسية وغيرها.

وقعت معركة بدر في السنة الثانية للهجرة في السابع عشر من رمضان^(٢) أو في الثامن عشر منه^(٣)، وكان عدد المسلمين ثلاثمئة وثلاثة عشر^(٤) أو ثلاثمئة وأربعة عشر^(٥)، وكان سببها المباشر هو توجه أبي سفيان بعير قريش مقبلاً من الشام، وهذه العير كانت قد افلتت من المسلمين في ذهابها إلى الشام في غزوة العشيرة. وقد بعث الرسول عيونه وهم طلحة بن عبيد الله^(٦) وسعيد بن زيد^(٧) لغرض موافاته في تفاصيل رجوع أبي سفيان وقافلته^(٨).

(١) الندوي، السيرة النبوية، ص ٢١٥.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٥١، ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١١.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٢٣، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٦٦.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٩٠.

(٦) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة، ويكنى أبا محمد، كان من المسلمين الأوائل ومن الذين نالهم أذى قريش حيث كان من الذين قاموا بتعذيبه نوفل بن خويلد بن العدوية وقد قرنه مع أبا بكر وكان من المهاجرين الأوائل، قتل في معركة الجمل سنة ٣٦هـ. ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ١٩٦-١٩٧.

(٧) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى القرشي، ويكنى أبا العور وقد أسلم قبل أن يدخل رسول الله دار الأرقم وكان من المهاجرين الأوائل إلى المدينة وشهد مع رسول الله المشاهد كلها ما عدا بدر أتوفي سنة (٥٠هـ - ٦٧٠م) أو (٥١هـ) ودفن في المدينة. ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٣٥٢-٣٥٨.

(٨) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ١٩، البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل ت (٣٢٢هـ - ٩٣٣م)، البداء

وبالفعل عادت هذه العير قافلة إلى مكة وفيها أموال قريش حيث قال الرسول الأكرم مخاطباً المسلمين ويحثهم للخروج لاعتراضها ((اخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها))^(١). وقد كان لموقع المدينة الاستراتيجية على الطريق الرابط بين مكة والشام الأثر الواضح في سيطرة المسلمين على طرق التجارة.

أما أبو سفيان فإنه حين دنا من الحجاز أخذ يتحسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان حتى وصل إليه خبر خروج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري وبعثه إلى مكة وأمره أن يخبر قريش بخبر محمد وأصحابه واعتراضهم للقافلة^(٢). ثم سار بالقافلة بطريق الساحل وابتعد عن بدر خوفاً من رصد المسلمين وقد سار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه حتى نزلوا قريباً من بدر^(٣).

وبعد أن نجا أبو سفيان بقافلته وأفلت من قبضة المسلمين أرسل إلى قريش يخبرهم ((إنكم خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم، فنجأها الله، فارجعوا، فقال: أبو جهل بن هشام والله لا نرجع حتى نرد بدر فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر))^(٤).

والتاريخ، وضع الحواشي جليل عمران المنصور (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٧م)، ج ١، ص ٧٣.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٥٣.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٢٦١.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٠.

الإمام علي صاحب الراية يوم بدر

ذكر ابن هشام^(١) في السيرة النبوية عن ابن إسحاق ((ودفع اللواء^(٢)) إلى مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.. قال ابن هشام: وكان أبيض.. قال ابن إسحاق وكان أمام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رايتان سوداوان، إحداهما مع علي بن أبي طالب، يقال لها العقاب والأخرى مع بعض الأنصار)).

وذكر الواقدي^(٣) عن أبي إسماعيل بن عبد الله بن عطية بن عبد الله بن أنيس عن أبيه: ((قال: فمن يومئذ عقد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الألوية وهي ثلاثة، وأظهر السلاح وكان خرج من المدينة على غير لواء معقود)) ونحن لا نتفق مع ما ورد في هذه الرواية؛ لأنه من غير المعقول أن يخرج الرسول الأعظم إلى معركة مهمة من دون لواء معقود وهذا مخالف للأعراف العسكرية القائمة آنذاك.

وذكر ابن سعد^(٤) بسنده عن قتادة بن دعامة ((أن علي بن أبي طالب صاحب لواء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، يوم بدر وفي كل مشهد)).

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٦٤.

(٢) اللواء: اللواء بكسر اللام والمد هي الراية ويسمى العلم وكان الأصل يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه، وقال أبو بكر بن العربي اللواء غير الراية فاللواء يعقد في طرف الريح ويلوى عليه، والراية ما يعقد فيه، وينزل حتى تصفه الرياح وقيل اللواء دون الراية وقيل اللواء العلم الضخم والعلم علامة لمحل الأمر الذي يدور معه حيث دار والراية يتولاها صاحب الحرب، ينظر ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي ت (٨٥٢هـ - ١٤٤٨م)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (ط ٢، دار المعرفة - بيروت، د.ت)، ج ٦، ص ٨٩.

(٣) المغازي، ج ١، ص ٥٠.

(٤) الطبقات، ج ١، ص ٢١.

أما البلاذري^(١) فذكر أن ((لواء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بدر مع مصعب بن عمير ولواء الأوس مع سعد بن معاذ، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر...))، وهذه الرواية تحمل الارتباك نفسه الذي تحمله رواية الواقدي حيث إنه لم يميز بين الراية واللواء وخلط بينهما، زيادة على أنه أغفل تماماً حامل راية المهاجرين في معركة بدر.

أما الطبري^(٢) فقد ذكر رواية مسندة إلى ابن عباس قال فيها: ((وكان صاحب راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب (عليه السلام) وصاحب راية الأنصار سعد بن عباد...)).

ومن خلال ما قدمناه من روايات يمكن ملاحظة الآتي:

إن ابن هشام لم يجنب هذه الصورة عن الإمام علي، إذ نقل رواية ابن إسحاق التي أشارت إلى أنه كان حاملاً للراية في معركة بدر، وهي راية القتال الأساسية على الرغم من صغر سنه قياساً بوجود من هم أكبر منه سناً من المهاجرين، ويؤيد ذلك الرواية التي ذكرها عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال سألت سعيد بن جبيرة فقلت: ((يا أبا عبد الله من كان حامل راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال: فنظر إلي، وقال: كأنك رخي البال فغضبت وشكوته إلى إخوانه من القراء، فقلت: ألا تعجبون من سعيد أني سألت من كان حامل راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنظر إلي وقال: إنك لرخي البال، قالوا: إنك سألته وهو خائف من الحجاج وقد لاذ بالبيت

(١) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٩٣.

(٢) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٦٦.

فسله الآن فسألته، فقال: كان صاحبها علي (عليه السلام) هكذا سمعته من عبد الله (بن عباس) ^(١)، وقد أيدته في ذلك صاحب ذخائر العقبى ^(٢) بأن علياً كان حامل راية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بدر وفي المشاهد كلها.

إن عزوف بعض الرواة عن الإشارة إلى أن الإمام علياً كان حاملاً للراية يحمل عدة وجهات منها خوفهم من بطش السلطات الحاكمة آنذاك كما لاحظنا في الرواية السابقة عن سعيد بن جبير وخشيته من التصريح من الحجاج، والوجه الآخر هو ميولهم المذهبية والسياسية ومنطلقاتهم الفكرية التي ترفض كل منقبة لعلي بن أبي طالب.

من خلال الإطلاع على ما أوردناه أعلاه لم نجد من ينكر أن الإمام علياً كان هو حامل الراية في تلك المعركة، أو أن هناك شخصاً آخر من المهاجرين من قام بتلك المهمة بل الملاحظ هو تجاهل ذكر الإمام علي وإبعاده عن واجهة الأحداث للتقليل من دوره الكبير في تلك المعركة.

ملازمة الإمام علي (عليه السلام) لرسول الله

ذكر ابن هشام ^(٣) عن ابن إسحاق ((وكانت إبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يومئذ سبعين بعيراً، فاعتقوها، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمشي بها)).

(١) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٣٧.

(٢) المحب الطبري، أبو العباس أحمد بن عبد الله ت (٦٩٤ هـ - ١٢٩٤ م)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تحقيق اكرم البوشي، (د. م. ط)، ص ١٣٧.

(٣) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٦٤.

وسلم) وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد^(١) يعقبون^(٢) بعيراً، وكان حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة وأبو كبشه، وأنس مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعقبون بعيراً، وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعقبون بعيراً^(٣). وعند العودة إلى بقية الرواة والمؤرخين ونقلهم لتلك الرواية نجد أن الواقدي^(٤) قد نقل رواية ابن إسحاق التي أوردها ابن هشام نفسها غير أنه يقول إن المرافق الثالث للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي ومرثد زيد بن حارثة، أما البلاذري^(٥) فذكر زيد بن حارثة محل مرثد بن أبي مرثد.

بلاء الإمام علي (عليه السلام) في معركة بدر

ذكر ابن هشام^(٥) في السيرة النبوية رواية ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ((ثم رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أصحابه - المقصود هنا عودة الرسول من رحلة استطلاعية في المنطقة قبل بدء المعركة - فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر عليها، فأصابوا براوية لقريش فيها أسلم، غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عريضاً)).

(١) مرثد بن أبي مرثد العنزي، بن كناز الغنوي وهو من غني بن اعصر بن سعد بن قيس بن عيلان شهد هو وابوه أبو مرثد بدرًا وكان هو وابوه حلفاء حمزة بن عبد المطلب استشهد في غزوة الربيع سنة ٥٣هـ. ينظر ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ١٣٢.

(٢) يتناوبون على ركوبه، ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٦١٥.

(٣) المغازي، ج ١، ص ٢٤.

(٤) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٨٩.

(٥) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٦٨.

وآله وسلم) ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قائم يصلي، فسألوهما، فقالا: من سقاة قريش، بعثونا لنسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضر بهما، فلما أذلقوهما^(١) قالوا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما، وركع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسجد سجدتين، ثم سلم، فقال إذا صدقوكم ضربتموهما وإذا كذبوكم تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش أخبراني عن قريش؟ قالوا: هم وراء هذا الكتيب الذي تراه بالعدوة القصوى (والكتيب العقنفل)، فقال رسول الله لهما كم القوم؟ قالوا: كثير، قال: ما عدتهم؟ قالوا: لا ندري، قال كم ينحرون كل يوم؟ قالوا: يوماً تسعاً ويوماً عشر، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القوم بين التسعمائة والألف...)).

أما الواقدي^(٢) فذكر رواية الاستطلاع التي ذكرها ابن هشام ولكن بألفاظ مختلفة وبمضمون واحد فقال: ((ونزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وادي بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان، فبعث علياً والزبير وسعد ابن أبي وقاص وبسبس بن عمرو يتحسسون على الماء...)) ثم أورد تفاصيل الرواية نفسها ولكنه تحول في روايته إلى وصف حال القرشيين وكيف أصابهم الاضطراب. كما أن أغلب مصادر السيرة النبوية^(٣) أشارت إلى رواية ابن إسحاق التي ذكرها ابن

(١) اذلقوهما: أي اجهدوهما واضعفوهما. ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ١١٠.

(٢) المغازي، ج ١، ص ٥٢-٥٣.

(٣) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٦٨-٢٦٩، ابن الجوزي المنتظم، ج ٣، ص ١٠١، الكلاعي، سليمان بن موسى ت (٦٣٤ هـ - ١٢٣٦ م)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية - بيروت، ٢٠٠٠ م)، ج ١، ص ٣٢٩، ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج ١، ص ٣٢٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ٣٢٣، الصالحي الشامي، سبيل الهدى والرشاد، ج ٤، ص ٢٧.

هشام^(١). وبناءً على ما تقدم يمكن القول:

جميع المصادر التي اطلعنا عليها والتي تختص بالسيرة النبوية ذكرت رواية ابن إسحاق نفسها، وإن الإمام علياً كان في مقدمة السرية التي أنفذها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لغرض الاستطلاع والتي تمكنت من أسر اثنين من رواة قریش والتحقيق معهم وانتزاع معلومات تخص عدد جيش المشركين وأماكن تواجده.

إن انتداب الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي على رأس السرية الاستطلاعية جاء نتيجة للمؤهلات التي يحملها الإمام علي والتي كان رسول الله على معرفة تامة بها، إذا علمنا من خلال الرواية أن المسلمين لا يعلمون مصير القافلة بعد أن غيرت وجهتها، ومن ثم قد تكون لديهم ردة فعل سلبية إذا ما عرفوا بنجاة القافلة، وهذا يعني أن الرسول الأعظم كان يريد أن يحافظ على سرية المعلومات، لذلك اختاره لأداء هذه المهمة، إلا أن الملاحظ في الرواية أن الذين قاموا بالتحقيق لم يكن بينهم الإمام علي لذلك نراهم لا يحسنون التصرف مع المعلومات المنتزعة الأمر الذي استدعى تدخل الرسول المباشر من أجل تدارك الأمر.

الإمام علي (عليه السلام) أول المبارزين في بدر:

بعد أن أصبحت المعركة أمراً واقعاً لابد منه تقابل الجيشان؛ المسلمون بقيادة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) والمشركون بقيادة مجموعة من الزعماء، حيث نقل ابن هشام^(٢) عن ابن إسحاق قوله: ((وخرج عتبة بن ربيعة، بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج

(١) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٢) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٧٧.

إليه فتية من الأنصار ثلاثة وهم عوف^(١) ومعوذ ابنا الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر يقال له عبد الله بن رواحة^(٢)، فقالوا من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار؛ قالوا ما لنا بكم حاجة، ثم نادى منادهم يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): قم يا عبيد بن الحارث وقم يا حمزة، وقم يا علي، فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا من أنتم، قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي، قالوا: نعم أكفاء كرام، فبارز عبيدة وكان أسن القوم، عُتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة، فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بضربتين كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعلي بأسيا فهما على عتبة فذفقا عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه)).

أما بقية الرواة والمؤرخين فقد نقلوا حادثة المبارزة بكيفيات مختلفة فذكر الواقدي^(٣) بداية المبارزة: ((فخرج عتبة وشيبة والوليد حتى فصلوا عن الصف، ثم دعوا إلى المبارزة، فخرج إليهم فتيان ثلاثة من الأنصار، وهم بنو عفراء معاذ ومعوذ وعوف، بنو الحارث - ويقال ثالثهم عبد الله بن رواحة، . . . فاستحى رسول الله

(١) عوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة ويقال لهما ابنا عفراء وهم من الأنصار وقد شهدا بيعة العقبة وقد استشهدا في معركة بدر. ينظر الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٥٩.

(٢) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن أمريئ القيس بن عمرو بن أمريئ القيس بن مالك الاعز بن ثعلبة الأنصاري وكان يكنى أبا رواحة أو يكنى أبو محمد وليس له عقب وهو خال النعمان بن بشير بن سعد، وقد شهد العقبة مع السبعين من الأنصار وهو أحد النقباء الاثني عشر وشهد مع رسول الله المشاهد كلها استشهد في معركة مؤتة سنة (٨هـ - ٦٢٩م). ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٨٦-٤٨٧.

(٣) المغازي، ج ١، ص ٦٩.

(صلى الله عليه وآله وسلم) من ذلك، وكره أن يكون أول قتال لقي المسلمون فيه المشركين من الأنصار وأحب أن تكون الشوكة لبني عمه وقومه، فأمرهم فرجعوا إلى مصافهم، وقال لهم خيراً، ثم نادى المشركون: يا محمد، أخرج لنا الأكفاء من قومنا، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا بني هاشم، قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم، إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله، فقام حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيد بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف فمشوا إليهم، فقال عتبة تكلموا نعرفكم - وكان عليهم ابيض فأنكروهم - فإن كتتم اكفاء قاتلناكم، فقال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله، قال: عتبة كفؤ كريم، ثم قال: عتبة أنا أسد الحلفاء، ومن هذان معك؟ قال: علي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث. قال كفآن كريمان...)) ثم يروي تفاصيل رواية ابن هشام نفسها التي ذكرناها عن ابن إسحاق إلا أنه ينقل محاوره رسول الله مع عبيدة، فقال: عبيدة يا رسول الله، أأنت شهيداً؟ قال بلى، قال: أما والله لو كان أبو طالب حياً لعلم أنا أحق بما قال منه حيث يقول:

كذبتهم وبيت الله نخلي محمداً ولما نطاعن دونه وناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل

ونزلت هذه الآية ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^(١) أما الطبري^(٢) فقد أورد رواية ابن إسحاق نفسها إلا أنه ينقل المحاوره التي جرت بين رسول الله وعبيدة وتمثل أبي عبيدة ببيت أبي طالب الوارد في الرواية التي ذكرناها.

(١) سورة الحج: آية (١٤).

(٢) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٧٣.

إن رواية المبارزة التي أوردها ابن هشام عن ابن إسحاق واضحة متواترة ولا يكاد أي كتاب من كتب السيرة يخلو منها؛ لأنها كانت فاتحة النصر في بدر.

ويمكن إيراد بعض الملاحظات من خلال قراءة تلك الرواية:

الرواية واضحة المعالم وفيها دلالة قوية على بروز إمكانات الإمام علي (عليه السلام) القتالية وقدرته الكبيرة على صناعة النصر حيث كان ثبات علي وحمزة وعبدة مفتاح النصر في بدر، وقد أعطت دافعاً معنوياً كبيراً للمسلمين رغم قلة العدد والعدة.

أورد البغوي^(١) عن قيس بن عباد عن أبي ذر الغفاري (رحمه الله) أنه كان يـلـف بالله أن الآية الكريمة ﴿هَذَا نِ حَصَمَانِ اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ نزلت في ستة نفر من قريش تبارزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، وقال الإمام علي (عليه السلام): ((أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الله تعالى يوم القيامة))، وفي هذه الرواية دلالة واضحة على مباركة السماء للمبارزة بين الإمام علي وحمزة وعبدة وخصومهم من المشركين فتكريماً وتعظيماً من الله تعالى أنزل فيهم قرآناً وقد تواترت كتب التفسير والحديث^(٢) في إيراد أسباب نزول تلك الآية في

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج٣، ص٢٧٩.

(٢) الصنعاني، تفسير القرآن، ج٣، ص٣٣-٣٤، البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ص٦-٧، مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، ج٨، ص٢٤٥-٢٤٦، القزويني، محمد بن يزيد (٢٧٣هـ - ٨٨٦م) سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد وعبد الباقي، (دار الفكر - بيروت، د. ت)، ج٢، ص٩٤٦، الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج١٧، ص١٧٢، ابن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، ج٨، ص٢٤٧٩-٢٤٨٠، القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار، ج١، ص٢٦٢-٢٦٣؛ الواحدي النيسابوري، علي بن أحمد (٤٦٨هـ - ١٠٧٥م) أسباب نزول الآيات، (مؤسسة الحلبي وشركاؤه - القاهرة، ١٩٦٨م)، ص٢٠٧، الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج١،

تلك الحادثة وبحق الثلاثة المبارزين يوم بدر ومنهم علي بن أبي طالب (عليه السلام)

ورود إشكالية واضحة بين رواية ابن إسحاق التي ذكرها ابن هشام وبين رواية الواقدي حول مقدمات المبارزة، إذ ذكر الواقدي أن الثلاثة من الأنصار عندما عرضوا أنفسهم للمبارزة: ((استحى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ذلك وكره أن يكون أول قتال لقي المسلمون فيه المشركين من الأنصار وأحب أن تكون الشوكة لبني عمه وقومه...))، وهذا يخالف رواية ابن إسحاق التي ذكرنا تفاصيلها والتي جاء فيها أن الطلب كان من مشركي قريش بإبدال المبارزين بأكفائهم من قريش، وقد رجح ابن أبي الحديد المعتزلي^(١) رواية ابن إسحاق؛ لأنها أشهر من رواية الواقدي فقال: ((إن منادي المشركين نادى: يا محمد أخرج إلينا الأكفء من قومنا، فلو لم يكن قد كلمهم بنو عفراء وكلموهم وردوهم، لما نادى منادهم بذلك، وبدل على ذلك قول بعض القرشيين لبعض الأنصار في فخرٍ فخر به عليه: ((أنا من قوم لم يرضَ مشركوهم أن يقتلوا مؤمني قومك)).

قتلى الإمام علي (عليه السلام) يوم بدر

لقد أبلى الإمام علي بلاءً معروفاً في معركة بدر لا يمكن إنكاره أو تجاوزه، ولا نبالغ إذا قلنا إن أحد عوامل النصر الرئيسة كان سيف الإمام علي وجهاده، وقد تناولت الروايات هذا الجهاد بصور مختلفة، وقبل أن ندخل في عدد القتلى الذين لقوا حتفهم بسيف الحق سيف علي لا بدَّ أن نتعرض لما نقله ابن هشام في عدد قتلى بدر،

ص ٥٠٣-٥٠٤؛ ابن المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٢١٥-٢١٦، فخر الدين الرازي،

تفسير الرازي، ج ٢٣، ص ٢١، القرطبي، تفسير القرطبي، ج ٢، ص ٢٥.

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ٣٠٩.

فقال^(١): ((فجميع ما أحصي لنا من قتلى قريش يوم بدر خمسون رجلاً))، إلا أنه وفي المورد نفسه ذكر ((أن قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلاً، والأسرى كذلك، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن المسيب، وفي كتاب الله تبارك وتعالى ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾^(٢) يقول لأصحاب أحد - وكان استشهد منهم سبعون رجلاً - يقول: قد أصبتم يوم بدر مثلما من استشهد يوم أحد))^(٣)، ثم ذكر من قتلهم الإمام علي في يوم بدر ((وقتل من المشركين يوم بدر من قريش ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف: حنظلة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، قتله زيد بن حارثة، مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيما قال ابن هشام؛ ويقال اشترك فيه حمزة وعلي وزيد، فيما قال ابن هشام... والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية قتله علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية ابن عبد شمس قتله عاصم بن ثابت ابن أبي الأقلح... قال ابن هشام ويقال: قتله علي بن أبي طالب... قال ابن إسحاق وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس قتله عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب... قال ابن هشام: اشترك فيه هو وحمزة وعلي... قال ابن إسحاق... والوليد بن عتبة بن ربيعة قتله علي بن أبي طالب وعامر بن عبد الله... قتله علي بن أبي طالب...))^(٤)، وهؤلاء جميعاً من بني أمية بن عبد شمس، ثم ذكر من قتل من بني نوفل بن عبد مناف فقال: ((وطعيمة بن عدي بن نوفل قتله علي ابن أبي طالب، ويقال حمزة بن عبد المطلب... ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، قال ابن هشام: قتله ثابت بن الجذع، أخو بني

(١) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٧٢.

(٢) سورة آل عمران: آية (١٦٥).

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٧٢.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦٥-٣٦٦-٣٦٧-٣٦٨-٣٦٩-٣٧٠-٣٧١-٣٧٢.

حرام، فيما قال ابن هشام؛ ويقال: اشترك فيه حمزة وعلي بن أبي طالب وثابت... وعقيل بن الاسود بن المطلب، قتله حمزة وعلي، اشتركا فيه فيما قال ابن هشام... ونوفل بن خويلد بن أسد، وهو ابن العدوية، عُدي خزاعة، وهو الذي قرن أبا بكر الصديق، وطلحة بن عبيد الله حين أسلما بحبل، فكان يسميان القرينين لذلك، وكان من شياطين قريش وقتله علي بن أبي طالب... ومن بني عبد الدار بن قصي: النظر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن مناف بن عبد الدار، قتله علي بن أبي طالب صبراً عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصفراء فيما يذكرون... قال ابن إسحاق: ومن بني تيم بن مرة: عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم قال ابن هشام: قتله علي بن أبي طالب، ويقال عبد الرحمن بن عوف... وحرملة بن عمرو - حليف بني تيم بن مرة - قال ابن هشام قتله خارقة بن زيد بن أبي زهير، أخو بحارث بن الخزرج؛ ويقال: بل علي بن أبي طالب، فيما قال ابن هشام... وقال ابن إسحاق؛ ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة قتله علي بن أبي طالب - فيما قال ابن هشام - وقال ابن إسحاق وأبو الفاكه بن المغيرة، قتله علي بن أبي طالب، ويقال قتله عمار بن ياسر فيما قال ابن هشام... وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعه بن عابد، قتله علي بن أبي طالب فيما قال ابن هشام... قال ابن إسحاق والذي قتل حاجب بن سائب علي ابن أبي طالب، ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي... العاص ابن منبه بن الحجاج، قتله علي بن أبي طالب وأبو العاص بن قيس بن عدي بن سعد ابن سهم - قال ابن هشام - قتله علي بن أبي طالب، ويقال النعمان بن مالك القولي ويقال أبو دجانة، وقال ابن إسحاق وأوس بن معير بن لوزان بن سعد بن جمح، قتله علي بن أبي طالب. ومن بني عامر بن لؤي: معاوية بن عامر، حليف لهم من عبد القيس قتله علي بن أبي طالب، ويقال قتله عكاشة بن محسن، فيما قاله ابن هشام)).

ما أوردناه فقط الذي قُتل بسيف علي بن أبي طالب أو اشترك في قتله حيث كان عددهم واحداً وعشرين شخص من مجموع خمسين حسب ما ذكر ابن هشام في روايته التي أوردتها في السيرة النبوية.

إلا أن ابن هشام بعد إيراده للقتلى ومن قتلهم يذكر أن رواية ابن إسحاق التي تقول سبعين قتيلاً من مشركي قريش يوم بدر ويكملهم بالتعداد فقط دون ذكر من قام بقتلهم.. ..

وقد ذكر الواقدي^(١) قتلى بدر ((فجميع من أحصي قتله تسعة وأربعون رجلاً منهم من قتل أمير المؤمنين (عليه السلام)، وشرك في قتل اثنين وعشرين رجلاً)). أما البلاذري^(٢) فذكر أن عدد قتلى بدر من مشركي قريش تسعة وأربعون شخصاً، وقد قتل علي بن أبي طالب منهم واحداً وعشرين شخصاً.

وذكر القاضي النعمان المغربي^(٣) تفاصيل من قتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يوم بدر بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث بلغ عددهم ثلاثة وعشرين شخصاً فقال: ((فهؤلاء المعدودون من قتلى قريش يوم بدر ممن ثبت أن علياً عليه السلام قتلهم وغير من لم يقف على صحيح قتله إياه ومن أثبتته جراحه، فمات..)).

أما المفيد^(٤) فيورد قائمة لمن قتلهم علي بن أبي طالب يوم بدر وعددهم خمسة

(١) المغازي، ج ١، ص ١٤٨-١٤٩.

(٢) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٩٦-٢٩٧-٢٩٨-٢٩٩-٣٠٠-٣٠١.

(٣) شرح الأخبار، ج ١، ص ٢٦٣-٢٦٦.

(٤) الارشاد، ج ١، ص ٧١-٧٢.

وثلاثون رجلاً، فيما ذكر الطبرسي^(١) أن عددهم ستة وثلاثون شخصاً.

وبالعودة إلى ما ذكره ابن هشام عن الذين لقوا حتفهم على يد الإمام علي نسجل على روايته مجموعة من الملاحظات:

عند ملاحظة رواية ابن هشام في الذين قتلهم الإمام علي (عليه السلام) يوم بدر نراه لا يعتمد كلياً على رواية ابن إسحاق على عكس منهجه في السيرة، فكان له دور واضح في تغييرها وإضافة آرائه الشخصية، فمثلاً عندما ذكر قتل حنظلة بن أبي سفيان، قال: إن من قتله زيد بن حارثة وبعد ذلك استدرك وقال اشترك فيه حمزة وعلي وزيد، لكنه لا يعطي سنداً ولا يسند رأيه إلى أحد مجرد كلمة (يقال)، وهذا يناقض رواية جابر عن الإمام الباقر عن أمير المؤمنين عليهما السلام قال: ((لقد تعجبت يوم بدر من جرأة القوم وقد قتلت الوليد بن عتبة، إذ قبل الي حنظلة بن أبي سفيان فلما دنا مني ضربته بالسيف فسالت عيناه ولزم الأرض قتيلاً))^(٢).

الارتباك واضح في روايته فيذكر عدد القتلى من المشركين خمسين قتيلاً ثم في الصفحة نفسها ذكر عن أبي عبيدة عن أبي عمرو أن قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلاً، والأسرى كذلك ثم يورد قول ابن عباس وسعيد بن المسيب ولم يذكر أنه نقل له ذلك عن ابن إسحاق؛ لأنه المصدر الرئيس لرواية ابن هشام وبعد ذلك يوضح قائمة بأسماء الذين لم يذكرهم ابن إسحاق في روايته ليكون عدد قتلى المشركين سبعين رجلاً.

المهم عند قراءة ما أورده ابن هشام في هذا المورد نلاحظ عدم الوضوح والضبابية

(١) اعلام الوری، ج ١، ص ١٧٠.

(٢) المفيد، الارشاد، ج ١، ص ٧٥، الطبرسي، اعلام الوری، ج ١، ص ١٧٠.

في إيراد المعلومات، ولعل القصد كان واضحاً وهو التغطية على الصورة الحقيقية لأثر الإمام في تلك المعركة، وتسويق الأمر بأنه من الأمور الاعتيادية حيث لاحظنا كثيراً ما يشرك مع علي أشخاصاً عند روايته قتل أي شخص من دون أن يقدم لنا سنداً لما يقوله.

وإن كانت رواية ابن هشام التي ذكرها لنا أقل الروايات حديثاً عن الذين قتلهم الإمام علي يوم بدر إلا أنه عند النظر إليها يبقى الإمام علي في مقدمة المقاتلين وأبرزهم وأكثرهم بلاءً.

إن وقفة علي بن أبي طالب يوم بدر وجهاده بين يدي رسول الله وإكثاره من القتل فـ في صفوف المشركين، نتج عنه عدد من القتلى كما قدمنا توزع هؤلاء على بطون قريش ولم يبق بطن منهم إلا وناله سيف علي بن أبي طالب، وهذا ما أورثه عداوة أهل النفاق من قريش وغيرها من الذين قتل أولياءهم في ذات الله عز وجل، وقد دفع علي وآل علي تلك الضريبة من مواقعهم ومن دمائهم وغيرها من الأمور وبالمقابل نلاحظ أن كبار الصحابة ومن الذين اشتركوا في معركة بدر يخشون التصريح بذلك لكي لا تكون لهم عداوة مع عشيرتهم، فذكر ابن أبي الحديد المعتزلي^(١) ((أن عثمان بن عفان وسعيد بن العاص حضرا عند عمر أيام خلافته، فجلس سعيد بن العاص حجرة فنظر إليه عمر، فقال: مالي أراك معرضاً كأني قتلت أباك! إني لم اقتله، ولكن قتله أبو الحسن! وكان علي (عليه السلام) حاضراً. فقال اللهم غفرا! ذهب الشرك بما فيه ومحا الإسلام ما قبله، فلماذا تهاج القلوب! فسكت عمر، وقال سعيد: لقد قتله كفؤ كريم، وهو أحب الي من أن يقتله من ليس من بني عبد مناف)).

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ٣١٩.

الملاحظ إجماع المؤرخين ومنهم الطبري، وابن الجوزي، وابن الأثير وغيرهم عن ذكر أي تفاصيل لقتلى بدر على الرغم من أن الطبري^(١) أفرد لمعركة بدر أكثر من ثمان وخمسين صفحة في تاريخه مما يدل على أهمية تلك المعركة وهذه هي القصدية التي نتحدث عنها في حذف أو التغاضي عن مناقب الإمام علي (عليه السلام).

وقد ذكر ابن هشام^(٢) أبياتاً من الشعر للإمام علي قالها يوم بدر يرويها عن ابن إسحاق إلا أنه قال: ((لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ولا نقضها..))

بلاء عزيزٍ ذي اقتدار وذي فضلٍ	ألم تر أن الله أبلَى رسوله
فلاقوا هواناً من إسار ومن قتلٍ	بما أنزل الكفار دار مذلة
وكان رسول الله أرسل بالعدل	فأمسى رسول الله قد عز نصره
مبينة آياته لذوي العقل	فجاء بفرقان من الله عز وجل
فأمسوا بحمد الله مجتمعى الشمل	فأمن أقوامٌ بذاك وأيقنوا
فزادهم ذو العرش خبلاً إلى خبل	وأنكر أقوامٌ فزاغت قلوبهم
وقوماً غضاباً فعلهم أحسن الفعل	وأمكن منهم يوم بدرٍ رسوله
وقد حادثوا بالجلء وبالصقل	بأيديهم بيضٌ خفافٌ عصوبها
صريعاً ومن ذي نجدة منهم كهل	فكم تركوا من ناشئ ذي حمية
تجود بإسبال الرشاش وبالوبل	تبيت عيون النائحات عليهم
وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهل	نوائح تنعى عتبة الغي وابنه
فيهم مسلبة حُرَى مبينة النكل	وذا الرجل تنعى وابن جدعان

(١) ينظر تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٦٠-٢٩٢.

(٢) السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥، ص ٢٧٥.

الإمام عليّ (عليه السلام) في معركة أُحد^(١)

لما أُصيب كفار قريش يوم بدر ورجع جيشهم المهزوم إلى مكة، وعاد أبو سفيان ابن حرب بالقافلة سالمة، ذهب عبد الله بن أبي ربيعة^(٢)، وعكرمة بن أبي جهل^(٣)، وصفوان بن أمية^(٤) في رجال من قريش، ممن أُصيب أبواؤهم وأبناءؤهم وإخوانهم يوم بدر^(٥) إلى أبي سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك القافلة تجارة فقالوا: يا معشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل رجالكم وخياركم فأعينونا بهذا المال على حربنا لعلنا ندرِك منه ثأرنا بما أصاب منا^(٦)، وبعد تلك المناشدات وافقت قريش كما ذكر الواقدي^(٧) ((قال أبو سفيان: قد طابت أنفُس قريش بذلك؟ قالوا: نعم. قال: فأنا أول من أجاب إلى ذلك وبنو عبد مناف معي، فأنا الموتور الثائر قد قتل ابني حنظلة وأشرف قومي... فباعوا ما كان بذهب العين وتجهزوا به، وقال بعضهم: إنهم

(١) أحد: اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد وبينه وبين المدينة قرابة ميل شالها. ينظر الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٠٩.

(٢) عبد الله بن ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي كان اسمه في الجاهلية بجيرا، فسماه رسول الله عبد الله، أسلم يوم الفتح. ينظر ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ٨٩٦.

(٣) عكرمة بن أبي جهل، عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي كان كأبيه أشد الناس عداوة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسلم يوم الفتح وقتل يوم اليرموك في خلافة عمر بن الخطاب. ينظر المزي، تهذيب الكمال، ج ٥، ص ٣٠٠؛ ابن حجر، الإصابة، ج ٤، ص ٤٢٣.

(٤) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن قدامة بن جمح القرشي الجهمي المكي من المؤلفين قلوبهم مات سنة (٤٢هـ - ٦٦٢م). ينظر الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٢، ص ٦٤؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، ج ١، ص ٣٤٨.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٦٤.

(٦) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ٣٢٢.

(٧) المغازي، ج ١، ص ٢٠٠، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣١٢.

تجهزوا بأرباح ما فيها، وكانوا يربحون للدينار دينار وبعثوا إلى أربعة نفر من قريش وهم عمرو بن العاص وهبيرة بن وهب^(١) المخزومي، وابن الزبيري^(٢)، وابو عزة الجمحي^(٣)، فساروا في العرب يستنجدونهم ويستنصرونهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان أبو العزة كنانياً، امتنع من النفوذ لما وجهوه، وقال كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فضل علياً حيث أطلقني يوم بدر بعد أن اسرت بلا فداء^(٤).

فخرجوا يؤلبون القبائل لحرب المسلمين، وقد دعا جبير بن مطعم غلاماً له يقال له وحشي، يقذف بحربة له قذف الحبشة، قلما يخطئ بها فقال اخرج مع الناس فإن قتلت عم محمد فأنت عتيق^(٥)، وقد خرجت قريش وحلفاؤها وقد أخرجوا معهم الظعن^(٦) التماس الحفيظة وأن لا يفرّوا، وخرجت من قريش ثلاث آلاف بمن ضوى

(١) هبيرة بن وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران الشاعر المخزومي القرشي زوجته أم هاني بنت أبي طالب أخت الإمام علي وابنه جعده بن هبيرة المخزومي. ينظر ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج ١، ص ١٣٠.

(٢) ابن الزبيري: عبد الله بن الزبيري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم السهمي القرشي الشاعر، امه عاتكة بنت عبد الله بن عمرو، وكان من اشد الناس على رسول الله قبل الفتح أسلم بعد الفتح بعد أن هرب إلى نجران إلا أنه عاد وأسلم. ينظر ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ٩٠٠.

(٣) أبو عزة الجمحي: وهو عمرو بن عبد الله بن عمير بن أهيب بن حذافة بن جميح قتله رسول الله صبراً بحمراء الأسد، حيث كان قد أسره يوم بدر، وكان ذا بنات؛ فقال: ((دعني لبناتي)) فرحمه واطلقه، إلا أنه عاد يوم أحد. ينظر، ابو المصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٣٩٨.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٢٠١.

(٥) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٦) خرج أبو سفيان وهو قائد الناس معه هند بنت عتبة بن ربيعة وخرج عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بأمر حكيم بنت الحارث بن المغيرة. وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة ابنة الوليد بن المغيرة، وخرج صفوان بن أمية بن خلف بربّه بنت مسعود الثقفية وهي أم عبد الله بن صفوان وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهي أم عبد الله بن عمرو بن

إلى قريش، قادوا مائتي فرس، وكان فيهم سبعمئة دارع ومعهم ثلاثة آلاف بعير^(١). فلما سمع رسول الله والمسلمون أنهم قد نزلوا حيث نزلوا^(٢)، شكل مجلساً عسكرياً استطلع فيه آراء المسلمين في كيفية مجابهة العدو، وأعلنت الشخصيات البارزة وعدد من كبار الأنصار وعبد الله بن أبي أن الرأي هو البقاء في المدينة واتخاذ موقف دفاعي داخل المدينة، في حين كان رأي الشبان الذين لم يشهدوا بدرأ وغيرهم من كبار المهاجرين والأنصار مثل حمزة هو أن تجري مجابهة العدو خارج المدينة^(٣)، وقد اختلفت الآراء بين مؤيد للخروج ومن يريد البقاء داخل المدينة حيث قال عبد الله بن أبي وقومه يا رسول الله: ((لا تخرج من المدينة حتى نقاتل في ازقتها فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك وعلى السطوح فما أردانا قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا وما خرجنا على أعدائنا قط إلا كان الظفر لهم، فقام سعد بن معاذ رحمه الله وغيره من الأوس فقالوا: يا رسول الله ما طمع فينا أحد ونحن مشركون نعبد الأصنام فكيف يطمعون فينا وأنت فينا، نخرج، إليهم فمن قتل منا شهيد^(٤))).

العاص وخرج طلحة بن أبي طلحة بسلافة بنت سعيد، وخرجت خناس بنت مالك بن النظر مع ابنها عزيز بن عمير وهي أم مصعب بن عمير. ينظر ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ٣٢٢، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٦٦، الواقدي والمغازي، ج ١، ص ٢٠٣، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٣٠٥.

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣١٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٦٦.

(٣) موسى بن عقبة، أبو محمدت (١٤١ هـ) المغازي النبوية، تحقيق حسين مرادي (شريعة - قم، ١٤٢٤ هـ)، ص ٢٤٣.

(٤) القمي، تفسير القمي، ج ١، ص ١١١.

وفي النهاية أمر رسول الله بالخروج فقالوا: نرجع ولكن رد عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل))^(١)، فكانوا ألف رجل فلما كانوا بعض الطريق انخذل عنهم عبد الله ابن أبي بثلث الناس^(٢). ومضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى نزل الشعب في أحد في عروة الوادي إلى الجبل فجعل ظهره وعسكره إلى أحد فقال لا يقاتل أحد حتى أمره بالقتال وقد تبعاً رسول الله وهو في سبعائة رجل، وأمر على الرماة عبد الله ابن جبير^(٣) والرماة خمسون رجل وقال له انضح الخيل عنا بالنبل حتى لا يأتونا من خلفنا إن كان لنا أو علينا^(٤).

الإمام علي (عليه السلام) حامل لواء المسلمين في أحد

ذكر ابن هشام^(٥) في السيرة النبوية وفي هذا المورد ثلاث روايات متسلسلة:

الأولى عن ابن إسحاق قال فيها: ((وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى قتل وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي، وهو يظن أنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمداً، فلما قُتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله اللواء إلى علي بن أبي طالب، وقاتل علي بن أبي طالب ورجال من المسلمين)).

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٦٨.

(٢) الطبرسي، اعلام الوري بأعلام الهدى، ص ١٧٦.

(٣) عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن أمراء القيس الأنصاري من بني ثعلبة شهد العقبة وبدراً استشهد يوم أحد حين كان على الرماة. ينظر ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ١٩٤.

(٤) ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج ١، ص ٤٠٥.

(٥) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٧٨.

أما الرواية الثانية فينقلها ابن هشام عن مسلمة بن علقمة المازني ((لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت راية الأنصار وأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن قدم الراية - فتقدم علي، فقال: أنا أبو الفصم ويقال أبو القصم^(١) - فيما قال ابن هشام - فناداه أبو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين: هل لك يا أبا القصم من البراز حاجة؟ قال نعم فبرز بين الصفين، فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه، ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه، فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته، فعطفتني عنه الرحم وعرفت ان الله عز وجل قد قتله))^(٢).

والرواية الثالثة لم يسندها ابن هشام لأحد ((ويقال إن أبا أسعد بن أبي طلحة خرج بين الصفين فنأى أنا قاصم من ييارز برازاً، فلم يخرج إليه أحد. فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلاكم في الجنة وأن قتلانا في النار، كذبتم واللات، لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إلي بعضكم، فخرج إليه علي بن أبي طالب فاختلفا في ضربتين فضربه علي، فقتله))^(٣).

ومن خلال الروايات الثلاث نستطيع القول إن ابن هشام أورد روايته الأولى قبل إيراد أي شيء من بدء المعركة، فذكر روايته الأولى قبل أن يذكر بدايات المعركة فكان إيراده لتفاصيل المعركة يشوبه الارتباك وعدم الوضوح، وعندما أورد مبارزة الإمام

(١) يذكر السهيلي في الروض الآنف ان علياً قال أنا أبو القصم رداً على أبي سعد بن طلحة لما قال أنا قاصم من ييارزني، فالقصم جمع قصمة وهي العضلة المهلكة ويجوز أن يكون الداهية التي تقصم يعني أنا أبو القصم أي أبو العضلات القصم والدواهي العظم. ينظر السهيلي، الروض الآنف، ج ٣، ص ١٦٣.

(٢) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٧٨.

علي مع أبي أسعد بن أبي طلحة لم يذكر متى حصلت تلك المبارزة هل هي في بداية المعركة أو أي وقت منها؟

وقد اختلف عن ابن إسحاق مؤلف السيرة النبوية الأصلي الذي تحدث عن بداية المعركة بالقول: ((فاقتل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة سماك بن خرشه حتى أمعن في العدو، وحمزة وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين فأنزل الله نصره وصدقهم وعدة، فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم، وكانت الهزيمة لا يشك فيها - يعني هزيمة المشركين ثم يكمل روايته - لقد رأيتني أنظر إلى حرم هند بنت عتبة وصويجاتها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير...))^(١) يعني بداية المعركة كان النصر والغلبة للمسلمين بفضل جهود الثلاثة المذكورين في الرواية أعلاه.

ومن أجل أن نتعرف على حقيقة الأمر وإكمال الصورة لابد أن نطلع على ما كتبه بقية الرواة والمؤرخين عن أثر الإمام في المعركة، فذكر الواقدي^(٢) وهو يتحدث عن عقد الألوية ((ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بثلاثة أرماح، فعقد ثلاثة ألوية فدفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير^(٣)، ودفع لواء الخزرج إلى الحباب ابن المنذر بن الجموح^(٤) - ويقال إلى سعد بن عباد - ودفع لواء المهاجرين إلى علي

(١) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ٣٢٧؛ الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٣١١.

(٢) المغازي، ج ١، ص ٢١٥.

(٣) اسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن أمرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل ويكنى أبا يحيى، شهد العقبة الآخرة مع السبعين من الأنصار وكان من النقباء الاثني عشر وأخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينه وبين زيد بن حارثة توفي سنة (٢٠هـ - ٦٤٠م) ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٥٠٨، ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ص ٣٣، ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ص ٩٢

(٤) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب ويكنى أبا عمرو وقد شهد مع الرسول

ابن أبي طالب (عليه السلام)، ويقال إلى مصعب بن عمير)).

ثم بعد ذلك ذكر مسير رسول الله إلى أحد حتى ينتهي به المقام في المكان الذي حصلت به المعركة، وذكر أنه لما سوى الصفوف سأل من يحمل لواء المشركين؟ قيل له بنو عبد الدار: ((قال: نحن أحق بالوفاء منهم. أين مصعب بن عمير؟ قال: ها أنا ذا، قال: خذ اللواء، فأخذه مصعب بن عمير فتقدم به بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم))^(١).

ثم تعرض لتوزيع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للجيش إلى أن ينتهي بالقول: ((وصاح طلحة بن أبي طلحة، من يبارز؟ فقال علي (عليه السلام): هل لك في البراز؟ قال طلحة: نعم فبرز بين الصفيين، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالس تحت الراية عليه مغفرة وبيضة، فالتقيا فبدره علي فضربه على رأسه فمضى السيف حتى فلق هامته حتى انتهى إلى لحيته، فوقع طلحة وانصرف علي (عليه السلام)، فقيل لعلي: ألا ذففت عليه؟ قال: لما صرع استقبلني عورته فعطفني عليه الرحم، وقد علمت أن الله تبارك وتعالى سيقتله - وهو كبش الكتبية... ويقال: حمل عليه طلحة، فاتقاه علي بالدرقة فلم يصنع سيفه شيئاً وحمل عليه علي (عليه السلام) وعلى طلحة درع مشمرة، فضرب ساقه فقطع رجله، ثم أراد أن يرفق عليه فلما قتل طلحة سر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأظهر التكبير، وكبر المسلمون)).

ثم روى الواقدي كيفية مقتل أصحاب اللواء التسعة من بني عبد الدار واحداً

الأكرم معركة بدر وشهد جميع مشاهد الرسول وشهد سقيفة بني ساعدة وكان هو خطيب الأنصار وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب، ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٩، ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ص ٣٦٥، ابن حجر، الإصابة، ج ٢، ص ٩.

(١) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٢٢١.

بعد الآخر ويختتم روايته بأن الإمام علياً قتل اثنين منهم^(١)، وأورد ابن سعد^(٢) تفاصيل رواية الواقدي نفسها لكن بصورة مختصرة لا تؤثر على سياقها.

أما البلاذري^(٣) فقال في روايته: ((وسوّى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صفوف المسلمين وأقامها إقامة القدح، وحثهم على الصبر واليقين والجد والنشاط ودفع لواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب ثم سأل عن لواء المشركين، فقيل دفع إلى طلحة بن أبي طلحة، فقال: نحن أحق بالوفاء، فدفعه إلى مصعب بن عمير العبدري...)) ولم يذكر مبارزة علي بن أبي طالب في بداية المعركة وقتل حملة الالوية.

وفي رواية أحمد بن الفضل عن اسباط عن السدي التي أوردها الطبري^(٤) ((ثم أن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين، قام فقال: يا معشر أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل منك أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة، أو يعجلني بسيفه إلى النار؟ فقام إليه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار، أو تعجلني إلى الجنة)) ثم أورد قتل صاحب اللواء على يد الإمام علي كما وردت عند الواقدي. كما أورد الطبري^(٥) رواية ابن إسحاق نفسها التي أوردناها حول بداية المعركة التي يبين فيها فرار المشركين وكذلك فرار هند وصويجاتها.

(١) المغازي، ج ١، ص ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) الطبقات، ج ١، ص ٣٩-٤٠.

(٣) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣١٨.

(٤) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٣٠٩.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣١١.

أما موسى بن عقبة في روايته عن ابن شهاب الزهري التي نقلها البيهقي^(١) قال: ((فلما عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أصحابه عهده في القتال وكان حامل لواء المهاجرين رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال أنا عاصم إن شاء الله لما معي، فقال له طلحة - يعني طلحة بن عثمان - هل لك يا عاصم في المبارزة؟ قال: نعم، فبدره ذلك الرجل فضرب بالسيف على رأس طلحة حتى وقع السيف في لحيته فقتله.. فلما صرع صاحب اللواء ابتشر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه، وصاروا كتائب متفرقة، فجاسوا العدو ضرباً حتى اجهضوهم عن أنفاهم، وحملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مغلوبة، وحمل المسلمون فنهكوهم قتلاً...)).

يبدو من هذه الرواية أن صاحبها تعمد إخفاء اسم الإمام علي كونه حامل راية المهاجرين واكتفى بالقول إنه رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). .

وبعد استعراضنا لما ورد من روايات حول حمل الراية وبداية المعركة يتضح ما يلي:

ذكر ابن هشام من خلال روايته الواردة في صدر الفقرة بعد مقتل مصعب بن عمير أن الرسول أعطى الراية إلى علي بن أبي طالب، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه بقية الرواة من أن راية المهاجرين كانت يومئذ مع مصعب بن عمير حيث لا يتعارض ذلك مع كون الراية كانت في البداية مع علي بن أبي طالب إلا أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) دفع الراية إلى مصعب مراعيًا بذلك الاعراف القبلية السائدة آنذاك، وهذا لا يختلف مع ما ذكر في مورد سابق بأن راية رسول الله في كل المشاهد كانت مع علي

(١) دلائل النبوة، ج ٣، ص ٢١٠.

ابن أبي طالب ؛ لأنها عادت إليه ثانية، إلا أن رواية عبد الله بن مسعود التي نقلها المفيد^(١) ((قال: ودفع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لواء المهاجرين إلى علي ابن أبي طالب (عليه السلام) وجاء وقام تحت لواء الأنصار)) إلا أنه لم يشير في روايته إلى تسليم الراية بعد ذلك إلى مصعب بن عمير ولعله أشار في ذلك إلى بدايات عقد الراية، إلا أن رسول الله بدا له أمر في إعطائها إلى مصعب وهذا لم يقلل من شأن علي ابن أبي طالب الذي عادت إليه الراية ثانية بعد استشهاد مصعب بن عمير.

لم يورد ابن هشام أي تفاصيل لبداية المعركة فقد ذكر تفاصيلها في تقديم وتأخير للرواية، بحيث ضاع التسلسل الزمني لروايات المعركة فتراه يبدأ برواية استشهاد مصعب بن عمير ثم ذكر روايات أخرى، غير أن ابن إسحاق صاحب السيرة ذكر تسلسلاً واضحاً للمعركة إذ بدأ بالرواية الآتية ((فاقتتل الناس حتى حميت الحرب وقتل أبو دجانة سهاك بن خرشه حتى أمعن في العدو، وحمزة، وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين، فأنزل الله نصره وصدقهم وعده، فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم وكانت الهزيمة لا يشك فيها))^(٢).

إلا أن ابن هشام يورد الرواية أعلاه عن ابن إسحاق ((ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده، فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن المعسكر، وكانت الهزيمة لا شك فيها))^(٣). والملاحظ أن هناك فرقاً بين الروايتين لأن ابن هشام اقتطع الأسماء الواردة في الرواية وأوردها بصيغة العموم ولم يخص بها أحداً على خلاف ابن إسحاق صاحب الرواية الفعلي.

(١) الارشاد، ج ١، ص ٨٠.

(٢) السير والمغازي، ص ٢٢٧، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٣١١.

(٣) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٨٢.

كما أن ابن إسحاق لم يذكر مبارزة الإمام علي في بداية المعركة التي ذكرها ابن هشام وغيره من الرواة أمثال الواقدي وغيره، وهذا يدعونا إلى الشك بأن هناك قصداً واضحاً في هذه الضبابية بين الاثنين، فابن هشام من جهة أظهر الروايات التي تتحدث عن المعركة بصورة مرتبة غير منظمة وابن إسحاق اقتطع أهم ما في المعركة وهو بدايتها بالمبارزة بين الإمام علي وبين حامل لواء المشركين الذي اختلف الرواة في ذكره.

ومن خلال ما تقدم نجد أن هناك ثلاث تسميات وردت في الروايات لحامل اللواء فابن هشام ذكر في السيرة انه أبو سعد بن أبي طلحة والواقدي ذكر طلحة بن أبي طلحة والطبري ذكر أن اسمه عثمان بن أبي طلحة، وكل هذه الروايات متفقة على أن الإمام علياً هو من قتل صاحب لواء المشركين، وهذا يدعونا إلى القول إن الإمام علياً لم يقاتل حامل لواء واحد، وإنما أكثر من واحد ويؤكد هذا رواية الطبري^(١) التي نقلها بسند ينتهي إلى عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه عن جده التي قال فيها: ((لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية أبصر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم، ففرق جمعهم وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي.. قال: ثم أبصر رسول الله جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرق جماعتهم، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي، فقال جبريل: يا رسول الله إن هذه المواساة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إنه مني وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما، قال فسمعوا صوتاً: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي)).

كما يؤكد ما ذهبنا إليه من قتل الإمام علي لأصحاب الألوية الرواية المنقولة عن

(١) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٣١٢.

الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الباقر عن آبائه (عليهم السلام) ((وكان أصحاب اللواء يوم أحد تسعة قتلهم علي عن آخرهم، وانهزم القوم...))^(١).

إن ما تقدم من ارتباك واضح في نقل رواية معركة أحد جعل الصورة مشوشة بدرجة كبيرة، الأمر الذي يدعونا إلى القول إن القضية مقصودة، الهدف منها صرف الأنظار عن بطل المعركة الحقيقي الإمام علي، إذا علمنا أن كبار الصحابة لم يكن لهم أي نصيب من البطولة في ذلك اليوم، إلا أن هناك من يورد إشكالاً حول ذكر ابن هشام للمناداة التي ذكرها الطبري في الرواية أعلاه لكن الكيفية التي ذكرت فيها المناذاة تختلف صورتها عما ذكرها الطبري، فقال ابن هشام^(٢) حدثني بعض أهل العلم عن عبد الله بن أبي نجيح ((قال: نادى مناد يوم أحد: لاسيف إلا ذو الفقار ولافتى إلا علي)) فهو هنا لم يورد المناسبة التي قيل بها كما ذكرها الطبري وبذلك يقتطع جزءاً مهماً من الصورة.

ثبات الإمام علي (عليه السلام) يوم أحد

لقد كانت الغلبة للمسلمين في بداية المعركة لكن نزول الرماة الذين أمرهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالبقاء في موقعهم الذي حدده لهم وعدم تركه مكّن خالد بن الوليد من الالتفاف على جيش المسلمين فضلاً عن انشغال المسلمين في جمع الغنائم^(٣)، وكذلك الإشاعة التي بثها المشركون بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قتل، هذه العوامل مجتمعة أسهمت في هزيمة المسلمين وتفرقهم عن

(١) المفيد، الارشاد، ج ١، ص ٨٥.

(٢) السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٠٦.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٢٣٠-٢٣١.

الرسول إلا مجموعة صغيرة منهم^(١).

ومن خلال قراءتنا لسيرة ابن هشام وما يتعلق بالموارد الخاص بثبات المسلمين في معركة أحد نقل عن ابن إسحاق قوله^(٢): ((وانكشف المسلمون، فأصاب فيهم العدو، وكان يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة، حتى خلص العدو إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدث^(٣) بالحجارة حتى وقع الشقة، فأصيبت ربايعته وشج في وجهه، وكلمت شفته وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص... ووقع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، وهم لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً، ومسح مالك بن سنان وأبو أبي سعيد الخدري الدم عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)).

روى ابن هشام^(٤) بسنده عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن كعب بن مالك لما شاع خبر مقتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ((ناديت بأعلى صوتي، يا معشر المسلمين هذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما عرف المسلمون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر... وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن

(١) ابن عقبة، المغازي النبوية، ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٢) السيرة النبوية، ج ١، ص ٨٦-٨٥.

(٣) دث: دث الرجل هو التواء في جنبه أو بعض جسده من غير داء، ينظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٢، ص ١٤٧.

(٤) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٨٨-٨٩.

العوام رضوان الله عليهم، والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين.. فلما انتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب، حتى ملاً درقته ماءً من المهراس فجاء به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يشرب منه، فوجد له ريحاً فعافه، ولم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم..)).

وذكر ابن هشام^(١) عن ابن إسحاق بعد انصراف المشركين من المعركة ((ثم بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب، فقال اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأنجزتهم. قال علي، فجنبوا الخيل، وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة)).

أما الواقدي^(٢) فقال: ((وثبت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما هو في عصابة صبروا معه، أربعة عشر رجلاً سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار: أبو بكر، وعبد الرحمن بن عوف، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجراح، والزبير بن العوام، ومن الأنصار الحباب بن المنذر وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت، والحارث بن الصمة، وسهل بن حنيف، وأسيد بن حضير، ويقال: ثبت سعد بن عباد، ومحمد بن مسلمة.. وبايعه يومئذ ثمانية على الموت ثلاثة من المهاجرين وخمسة من الأنصار: علي، والزبير، وطلحة، وأبو دجانة، والحارث بن الصمة، وحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف، فلم يقتل منهم أحد)).

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٠.

(٢) المغازي، ج ١، ص ٢٤٠.

وذكر اليعقوبي^(١) انهزام المسلمين في معركة أحد ((حتى بقي رسول الله وما معه إلا ثلاثة نفر: علي، والزبير، وطلحة...)).

أما البلاذري^(٢) فذكر الذين ثبتوا مع رسول الله بعد انهزام المسلمين يوم أحد هم أنفسهم الذين ذكرهم الواقدي في رواية أعلاه إلا أنه يضيف إليهم عمر بن الخطاب ليصبح عددهم خمسة عشر.

أما القاضي النعمان المغربي^(٣) فذكر ((وبقي علي صلوات الله عليه وحده بين يديه فقال له امض يا علي. فقال إلى أين أمضي يا رسول الله؟ ارجع كافراً بعد أن أسلمت؟ وكانت كراديس المشركين تأتيها فيحمل رسول الله صلوات الله عليه وآله على بعض ويقول لعلي: احمل أنت على هؤلاء الآخرين، فيكشفان من أتاها ويرداهم بعد أن يبليا فيهم، وكان منهما صلوات الله عليهما يومئذ ما لم يكن أحد قبلهما مثله حتى كشف الله عز وجل المشركين وهزمهم بهما وانصرف عامة المسلمين إلى المدينة يقولون: قتل محمد وعلي، وارجف الناس بذلك ولم يروا إلا أنه قد كان... ثم أقبل علي صلوات الله عليه على رسول الله صلوات الله عليه وآله فغسل وجهه مما به من دم، وأقبل معه)).

ونقلت بعض المصادر رواية عن محمد بن مروان عن عمارة عن عكرمة قال: ((سمعت علياً (عليه السلام) يقول: لما انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لحقني من الجزع عليه ما لم أملك نفسي، وكنت أمامه أضرب

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣١.

(٢) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣١٨.

(٣) شرح الأخبار، ج ١، ص ٢٦٩-٢٧٠.

بسييفي بين يديه، فرجعت أطلبه فلم أزه، فقلت: ما كان رسول الله ليفر، وما رأيتُهُ في القتلى، وأظنه رفع من بيننا إلى السماء، فكسرت جفن سييفي، وقلت في نفسي لأقاتلنَّ به عنه حتى أقتل، وحملت على القوم فأفرجوا فإذا أنا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد وقع على الأرض مغشياً عليه، فقممت على رأسه، فنظر إلي وقال ما صنع الناس يا علي؟ فقلت: كفروا يا رسول الله، وولوا الدبر من العدو، وأسلموك. فنظر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال لي: رُد عني يا علي هذه الكتيبة، فحملت عليها بسييفي أضربهما يميناً وشمالاً حتى ولوا الأدبار، فقال لي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما تسمع يا علي مديحك في السماء، إن ملكاً يقال له رضوان ينادي لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، فبكيته سروراً وحمدت الله سبحانه وتعالى على نعمته))^(١).

من خلال استعراض الروايات نلاحظ أنها أكدت على أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو الثابت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم أحد بعد أن فرَّ عنه الناس مع اختلاف الرواة فيمن ثبت معه من المسلمين، ومسألة ثبات علي مجمع عليها إلا أن الشيء المختلف هو صورة ذلك الثبات وكيفيته ولا بد من مناقشة ذلك:

أورد ابن هشام مسألة ثبات علي بن أبي طالب لكن مع شيء من الضبابية وعدم الوضوح حيث لم ينقل لنا تفاصيل المعركة بشكل متسلسل وحسب سير أحداثها، فهو ينقل بقاء الرسول لو حده بعد إصابته وأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفعته من الحفرة التي وقع فيها وبمساعدة طلحة بن عبيد الله، إلا أنه يعزف تماماً عن رواية المعركة وكيف كانت تفاصيلها، فيما ذكرت مصادر أخرى^(٢) أثر الإمام وبلاءه في

(١) المفيد، الارشاد، ج ١، ص ٨٧، ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٩٤.

(٢) ينظر ابن المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٦٤، ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج ١٤ ص ٢٩١-

الدفاع عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والمناداة الصادرة من السماء (لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي)، نعم هو ذكر المناداة ولكنه لم يذكرها في موردها الدال عليها إنما ذكرها في نهاية روايته لمعركة أحد^(١)، ويعد هذا جزءاً من اقتطاع ابن هشام للصورة الحقيقية لأثر الإمام علي يوم أحد، وهذا الأمر رواه مجموعة من الرواة والمؤرخين والمحدثين وهو مشهور جداً، وقد عبر ابن أبي الحديد المعتزلي^(٢) عن هذا الأمر بالقول: ((قد رواه جماعة من المحدثين وهو من الأخبار المشهورة، ووقفت عليه بعض نسخ مغازي محمد بن إسحاق، ورأيت بعضها خالياً عنه وسألت شيخي عبد الوهاب بن سكينه ت (٥٦٠٧ - ١٢١٠ م) رحمه الله عن هذا الخبر، فقال: خبر صحيح، فقلت: ما بال الصحاح لم تشتمل عليه؟ قال: أوكلما كان صحيحاً تشتمل عليه كتب الصحاح؟ كم قد أهمل جامعوا الصحاح من الأخبار الصحيحة)).

نقل ابن هشام حال الصحابة بعد فرارهم من المعركة وتركهم للقتال، ففي رواية

٢٩٢، حيث يورد الرواية الآتية عن أبي عمر محمد بن عبد الواحد الزهر اللغوي التي كانت سبباً للمناداة ((إن رسول الله لما فر معظم أصحابه عنه يوم أحد، كثرت عليه كتائب المشركين، وقصدته كتيبة بني كنانة ثم من بني عبد مناة بن كنانة، فيها أبو سفيان بن عوف، وهم خالد بن سفيان وأبو الشعثاء بن سفيان وابو الحمراء بن سفيان، وعزاب بن سفيان فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا علي اكفني هذه الكتيبة، فحمل عليها وانها لتقارب الخمسين فارساً، وهو راجل، فما زال يضرب فيهم حتى تتفرق عنه ثم نجتمع عليه، وهكذا مراراً حتى قتل بني سفيان بن عوف الأربعة، وتمام العشرة منهم، ممن لا يعرف بأسائهم، فقال جبريل يا محمد هذه لمواساة لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى، فقال رسول الله وما يمنعني وأنا منه! فقال جبريل (عليه السلام)، وأنا منكما قال وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء، لا يرى الشخص الصارخ به وينادي ((لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي))، فسئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنه فقال هذا جبريل.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٠٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ٣٩٢.

ابن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع التي رواها ابن هشام في السيرة ((انتهى أنس بن النظر، عم أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا ما بأيديهم، فقال ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قتل، وبه سمى أنس بن مالك))^(١).

إن حال الصحابة كما تحكيه لنا هذه الرواية كان يتلخص بأن تركوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحيداً في المعركة إلا علي بن أبي طالب الذي دافع عنه ونصره وردَّ عنه الأعداء كما بيَّنا، بعدها رجع مجموعة من الصحابة إلى الرسول بعد انحيازهم إلى الشعب لكنهم لم يشهدوا الدفاع عنه، وفي هذا الباب ذكر الطبري^(٢) ((وكان الناس انهزموا عن رسول الله حتى انتهى بعضهم إلى المنقى^(٣) دون الأعوص^(٤)، وفر عثمان وعقبة بن عفان وسعد بن عثمان - رجلاً من الأنصار - حتى بلغوا الجعلب^(٥) - جبلاً بناحية المدينة مما يلي الأعوص - فأقاموا به ثلاثاً ثم رجعوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فزعموا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال لهم لقد

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٨٨.

(٢) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٣١٦.

(٣) المنقى: موضع بين أحد والمدينة (قال ابن إسحاق: وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم أحد حتى انتهى بعضهم إلى المنقى دون الأعوص)، ينظر الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢١٥.

(٤) الأعوص: موضع في المدينة على بضعة عشر ميلاً منها. ينظر البكري الاندلسي، معجم من استعجم، ج ١، ص ١٧٣.

(٥) الجعلب: وهو جبل بناحية المدينة، ينظر الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٥٤.

ذهبتن بها عريضة)).

إلا أن الطبري وفي تفسيره يسند الرواية أعلاه إلى ابن إسحاق عندما يأتي إلى تفسير الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجُمُعَانَ...﴾^(١) وهذا ما ناقشه لاحقاً.

وكذلك ذكر ابن الأثير^(٢) في أسد الغابة رواية فرار عثمان بن عفان أيضاً مسندة إلى محمد بن إسحاق ويروي تفاصيل رواية الطبري نفسها.

إذا فرار الصحابة وتركهم رسول الله أمر واقع وصائر إلا أن ذلك كان بصور مختلفة فمنهم من ترك القتال وتنحى جانباً كما جاء برواية ابن هشام التي ذكر فيها عمر بن الخطاب وغيره من المهاجرين والأنصار، ومنهم من ترك حدود المعركة وذهب إلى مناطق بعيدة جداً كما فعل عثمان بن عفان وغيره.

لكن لم تشر المصادر إلى تنحي الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن القتال وتركه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنما بقي ملازماً ومدافعاً عنه.

وقد نزل القرآن في قضية هزيمة المسلمين وتركهم ساحة المعركة حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجُمُعَانَ﴾^(٣)، فقد ذكر المفسرون^(٤) أنها نزلت فيمن ترك المعركة يوم أحد وهو تويخ سماوي لهؤلاء الذين تركوا المعركة والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

(١) آل عمران: آية ١٥٥.

(٢) أسد الغابة، ج ٣، ص ٤١٩.

(٣) آل عمران: آية (١٥٥).

(٤) ينظر الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج ٤، ص ١٩٣، الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٤، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ج ٤، ص ٢٤٣، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٢، ص ٤٤، السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ٢، ص ٨٨.

عند النظر إلى رواية ابن هشام التي ذكرناها والتي تبين نهاية المعركة وانصراف المشركين منها وطلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من الإمام علي تتبع أخبارهم ومن ثم إخباره بوجهتهم، نجد أنه أمر طبيعي جداً بعد هزيمة المسلمين ووقعها النفسي الكبير عليهم، إذ لم يستطع أي منهم أن يقوم بهذه المهمة إلا من ثبت في داخل الميدان ودافع عن الرسول، ففي رواية ابن إسحاق التي ذكرها الطبري^(١) ((ثم بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون؟ وماذا يريدون؟ فإن كانوا اجتنبوا الخيل، وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، فو الذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرنَّ إليهم فيها، ولأنجزنَّهم، قال علي فخرجت في آثارهم انظر ماذا يصنعون؟ فلما اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل توجهوا إلى مكة، وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: أي ذلك كان فاخفه حتى تأتيني، قال علي (عليه السلام): فلما رأيتهم قد توجهوا إلى مكة أقبلت أصيح، ما أستطيع اكنم الذي أمرني به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما بي من الفرح، إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكة عن المدينة)).

وعند المقارنة بين رواية ابن إسحاق التي ذكرها ابن هشام والتي ذكرها الطبري نلاحظ أن نهاية الرواية فيها دس غير مقبول وهو فرح الإمام علي الذي قاده إلى الصياح بصوت مرتفع مخالفاً ما قاله الرسول له من كتم الأمر، ولعل من روى عنه الطبري أراد من ذلك أن يظهر شخصية علي بن أبي طالب كحال المنهزمين الذين تركوا القتال وخالفوا رسول الله في كل شيء، فهو أيضاً أراد أن يظهر أن الإمام علياً (عليه السلام) مخالف لأوامر رسول الله في ذلك الموقف لكي يجعل هناك توازناً

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٣١٩.

لكتاباته التاريخية، وقد ناقش أحد الباحثين^(١) هذا الموضوع ونقده للإضافة الواردة في نهاية الرواية حيث عد ذلك يتعارضاً مع تاريخ وسيرة الإمام علي بن أبي طالب وامثاله للأوامر وقد أورد المواقف البطولية لعلي في الدفاع عن الإسلام ورسوله أو في تنفيذ أوامر الرسول الأكرم وفي مواقف صعبة جداً مثل المبيت في فراشه وغيرها، إلا أننا نختلف مع الباحث في أمر تلك الإضافة من قبل الطبري فقد ذكر أن ابن هشام قد يكون اختصرها من ضمن ما اختصر وهذب من السيرة ولكن نعتقد أن الإضافة صدرت من الطبري نفسه ولم تكن موجودة أصلاً في السيرة لأن ابن هشام أقدم من الطبري وبذلك يمكن الميل إلى صحة رواية ابن هشام عن تلك الحادثة.

العودة إلى المدينة:

روى ابن هشام^(٢) عن ابن إسحاق ((فلما انتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة، فقال: اغسلي عن هذا دمه يا بنية، فو الله لقد صدقني اليوم، فناولها علي بن أبي طالب سيفه، فقال: وهذا أيضاً، فاغسلي عنه دمه، فو الله لقد صدقني اليوم، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة. قال ابن هشام: وكان يقال لسيف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ذو الفقار^(٣))) وذكر الطبري^(٤)

(١) مطر، آل بيت النبوة (عليهم السلام) في كتاب تاريخ الرسل والملوك، ص ١٧٧.

(٢) السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٠٦.

(٣) ذو الفقار: كان هذا السيف لمنبه بن حجاج السهمي وكان مع ابنه العاص بن منبه يوم بدر فقتله علي (عليه السلام) فأتى به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأعطاه رسول الله علياً فقاتل به دونه يوم أحد. ينظر الزرندي، نظم درر السمطين، ص ١٥٧.

(٤) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٣٢٣.

رواية ابن إسحاق نفسها لكنه يضيف إليها شعر علي بن أبي طالب وزعموا أن علياً حين أعطى فاطمة سيفه وقال:

أفاطم هاك السيف غير ذميم	فلست برعديد ولا بمليّم
لعمري لقد قاتلت في حب أحمد	وطاعة ربِّ بالعباد رحيم
وسيفي بكفي كالشهاب اهزه	أجذبه من عاتق وصميم
فمازلت حتى فض ربي جموعهم	وحتى شفينا نفس كل حليم

وذكر ابن أبي الدنيا^(١) عن محمد بن عباد بن موسى العكلي عن كثير بن هاشم عن عيسى بن معروف قال: ((قال سعيد بن المسيب قتل علي بن أبي طالب (عليه السلام) أربعة نفر من صناديد قريش أحدهم طلحة بن أبي طلحة ثم جاء بالسيف إلى فاطمة فقال:

أفاطم هاك السيف غير ذميم	فلست برعديد ولا بلئيم
لعمري لقد جاهدت في نصر أحمد	ومرضاة رب العباد عليّم
أريد ثواب الله لا شيء غيره	ورضوانه في جنة ونعيم
أحمت بن عبد الدار كي اعرفته	بذي رونق يغري العظام صميم
وكنت امرءاً أسمى إذا الحرب شمّرت	وقامت على ساق كل مليّم
فغادرته بالجر ارفض جمعه	عباديد من ذي فائظ وكلّيم

وقد يتضح من خلال روايات تلك الأبيات أنها من الأشعار المحذوفة التي عمد ابن هشام إلى حذفها حيث رويت في مصادر كثيرة^(٢).

(١) أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد (٢٨١هـ - ٨٩٤م)، مكارم الاخلاق، تحقيق مجدي السيد إبراهيم (مكتبة القرآن الكريم - للطبع والنشر - القاهرة، د.ت) ص ٦٧-٦٨.

(٢) ينظر المفيد، الارشاد، ج ١، ص ٨٩-٩٠، الطوسي، الامالي، ص ١٤٢-١٤٣، ابن شهر آشوب،

المبحث الثالث

علي (عليه السلام) بعد معركة أحد حتى فتح مكة

معركة الخندق

تعد هذه المعركة من المعارك المهمة في تاريخ الدعوة الإسلامية، وتكتسب أهميتها من الأعداد الكبيرة التي جمعها مشركو مكة من قريش ومن تحالف معها من قبائل عربية ويهود فلذلك يمكن النظر إليها بأنها واحدة من حلقات الصراع العسكري بين المسلمين وقريش، فالحرب معلنة بين الطرفين ولا حاجة لتلمس الأسباب الرئيسة لوقوع القتال^(١).

ويمكن عدها صفحة مشرقة في تاريخ جهاد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) صاحب المواقف والمناقب الكثيرة ولكن على الرغم من كثرتها نرى إحجام المؤرخين وأصحاب السير عن بعضها، وهذا ظلم اعتاد الكثير من الرواة عليه عند تعاملهم مع مناقب الإمام، ويبدو ان السلطات الحاكمة كان لها دورٌ ضاغطٌ على من كتب السيرة النبوية لتوجيهها الوجهة التي يرغبها الحاكم وما تقتضيه مصلحته السياسية آنذاك.

مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٦٦، الموفق الخوارزمي، المناقب، ص ١٧٢-١٧٣، الزرندي، نظم درر السمطين، ص ١١، الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٦، ص ١٢٢، ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ج ١، ص ٣٢٥.

(١) العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ص ٤١٨.

أما بدايات هذه المعركة ففي السنة الخامسة للهجرة^(١)، سارع عدد من اليهود إلى مكة واستنفروا أهلها لقتال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أخبروهم بأنهم سوف يكونون معهم لاستئصال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين^(٢)، وكان سببها المباشر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أجلى يهود بني النضير من المدينة إلى خيبر، فتجمعت الأحزاب في جيش هائل قوامه عشرة آلاف مقاتل بقيادة أبي سفيان بن حرب^(٣)، وقد خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للقائهم بثلاثة آلاف من المسلمين^(٤). ولما عرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهله هدفهم ومبتغاهم هو استئصال المسلمين اتخذ الخندق حول المدينة ليكون فاصلاً بينهم وبين العدو وقد أشار عليه في ذلك سلمان الفارسي (رضوان الله عليه)^(٥).

وبذلك أصبحت المعركة على وشك الوقوع والمسلمون محاصرون من كل جهة وعظم البلاء واشتد الخوف وضيق على الذراري والنساء وكانوا كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾^(٦)، وروى ابن هشام^(٧) عن ابن إسحاق انه قال: ((ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق، فضربوا خيلهم فاقترحت منه، فجالت بهم في السبخة بين

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٢٤.

(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٢٤١.

(٣) الواقدي، المغازي، ص ٢ ص ٤٤٤.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٣١.

(٥) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٣٤٢.

(٦) الأحزاب: آية ١٠.

(٧) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٣٥-٢٣٦.

الخنديق و سلع، وخرج علي بن أبي طالب (عليه السلام) في نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تنعق نحوهم، وكان عمرو بن ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز إليه علي بن أبي طالب، فقال له: يا عمر إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه: قال له أجل، قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: لم يابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، قال له علي: لكنني والله أحب أن أقتلك، فحمى عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعفره، وضرب وجهه، ثم أقبل على علي، فتنازلا وتجاولا فقتله علي عليه السلام، وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت الخندق هاربة قال ابن إسحاق:

وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه	ونصرتُ ربَّ محمدٍ بصوابٍ
فصدتُ حين تركته متجدلاً	كالجذع بين دكادك وروابي
وعففتُ عن أثوابه ولو أنني	كنتُ الماطر بزني أثوابي
لا تحسبنَّ الله خاذل دينه	ونبيه يا معشرَ الأحزاب

وبالعودة إلى رواية ابن إسحاق التي نقلها الطبري^(١) فإنه ذكر تفاصيل الرواية نفسها التي ذكرها ابن هشام، إلا أن الملاحظ أن الطبري لم يذكر أبيات الشعر التي قالها الإمام علي عند مبارزته لعمرو بن ود العامري في حين ذكرهن ابن هشام.

(١) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٣٤٦.

وقد ذكر البيهقي^(١) رواية ابن إسحاق عن مبارزة علي بن أبي طالب وعمرو ابن ود العامري بالقول: (وخرج عمرو بن ود العامري فنادى: من يبارز؟ فقام علي (عليه السلام)، وهو مقنع بالحديد أظنه عمراً فقال: أنا لها يا نبي الله، فقال: إنه عمرو اجلس، ونادى عمرو: ألا رجل وهو يؤنبهم ويقول أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها، أفلا تبرزون إلي رجلاً؟ فقام علي فقال: أنا يا رسول الله، فقال: اجلس ثم نادى الثالثة فقال:

ولقد بححت من النداء	بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع	موقف القرن المناجز
ولذلك أني لــــم ازل	متسرعاً قبل الهزائز
إن الشجاعة في الفتى	والجود من خير الغرائز

فقام علي، فقال: يا رسول الله أنا، فقال: إنه عمرو، قال: وإن كان عمراً.. فأذن له رسول الله، فمشى إليه، حتى أتاه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتا	ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة	والصدق منجى كل فائز
إني لأرجو أن أقيـم	م عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يـد	قنى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو: ومن أنت؟ قال: أنا علي، قال: ابن عبد مناف، فقال: علي بن أبي طالب، فقال: غيرك يا بن أخي ومن أعمامك من هو أسن منك، فأنا أكره أن أريق دمك، فقال علي: لكنني والله ما أكره أن أريق دمك، فغضب، فنزل وسل سيفه

(١) دلائل النبوة، ج ٣، ص ٤٣٨-٤٣٩.

كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضباً، واستقبله علي (عليه السلام) بدرقته فضربه عمرو في الدرقة فقتلها، وأنبت فيها السيف وأصاب رأسه فشججه، وضربه علي على جبل العاتق فسقط، وثار العجاج، وسمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التكبير، فعرف أن علياً قد قتل، فتم علي (عليه السلام) يقول:

أعليُّ تقتحم الفوارس هكذا عني وعنهم أخروا أصحابي
اليوم يمنعي الفرار حفيظتي ومصمم بالرأس ليس بنابي

فذكر أبيات آخرهن:

عبد الحجارة من سفاهة عقله وعبدتُ ربَّ محمدٍ بصواب

ثم أقبل عليُّ (عليه السلام) نحو رسول الله ووجهه يتهلل. فقال عمر بن الخطاب: هلا سلبته درعه، فإنه ليس للعرب درع خير منه، فقال ضربته فاتقاني بسواده فاستحيت ابن عمي ان استلبه، وخرجت خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق).

أما ما ذكره بقية الرواة والمؤرخين، فقد نقل الواقدي^(١) رواية مشابهة لرواية ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام وأيضاً تشبه في تفاصيلها إلى حدٍّ ما رواية ابن إسحاق التي نقلها البيهقي باختلاف بسيط بالألفاظ. إلا أن الصورة التي ينقلها الواقدي من خلال روايته تختلف عما نقله ابن هشام وتتطابق إلى حد كبير من ما نقله البيهقي، فهو يذكر عبور فرسان الأحزاب وهم عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله، وضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب، وعمرو بن ود، وقام سائر المشركين من

(١) المغازي، ج ٢، ص ٤٧١.

وراء الخندق لا يعبرون ((وقيل لأبي سفيان ألا تعبر؟ قال: قد عبرتم فإن احتجتم إلينا عبرنا. فجعل عمرو بن ود يدعو إلى البراز ويقول:

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز

وعمر و يومئذ نائر قد شهد بدرًا فارتث جريحاً فلم يشهد أحداً وحرّم الدهن حتى يثأر من محمد وأصحابه، وهو يومئذ كبير يقال بلغ التسعين سنة. فلما دعا إلى البراز قال علي: أنا أبارزه يا رسول الله: ثلاثاً والمسلمون كأنه على رؤوسهم الطير، لمكانة عمرو وشجاعته، فأعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيفه وعممه وقال اللهم أعنه عليه: قال وأقبل عمرو ويومئذ فارساً وعلي راجلاً فقال له علي (عليه السلام): إنك كنت تقول في الجاهلية لا يدعوني وأحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها: قال: أجل قال علي فإني أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتسلم لله رب العالمين. قال: يابن أخي آخر هذه عني، قال: فأخرى ترجع إلى بلادك، فإن كان محمد صادقاً كنت أسعد الناس به، وإن غير ذلك كان الذي تريد، قال: وهذا ما لا تتحدث به نساء قريش ابداً، وقد نذرت ما نذرت وحرمت من الدهن، قال: فأما الثالثة: قال البراز، قال: فضحك عمرو وقال: إن هذه خصلة ما كنت أظن أحداً من العرب يرومني عليها ولكني أكره أن أقتل مثلك، وكان أبوك نديماً لي فارجع، فأنت غلام حدث، إنما أردت شيخي قريش أبا بكر وعمر، قال: فقال علي (عليه السلام): فإني أدعوك إلى البراز فأنا أحب أن اقتلك فأسف عمرو ونزل وعقر فرسه... فكان جابر يحدث يقول: فدنا أحدهما من صاحبه فثارت بينهما غبرة فما نراهما، فسمعنا التكبير تحتها فعرفنا أن علياً قتله، فانكشف أصحابه الذين في الخندق هاربين...)).

أما البلاذري^(١) فقال: ((وكانت طلائع المشركين تطيف بالمسلمين رجاء أن يصيبوا منهم غرة، فربما تراموا بالنبل والحجارة. واجتمع المشركون يوماً، فالتمسوا أن يهجموا خيلهم على المسلمين، فأكرهت جماعة منهم خيلهم، فعبرت الخندق وكان فيهم عمرو بن ود بن أبي قيس، من بني عامر بن لؤي، فبارزه علي (عليه السلام) فقتله. ويقال: إنه جرح علياً على رأسه، ويقال: إن علياً لم يجرح قط. ونجا أصحاب عمرو إلا رجلاً سقط في الخندق فتكسر، ورماه المسلمون حتى مات)).

وذكر اليعقوبي^(٢) ((فلما كان اليوم الخامس خرج عمرو بن ود وأربعة نفر من المشركين نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب الفهري وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، فخرج علي بن أبي طالب إلى عمرو ابن عبد ود فبارزه وانهزم الباقون، وكبا بنوفل بن عبد الله بن المغيرة فرسه فلحقه علي فقتله)).

وبعد عرضنا لهذه الروايات لابد من أن نسجل ملاحظتنا عليها:

من خلال قراءة رواية ابن إسحاق التي نقلها لنا ابن هشام نلاحظ أنه صور الأمر وكأنه حدث طبيعي يحدث في الحروب وقد برز صورة عمرو وعلي بعدهما من شجعان قريش وذكر مكانتهما، ثم ذكر حادثة المبارزة التي انتهت بقتل عمرو بن ود العامري وهروب من كان معه، إلا أن قراءة رواية ابن إسحاق التي أوردتها البيهقي نجد أنها اشتملت على تفاصيل أدق تبين مكانة الإمام علي ودوره البارز في هزيمة الأحزاب من خلال مبارزته لعمرو بن ود الذي أخذ يؤنب المسلمين ويدعوهم إلى

(١) أنساب الأشراف، ج ١ ص ٣٤٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٣٣.

القتال فلم يستجب إليه إلا علي بن أبي طالب، فعمرو بن عبد ود كان يمثل رمزية عالية للمشركين، وقد مثل قتله بداية لهزيمتهم وتفرق جموعهم، كما نقل البيهقي شعر وارتجاز عمرو بن ود وهذا لم نلاحظه عند ابن هشام، ثم سماح الرسول لعلي بالمبارزة بعد أن أعادها ثلاثاً على رسول الله، ويذكر أبيات ارتجاز الإمام علي عندما خرج لمبارزة عمرو بن ود العامري، فهو هنا من خلال نقله لرواية ابن إسحاق تتجلى فيها صورة البطولة والإقدام لعلي بن أبي طالب واستجابته لنداء المبارزة الصادر من عمرو بن ود، لكن ابن هشام^(١) ذكر في مورد آخر: ((وحدثني الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهري أنه قال: قتل علي بن أبي طالب يومئذ - يعني يوم الخندق - عمرو بن ود وابنه حسل بن عمرو))، ولم يعط أي تفاصيل لمقتل ابن عمرو.

أما رواية الواقدي في هذا المورد التي ذكرناها فإنها تنقل الحادثة بصورة أكثر وضوحاً وفيها إبراز لموقف الإمام علي البطولي وبالمقابل موقف المسلمين والصحابة من تلك المبارزة حيث ذكر عدم استجابتهم وكأن على رؤوسهم الطير، وهذا ينطبق تماماً على ما ذكره المفيد^(٢) أيضاً في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق، إذ أورد التفاصيل نفسها التي ذكرها الواقدي في روايته مع اختلاف بسيط في الألفاظ التي لا تؤثر على المعنى.

إن أهمية تلك المبارزة تأتي من أنها أحد الأسباب المباشرة لهزيمة المشركين بجيوشهم الكبيرة التي حاصرت المدينة وجعلت الخوف يدب في نفوس المسلمين كما وصفها الله تعالى في كتابه: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونِ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا

(١) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٦٥.

(٢) الارشاد، ج ١، ص ٩٦-٩٧-٩٨-٩٩.

زَلْزَلًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ (١). إن منازل علي (عليه السلام) لعمر وبن ود العامري وقتله فاتحة النصر وتغير في موقف المسلمين حيث قويت قلوبهم، وعلموا أن المشركين قد يسؤوا أن يعبروا الخندق عليهم، ووقع اليأس والخوف في المشركين، ونفذت أزوادهم، واختلفت آراؤهم في المقام والانصراف (٢).

وقد ذكر أحد الكتاب (٣) الأسباب التي أدت إلى هزيمة المشركين وعدم حاجة المسلمين إلى القتال وهي أربعة أسباب:

- أ- دعاء النبي وابتهاله إلى الله تعالى أن يدفع الأذى عن الإسلام وأهله.
- ب- قتل الإمام علي بن أبي طالب لعمر وبن ود العامري، وانكسار الجيش بعد تلك الحادثة وقوة شوكة المسلمين ورفع معنوياتهم.
- ج- إشارة سلمان الفارسي على رسول الله بحفر الخندق الذي كان مانعاً للمشركين وحاجزاً لهم بحيث لم يكن التحام مباشر فيما بينهم.
- د- الرياح العاتية التي سلطها الله تعالى على جيوش المشركين.
- إن مبارزة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لعمر وبن ود العامري وقتله إياه لم تكن حدثاً عابراً وحادثة واقعة في معارك التاريخ وإنما حالة لها خصوصياتها، فقد أورد ابن أبي الحديد المعتزلي (٤) رأي أبي جعفر الإسكافي في رده على الجاحظ حول

(١) سورة الأحزاب: الآيات (١٠، ١١، ١٢، ٢٥).

(٢) القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار، ج ١، ص ٢٨٨.

(٣) مغنية، فضائل الامام علي، ص ٢١٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، ج ١٣، ص ١٩٦.

فضيلة علي بن أبي طالب وموقف الرسول لما برز علي بن أبي طالب واشفاقه عليه ودعاؤه له بالحفظ والسلامة، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((يوم الخندق وقد برز علي إلى عمرو، ورفع يديه إلى السماء بمحضر أصحابه: اللهم إنك أخذت حمزة يوم أحد، وعبيدة يوم بدر، فاحفظ اليوم علياً، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين؛ ولذلك ضن به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مراراً، في كلها يجمعون ويقدم علي، فيسأل الإذن بالبراز حتى قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إنه عمرو. فقال: وأنا علي. فأدناه وقبله وعممه بعمامته وخرج معه خطوات كالمودع له، الفلق لحاله، المنتظر لما يكون منه، ثم لم يزل (صلى الله عليه وآله وسلم) رافعاً يديه إلى السماء، مستقبلاً لها بوجهه، والمسلمون صامتون حوله كأنما على رؤوسهم الطير، حتى ثارت الغبرة، وسمعوا التكبير من تحتها، فعلموا أن علياً قتل عمراً، فكبر رسول الله وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين. لذلك قال حذيفة بن اليمان: لو قسمت فضيلة علي (عليه السلام) بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم. وقال ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾^{(١)(٢)} قال: بعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكذلك قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما برز علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم الخندق إلى عمرو بن ود ((برز الإيمان كله إلى الشرك كله))^(٣)،

(١) الأحزاب: آية ٢٥.

(٢) وقد أكد جملة من المفسرين ان تلك الآية نزلت في علي بن أبي طالب ينظر القمي، تفسير القمي، ج٢، ص ١٨٩، المفيد، محمد بن نعمان العبكري، ت (٤١٣هـ - ١٠٢٢م)، تفسير القرآن المجيد، تحقيق محمد علي آيازي، (مطبعة مكتبة الاعلام الإسلامي - قم، ١٤٢٤هـ)، ص ٤٠٩، الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ٣٣١، السمعاني، تفسير السمعاني، ج ٤، ص ٢٧٢، الطبرسي، مجمع البيان، ج ٨، ص ١٣٣، الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٧.

(٣) الحلي، نهج الحق وكشف الصدق، ص ٢١٧.

وليس من شك أن عمراً كان كل الشرك؛ لأنه رأس المشركين وقائدهم وعلي يمثل الإيمان، فيكون الحد الفاصل بينهما هو علي وعمرو، فأما أن يقتل علي عمراً فينتهي الشرك من بلاد العرب، ويمحى معه كل معارض للإسلام وإما أن يقتل عمرو علياً، فيذهب الإسلام والإيمان وينتصر الشرك وتكون كلمته العليا^(١).

إن خصوصية معركة الخندق والجيش التي أحاطت بالمسلمين في تلك المعركة لها أبعادها الكبرى حيث كان للمبارزة بين علي وعمرو الأثر الواضح في النصر المؤزر، وإلا كان الهدف هو القضاء على الإسلام والمسلمين.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإمام علي بن أبي طالب ليس مجهولاً من قبل عمرو بن عبد ود العامري، فالإمام علي كان معروفاً بشجاعته وبأسه وصبره في المعارك وقريش تعرف هذا الأمر، وهذا ما أكده ابن أبي الحديد^(٢) عندما قال: ((كان شيخنا أبو الخير ابن مصدق^(٣) بن شبيب النحوي يقول: عندما نذكر مبارزة الإمام علي مع عمرو بن وديوم الخندق، والله ما أمره بالرجوع إبقاءً عليه بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه ببدر وأحد، وعلم إن ناهضه قتله، فاستحيا أن يظهر الفشل، فأظهر الإبقاء والإرعاء)).

أورد ابن هشام في السيرة^(٤) عن ابن عباس أبياتاً لحسان بن ثابت في شأن مبارزة

(١) مغنية، محمد جواد، علي حياته وفضائله، (دار الجواد - بيروت، ١٩٩٤م)، ص ١٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ٤٠.

(٣) أبو الخير بن مصدق بن شبيب بن الحسين الصلحي أبو الخير النحوي من أهل واسط صحب صدقة بن الحسين الواعظ الواسطي من صباه، وقرأ عليه القرآن وشيئاً من النحو، وقدم بغداد وقرأ بها على أبي محمد بن الخشاب النحو وغيره من العلماء حتى أصبح عالماً في النحو وعلم الفرائض وقسمة التركات وسمع الحديث من مشايخ وقته توفي سنة (٥٦٥ - ١٢٠٨م) في بغداد. ينظر أنباء الرواة على أنباء النحاة، ج ٣، ص ٢٧٤.

(٤) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٨١.

عمرو بن ود وقتله:

أمسى الفتى عمرو بن ود يتغي
فلقد وجدت سيوفنا مشهورة
ولقد لقيت غداة بدرٍ عصبه
أصبحت ألا تدعى ليومٍ عظيمة
بجنون يثرب شاره لم يُنظر
ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
ضربوك ضرباً غير ضرب الحسر
يا عمرو أو الجسيم أمر منكّر

وقد قال ابن هشام وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان، ويقال: إنه لما بلغ شعر حسان بن عمرو أجابه فتى منهم، فقال يرد عليه في افتخاره بالأنصار:

كذبتهم وبيت الله لم تقتلونا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغى
فلم تقتلوا عمرو بن ود ببأسكم
علي الذي بالفخر طال بناؤه
ببدرٍ خرجتم للبراز فردكم
فلما أتاهم حمزة وعبدة
فقالوا نعم أكفاء صدق فأقبلوا
فجال علي جولة هاشمية
فليس لكم فخرٌ علينا بغيرنا
ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
بكف علي نلتم ذاك فاقصروا
ولكنه الكفُّ الهزبرُ الغضفر
فلا تكثروا الدعوى علينا فتفخروا
شيوخ قريش جهرةً وتاخروا
وجاء علي بالمهند يخطرُ
إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبروا
مذمرهم لما عتوا وتكبروا
وليس لكم فخر يُعد ويذكر^(١)

إن وقائع الخندق وما حصل بها من سبب مباشر لهزيمة الأحزاب لم يبرزه ابن هشام في السيرة النبوية وإنما كان ذكره لذلك الحدث دون اهتمام وتميز ونقل لنا صورة

(١) المفيد، الارشاد، ج ١، ص ١٠٧.

عنه لا ترقى إلى مستواه.

غزوة بني قريظة^(١)

لما رجع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من الخندق دخل بيت عائشة^(٢) فاغتسل وغسل رأسه ودعا بالمـجـمـرة^(٣) ليـجـمـر وقد صلى الظهر^(٤) حتى أتى جبرائيل معتمراً بعمامة من استبرق وعلى بغلة فأخبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمسير إلى بني قريظة لتقضهم العهود والمواثيق^(٥) فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منادياً، فأذن في الناس وعلى كل سامع ومطيع أن لا يصلي العصر إلا في بني قريظة^(٦).

وكان الغرض من هذه الحملة تأديب من خان العهد ونقض الميثاق، وقد ذكر ابن هشام^(٧) عن ابن إسحاق في هذا المورد ((وقدّم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب برأيه إلى بني قريظة وابتدرها الناس، فسار علي بن أبي طالب حتى دنا من الحصون سمع مقالة قبيحة تمسّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) هي فخذ من جذام اخوة النظر، ويقال نهودهم في أيام عاد أي ثم نزلوا في جبل يقال له قريظة فنسبوا إليه وقيل قريظة جدهم يعقوب وكان بينهم وبين رسول الله صلح فنقضوه ومالوا إلى قريش، ينظر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٦.

(٢) في رواية فاطمة هي التي غسلت رأسه، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٦٣.

(٣) أي المبخرة بالطيب، ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٤٤.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٤٩٧.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٤٤.

(٦) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٣٥٠.

(٧) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٤٥.

وسلم)، فرجع حتى لقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالطريق، فقال يا رسول الله لا عليك أن تدنوا من هؤلاء الأخايث قال لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً، فلما دنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من حصونهم، قال يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وانزل بكم نعمته؟ قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً...)).

وفي رواية أخرى قال ابن هشام: ((وحدثني بعض من أثق به من أهل العلم أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرون بني قريظة: يا كتيبة الإيوان، وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: والله لأذوقنَّ ما ذاق حمزة أو لأفتحنَّ حصنهم، فقالوا: يا محمد، ننزل على حكم سعد بن معاذ^(١))).^(٢) ونقل الطبري^(٣) رواية ابن إسحاق نفسها كما جاءت عند ابن هشام من دون زيادة أو نقصان.

أما الواقدي^(٤) فقد ذكر الرواية الآتية: ((فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) فدفع إليه اللواء، وكان اللواء على حاله لم يجل من مرجعه

(١) بعد حصارهم لمدة خمس وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب نزلوا على حكم سعد بن معاذ لأنهم من المواليين للاوس دون الخزرج وسعد بن معاذ سيدهم وقد تولى رسول الله لينوب عنه في التحكيم فيهم وكان الحكم (ان تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبي الذراري والنساء) حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقد حكمت فيهم بحكم الله، وبالفعل نفذ فيهم الرسول الحكم فخرج إلى موضع السوق وخذق لهم وأمر بهم فأخرجوا رسالاً وكانوا سبعمائة رجل وقتل علي (عليه السلام) (عشرة) وقتل الزبير (عشرة) وكل رجل من الصحابة إلا قتل رجلاً أو رجلين. ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٥٠، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٦٦.

(٢) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٥١.

(٣) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٤٩٧-٤٩٩.

(٤) المغازي، ج ٢، ص ٣٥١.

من الخندق...)) ثم ذكر مسير الرسول الأكرم مع جيشه، إلى أن انتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بني قريظة فنزل على بئر^(١) أسفل حرة بني قريظة، وكان علي (عليه السلام) قد سبق في نفر من المهاجرين والأنصار فيهم أبو قتادة.

كما ذكر الواقدي عن ابن أبي سبرة عن أسيد بن أبي أسيد عن أبي قتادة قوله: ((انتهينا إليهم فلما رأونا أيقنوا بالشر، وغرز علي (عليه السلام) الراية عند أصل الحصن فاستقبلونا في صياصيتهم يشتمون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأزواجه قال أبو قتادة: ومكثنا وقلنا: السيف بيننا وبينكم، وطلع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما رآه علي (عليه السلام) رجع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمرني أن ألزم اللواء فلزمته، وكره أن يسمع رسول الله يشتم)).

وذكر البلاذري^(٢) غزوة بني قريظة بشكل مختصر جداً لم يذكر أي تفاصيل... أما اليعقوبي^(٣) فقال: ((فلما انهزمت قريش يوم الخندق دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً، فقال له: قدّم راية المهاجرين إلى بني قريظة، وقال وعزمت عليكم ألا تصلوا العصر إلا في بني قريظة، وركب حماراً له، فلما دنا منهم لقيه علي بن أبي طالب، فقال: يا رسول الله لا تدن، فقال: أحسب أن القوم أساؤوا القول، فقال: نعم يا رسول الله...)).

ولدى مناقشة الموضوع على ضوء ما أورده ابن هشام من روايات نقلاً عن ابن

(١) بئر لنا: أو بئر أنا بفتح الهمزة، وتشديد النون، هكذا ذكره ابن إسحاق وقال ابن هشام وهو البئر القريب من بني قريظة نزله الرسول أثناء توجهه لغزوهم وتلاحقه الناس، ينظر الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٩٨.

(٢) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٤٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٤.

إسحاق وغيره وكذلك بقية الرواة يمكن ملاحظة ما يلي:

أبرز ابن هشام صورة الإمام علي عليه السلام أنه صاحب الراية في معركة الخندق، وكذلك أمر الرسول الأكرم له بأن يسير بها إلى بني قريظة إلا أنه لم يوضح كيف كانت حركته إلى بني قريظة، وفي هذا المورد روى المفيد^(١) ((ولما انهزم الأحزاب وولوا عن المسلمين الدبر عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على قصد بني قريظة، وأنفذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إليهم في ثلاثين من الخزرج فقال له: انظر بني قريظة، هل تركوا حصونهم؟)) بمعنى أن سرية علي بن أبي طالب لم تكن مكلفة بمهمة قتالية وإنما كانت مهمتها استطلاعية فقط، ثم يكمل المفيد^(٢) الرواية بالقول: ((فلما شارف سورهم سمع منهم الهجر، فرجع للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبره، فقال: دعهم فإن الله سيمكن منهم، إن الذي أمكنك من عمرو بن ود لا يخذلك، فقف حتى يجتمع الناس إليك وأبشر بنصر الله... قال علي (عليه السلام) فاجتمع الناس إليّ وسرت حتى دنوت من سورهم فأشرفوا علي فحين رأوني صاح صائح منهم قد جاءكم قاتل عمرو، وقال آخر: قد أقبل إليكم قاتل عمرو، وجعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك وألقى الله في قلوبهم الرعب وسمعت راجزاً يرجز:

قتل عليّ عمراً صاد عليّ صقراً
قصم عليّ ظهراً أبرم عليّ أمراً
هتك عليّ ستراً.

إن رواية المفيد أوضحت الأمور بصورة كبيرة إذ بينت أن المهمة كانت استطلاعية

(١) الارشاد، ج ٢، ص ١٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٩-١١٠.

لأجل إعلام الرسول بحال بني قريظة؛ لأنهم نكثوا العهد مع رسول الله ومهدوا الطريق للأحزاب للدخول إلى المدينة، هذا ما لم نلاحظه في رواية ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام.

أما رواية ابن هشام الثانية فهي تبين حالة علي بن أبي طالب كقائد ميداني لجيش المسلمين وإن كانت مختصرة إلا أنها تبين أن إمكانات وقدره وشجاعة علي بن أبي طالب هي التي جعلت بني قريظة ينزلون على حكم سعد بن معاذ.

غزوة بني المصطلق

وتسمى أيضاً بغزوة المريسيع^(١) وهي من الغزوات المهمة والحاسمة وذات بعد استراتيجي من الناحية العسكرية حيث إنها وجهت ضربة قاضية لقريش ونفوذها؛ لأن بني المصطلق يقعون ضمن دائرة النفوذ المكي والانتصار عليهم يعني توجيه ضربة قوية لنفوذ الشرك المتمثل بقريش^(٢).

ففي السنة السادسة للهجرة (٦٢٧م)^(٣)، بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله

(١) المريسيع: ماء بنجد، في ديار بني المصطلق من خزاعة، قال ابن إسحاق: من ناحية قديد إلى الشام، غزاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة (٦هـ - ٦٢٧م) ينظر الحميري، محمد بن عبد المعتم، ت (٩٠٠هـ - ١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الاقطار تحقيق احسان عباس (ط ٢)، هيد لبرغ - بيروت، ١٩٨٤م، ص ٥٣٢.

(٢) العاملي، جعفر، الصحيح من سيرة الرسول الأعظم، (ط ٥)، المركز الاسلامي للدراسات، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م) ج ١٢، ص ٢٦٣.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٠٢، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٣٦٢، ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ٣٦، الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٦، ص ١٤٢، فيما ذكر بعض المؤرخين انها حصلت في السنة الخامسة للهجرة منهم الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٤٠٤، ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٥٩، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٤١، الطبرسي، اعلام الوري، ج ١، ص ١٩٦.

وسلم) أن بني المصطلق يجمعون له^(١)، وكان سيدهم الحارث بن أبي ضرار، وقد تهيأوا للحرب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هم ومن قدم عليهم من العرب وتجهزوا بالخيول والسلاح، وأعدوا العدة للمسير إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢)، فخرج إليهم حتى لقيهم عند ماء من مياههم يقال له: (المريسيع) فتزاحف الناس واقتتلوا قتالاً شديداً فانهمز بني المصطلق وقيل: قتل منهم ونفل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابناءهم ونساءهم وأموالهم^(٣).

وجاء في رواية ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام^(٤) ((وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس، وقتل علي بن أبي طالب منهم رجلين، مالكا وابنه، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم، يقال له أحمر أو أحيمر)).

وذكر الطبري^(٥) رواية ابن إسحاق نفسها فقال: ((وأصيب من بني المصطلق يومئذ كثير، وقتل علي بن أبي طالب منهم رجلين مالكا وابنه، وأصاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منهم سبياً كثيراً، ففشا قسمه في المسلمين، ومنهم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم))، وأحجم بقية المؤرخين عن ذكر أي رواية بهذا الخصوص، فقد تطرقوا إلى تلك الغزوة إلا أنهم لم يذكروا تلك الرواية التي نقلها ابن هشام ومن بعده الطبري ومنهم الواقدي والبلاذري، واليعقوبي وغيرهم.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٠٢.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٤٠٤.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٠٢.

(٤) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٠٦.

(٥) تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٣٦٥.

وعند النظر إلى رواية ابن إسحاق التي نقلها لنا ابن هشام في السيرة النبوية ورواية ابن إسحاق التي نقلها الطبري وإن كانت رواية مقتضبة إلا أن الملاحظ أن هناك زيادة أوردها ابن هشام حيث يذكر ((قتل عبد الرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم يقال له أحمر أو أحيمر))، بينما الطبري عندما يورد الرواية لم يذكر تلك الزيادة وإنما يسترسل في الحديث لبيان إصابة الرسول للسبي منهم، إضافة إلى أن من ضمن السبي جويرية وهذا يجعلنا نرجح رواية المفيد^(١) التي قال فيها: ((فقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) رجلين من القوم وهما مالك وابنه، وأصاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منهم سبياً كثيراً فقسمه على المسلمين...))، ولم نلاحظ فيها أي ذكر هنا للزيادة التي ذكرها ابن هشام على رواية ابن إسحاق علماً أنها تشتمل على المضمون نفسه، ويبدو أن هناك تعمداً من قبل ابن هشام في حشر اسم عبد الرحمن بن عوف من أجل التقليل من قيمة النصر الذي تحقق على يد الإمام (عليه السلام).

حديث الإفك^(٢) :

حديث الإفك من الأحاديث المشهورة في المصادر الأولية التي اهتمت بتدوين السيرة النبوية، وقد نقل ابن هشام^(٣) هذا الحديث بسلسلة سند متصلة عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة وعن عبد الله بن

(١) الارشاد، ج ١، ص ١١٨.

(٢) الإفك: كل مصروف عنه وجهه الذي يحق أن يكون عليه، أي يصرفون عن الحق في الاعتقاد إلى الباطل، ومن الصدق في المقال إلى الكذب، ومن الجميل إلى الفعل القبيح، فاستعملوا الإفك لما اعتقدوا أن ذلك صرف عن الحق إلى الباطل، ينظر الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، ت (٤٢٥ - ١٠٥٨ م)، مفردات ألفاظ غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، مطبعة النور - قم، ١٤٢٧ هـ، ص ٧٩.

(٣) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣١٠.

أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت فيه: ((كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أراد السفر أقرع بين نسائه، فأيهن خرج سهمها معه خرجت معه، فكانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه، كما كان يصنع فخرج سهمي عليهن فخرج بي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت: وكان النساء ذاك يأكلن العلق لم يهجهن^(١) اللحم فيثقلن وكنت إذا رُحلت لي بعيري جلست في هودجي ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي ويحملوني، فيأخذون بأسفل الهودج، فيرفعونه، فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير، فينطلقون به. قالت: فلما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من سفره ذلك، وجه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً، فبات بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل فارتحل الناس، وخرجت لبعض حاجاتي، وفي عنقي عقدي، فيه جزع ظفار فلما فرغت أنسل من عنقي ولا أدري، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت التمسه في عنقي فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه، فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون إلى البعير وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج وهم يظنون أنني فيه، كما كنت أصنع، فاحتملوه فشدوه على البعير ولم يشكوا أنني فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به، فرجعت إلى المعسكر وما فيه من داع ولا مجيب فقد انطلق الناس.

قالت فالتفت بجلبابي، ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجعوا إلي، قالت: فوالله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي، وقد كان تخلف عن المعسكر لبعض حاجته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي، فأقبل حتى وقف علي، وقد كان يراني قبل أن يضرب عليه الحجاب، فلما رأيته، قال إننا لله وإننا إليه

(١) يهجهن: كالورم في الجسم من كثر اللحم، ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣١٠.

راجعون ضعينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ! وأنا ملتفة في ثيابي، قال: ما خلفك يرحمك الله؟ قالت: فما كلمته ثم قرب البعير، فقال: اركبي واستأخر عني قالت: فركبت وأخذ برأس البعير، فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس، وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي فقال أهل الإفك ما قالوا، فارتج العسكر، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك)).

ثم ذكرت بأنها اشتكت شكوى شديدة ولم يبلغها من ذلك شيء وقد أنكرت تعامل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها وبعد ذلك انتقلت إلى أمها ولا علم لها بشيء مما كان حتى نقيت من وجعها بعد عشرين ليلة وخرجت في الليل لقضاء حاجتها مع أم مسطح خالة أبي بكر فأخبرتها بقصة الإفك وحديث الناس فيه... ثم ذكرت بعد ذلك موقف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشكواه ممن قام بهذه القصة حيث قال: ((أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق؟ والله ما علمت منهم إلا خيراً))^(١).

ثم ذكر الذين قالوا بحديث الإفك وهم: ((كل من عبد الله بن أبي سلول في المدينة وكذلك مسطح^(٢)، وحنمة بنت جحش^(٣)؛ وذلك لأن اختها زينب بنت جحش عند رسول الله...))^(٤)، وهذا ملخص ما ذكر حول قصة الإفك كما ورد عند

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣١٢.

(٢) مسطح بن عباد بن عبد المطلب بن عبد المناف كنيته أبو عباده، ممن شهد بدرًا، توفي بالمدينة سنة (٥٣٤ - ٦٥٤ م) وهو ابن ست وخمسين سنة. ينظر ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ٣٢

(٣) حنمة بنت جحش بنت رثاب الأسدية، اخت زينب بنت جحش، كانت عند مصعب بن عمير ثم تزوجها طلحة بن عبيد الله فولدت له محمداً وعمراناً ببني طلحة. ينظر ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٨٨٤.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣١٢.

ابن هشام.

أما فيما يتعلق بدور الإمام في هذه الحادثة فذكر ابن هشام^(١) بالسند نفسه الذي ينتهي إلى السيدة عائشة: ((فدعا علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأسامة بن زيد^(٢) فاستشارهما - يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - فأما أسامة فأثنى عليه خيراً ثم قال يا رسول الله، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً، وهذا الكذب الباطل، أما علي فإنه قال: يا رسول الله إن النساء لكثير وإنك لقادر على أن تستخلف، وسل الجارية، فإنها ستصدقك، فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بريرة^(٣) ليسألها، قالت: فقام إليها علي بن أبي طالب، فضربها ضرباً شديداً، ويقول: اصدقني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قالت: فتقول والله ما أعلم إلا خيراً وما كنت أعيب على عائشة، إلا أني كنت أعجن عجيني، فأمرها تحفظه فتنام عنه، فتأتي الشاة فتأكله)).

وذكر الطبري^(٤) رواية ابن إسحاق نفسها التي نقلها لنا ابن هشام فيما يخص استشارة رسول الله لعلي بن أبي طالب وأسامة بن زيد في قضية الإفك وفي رأيها

(١) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣١٣.

(٢) أسامة بن زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى الكلبي، أصبح من موالي النبي يكنى أبا زيد وقيل أبا محمد وأمه أم أيمن واسمها بركة مولاة رسول الله أيضاً؛ اختلف في سنة لما توفي النبي فقبل عشرين وقيل ابن تسع عشرة وقيل ابن ثمان عشرة توفي بالجرف في آخر خلافة معاوية. ينظر بن عبد البر، الاستيعاب، ص ٤٦.

(٣) بريرة مولاة عائشة بنت أبي بكر كانت مولاة لبعض بني هلال فكاتبوها ثم باعوها من عائشة وقد اختلف في زواجها هل كان عبداً أو حراً؟ ففي نقل أهل المدينة انه كان عبداً يسمى مغيثاً وفي نقل أهل العراق انه كان حراً. ينظر ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٨٧٦.

(٤) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٣٦٠-٣٦٦.

بعائشة دون أي زيادة أو نقصان.

أما الواقدي^(١) فذكر عن يعقوب بن يحيى بن عباد عن عيسى بن معمر، عن عباد ابن عبد الله بن الزبير قال قلت لعائشة: حدثينا يا أمة حديثك في غزوة المريسيع وقد ذكرت الحديث الذي ذكرنا أعلاه إلى أن يصل إلى تدخل الإمام علي بالموضوع فقال: ((قالت: فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً وأسامة فاستشارهما في فراق أهله. قالت: وكان أحد الرجلين ألين قولاً من الآخر، قال أسامة: يا رسول الله، هذا الباطل والكذب، ولا نعلم إلا خيراً، وإن بريرة تصدقك، وقال علي (عليه السلام): لم يضيّق الله عليك النساء كثيراً وقد أحل الله لك وأطاب، فطلقها وانكح غيرها، قالت: فانصرفنا، وخلا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ببريرة فقال: يا بريرة أي امرأة تعلمين عائشة؟ قالت هي أطيب من طيب الذهب، والله ما أعلم عليها إلا خيراً...))، وروى الصنعاني^(٢) بسنده عن الزهري عن سعيد ابن المسيب عن الزهري رواية ابن إسحاق نفسها، أما بقية المؤرخين مثل البلاذري^(٣)، واليعقوبي^(٤)، وابن خياط^(٥) وغيرهم فلم ينقلوا أي تفاصيل لهذا الحديث وإنما اكتفوا بذكر إشارات إلى ذلك.

إن ما ورد في رواية ابن هشام عن ابن إسحاق التي ينتهي سندها إلى السيدة عائشة دون غيرها يحتاج إلى مناقشة وافية من أجل التوصل إلى حقيقة الأمر لاسيما إن

(١) المغازي، ج ٢، ص ٤٣٠.

(٢) المصنف، ج ٥، ص ٤١٥.

(٣) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٤٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٥.

(٥) تاريخ خليفة، ص ٣٦.

صورة الإمام في هذه الحادثة كانت مشوهة بدرجة كبيرة جداً، لذلك نسجل بعض الملاحظات على ما تقدم:

نقل لنا ابن هشام صورة سلبية جداً لموقف الإمام علي وهو لم يكن طرفاً فيها، فالحادثة كانت بين السيدة عائشة وبين مجموعة اتهموها بالباطل، لكن الرواية أقحمت اسم الإمام إقحاماً لا مبرر له، وذكرت أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لما استشار أسامة بن زيد وعلياً (عليه السلام) بعد استبطائه نزول الوحي في ذلك الأمر، كان رد أسامة إيجابياً كما ذكرت الرواية؛ لأنه لا يعلم عنها إلا خيراً، أما الإمام علي فقد كان رده قاسياً بحق أم المؤمنين عائشة وذلك بقوله: ((لم يضيّق الله عليك النساء كثيراً وقد أحل الله لك وأطاب فطلقها وانكح غيرها...)) ثم ذهب ابن هشام ومن بعده الطبري اعتماداً على رواية ابن إسحاق إلى أن الإمام قام بتصرف غريب بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ قام بضرب الجارية وطلب منها أن تصدق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذه أمور منكرة وغير مقبولة ولا تصدر من هذه القامة الشاخصة التي ملأت الدنيا أخلاقاً وحكمةً.

لقد كان الإمام علي تلميذاً في مدرسة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان كما عبر عن نفسه بالقول: ((لقد كنت اتبعه إتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالافتداء به...))^(١)، لذلك فمن المستبعد بل المستحيل أن يصدر منه أمر كهذا ويجبر جارية لا علم لها بالأمر، ويتنزع منها كلاماً بالضرب المبرح والإكراه وهذه مخالفة صريحة وواضحة لقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في علي بن أبي طالب (عليه السلام) ((أقضى أمتي علي))^(٢)، وقوله في مورد

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣ / ١٩٧.

(٢) ينظر البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٥٠، الموفق الخوارزمي، المناقب، ص ٨١، المحب

آخر: ((كفي وكف علي في العدل سواء))^(١)، وغيرها من الأحاديث التي تدل على الصفات العظيمة والمكانة الرفيعة لعلي بن أبي طالب والتي تدل على أنه بعيد كل البعد عن أفعال كهذه، الغرض منها الإيقاع بين رسول الله وأم المؤمنين عائشة، وهذا ما حاول الراوي تسويقه إلى الناس لإظهار الإمام علي بصورة الشخص المتقم من أجل رغبات خاصة به.

إن ما ورد في الرواية غير مقبول؛ لأنه يخالف المنطق فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن بحاجة إلى استشارة أحد سواء الإمام علياً (عليه السلام) أم غيره في أمر عائلي كهذا، وإلا فهذا معناه جهل الرسول في أمور عائلته^(٢)، وهو غني بنفسه غير محتاج إلى غيره، يعلم بدقائق الأمور، وإذا كان قد استشار الإمام علي لقربه منه ومكانته ورجاحة عقله، فما الحاجة لاستشارة أسامة بن زيد وهو ما يزال في مقتبل العمر في أمر حساس ومهم كهذا.

عند العودة إلى سند الحديث نجد المصدر الرئيس للرواية هو السيدة عائشة فقط، والمعروف أنها كانت لا تحب الإمام علياً ولا زوجته لعلمها بقربهما من النبي وقد أوجز أحمد بن حنبل^(٣) هذا الأمر بالرواية التي نقلها: ((استأذن أبو بكر على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسمع صوت عائشة عالياً وهي تقول: والله لقد عرفت أن علياً أحب إليك من أبي ومني مرتين أو ثلاثاً، فاستأذن أبو بكر فدخل فأهوى إليها فقال: يا بنت لا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)).

الطبري، الرياض النظرة، ج ٣، ص ١٦٧.

(١) ينظر المفيد، الامالي، ص ٢٩٣، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٢٤٠، السيوطي، تاريخ

الخلفاء، ص ١٠٤، المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١١، ص ٦٠٤.

(٢) مغنية، تفسير الكاشف، ج ٥، ص ٤٠١.

(٣) مسند أحمد، ج ٤، ص ٢٧٥.

وأله وسلم)).

من ذلك يتضح مدى عدم رضى أم المؤمنين عائشة عن العلاقة بين الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وغيرها من الروايات التي تؤيد ذلك^(١).

وقد كللت موقفها السلبي من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالخروج على شرعية خلافته وقيادة التمرد ضده، فقد روى قيس بن أبي حازم ((أنه حج في العام الذي قتل فيه عثمان وكان مع عائشة لما بلغها قتله فتحمل إلى المدينة، قال: فسمعتها تقول في بعض الطريق: إيه يا ذا الاصبع! وإذا ذكرت عثمان قالت أبعده الله! حتى أتتها خبر بيعة علي، فقالت: لوددت أن هذه وقعت على هذه، ثم أمرت برد ركائبها إلى مكة فرددت معها، ورأيتهما في سيرها إلى مكة تخاطب نفسها كأنها تخاطب أحداً: قتلوا ابن عفان مظلوماً، فقلت لها يا أم المؤمنين ألم اسمعك أنفاً تقولين أبعده الله؟ وقد رأيته قبل أشد الناس عليه وأقبحهم قولاً! فقالت: لقد كان ذاك، ولكنني نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه))^(٢).

أما بقية رواة الحديث فهم عروة بن الزبير والزهري وهؤلاء تكلمنا عنهم وعن موقفهم من الإمام علي بن أبي طالب وكيف جعلت منهم السياسة الأموية أداة لتنفيذ كل مآربها في تشويه صورة علي بن أبي طالب حيث استفادت السياسة الأموية من هذا الخلاف الحاصل بين عائشة وبين الإمام علي (عليه السلام) لتسويق كثير من الأحاديث غير الصحيحة، لذلك تم استغلال تلك الحادثة من أجل دس اسم الإمام

(١) ينظر، ص ٣٠ بحثنا.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٣٢٠.

فيها من أجل تصويره للناس بأنه كان مبغضاً لأمّ المؤمنين عائشة، وذلك من أجل تبرير خروجها على الخلافة الشرعية في معركة الجمل فسوقوا تلك القصة بالصورة التي ذكرناها، وقد ذكر أحد الباحثين^(١) ((أن الموقف من الإمام علي من قبل أم المؤمنين أحد خلفيات معركة الجمل وقد استغل بنو أمية أثناء حكمهم هذا الحادث ضد الإمام علي بن أبي طالب وأولوا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢) بأن المقصود بذلك علي بن أبي طالب)).

وما يؤيد ذلك رواية أفلح بن عبد الله بن المغيرة عن الزهري ((قال: كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالي وهو يقرأ سورة النور مستلقياً فلما بلغ ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ حتى بلغ ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ جلس ثم قال: يا أبا بكر من تولى كبره أليس علي بن أبي طالب، قلت في نفسي: ماذا أقول إذا قلت: لا؟ لقد خشيت أن ألقى منه شراً، ولئن قلت: نعم، لقد جئت بأمر عظيم، قلت لرجل من أصحاب رسول الله ما لم يقل، ثم قلت في نفسي: لقد عودني الله على الصدق خيراً يا أمير المؤمنين، قال: فضرب بقضيبه السرير مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: فمن حتى ردد ذلك مراراً، قلت: يا أمير المؤمنين عبد الله بن أبي سلول، حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص... عن عائشة أنها قالت: إن علياً أشار في شأني والله يغفر له...))^(٣).

إن السياسة الأموية وما عرف عنها من بغضها للإمام علي وآل علي (عليهم السلام) أخذت تنتهج سياسة التحريف والتزوير والدس للأحاديث والروايات

(١) الزهري، المغازي والسير، هامش ص ١١٩ (رأي سهيل زكار).

(٢) سورة النور، آية (١١).

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٣، ص ٩٧-٩٨، ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ٣٣٦.

لكي تبرز علي بن أبي طالب بصورة مغايرة عما كان عليها، وقد التقت تلك المصلحة الأموية مع ما حملته السيدة عائشة من بغض لأمر المؤمنين تجلي هذا البغض بخروجها عليه يوم الجمل، لذلك نرى أن حادثة الإفك والتلفيق التي لحقتها بالصورة التي أخرجها ابن هشام، لا أساس لها سوى ما نقله ابن هشام والطبري اعتماداً على مصدر واحد فقط هو عروة بن الزبير والسيدة عائشة؛ لذلك لا يمكننا أن نقبل ما جاء في الرواية؛ لأنها أرادت من تلك الحادثة إظهار شيئين مهمين وهما إضفاء القدسية على مكانة السيدة عائشة ورفعها إلى مكانة عالية ليس حباً بها بل لسعي الأمويين إلى ذم الإمام علي (عليه السلام) باعتباره خرج لحرب تلك المرأة المقدسة التي نزل بها القرآن، والثاني للنيل من علي بن أبي طالب وإظهاره مخالفاً لكل القيم الإسلامية والتعاليم.

ذكر أحد الكتاب^(١) اتفاق جميع الفرق والمذاهب الإسلامية على أن نساء النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) عفيفات طاهرات وكذلك نساء غيره من الأنبياء، وأن النبي وأي نبي لا يمكن أن يضع مائه إلا في الأرحام الطاهرة المطهرة، وأن زوجته قد تكون كافرة ولن تكون بغياً؛ لأن الرسول أكرم على ربه وأعز أن يجعل تحته بغياً، وقد استند في ذلك إلى حديث ابن عباس حيث قال: ((ما زنت امرأة نبي قط، وكانت الخيانة من امرأة نوح إنها كانت تنسبه إلى الجنون، والخيانة على امرأة لوط أنها كانت تدل على أضيافه))^(٢).

إذا صياغة الحديث بالصياغة التي أخرج بها أريد له أن يوظف من أجل أمور

(١) مغنية، التفسير الكاشف، ج ٥، ص ٤٠٤.

(٢) الطوسي، البيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٤٩٤-٤٩٥، الطبرسي، مجمع البيان، ج ٥، ص ٢٨٥، ابن ادريس الحلي، أبو عبد الله محمد بن منصور، ت (٥٩٨-١٢٠١م) المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب البيان، تحقيق مهدي رجائي (مطبعة سيد الشهداء - قم، ١٤٠٩هـ)، ج ٢، ص ٦.

ذكرناها من خلال سير الفقرة.

إلا أن هناك من ذكر أن حديث الإفك الذي نزل به قرآن لم يكن بحق عائشة زوج الرسول وإنما كانت المقصودة به مارية القبطية^(١) زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أم إبراهيم ابن النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مستنداً الى حديث زرارة ((قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: لما مات إبراهيم بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حزن حزناً شديداً، فقالت عائشة ما الذي يحزنك عليه فما هو الا ابن جريح^(٢))، فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً وأمره بقتله فذهب علي (عليه السلام) إليه ومعه السيف وكان جريح القبطي في حائط وضرب علي (عليه السلام) باب البستان فأقبل إليه ابن جريح ليفتح له الباب فلما رأى علياً (عليه السلام) على الحائط ونزل إلى البستان واتبعه وولى جريح مدبراً، فلما خشى أن يرهقه صعده في نخلة وصعد علي في اثره فلما دنى منه رمى بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته فاذا ليس له ما للرجال ولا ما للنساء فانصرف علي (عليه

(١) مارية القبطية: هي الجارية التي بعثها المقوس صاحب الاسكندرية إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سنة سبع هجرية ومعها اختها سيرين وألف مثقال ذهباً، وعشرين ثوباً وبغلتته الدلدل وحماره عفير، ويقال يعفور ومعهم خصي يقال له مأمور، شيخ كبير، كان أخوا مارية، حيث بعث ذلك كله مع حاطب بن بلتعة، فعرض حاطب بن أبي بلتعة على مارية الإسلام ورغبها فيه فأسلمت، واسلمت اختها، وأقام الخصي على دينه حتى أسلم بالمدينة بعد في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ١٠، ص ٢٠١، ابن حجر، ج ٨، ص ١١١.

(٢) جريح، وهو رجل من القبط كان يأتي لمارية القبطية بالماء والخطب ويتردد إليها فقال الناس عنه علعج يدخل على علجة فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً بقتله، فأتاه وهو في ركي - وهي البئر التي لم تطو - فخرج فاذا هو محبوب وقيل بل وجدته على نخلة. ينظر ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن، ت (٥٩٧هـ - ١٢٠٠م)، كشف المشكل في حديث الصحيحين، تحقيق علي حسين البواب، (دار الوطن - الرياض، ١٩٩٧م)، ج ٣، ص ٣٥٩.

السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال يا رسول الله إذا بعثتني في الأمر اكون فيه كالمسار المحمى في الوتر أم أثبت قال لا بل أثبت، فقال: والذي بعثك بالحق نبياً ما له ما للرجال ولا ما للنساء فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الحمد لله الذي يصرف عنا السوء أهل البيت^(١)، فقول عائشة عن ابن جريح هو الإفك المقصود.

والذي يعزز القناعات بذهاب البعض إلى أن المقصود بحديث الإفك مارية القبطية هو الموقف السلبي لعائشة من مارية أم إبراهيم حيث يذكر الواقدي في رواية ينتهي سندها إلى عمرة عن عائشة قالت: ((ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، وذلك إنها كانت جميلة من النساء جعدة، وأعجب بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان قد أنزلها أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان، فكانت جارتنا، فكان رسول عامة الليل والنهار عندها حتى فزعنا لها، فجزعت محولها إلى العالية، فكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا، ثم رزقه الله منها الولد وحرمتنا منه))^(٢).

وقد روي يحيى بن سعيد الأموي عن أبي معاذ سليمان بن الأرقم الأنصاري عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: ((أهديت مارية إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعها ابن عم لها، قالت فوق عليها وقعة فاستمرت حاملاً، قالت: فعزلها عند ابن عمها، قالت: فقال: أهل الإفك والزور من حاجته إلى الولد أدعى ولد غيره وكانت أمه قليلة اللبن فابتاعت له ضائنة لبون فكان يغذي بلبنها فحسن عليه لحمه قالت عائشة: فدخل به على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم، فقال: كيف

(١) القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ٩٩-١٠٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ١٠، ص ٢٠١-٢٠٢. ينظر ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٣١٠-٣١١.

ترين فقلت: من غذي بلحم^(١) الضأن يحسن لحمه، قال: ولا الشبه قالت: فحملني ما يحمل النساء من الغيرة أن قلت ما أرى شيها، قالت: وبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يقول الناس، فقال لعلي: خذ هذا السيف فانطلق فاضرب عنق ابن عم مارية حيث وجدته، قالت: فانطلق فإذا هو في حائط على نخلة يخترف رطباً، قالت: فلما نظر إلى علي ومعه السيف استقبلته رعدة قال فسقطت الخرقه فإذا هو لم يخلق الله عز وجل شيء مسموخ^(٢).

غزوة الحديبية:

وحدثت في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة وبعد سلسلة من الأحداث المتتابعة تخللتها صفحات جهادية كانت في أغلبها انتصارات للمسلمين عدا بعض الانتكاسات كمعركة أحد، وقد حصل المسلمون على غنائم كثيرة أمدتهم بالقوة، وساعدت على نشر الإسلام^(٣).

وذكر أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) رأى في المنام أنه دخل البيت وحلق رأسه، وأخذ مفتاح البيت فقص الرؤيا على أصحابه وتفاءل خيراً^(٤)، وقد عزم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على الخروج لزيارة البيت لا يريد قتالاً، وقد استنفر العرب ومن حولهم من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وكانوا

(١) هكذا وجدت في المصدر إلا أن المراد هنا (بلبن).

(٢) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٤، ص ٣٩.

(٣) الحسيني، سيرة المصطفى، ص ٥١٩.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٥٧٣، ينظر البعقوي، تاريخ البعقوي، ج ٢، ص ٣٥، السبحاني، السيرة المحمدية، ص ١٦٠.

بأموالهم وذرائعهم^(١) حيث ساق معه سبعين بدنة، وكان عدد المسلمين على الأرجح ألف وأربعمئة^(٢). وقد منعته قريش من دخول مكة. فأقام في الحديبية^(٣) حيث أرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى قريش ((إننا لم نأت لقتال، وإنما جئنا لسوق البدن إلى محلها فننحرها ثم ننصرف. فأبوا إلا منعه))^(٤). فأرسلت إليه قريش مكرز بن حفص^(٥) فأبى أن يكلمه وقال هذا رجلٌ فاجر، فبعثوا إليه الحليس ابن علقمة^(٦) من بني الحارث عبد مناة وكان من قوم يتألهون^(٧). فلما رأى الهدي قد أكلت أوبارها رجع فقال: ((يا معشر قريش إني رأيت ما لا يحل صده عن البيت)) فبعثوا بعروة بن مسعود^(٨) الثقفي، فكلم رسول الله، فقال رسول الله يا عروة أفي الله

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٢٢.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٤٩.

(٣) الحديبية: وهي قرية متوسطة ليست بكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة، وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل. ينظر الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٠.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٥٧٥، ابن خياط، تاريخ خليفة، ص ٣٦، الطبري، الامم والملوك، ج ٢، ص ٣٧١، الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن، ت، مجمع البيان في تفسير القرآن، تقديم محسن الاميني، (ط ١، بيروت - لبنان، ١٩٩٥م)، ج ٢، ص ٢٨.

(٥) مكرز بن حفص بن الأخيف بن علقمة بن عبد الحارث بن منقذ بن عمرو بن بغيض بن عامر ابن لؤي القرشي. ينظر ابن حجر، الاصابة، ج ٦، ص ١٦٣.

(٦) الحليس بن علقمة الحارثي، من بني حارث بن عبد مناة بن كنانة سيد الاحابيش ورئيسهم يوم أحد. ينظر الزركلي، الاعلام، ج ٢، ص ٢٧٠.

(٧) يتألهون: المقصود هنا يتعبدون، مثال ذلك فلان يتأله يتعبد وهو عابد متأله. ينظر الزمخشري، أساس البلاغة، ص ١٨.

(٨) عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف بن منبه ابن بكر بن هوازن بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان الثقفي، أبو مسعود وقيل أبو يعفور وأمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف القريشية. ينظر ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٣٠

أن يصد هذا المهدي عن هذا البيت؟))، فانصرف إليهم عروة بن مسعود قال تالله ما رأيت مثل محمد لما جاء له فبعثوا إليه سهيل بن عمرو^(١) فكلم محمداً وأرفقه.

وقد نقل لنا ابن هشام^(٢) رواية ابن إسحاق عن الحديبية وأحداثها فقال: ((ثم بعثت قريش سهيل بن عمر، وقالوا له: ائت محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً، فأتاه سهيل، فلما رآه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مقبلاً، قال لقد أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل، فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تكلم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح، فلما التأم الأمر لم يبق إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب، فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا مسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنيا (يقصد الذل والأمر الخسيس) في ديننا، قال أبو بكر: يا عمر الزم غزره (أي أمره)، فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا رسول الله: أأنت برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام الدنيا في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره، ولن يضيعني: قال: فكان عمر يقول: ما زلت اتصدق وأصوم وأصلي وأعتق، من الذي صنعت يومئذ! مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً.

(١) سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري، يكنى أبا يزيد، كان أحد الأشراف من قريش وسادتهم في الجاهلية. ينظر ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٦٩٩.

(٢) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٣١-٣٣٢.

قال: ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، قال فقال: سهيل ألا ارعف هذا، ولكن اكتب بسمك اللهم، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اكتب بسمك اللهم، فكتبها، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، قال سهيل لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، قال فقال: رسول الله اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردده عليه، وأن بيننا عيبة مكفوفة (أي صدور على ما فيها)، وأنه لا إسلال ولا إغلال (أي لا سرفة ولا خيانة)، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعهدهم دخل فيه. فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عهد قريش وعهدهم، وأنك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً، معك سلاح الراكب، والسيوف في القرب، لا تدخلها غيرها)).

ثم يكمل روايته ((فلما فرغ رسول الله من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين وهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، ومكرز ابن حفص، وهو يومئذ مشرك وعلي بن أبي طالب... وكان كاتب الصحيفة))^(١).

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٣٣.

ونقل الطبري^(١) رواية ابن إسحاق نفسها التي نقلها ابن هشام من دون أي زيادة أو نقص. أما بقية الرواة والمؤرخين، فالواقدي^(٢) ذكر ((فلما حضرت الدواة والصحيفة بعد طول الكلام والمراجعة فيما بين رسول الله وسهيل بن عمرو، ولما التأم الأمر وتقارب، دعا رسول الله رجلاً يكتب الكتاب بينهم، ودعا أوس بن خولي يكتب، فقال سهيل لا يكتب إلا أحد الرجلين، ابن عمك علي أو عثمان بن عفان، فأمر النبي علياً أن يكتب...))، ثم ذكر تفاصيل تشبه تفاصيل رواية ابن إسحاق إلا أنه عندما يصل الموضوع إلى كتابة ((هذا ما اصطاح عليه رسول الله، فقال سهيل: لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك واتبعتك، أفرغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله؟ فضج المسلمون منها ضجة هي أشد من الأول حتى ارتفعت الأصوات وقام رجال من أصحاب رسول الله يقولون: لا نكتب إلا محمد رسول الله...)) إلى أن تدخل رسول الله وحسم الأمر واستمرت كتابة الصلح كما هو عليه ومثلما أورده ابن إسحاق.

أما البلاذري^(٣) فيورد رواية الحديبية مقتضبة جداً ولم يورد بها أي تفاصيل تذكر، في حين ذكر اليعقوبي^(٤) ((وتنازعوا بالكتاب لما كتب: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، حتى كادوا يخرجون إلى الحرب. وقال سهيل بن عمرو والمشركون: لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك، وقال المسلمون: لا تمحها، فأمر رسول الله أن يكفوا وأمر علياً فكتب (باسمك اللهم من محمد بن عبد الله) وقال اسمي واسم أبي

(١) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٣٧٨-٢٧٩.

(٢) المغازي، ج ٢، ص ٦١٠-٦١١.

(٣) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٥٣.

(٤) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٦.

لا يذهبان بنبوتي...)).

وفي رواية هارون بن إسحاق عن مصعب بن المقدم عن سفيان بن وكيع قال حدثني أبي عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء التي نقلها الطبري^(١) ((فلما كتب الكتاب هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك، ولكن أنت محمد بن عبد الله، قال: أنا محمد بن عبد الله، قال لعلي (عليه السلام): امحُ (رسول الله) قال: لا والله لا أحوك أبداً، فأخذه رسول الله ولم يحسن يكتب، فكتب مكان رسول الله (محمد) فكتب: هذا ما قضى عليه محمد...)).

ومن خلال ما أوردنا من روايات في هذا المورد يمكن ملاحظة ما يلي:

إن رواية ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام فيها بيان لعدم رضا المهاجرين وعلى رأسهم عمر بن الخطاب على ما قام به الرسول الأكرم من صلح بينه وبين المشركين حيث وصل بهم الأمر على رفع أصواتهم فوق صوت النبي وقد ذكر عمر بن الخطاب ذلك الموقف وعبر عنه (ما زلت اتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ...)). وهو إقرار واضح بمخالفة رسول الله لأنه الرسول الأمين الذي لا ينطق عن الهوى كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢).

إن الاعتراض الذي رواه ابن إسحاق ونقله ابن هشام يمثل عدم رضا كبار الصحابة على ما فعله الرسول الأكرم يوم الصلح وقد يعتبر هذا مأخذاً كبيراً على المعترضين؛ لأنهم خالفوا ما أراد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، والجانب الثاني للرواية هو قيام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بكتابة نص الاتفاق

(١) تاريخ الامم والملوك، ج ٢، ص ٣٨٠.

(٢) سورة النجم، (آية ٣، ٤).

حيث يذكر الراوي بأنَّ الإمام عليًّا (عليه السلام) نفذ كل ما طلبه منه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) من دون أي اعتراض.

وقد اتفق الواقدي مع ابن إسحاق في تلك الحالة حيث تطابقت روايتاهما في ذلك الموضوع مع وجود اختلافات لفظية بسيطة وكذلك اتفق معهم اليعقوبي الذي بين في روايته التي ذكرناها بأنَّ الإمام عليًّا (عليه السلام) وفي أثناء كتابته للوثيقة نفذ ما طلب منه النبي الأكرم رغم اعتراض المسلمين على طلب سهيل بن عمرو ومحو عبارة بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله، حيث لم يذكر اليعقوبي أي اعتراض صدر من علي بن أبي طالب (عليه السلام) في هذا الشأن وإنما نفذ ما طلب منه الرسول.

على الرغم من نقل الطبري لرواية ابن إسحاق الواردة عند ابن هشام وفيها اعتراض عمر بن الخطاب وأبي بكر على الصلح وكتابة علي بن أبي طالب للصحيفة وتنفيذ ما طلب منه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، إلا أنه يورد رواية أخرى ينتهي سندها إلى البراء يذكر بها التفاصيل نفسها إلا أنه ينقل اعتراض علي بن أبي طالب في أثناء كتابته صحيفة الصلح على محو ما طلب سهيل بن عمرو، وقد خالف الرسول بذلك رغم طلب الرسول منه القيام بذلك إلا أن إصرار علي على عدم محو تلك العبارة تدخل الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ليمحي ما أراد سهيل بن عمرو بنفسه.

ولعل المتتبع للأمر يرى أن هذه الرواية التي نقلها الطبري أراد أن يجعل توازناً من خلالها كما نقل رواية ابن إسحاق الذي فيها اعتراض كبار الصحابة ومخافتهم أمر رسول الله عندما اتفق على الصلح مع سهيل كذلك أراد تسويق معارضة علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى المتلقي بأنه أيضاً اعترض على الرسول بعدم محو ما طلب منه.

ويمكن أن نذهب مع صحة رواية ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام على الرغم من اختصارها، وعلى الرغم من تأخر الطبري (٣١٠هـ - ٩٢٢م) عن ابن هشام (٢١٨هـ - ٨٣٣م) إلا أن كثيراً من المؤرخين الذين جاؤوا بعدهم أخذوا رواية الطبري الواردة أعلاه عن البراء ومنهم على سبيل المثال:

المفيد^(١) الذي يذكر أمر الصلح ونزول الوحي على النبي بالإجابة إلى الصلح مع قريش وأن يجعل أمير المؤمنين (عليه السلام) كاتبه يومئذ والمتولي لعقد الصلح بخطه، ((فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (اكتب يا علي بسم الله الرحمن الرحيم).. فقال سهيل بن عمرو: هذا كتاب بيننا وبينك، يا محمد فافتتحه بما نعرفه، واكتب بسمك اللهم: فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأمر المؤمنين: امح ما كتبت واكتب: باسمك اللهم، قال له أمير المؤمنين (عليه السلام): لولا طاعتك يا رسول الله لما محوت بسم الله الرحمن الرحيم، ثم محاهها وكتب: باسمك اللهم، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو أجبته في الكتاب الذي بيننا على هذا لأقررت لك بالنبوة، فسواء شهدت على نفسي بالرضا أم أطلتته من لساني، امح هذا الاسم واكتب: هذا ما قضى عليه محمد بن عبد الله، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): إنه والله رسول الله على رغم أنفك، فقال سهيل: اكتب اسمه يمضي الشرط، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): ويلك يا سهيل كف عن عنادك، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): امحها يا علي، فقال: يا رسول الله إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك عن النبوة، قال له: فضع يدي عليها فمحاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده، وقال لأمر المؤمنين (عليه السلام): ستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت

علي مضمض)).

من خلال ما ورد أعلاه نرى أن المفيد يذهب مذهب الطبري عندما نقل رواية البراء إلا أن فيها شيئاً من التخفيف.

ويتفق الطبرسي^(١) أيضاً مع رواية المفيد حول تعليل علي بن أبي طالب محوما طلب منه رسول الله. والباحث يرى أيضاً أن هذا التعليل فيه مجانبة للواقع فالإمام علي (عليه السلام) في سيرته كلها لم تسجل عليه مخالفة واحدة للرسول بأي شيء مهما كان الأمر؛ لأن مخالفته تعني مخالفة الله تعالى.

غزوة خيبر^(٢):

نقل ابن هشام^(٣) رواية محمد بن إسحاق التي قال فيها: ((ثم قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة حين رجع من الحديبية، ذا الحجة وبعض محرم، وولي تلك الحجة المشركون، ثم خرج في بقية محرم إلى خيبر... وقال ابن هشام: واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي، ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكانت بيضاء)).

ثم يستعرض ابن هشام مسيرة جيش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى خيبر ويذكر أنها عبارة عن مجموعة من الحصون استطاع أن يفتحها حصناً حصناً

(١) إعلام الوري بأعلام الهدى، ج ١، ص ٢٧٢.

(٢) خيبر: وهي ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، وهذا الاسم على الولاية وتشمل هذه الولاية سبعة حصون (ناعم، القموص، بن أبي الحقيق، السلام، الوطيح، الكتيبة، النظاة). ينظر الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠٩.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٤٢.

مبتدءاً بحصن ناعم ثم القموص ثم حصن بني أبي الحقيق، وقد سجل ابن هشام انتصارات الرسول في أثناء فتحه لتلك الحصون وحصول المسلمين على مغنم كثيرة حتى وصل إلى آخر حصنين: ((ولما افتتح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من حصونهم ما افتتح، وحاز من الأموال ما حاز، انتهوا إلى الوطيح والسلام، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً، فحاصرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بضع عشرة ليلة))^(١).

ثم ذكر ابن هشام^(٢) بروز مرحب للقتال ومبارزته من قبل محمد بن مسلمة^(٣) فقال: ((قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن سهل عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من لهذا؟ قال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتور والثائر، قتل أخي بالأمس، فقال: فقم إليه، اللهم أعنه عليه، قال: فلما دنا أحدهما من صاحبه، وخلت بينهما شجرة عمرية (قديمة) من شجر العسر- شجر أملس مسنؤ ضعيف العود- فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم، ما فيها فنن، ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة، فضربه فاتقاه، بالدركة، فوقع سيفه فيها فعضت به فأمسكته، وضربه محمد بن مسلمة

(١) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٤٧

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٤٨

(٣) محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة الأنصاري أسلم على يد مصعب بن عمير وذلك قبل إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ وأخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح وشهد مع الرسول بديراً وأحدًا والمشاهد كلها ما عدا تبوك. توفي في المدينة سنة (٤٦هـ - ٦٦٦م) وهو يومئذ ابن سبع وسبعين سنة وصلى عليه مروان ابن الحكم. ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٠٨-٤٠٩

حتى قتله)).

بعد ذلك نقل ابن هشام^(١) رواية ابن إسحاق التي بين فيها عدم استطاعة المسلمين فتح بقية حصون خيبر حيث ذكر ذلك عن بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن أبيه عن سلمة بن عمرو الأكوخ قال: ((بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا بكر... برايته وكانت بيضاء، فيما قال ابن هشام، إلى بعض حصون خيبر، فقاتل فرجع ولم يك فتحاً، وقد جهد، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب، فقاتل، ثم رجع ولم يك فتحاً، وقد جهد، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار. قال يقول سلمة: فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام)، وهو أرمد، فتغل في عينيه ثم قال: خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك، قال يقول سلمة: فخرج بها يأنيح يهرول هرولاً، وإنا خلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم (الحجارة المجتمعة) من حجارة تحت الحصن، ما طلع عليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، قال يقول اليهودي علوتم، وما أنزل على موسى أو كما قال. قال: فما رجعت حتى فتح الله على يديه)).

ثم نقل ابن هشام^(٢) عن ابن إسحاق عن عبد الله بن الحسن عن بعض أهله عن أبي رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((خرجنا مع علي بن أبي طالب (عليه السلام)، حين بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجلٌ من اليهود، فطاح ترسه من يده، فتناول عليٌّ (عليه السلام) باباً كان من الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل

(١) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٤٨

(٢) السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٤٩-٣٥٠

وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي، أنا ثامنهم، فجهدنا على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه)).

وفي ضوء ما تقدم من روايات يمكننا ملاحظة ما يأتي:

أن صاحب راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم خيبر كان الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام).

أن ابن هشام نقل في روايته الأولى عن ابن إسحاق قصة مقتل مرحب اليهودي من قبل محمد بن مسلمة.

أورد ابن هشام عن ابن إسحاق عجز المسلمين عن فتح بقية الحصون وأن رسول الله قرر إعطاء الراية للإمام علي (عليه السلام).

ذكر ابن هشام عن ابن إسحاق في روايته الثالثة تفاصيل فتح علي بن أبي طالب حصون خيبر.

إلا إننا عند تتبع روايات ابن إسحاق في تلك الموارد يتبين أن ابن هشام في الرواية الثانية اقتطع جزءاً مهماً من النص وهو: ((فقال رسول الله: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله على يديه، ليس بفرار))^(١)، واستعاض عنها بعبارة: ((فقال رسول الله لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله...)).

أما الطبري^(٢) فقد ذكر عن غزوة خيبر مجموعة من الروايات حول فتح الحصون، وقد أورد عن ابن إسحاق أربع روايات؛ الأولى ذكر فيها كيفية قتل مرحب على يد

(١) البيهقي، دلائل النبوة، ج ٤، ص ٢٠٩.

(٢) تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٥-٦-٧-٨.

محمد بن مسلمة كما ذكرها ابن هشام، والثانية فتح الإمام علي لحصن اليهود وأورد فيها تفاصيل رواية ابن هشام نفسها، ثم ذكر روايتين واحدة في كيفية سبي صفية بنت حي بن أخطب، والثانية حول كيفية إكمال فتح خيبر.

وروى الواقدي^(١) غزوة خيبر بأسلوب يتميز بوحدة الموضوع حيث بدأ روايته بالقول: ((وكان دفع الراية إلى رجل من أصحابه من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً، ثم دفعها إلى آخر فرجع ولم يصنع شيئاً، ودفع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لواء الأنصار إلى رجل منهم، فخرج ورجع ولم يعمل شيئاً، فحث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المسلمين...)).

من خلال رواية الواقدي أعلاه نراه لا يصرح بأسماء من حملوا الراية وقاتلوا واكتفى بالإشارة إلى ذلك دون إعطاء التفاصيل.. ثم ذكر ((ووجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في نفسه حدة شديدة، وقد ذكر لهم الذي وعدهم الله، فأسمى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مهموماً، وقد كان سعد بن عبادة رجح مجروحاً وجعل يستبطن أصحابه، وجعل صاحب راية المهاجرين يستبطن أصحابه ويقول أنتم أنتم.. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار، أبشر يا محمد بن مسلمة غداً إن شاء الله يُقتل قاتل أخيك وتولى عادية اليهود، فلما أصبح رسول الله أرسل إلى علي ابن أبي طالب (عليه السلام) وهو أرمد، فقال: ما أبصر سهلاً ولا جبلاً. قال: فذهب إليه فقال: افتح عينيك. ففتحها فتفل فيها. قال علي (عليه السلام): فما رمدت حتى الساعة. ثم دفع إليه اللواء، ودعاه له ومن معه من أصحابه بالنصر، فكان أول من خرج إليهم الحارث أخو مرحب في عاديته، فانكشف المسلمون وثبت

(١) المغازي، ج ٢، ص ٦٥٣.

علي (عليه السلام) فاضطرب ضربات فقتله علي (عليه السلام). ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن فدخلوه وأغلقوا عليهم، فرجع المسلمون إلى موضعهم، وخرج مرحب وهو يقول:

قد علمت خير أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب

فحمل علي (عليه السلام) فقطره (أي ألقاه على أحد قطريه، وهما جانباه) على الباب وفتح الباب وكان للحصن بابان...^(١).

وفي رواية أخرى ذكرها الواقدي^(٢) عن أبي رافع ذكر تفاصيل رواية ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام نفسها، وقد أوضح فيها تترس الإمام علي بالباب بعد أن ضربه أحد اليهود وسقط الترس من يده، ويذكر أنه تم الفتح على يده وهو حصن مرحب اليهودي ثم يذكر أمر مبارزة مرحب، وذكر أن الذي برز إليه محمد بن مسلمة حيث تمكن محمد بعد مبارزة مرحب من قطع ساقيه وتركه فقال: ((ومر به علي فضرب عنقه وأخذ سلبه))^(٣) حيث اختصما إلى رسول الله فيمن قتله فحكم الرسول الأكرم لمحمد بن مسلمة بأن له سلبه وليس إلى علي بن أبي طالب...^(٤).

أما البلاذري^(٥) فقد ذكر غزوة خيبر بشكل مقتضب جداً ولم يذكر أي تفاصيل لها، وتناول اليعقوبي^(٦) موضوع غزوة خيبر أيضاً بشيء من الإيجاز إلا أنه ذكر ((فقال

(١) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٦٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٥٥.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٥٦.

(٥) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٥٢.

(٦) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٧.

رسول الله لأدفعن الراية غداً إن شاء الله إلى رجل كرار غير فرار يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا ينصرف حتى يفتح الله على يده، فدفعها إلى علي فقتل مرحب اليهودي واقتلع باب الحصن، وكان حجارة طوله أربعة أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع، فرمى به علي بن أبي طالب خلفه ودخل الحصن ودخله المسلمون)).

وقد أورد الطبري روايتين من غير سند ابن إسحاق؛ الأولى يذكر عن بشار عن محمد بن جعفر عن عوف عن ميمون أبي عبد الله أن عبد الله بن بريدة حدث عن بريدة الأسلمي قال: ((لما كان حين نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحصن أهل خيبر أعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اللواء إلى عمر بن الخطاب ونهض من نهض معه من الناس فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يُجِئنه أصحابه ويجيئهم، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لأعطين اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويُحبه الله ورسوله، فلما كان الغد تناول أبو بكر وعمر، فدعا علياً (عليه السلام) وهو أرمد، ففتل في عينه وأعطاه اللواء، ونهض معه من الناس من نهض، قال فلقي أهل خيبر، فإذا مرحب يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب
شاكي السلاح بطلٌ مجرب
أطعن أحياناً وحيناً اضرب
إذا الليوث اقبلت تلهب

فاختلف هو وعلي في ضربتين، فضربه على هامته حتى عض السيف بأضراسه وسمع أهل العسكر صوت ضربته، فما تنام آخر الناس مع علي (عليه السلام) حتى فتح الله له ولهم))^(١).

والرواية الثانية عن أبي كريب، قال: حدثنا يونس بن بكير، قال: حدثنا المسيب ابن مسلم الأودي، قال: حدثنا عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: كان رسول الله

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٦.

(صلى الله عليه وآله وسلم) ربما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خبير أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس، وأن أبا بكر أخذ راية رسول الله فنهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول ثم رجع، فأخبر بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: أما والله لأعطينها غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يأخذها عنوة، قال: وليس ثم علي (عليه السلام)، فطاولت لها قريش، ورجا كل منهما أن يكون صاحب ذلك، فأصبح، ف جاء علي (عليه السلام) على بعير حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو أرمد قد عصب عينيه بشقة برد قطري، فقال رسول الله ما لك؟ قال: رمدت بعد، فقال رسول الله: أدن مني، فدنا منه فتفل في عينيه فما وجعهما حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية، فنهض به معه وعليه حلة أرجوان حمراء قد أخرج خملها فأتى مدينة خيبر، وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر معصفر يمان وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطلٌ مجرب

فقال علي (عليه السلام):

أنا الذي سمتني أمي حيدرة أكيلكم بالسيف كيل السندرة

ليث بغابات شديد قسورة

فاختلفا ضربتين فبدره علي فضربه فقدَّ الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع في الأضراس وأخذ المدينة^(١).

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٧.

ومن خلال عرض الروايات الواردة حول فتح خيبر وقتل مرحب اليهودي يمكن أن نجمل ملاحظتنا بالنقاط الآتية:

هناك أمران بارزان في خيبر قد اختلف فيهما الأمر الأول: قول الرسول بعد أن فشل أبو بكر وعمر في الفتح إنه سيعطي الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه وهو علي بن أبي طالب، إذ ذكر صاحب السيرة النبوية ابن هشام تلك الرواية إلا أنه اقتطع منها جزءاً مهماً جداً وقد ذكرناه وهو (يجب الله ورسوله) وفي ذلك دلالة واضحة أن القصد من وراء هذا القطع هو التقليل من شأن صاحب تلك المنقبة حيث لم يستطع انكارها لشياعها، لكنه اقتطع منها وتلاعب بألفاظها، من أجل أن يجعل صورة الإمام علي تفقد بريقها من خلال الدس والتشويه، إلا أن المفيد^(١) ذكر تلك الحادثة برواية أكثر تماسكاً مما ذكر غيره فقال: ((فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ليست هذه الراية لمن حملها جيئوني بعلي ابن أبي طالب، فقيل إنه أرمد، فقال: أرونيه تروني رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يأخذها بحقها ليس بفرار، فجاؤوا بعلي (عليه السلام) يقودونه إليه، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما تشتكي يا علي؟ قال: رمد ما أبصر معه، وصداع برأسي، فقال له: اجلس وضع رأسك على فخذي ففعل علي (عليه السلام) ذلك، فدعا له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونفل في يده فمسحها على عينه ورأسه، فانفتحت عيناه وسكن ما كان يجده من الصداع وقال في دعائه: اللهم قه الحر والبرد وأعطاه الراية...)).

ولعلنا نستطيع القول إن رواية إعطاء الراية كانت متواترة حتى من لم يذكرها فإنه لم ينفها أمثال البلاذري حيث لا بد من أنه وقع تحت تأثيرات السياسة في عصره.

(١) الارشاد، ج ١، ص ١٢٦.

أما ما يخص الأمر الثاني أي قتل مرحب اليهودي فلا بد أن نتبع بعض المعطيات التاريخية التي تقودنا إلى حقيقة قاتل مرحب:

إن مرحباً هو قائد آخر حصون اليهود التي تحصن بها أعداد كبيرة منهم.

إن الفتح المبارك لأعظم حصون خيبر وأكثرها قوة ومناعة تم على يد علي بن أبي

طالب من دون أي اختلاف في ذلك الموضوع.

إلا أن الملاحظ أنه أريد عدم جمع منقبتين للإمام علي (عليه السلام) في موقع واحد وهذا ما لا يريده أعداء آل البيت ومن خلفهم من تقلد زمام الأمور السياسية في وقت دونت فيه السيرة وهو زمن الحكم الأموي والعباسي، والملاحظ أن ابن إسحاق ومن باب التوازن أراد أن ينقل منقبة قتل مرحب إلى محمد بن مسلمة ليجعل من ذلك الأمر التوازن، وهذا ما لاحظناه من خلال نقل ابن هشام لرواية ابن إسحاق الخاصة بقتل مرحب وقد أوردناها في صدر البحث.

إلا أن الواقدي أراد أن يجعل الأمور أكثر توازناً فجعل من اشترك في قتل مرحب محمد بن مسلمة وعلي بن أبي طالب وحسب روايته التي ذكرناها إلا أن الملاحظ ومن خلال إطلاعنا على عدد كبير من الروايات التي نقلها المؤرخون^(١) يتبين أن الذي قام بقتل مرحب هو علي بن أبي طالب.

(١) ابن سلمان الكوفي، محمد، ت (٣٠١هـ - ٩١٣م)، مناقب الامام أمير المؤمنين، تحقيق محمد باقر المحمودي، (مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، د. ت)، ج ٢، ص ٤٩٦، الطبراني، المعجم الكبير، ج ٧، ص ١٧، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٧٨٦، ابن المغازلي، المناقب، ص ١٤٨، ابن البطريق، عمدت عيون صحاح الأخبار، ص ١٤١، ابن جبر، نهج الإيمان، ص ٣٢٢، ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج ٢، ص ١٣٨، ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ٥٩، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ت (١٢٥٥هـ - ١٨٣٩م)، نيل الاوطار، (دار - بيوت، ١٩٧٣م)، ج ٢، ص ٨٦.

وما يؤيد ذلك أيضاً ما ذكر المفيد^(١) في الإرشاد حيث قال: ((قال علي (عليه السلام): فمضيت حتى أتيت الحصون، فخرج مرحب وعليه مغفرة وحجر قد ثقب مثل البيضة على رأسه يرتجز، ويقول:

قد علمت خير أني مرحب شاكٍ سلامي بطل مجرب

فقلت:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة ليث لغابات شديد قسورة

اكيلكم بالسيف كيل السندرة

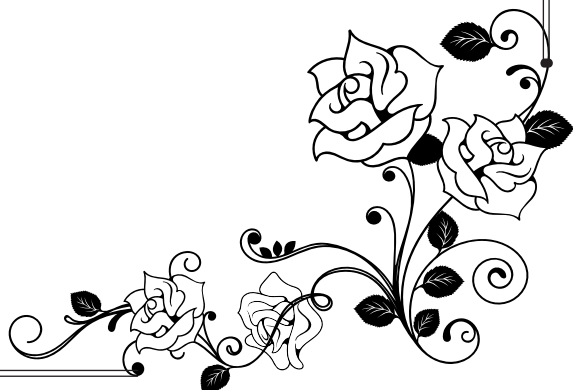
فاختلفتا ضربتين، فبدرته فضربته فقددت الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع السيف في أضراسه وسقط صريعاً)).

الملاحظ أن هناك ارتباكاً واضحاً عند ابن هشام في نقله تفاصيل معركة خيبر حيث لم يستعرض روايات خيبر بشكل متسلسل كما فعل الواقدي وقد أورد حمل الراية من قبل الإمام وفتح الحصن إلا أنه لم يشر من قائد الحصن وما مصيره، إلا أن في إيراد رواية مقتل مرحب لم يذكر أين كانت تلك الحادثة؟ وفي أي حصن من حصون خيبر؟ إلا أنه من خلال القرائن المتوفرة يمكن القول إن مرحباً كان قائد الحصن الذي فتحه الإمام علي فلا يستبعد أن يكون مرحب أول المدافعين عن ذلك الحصن حيث لم تكن مبارزته بوصفه القائد لأي شخص كان فلا بد أن تكون مبارزته للقائد الميداني الذي حمل الراية وتقدم بها وهو الإمام علي.

(١) الإرشاد، ج ١، ص ١٢٦-١٢٧.

الفصل الرابع

عليّ (عليه السلام) من الفتح
حتى وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله والسلام)



المبحث الأول

الإمام علي (عليه السلام) عند فتح مكة

مقدمات الفتح

إن الحديث عن فتح مكة يعني الحديث عن انتصار الإسلام على الشرك والوثنية والقضاء الكامل على جبروت قريش، فكان صلح الحديبية كما ذكرنا في الفصل السابق هو المقدمة لذلك النصر، وقد التزم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون بكل البنود التي اشتمل عليها كتاب الصلح، لكن قريشاً استخفت بقوة المسلمين بعد معركة مؤتة^(١)، وجرها هذا الاستخفاف إلى مخالفة ما جاء في شروط الصلح حيث أصبح بعدها عهد المودعة والصلح لاغياً^(٢). ولنا أن نبين السبب الحقيقي لنقض قريش اتفاق الحديبية.

فقد كان من ضمن اتفاق الحديبية حرية اختيار القبائل العربية لتحالفاتها فمن

(١) معركة مؤتة: في سنة (٨هـ - ٦٢٩م) حصلت معركة مؤتة في ادنى البلقان دون دمشق وكانت بسبب قتل الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل شريح بن عمرو الغساني، فبعث رسول الله جيشاً بقيادة زيد بن حارثة لقتاله ومن تحالف معه وبالفعل هب الجيش للقتال وقد التقى مع المشركين في (مؤتة) وقد استشهد في هذه المعركة القادة الثلاثة زيد بن حارثة، جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، حيث خسر المسلمون المعركة وتولى قيادة الجيش بعد ذلك خالد بن الوليد الذي تمكن من سحب الجيش الإسلامي من ساحة القتال والعودة إلى المدينة. ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٢، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٨٠.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٧٨١، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٧.

أراد من العرب أن يدخل في عهد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فليدخل، كما يحق لمن أراد أن يدخل في عهد قريش أن يدخل فيه، فدخلت قبيلة بكر في حلف قريش ودخلت خزاعة في حلف محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد كانت فيما بين بكر وخزاعة أحقاد قديمة^(١) وحروب متواصلة، إلا أن الناس بعد الصلح أصبحوا يحسبون أنفسهم آمنين على دمائهم وأموالهم، لكن قريشاً أخلت باتفاق الحديبية ونقضت الصلح حيث قامت بتزويد قبيلة بني بكر بالأسلحة وحرضتهم على الغارة على خزاعة المتحالفة مع الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢). وكانت خزاعة قد آمنت بعد الصلح غير حذرة من عدوها المتمثل ببني بكر إلا أن قريشاً زيادة على أنها أمدت قبيلة بكر بالأسلحة وحرضتهم على القتال قامت بالقتال معهم في الليل وأجبروا خزاعة إلى اللوذ بالحرم واللجوء إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي^{(٣)(٤)}.

(١) هناك ثأر قبلي قديم بين بني بكر وخزاعة قبل الإسلام وهو قتل بني خزاعة أحد تجار بني بكر، وأخذ ماله فعدت بني بكر على رجل من خزاعة فقتلوه وبالمقابل عدت خزاعة قبيل الإسلام على قتل عدد من الأشخاص من بني بكر فقتلوهم وهكذا أصبح القتال متبادلاً بين الطرفين إلى أن جاء الإسلام والقيلتان على هذه الحالة فحجز بينهم، إلى أن تم صلح الحديبية فدخلت خزاعة في حلف الرسول، وبنو بكر في حلف قريش. ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣١-٣٢

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٢.

(٣) بديل بن ورقاء الخزاعي بن عبد العزى بن ربيعة بن جُزي بن عامر بن حارث بن عدي الخزاعي، كتب إليه النبي يدعوهُ إلى الإسلام وابنه نافع أقدم منه إسلاماً استشهد في بئر معونة، وابنه عبد الله استشهد مع الامام علي (عليه السلام) في صفين فشهد مع رسول الله فتح مكة وحنين وتبوك وحجة الوداع توفي قبل وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ١٩٨.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٧٨٣.

ولما حصل ما حصل من نقض العهد من قبل قريش وبني بكر وقتلهم لرجال من خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونالوا منهم ما نالوا، خرج عمر بن سالم الخزاعي^(١)، وأحد بني كعب حتى قدما إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لغرض إخباره بما جرى على حلفائه ونقض العهد من قبل قريش^(٢)، فعدت تلك الحادثة خرقاً واضحاً لصالح الحديبية ومقرراته وقد ذكر الواقدي أن أبا سفيان لم يشاور في الأمر الذي أقدمت عليه قريش بالوقوف بجانب بني بكر وتحريضهم ومدهم بالسلاح ضد خزاعة حلفاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أنهم طلبوا منه التدخل لتجديد الهدنة بينهم وبين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٣).

وجاء في رواية ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام^(٤) ((ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة^(٥)

(١) عمرو بن سالم بن حصين بن سالم بن كلثوم الخزاعي وهو من الشعراء المعروفين في خزاعة وقد وفد إلى الرسول كما هو معلوم لإخباره بأمر خزاعة وما حصل لهم من اعتداء بني بكر وانشد في ذلك شعراً كان مطلعته:

اللهم أنشدك محمداً	حلف ايينا وأبيه الأ تلدا
كنت لنا أبا وكنا ولدا	ثم اسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصر اعتدا	وادع عبد الله يأتوا وردا

وفي نهاية القصيدة قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقد نصرت يا عمرو بن سالم. ينظر ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤ ص ١٠٤، ابن حجر، الاصابة، ج ٤، ص ٥٣١.

(٢) الواقدي، المغازي، ص ٧٨٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٨٥.

(٤) السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٨-٣٩.

(٥) أم حبيبة بنت أبي سفيان: وهي رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عقد عليها بالحبشة بعد أن ارتد زوجها عبيد الله بن حجش وصدقها عنه

بنت أبي سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طوته عنه، فقال يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر. ثم خرج حتى أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكلمه، فلم يرد عليه شيئاً ثم ذهب إلى أبي بكر، فكلمه أن يكلم له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه، فقال: أنا اشفع لكم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر^(١) لجاهدتكم به، ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب عليه السلام، وعنده فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليها السلام، وعندها حسن بن علي غلام يدب بين يديها، فقال: يا علي، إنك أمس القوم بي رحماً، وإني قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى رسول الله، فقال ويحك يا أبا سفيان: والله لقد عزم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه، فالتفت إلى فاطمة فقال: يا ابنة محمد، هل لك أن تأمري نبيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر.

قالت: والله ما بلغ بني ذلك يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال يا أبا الحسن، إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ، فانصحني، قال: والله ما أعلم لك شيئاً يغني عنك شيئاً، ولكنك، سيد بني كنانة، فقم فأجر بين

صاحب الحبشة بعد أن بعث إليها عمر بن أمية الضيمري توفية سنة (٤٢هـ - ٦٦٢م). ينظر ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج ١، ص ٢٧١.

(١) الذر: جمع ذرة: وهي اصغر النمل. ينظر الجوهرى، الصحاح، ج ٢، ص ٦٦٣.

الناس، ثم الحق بأرضك، قال أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً قال لا والله، ما أظنه، ولكنني لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس، إني قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق، فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلمته فوالله ما رد علي شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة، فلم أجد فيه خيراً، ثم جئت ابن الخطاب، فوجدته أدنى العدو (أي اعدى العدو) .. ثم قال جئت علياً فوجدته، ألين القوم، وقد أشار علي بشيء صنعته، فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئاً أم لا؟ قالوا: وبم أمرك، قال: أمرني أن أجير بين الناس، ففعلت، قالوا: فهل أجارك محمد؟ قال: لا: قالوا: ويلك، والله إن زاد الرجل على أن لعب بك، فما يغني عنك ما قلت قال: لا والله، ما وجدت غير ذلك)).

أما رواية ابن إسحاق التي نقلها الطبري^(١) فلا تختلف عما نقل ابن هشام في السيرة النبوية، وكذلك نقل ابن حبان^(٢) رواية ابن إسحاق نفسها. أما البيهقي^(٣) فأورد رواية ابن إسحاق التي تخص نقض قريش للهدنة حيث ذكر عنوان (نقض قريش ما عاهدوا عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحديبية) ثم ذكر سلسلة السند لتلك الرواية عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن الزهري عن عروة بن الزبير عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة ثم يورد نتائج الصلح وخرق قريش لذلك الصلح وبعد ذلك وفادة أبي سفيان لتجديد الهدنة، وذكر تفاصيل رواية ابن إسحاق نفسها التي أوردها ابن هشام في السيرة النبوية.

(١) تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٢٨.

(٢) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ص ١٨١.

(٣) دلائل النبوة، ج ٥، ص ٥-٨.

ذكر الواقدي^(١) موضوع مجيء أبي سفيان إلى المدينة لغرض تجديد الهدنة فذكر تفاصيل رواية ابن إسحاق نفسها التي نقلها ابن هشام ولكن هناك إضافات لم ترد في رواية ابن إسحاق منها ((ثم دخل على عثمان بن عفان ، فقال: إنه ليس في القوم أحد أقرب بي رحماً منك فزد في الهدنة وجدد العهد فإن صاحبك لم يرد عليَّ أبداً.. قال عثمان : جوارى جوار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)).

ثم بعد ذلك ذكر في روايته إنه دخل على فاطمة (عليها السلام) وكلمها بالموضوع قبل أن يفتح الإمام علياً (عليه السلام) الذي كلمه في النهاية، وقد خلاص منه بكلام هو نفسه المذكور في رواية ابن إسحاق^(٢).

أما حماد بن سلمه فيذكر في روايته التي نقلها البلاذري^(٣)، فقال: ((وكانت قريش لما جنت ما جنت خافت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فبعثت أبا سفيان يجدد الحلف ويصلح الناس ، فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام: أنت سيد قريش فاضرب يداً على يد ، وأجد الحلف .. وأصلح بين الناس فانصرف وهو يرى أنه قد صنع شيئاً)).

وبالعودة إلى رواية ابن إسحاق التي ذكرها ابن هشام وأوردناها في صدر الفقرة ومقارنتها مع ما ورد من روايات أخرى في المورد نفسه نجد أن:

الرواية فيها مجانبة للواقع وللحقيقة هي أن أبا سفيان هو رأس الشرك، وهو ممن قُاد معركة أحد بنفسه وما نجم عنها من خسارة عسكرية للمسلمين

(١) المغازي، ج ٢، ص ٧٩٣.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٧٩٤.

(٣) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٥٥.

واستشهاد عدد كبير من المهاجرين والأنصار وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب، ثم كانت الأحزاب تحت قيادته وهم قد حاصروا المدينة وكان هدفهم استئصال المسلمين والخلاص منهم نهائياً، زيادة على أنه كان العدو الأول للإسلام وكان مستعداً لعمل أي شيء للقضاء على الإسلام، فهو رئيس معسكر الشرك الذي يقابل معسكر الإيوان فإن وفادته إلى المدينة لغرض تجديد الهدنة بدون أي وسيط يكون أمراً مستبعداً جداً حسب الأعراف السائدة آنذاك^(١)، وعند النظر إلى الرواية وقراءتها نلاحظ أنها أظهرت أبا سفيان وكأنه رجل بريء لم يعمل شيئاً، فانتدب لهذه المهمة لحيادته ولم يكن هو صاحب الشأن، وهذا خلاف الواقع، فإن الرواية إن دلت على شيء فهي من صناعة السلطات الأموية^(٢)، والغرض منها تلميع صورة أبي سفيان بن حرب وجعله من دعاة الهدنة والسلام.

وإذا علمنا أن ابن هشام نفسه أورد رواية أخرى عن ابن إسحاق عندما أصبح الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) على مشارف مكة وأيقن أبو سفيان أن الأمور خرجت من حساباته فقد اقترح عليه العباس بن عبد المطلب بأن يصحبه إلى رسول الله، ثم أورد قول العباس له: ((والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأستأمنه لك. ((٣)).

(١) ذلك هو اجارة الرسول من قبل المطعم بن عدي بعد أن عاد من الطائف حيث ادخله في جواره حتى لا يلحقه أي أذى من قريش ويكون في مأمن وبذلك تكون حالة الجوار من الاعراف السائدة هناك. ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ١٨١.

(٢) النصر الله، فضائل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) المنسوبة لغيره، ص ١٢٣.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤٤.

لقد نقل ابن هشام روايتين متناقضتين الأولى ذكر فيها أن أبا سفيان جاء إلى المدينة وتنقل فيها وتكلم مع كبار الصحابة بحرية تامة، في حين ذكر في روايته الثانية خوفه الشديد من الرسول والمسلمين عند فتح مكة، وبهذا نقل روايتين متناقضتين الفارق بينهما بضع صفحات.

والملاحظ أن ابن هشام في روايته الثانية ذكر أموراً غريبة، فقال وهو يتحدث عن كلام العباس بن عبد المطلب لأبي سفيان: ((قال: فجئت به، فكلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنا عليها، قالوا عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على بغلته، حتى مررت على نار عمر بن الخطاب، فقال من هذا؟ وقام إلي، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله: الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد))^(١).

والملاحظ على هذا النص أن عمر بن الخطاب كأنه أول مرة يرى فيها أبا سفيان ولم يكن رآه في المدينة في أثناء وفادته لتجديد الهدنة، فهو يستغرب من لقياه إلا أن هناك استدراكاً من الراوي في هذا النص هو قول عمر: ((الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد))، وكأنه كان يريد أن يوحي للمتلقي أن أبا سفيان عندما جاء إلى المدينة كان هناك عقد بينه وبين الرسول الأكرم بعدم التعرض له وهذا خلاف الواقع الذي صورته ابن هشام نفسه بوصول وفد خزاعة إلى الرسول وإعلامه ما جرى من نقض قريش لتلك الهدنة الموقعة بين الطرفين، وكذلك كان أبو سفيان يعلم ذلك جيداً إذ التقى ببديل بن ورقاء وعرف أن الوفد كان عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة^(٢)، والمهم في هذا الأمر أن هناك تناقضاً واضحاً وقع فيه ابن

(١) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٨.

إسحاق وبعده ابن هشام.

لعل الراوي أراد أن يضيف توازناً إلى روايته فذكر أم حبيبة زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أبي سفيان وعدم السماح له بالجلوس على فراش النبي؛ لأنه مشرك، وهنا الهدف الرئيس للرواية وهو إبراز صورة أم المؤمنين أم حبيبة أخت معاوية وموقفها من أبي سفيان على الرغم من أنه والدها إلا أنها أثرت الإسلام والرسول باعتباره أهم وأفضل من كل شيء.

وهناك قصد آخر للرواية وهو كما ذهب أحد الباحثين^(١) هو إبراز مكانة عدد من الصحابة الذين فشلوا في ميدان الجهاد والقتال فلا بد له من إيجاد منقبة ترفع من شأنهم وتجعلهم كأنهم أوائل المهتمين بالشأن بعد رسول الله، وهذا واضح من التسلسل الذي أورده ابن إسحاق في روايته التي نقلها ابن هشام حيث يبدأ بأبي بكر ثم عمر وقد أغفلت الرواية الخليفة الثالث ولكن أكمله الواقدي في روايته كما لاحظنا.

وقد ذكرت الرواية قول عمر بن الخطاب لأبي سفيان: ((لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم فيه)) وتاريخ عمر بن الخطاب غير خافٍ ومعروف في المعارك الإسلامية وذلك من خلال ما ذكره ابن هشام نفسه في السيرة حول جهاد عمر بن الخطاب، ففي معركة بدر وموقفه من قريش، إضافة إلى أنه في أثناء المعركة لم يذكر لنا الرواة أي بطولة لعمر باستثناء قتل خاله - العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - إن صححت الرواية^(٢)، أما في معركة أحد فموقفه معروف بتركه للقتال

(١) مطر، آل بيت النبوة (عليهم السلام) في كتاب تاريخ الرسل والملوك، ص ١٩٨.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٦٨.

وجلسه خارج المعركة^(١)، وفي معركة الخندق كان الموقف الواضح والمعروف أنه لم يبرز أحد من الصحابة ومنهم عمر لمنازلة ابن عبد ود العامري وهو يناديهم إلى البراز وهذا موقف واضح وقد ذكرناه عندما ناقشنا معركة الخندق^(٢)، كذلك عدم تمكنه من تحقيق النصر في خيبر وفتح الحصن وانهزامه هو والمسلمون الذين أرسلهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تلك المهمة، وهذا يعني أن سيرته خلقت من أي موقف جهادي يظهر قوته وصلابته، وهذا الأمر لا يتناسب مع ما نقلته الرواية من قول لأبي سفيان بنيرة تحمل التحدي والإقدام، إلا أن الملاحظ أن الرواية صممت وفق مقاييس معينة الغرض منها رفع مكانة عدد من الصحابة والتقليل من مكانة علي بن أبي طالب وإظهاره بالموقف اللين الذي يسدي النصائح لأبي سفيان وكأنه عطف عليه، وهذا إجماع خفي أراد من خلاله الراوي جعل الإمام علي يميل إلى القرابة والنسب، فأظهر أنه أسدى نصحاً لأبي سفيان كونه ينتمي إلى بني عبد مناف.

وهناك مفارقة أخرى هي أن أبا سفيان يعلم علم اليقين أن علي بن أبي طالب قتل ابنه حنظلة يوم بدر، وقتل غيره من الأمويين وهو لا يبالي بأبي سفيان أو نسبه وهو أمر معروف عن الإمام، فكيف يلتمس أبو سفيان منه التوسط لدى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ويخاطبه بلغة القرابة والنسب.

في الرواية إجماع للمتلقي لدور الإمام الحسن المستقبلي وتحديدًا في الصلح مع معاوية بن أبي سفيان وكأنها تهيء ذهن القارئ إلى ذلك لغرض إضفاء الشرعية على ما تم لمعاوية من خلال الصلح على اعتبار أن الأمور لم تكن وليدة الساعة ووليدة ظروف معينة، والتلميح إلى هذا الدور وكأنه قدر مكتوب ليس لأي أحد دخل

(١) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٨٨.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٤٧٠.

فيه (١).

سند الرواية الذي ذكره لنا البيهقي هو الزهري عن عروة بن الزبير عن مروان ابن الحكم والمسور بن مخرمة، ولا بد لنا من وقفة من أجل مناقشة الأسماء الواردة في السند، فالمسور بن مخرمة^(٢) كان عثماني الهوى وفد على معاوية في أثناء حصار عثمان طالباً النجدة لعثمان^(٣)، وكان موالياً لمعاوية عندما اغتصب السلطة بحيث كان لا يسمع ذكر معاوية إلا صلى عليه^(٤). وقد انحاز إلى ابن الزبير في حركته^(٥)، وهو نفسه المصدر الأساس لرواية خطبة الإمام علي لابنة أبي جهل واعتراض الرسول على ذلك^(٦)، والتي تعد من الروايات الموضوعية التي تهدف للإساءة لآل البيت.

أما مروان فلا يحتاج مناقشة لنعرف انحرافه عن آل البيت بل عن الإسلام، وهو

(١) مطر، آل بيت النبوة (عليهم السلام) في تاريخ الرسل والملوك، ص ١٩٧.

(٢) المسور بن مخرمة بن نوفل بن اهيوب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ويكنى أبا عبد الرحمن، وأمه عاتكة بنت عوف بن اخت عبد الرحمن بن عوف، توفي رسول الله وله من العمر ثمان سنين وانحاز إلى عبد الله بن الزبير في أثناء ثورته وقد قتل في حصار يزيد لمكة وضرب الحجاج لها بالمنجنيق سنة (٥٦٤ - ٦٨٣ م). ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٥٢١-٥٣٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٥٢٤.

(٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٣، ص ٣٩٢.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٥٢٨.

(٦) عن المسور قال: ((سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على المنبر يقول: ان بني هاشم ابن المغيرة استأذنوا أن ينكحوا ابنتهم علياً على ابنتي، فلا إذن ثم لا إذن، إلا أن يحب علي أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما ابنتي بضعة مني، يرييني ما أراها ويؤذيني ما أذاها)) وهو حديث موضوع وذلك لمخالفته للشرع المقدس الذي جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن ثم الغرض بيان ان علياً أذى فاطمة وبذلك يصبح هناك مسوغ للشيوخين اللذين اذيا فاطمة (عليها السلام). ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٥٢٢.

ابن طريد رسول الله الذي أهدر دمه النبي، ولم يدخل المدينة إلا في خلافة عثمان، وقد ضمه عثمان إليه في خلافته واستكتبه فنظر إليه الإمام علي يوماً فقال: ((ويلك، وويل أمة محمد منك ومن بنيك. وكان يقال لمروان: خيط الباطل))^(١).

أما عروة فقد تحدثنا عنه في الفصل الأول وبيّنا الكيفية التي كان يروي فيها أحاديثه، وكيف كان لميوله السياسية والمذهبية والقبلية دور مميز في روايته لتلك الأحاديث، كذلك بينا كيف كان الزهري يدور في فلك السياسة الأموية ومعروف عنه تحريف كثير من الأحاديث وفق أهواء وميول ورغبات الأمويين.

وخلاصة القول إنه لا يمكن قبول ما ورد في رواية ابن إسحاق؛ لأنها عبارة عن صورة مشوهة لسيرة الإمام علي ومحاولة لرفع منزلة قسم من الصحابة، وكأنها أريد بها أن تكون عنصر توازن في روايات السيرة النبوية.

الإمام علي (عليه السلام) يتعقب الجاسوسة

بعد أن نقضت قريش الصلح القائم بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أصبحت المواجهة بين المعسكرين على وشك الوقوع وقد تمهياً الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك فبدأ بإجراءاته العسكرية التي يراها ضرورية جداً واعتمد في ذلك على أساسين مهمين للتمهيد لفتح مكة:

التمويه الذي استخدمه الرسول وذلك بالإيحاء للعدو بأنه متوجه إلى غير

(١) ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ١٣٩-١٤٠. ينظر الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٧٧.

الوجهة التي يرغبها^(١)، إذ أرسل سرية بقيادة أي قتادة بن ربعي الأنصاري^(٢) إلى بطن اظم^(٣) في أول شهر رمضان سنة (٥٨ - ٦٢٩ م)^(٤)، وهو أسلوب تمويهي جيد اعتمده الرسول الأكرم قبل بدءه بغزو مكة.

عدم الإعلام عن تلك الغزوة وإحاطتها بسرية تامة ((وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تحرك بعض جهاز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال أي بنيه أأمركم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن تجهزوه؟ قالت: نعم فتجهز، قال ابن ترينه يريد؟ قالت: لا والله ما أدري))^(٥).

وهنا تبرز صورة من صور جهاد الإمام علي (عليه السلام)، فعندما أجمع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة^(٦)

(١) الشرهاني، حسين، أسلوب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في اختياره قادة السرايا، بحث منشور في مجلة كلية الآداب - جامعة ذي قار العدد ١٦ سنة ٢٠١٥، ص ١٢٩.

(٢) أبو قتادة بن ربعي الأنصاري من بني سلمة من الخزرج وقد اختلف في حقيقة اسمه منهم من ذكر النعمان بن ربعي وقال آخرون عمرو بن ربعي إلا أن المشهور اسمه الحارث وهو من بلدة خناس، وقد شهد أحداً وما بعدها من مشاهد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد سكن الكوفة في خلافة الإمام علي وشهد معه مشاهداتها كلها توفي سنة (٥٤ - ٦٧٣ م). ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ١٣٨، ابن حجر، الإصابة، ج ٧، ص ٢٧٢.

(٣) بطن اظم، وهو وادي يشق الحجاز حتى يصل إلى البحر الأحمر. ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢١٥.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٢٣.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٩.

(٦) حاطب بن بلتعة اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله، وقد اعتذر عن مكاتبته قريش فقبل عذره. ينظر الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٣، ص ٣٣٣

إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد نقل ابن هشام^(١) رواية ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة ابن الزبير التي تتحدث عن هذا الأمر: ((لما أجمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المسير إلى مكة كتب حاطب بن بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأمر، والسير إليهم، ثم أعطاه امرأة، زعم محمد بن جعفر أنها مزنية، وزعم لي غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب، وجعل لها على أن تبلغه قريش فجعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، فقال أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن بلتعة بكتاب إلى قريش، يحذرهم ما قد جمعنا له في أمرهم. فخرجا حتى أدركاها بالخليقة^(٢) خليقة بني أحمد، فاستنزلاها، فالتمسا في رحلها، فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي بن أبي طالب: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا كذبتنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب، أو لنكشفنك. فلما رأت الجدم منه قالت: أعرض، فأعرض فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه فأتى به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)).

وقد ذكر الطبري^(٣) رواية ابن إسحاق نفسها التي أوردها ابن هشام، فيما ذكر

(١) السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤١.

(٢) الخليقة، منزل على بعد اثني عشر ميلاً عن المدينة بينها وبين ديار بني سليم. ينظر الحموي،

معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٧٨.

(٣) تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٢٩.

الواقدي^(١) بسنده عن المنذر بن سعد عن يزيد بن رومان: ((لما أجمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المسير إلى قريش، وعلم بذلك الناس كتب حاطب بن بلتعة إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأعطى الكتاب امرأة من مزينة، وجعل لها جعلاً على أن توصله لقريش، فجعلته في رأسها ثم قتلتها في رأسها ثم قتلت عليه فروتها، فخرجت، وأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علياً والزبير فقال: أدر كما امرأة من مزينة، قد كتب معها حاطب كتاباً يحذر قريشاً فخرجا فأدر كماها بالخليقة، فاستنزلاها فالتمساه في رحلها فلم يجدا شيئاً فقالا لها: إنا نحلف بالله ما كذب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا كُذِّبنا ولتخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنك فلما رأت منهما الجد قالت: أعرضاً عني فاعرضاً عنها، فخلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب فدفعته إليهما فجاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)).

لقد تبين من خلال الروايات المتقدمة أن الرسول استخدم أعلى درجات السرية في توجهه لفتح مكة، فانتدب الإمام علياً (عليه السلام) لمهمة صعبة وغاية في السرية، وهي وجود كتاب فيه أسرار عسكرية تحمله امرأة، لذلك اعتمد الرسول الأكرم على كفاءة الإمام علي وقدرته على معالجة مواقف كهذه وقد اشرك في تلك المهمة الزبير ابن العوام، إلا أن الجدير بالملاحظة من خلال الرواية التي نقلها ابن هشام هو أنه بعد التفتيش لم يعثر على أي شيء، وهنا جاء دور الإمام علي ودقة اختياره من قبل النبي، فمارس ضغطاً كبيراً على المرأة لأجل إخراج الكتاب لأنه على يقين بأنها تحمل كتاباً إلى قريش؛ لأن الأمر صادر من جهة لا يمكن لها أن تكذب وهذا هو الإيمان المطلق لعلي بن نبوة محمد ورسالته (صلى الله عليه وآله وسلم). وبالفعل نجح الإمام

(١) المغازي، ج ٢، ص ٧٩٨.

علي في استخلاص الكتاب وجلبه إلى الرسول وهي صورة واقعية نقلها ابن هشام حول إمكانات وقدرة الإمام علي على تنفيذ ما طلب منه.

أما رواية الواقدي فهي لا تختلف كثيراً في تفاصيلها عن رواية ابن إسحاق عدا التلاعب بالألفاظ من أجل تغيير الصورة الحقيقية للحادثة، فأشرك معه الزبير ابن العوام وهو يقوم بعملية الكشف عن الكتاب، حتى لا تكون تلك منقبة منفردة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، فذكر اشتراكهما في تنفيذ المهمة بدءاً باستئصال المرأة وتفتيش رحلها، حتى يصل إلى قولها: ((فقالاتها: إنا نحلف بالله ما كذب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا كذبنا ولتخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنك...)).

إن التلاعب بالألفاظ الرواية واضح جداً إذ تغيرت الصورة وبما يكون هذا التغيير فيه قصدياً لتسويق الرواية للمتلقى أن الزبير وعلياً (عليه السلام) اشتركا في كشف عملية إخفاء الكتاب وهذا خلاف رواية ابن إسحاق التي أوردها ابن هشام في السيرة التي تبرز الإمام علياً فقط هو من أصر على كشف الكتاب، وقد انقسم المحدثون وأصحاب السير على قسمين؛ منهم من ذهب مع ما رواه ابن إسحاق^(١)، ومنهم آخر ذهب مع رواية الواقدي^(٢).

إن طبيعة مهمة الإمام علي (عليه السلام) في الكشف عن الكتاب الذي تحمله

(١) ينظر الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، ج ١، ص ٢١٦، الكلاعي، الاكتفاء في مغازي الرسول والخلفاء، ج ١، ص ٥٠١، ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج ٢، ص ١٨٣ (حيث يذكر أن مع علي (عليه السلام) المقداد بن الأسود)، الصالحى الشامى، سبيل الهدى والرشاد، ج ٥، ص ٢٠٩.

(٢) ينظر صحيح البخاري، ج ٥، ص ٨٩، البيهقي، دلائل النبوة، ج ٥، ص ١٦ (يضيف البخاري والبيهقي في الرواية التي نقلها المقداد بن الاسود ليكون ثالثاً) السيوطي، كفاية الطالب، ج ١، ص ٢٦٢.

المرأة، جاءت أهميتها نتيجة لما تحمله تلك الغزوة - أي فتح مكة - من أهمية قصوى، لذلك كانت المهمة على درجة عالية من السرية حرص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كل الحرص أن يسند هذه المهمة إلى من يعتمد عليه في حفظ الأسرار العسكرية وعدم تسريبها؛ لأن كتاب حاطب بن بلتعة إلى قريش حتماً يحتوي على أسرار مهمة وخطيرة فلا بد أن يكون عند القبض عليه بيد أمينة ترجعه إلى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

الراية في فتح مكة:

بعد أن حرص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على أن تحاط تلك الغزوة بسرية تامة وكاملة، توجه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بحملته الكبرى قاصداً مكة في عشرة آلاف مقاتل من المسلمين^(١). وعندما وصل الجيش الإسلامي إلى مشارف مكة حرص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على إظهار قوة المسلمين ليثبت الرعب في قلوب المشركين من أهل مكة، فعمد إلى إشعال النيران فوق الجبال والتلال، فأمر كل فرد من أفراد الجيش أن يشعل ناراً في شريط طويل على الأرض ((وأمر أصحابه أن يوقدوا النيران فأوقد عشرة آلاف نار))^(٢)، فأصبح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وجيشه على مشارف مكة وقد تهيأ لدخولها ولا يريد الخوض في تفاصيل تقدم الجيش من المدينة إلى مكة؛ لأنه يخرجنا عن سياق البحث.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤٨-٤٩.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٨١٥.

وجاء في رواية ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح التي نقلها ابن هشام^(١) ((أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين فرّق جيشه من ذي طوى، أمر الزبير بن العوام أن يدخل بعض الناس من كدى^(٢)، وكان الزبير على المجذبة اليسرى، وأمر سعد بن عبادَةَ أن يدخل في بعض الناس كداء... قال ابن إسحاق: فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلاً قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة. فسمعها رجل من المهاجرين - قال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب - فقال يا رسول الله: اسمع ما قال سعد بن عبادَةَ، ما نأمن أن يكون له في قريش صولة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي بن أبي طالب: أدركه فخذ الراية منه، فكن أنت الذي تدخل بها)).

وقد ذكر الطبري^(٣) رواية ابن إسحاق نفسها، فيما روى الواقدي^(٤) ((وأعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رايته سعد بن عبادَةَ وهو إمام الكتيبة فلما مر سعد براية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نادى: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً، فأقبل رسول الله حتى إذا صادف أبا سفيان ناداه: يا رسول الله أمرت بقتل قومك؟ زعم سعد ومن معه حين مر بنا قال: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشاً، وإني أنشدك الله في قومك فأنت أبر الناس وأرحم الناس، وأوصل الناس. قال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان: يا رسول الله ما نأمن سعداً أن يكون منه صولة. فقال رسول

(١) السيرة النبوية، ص ٤٩.

(٢) كدى: وهو أحد المواضع لدخول مكة من الأعلى. ينظر البكري الاندلسي، معجم ما استعجم، ج ٤، ص ١١١٨.

(٣) تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٣٤.

(٤) المغازي، ج ٢، ص ٨٢١-٨٢٢.

الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشاً، قال: وأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى سعد فعزله، وجعل اللواء إلى قيس ابن سعد، ورأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن اللواء لم يخرج من سعد حين صار لابنه، فأبى سعد أن يسلم اللواء إلا بإمارة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأرسل رسول الله بعمامته. فعرفها سعد فدفع اللواء إلى ابنه قيس)).

وذكر ابن عبد البر^(١) ((فرتب الجيوش وجعل الراية بيد سعد بن عبادة وكان من قول سعد بن عبادة: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فقال العباس: يا رسول الله هلكت قريش، لا قريش بعد اليوم. إن سعد بن عبادة قال كذا وكذا، وإنه حنق على قريش، ولا بد أن يستأصلهم، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن تنزع الراية من سعد بن عبادة وتدفع إلى علي، وقيل: بل إلى الزبير، وقيل: بل دفعها إلى ابنه قيس بن سعد لئلا يجد سعد في نفسه شيئاً)).

ومن خلال ما أوردناه من روايات وما ورد في كتب السيرة من روايات خلصنا إلى ثلاثة آراء في هذا الأمر، فابن إسحاق في روايته التي نقلها ابن هشام ذكر أن راية سعد سلمها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي بن أبي طالب وطلب منه الدخول إلى مكة وهذا القسم الأول.

أما أصحاب الرأي الذين يقولون بأن الراية أخذت من سعد وسلمت إلى ابنه قيس تقدم هؤلاء الواقدي كما ورد في روايته، وهم القسم الثاني وهناك رأي آخر وجد في كتب المتأخرين ومنهم ابن عبد البر وابن كثير^(٢) يقول إن الراية سلمت

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ٢١٨.

(٢) البداية والنهاية، ج ٦، ص ٥٥٣.

للزبير بن العوام وهم القسم الثالث.

إن ما ورد في رواية ابن إسحاق لا يمكن قبوله ؛ لأن المعروف أن الإمام علياً كان صاحب راية الرسول في كل حروبه، وقد ورد في رواية الواقدي^(١) أن رايات المهاجرين الثلاث كانت مقسمة على (ثلاث رايات راية الزبير، وراية مع علي (عليه السلام) ، وراية مع سعد بن أبي وقاص)، وهذا يعني أن الإمام علياً كان يحمل راية عند الدخول إلى مكة هذا ما يضعف رواية ابن إسحاق بدفع الراية إلى علي هذا من جانب، ومن جانب آخر أن سعداً كان يحمل راية الأنصار وهذا عرف سائد أن لكل قبيلة أو مجموعة راية لا يجوز أخذها وإخراجها من دائرة تلك القبيلة.

إن رواية الواقدي ومن أيدها في القسم الثاني هي أقرب للواقع؛ لأن سعد ابن عباد زعيم الخزرج ومن زعماء الأنصار البارزين لذلك من غير الممكن أن تدفع الراية لغير الأنصار لاسيما إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يحترم الأعراف القبلية، وقد علل المفيد الأمر بالقول: ((فكان تلافي الفارط من سعد في هذا الأمر بأمر المؤمنين (عليه السلام) ، ولم ير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحداً من المهاجرين والأنصار يصلح لأخذ راية سيد الأنصار سوى أمير المؤمنين (عليه السلام) وعلم أنه لو رام غيره لامتنع عليه سعد))^(٢).

إلا أن هذا الأمر غير كافٍ ؛ لأن منزلة الإمام علي معروفة ومحفوظة ولكن هذه أعراف سائدة في المعارك ولا يمكن مخالفتها في ذلك الوقت؛ لأنها جزء من الاستراتيجية العسكرية المتعارف عليها، أما رأي المفيد فعلى الرغم من وجاهته في

(١) المغازي، ج ٢، ص ٨٠٠.

(٢) المفيد، الارشاد، ج ١، ص ٣٥.

أن الراية لا يصلح لها غير الإمام ولا يحسن حملها مثله، لكن الرسول كان يحافظ على الأعراف ويحترمها كما حدث في معركة أحد حين أعطى الرسول الراية لمصعب بن عمير مراعيًا الأعراف والتقاليد العسكرية السائدة آنذاك.

أما رواية دفع الراية إلى الزبير بن العوام فهذا أيضاً بعيد عن الواقع إذا علمنا أن مصدر الرواية الرئيس هو موسى بن عقبة^(١)، وقد بينا أن موسى بن عقبة خريج المدرسة الزبيرية وتأثر كثيراً بأرائها وحاول أن يسوق تلك المنقبة للزبير بن العوام، علماً أن الزبير أيضاً كان يحمل إحدى رايات المهاجرين عند دخوله إلى مكة.

دور الإمام علي (عليه السلام) في تصفيتة من أهدر دمهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة وكانت الحشود تنساب خلفه إلى أكبر معقل من معاقل الشرك، وتمثلت له في تلك اللحظات وهو على أبواب مكة فصول طوال ذاق فيها الأمرين خلال ثلاثة عشر عاماً وخرج نهايتها مهاجراً يكمن في الكهوف نهاراً ويسير ليلاً خوفاً من القتل^(٢).

وقد ذكر ابن إسحاق في روايته التي نقلها ابن هشام^(٣) ((وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد عهد إلى أمراءه من المسلمين، حين أمرهم أن يدخلوا مكة، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد في نفر سمأهم وأمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن أبي سعد أخو بني عامر بن لؤي، وإنما أمر رسول

(١) ينظر البيهقي، دلائل النبوة، ج ٥، ص ٤٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ٥٥٣.

(٢) الحسيني، سيرة المصطفى، ص ٥٨٦.

(٣) السيرة النبوية، ج ٤، ص ٥١-٥٢-٥٣.

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقتله ؛ لأنه كان أسلمم وكان يكتب لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الوحي، فارتد مشركاً راجعاً إلى قريش، ففر إلى عثمان وكان أخاه للرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة، فاستأمن له، فزعموا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صمت طويلاً، ثم قال: نعم، فلما انصرف عنه عثمان، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لمن حوله من أصحابه: لقد صمتُ ليقوم إليهِ بعضكم فيضرب عنقه، فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إليه يا رسول الله ؟ قال: إن النبي لا يقتل بالإشارة.. قال ابن هشام: ثم أسلم بعد فولاه عمر بن الخطاب بعض المحالة، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر)).

ثم أضاف ابن هشام^(١) أسماءً أخرى منها الحويرث بن نقيذ ؛ وذلك لأنه أذى بنات الرسول فقال: ((وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة يريد المدينة، فنخس بهما الحويرث بن نقيذ فرمى بهما الأرض)). لكن هذا أمر غير مقبول ؛ لأن العباس لا زال مشركاً في مكة أثناء هجرة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كذلك فإن من حمل بنات الرسول إلى المدينة كان الإمام علياً كما بيننا سابقاً ، لكن الرواية حاولت خلق منقبة للعباس بن عبد المطلب الذي أسلم كما هو معروف سنة (٨ - ٦٢٩ م).

ذكر ابن إسحاق أسماءً أخرى مثل سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب، وعكرمة ابن أبي جهل، وكانت سارة ممن تؤذي النبي بمكة، وأما عكرمة فهرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فآمنه، فقتل أغلب هؤلاء على أيدي المسلمين والذي يهمننا من

(١) السيرة النبوية، ج ٤، ص ٥٣ .

هذا أن ابن إسحاق ذكر أن الحويرث بن نفيذ قتل علي يد الإمام علي^(١).

كما ذكر ابن هشام^(٢) كيفية دخول الإمام علي إلى مكة فنقل رواية ابن إسحاق عن سعيد بن أبي هند عن أبي مرة، مولى عقيل بن أبي طالب، عن أم هاني بنت أبي طالب أنها قالت: ((لما نزل رسول الله بأعلى مكة فرإي رجلاً من أمهائي من بني مخزوم، وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي^(٣)) قالت: فدخل علي بن أبي طالب أخي، فقال والله لأقتلنها، فأغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة فيها أثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلى ثمان ركعات من الضحى، ثم انصرف إلي، فقال: مرحباً وأهلاً يا أم هاني، ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي، فقال: قد أجرنا من أجرت، وآمنا من آمنت فلا يقتلها))، قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام^(٤) وزهير بن أمية بن المغيرة^(٥)، وقد أغفل الطبري ذكر رواية ابن إسحاق التي أوردها ابن هشام في السيرة النبوية.

(١) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥١-٥٢-٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٣.

(٣) هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم زوج أم هاني بنت أبي طالب كان كافراً وهرب إلى نجران عند فتح مكة وتوفي هناك كافراً. ينظر ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ٥٦٢، ابن حجر، الاصابة، ج ٨، ص ٣٤٦.

(٤) الحارث بن هشام بن المغيرة، اخو أبي جهل بن هشام شهد بدرًا مع المشركين وأسلم يوم الفتح، وكان من المؤلفات قلوبهم ومات في بلاد الشام بالطاعون. ينظر ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٨١.

(٥) زهير بن أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومي، وكان ممن اعان على نقض الصحيفة ومات ولم يسلم. ينظر البلاذري، جمل أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٢٠٠.

وذكر الواقدي^(١) الرواية بالقول: ((وقالوا: وكانت أم هاني بنت أبي طالب تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي، فلما كان يوم الفتح دخل عليها حموان لها - عبد الله ابن أبي ربيعة المخزومي والحارث بن هشام - فاستجارا بها وقالوا: نحن في جوارك؟ نعم أنتم في جوارني، قالت أم هاني: فهما عندي إذ دخل فارسٌ مدججٌ في الحديد، ولا أعرفه، فقلت له أنا بنت عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). قالت: فكف عني وأسفر عن وجهه فإذا هو علي (عليه السلام) فقلت: أخي! فاعتنقته وسلمت عليه، ونظر إليهما فشهر السيف عليهما فقلت: أخي من بين الناس يصنع بي هذا قالت: وألقيت عليهما ثوباً وقال تجيرين المشركين، وحلت دونهما؟! فقلت: والله لتبدأنَّ بي قبلهما، قالت: فخرج ولم يكد، فأغلقت عليهما بيتاً وقلت لا تخافا.. . قالت: فذهبت إلى خباء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالبطحاء فلم أجده، ووجدت فيه فاطمة فقلت: ماذا لقيت من ابن أُمي علياً؟ أجرتُ حموين لي من المشركين فنفلت عليهما يقتلها، قالت: فكانت أشد علي من زوجها وقالت تجيرين المشركين؟ قالت: إلى أن طلع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليه رهجة الغبار، فقال مرحباً بفاختة أم هاني وعليه ثوب واحد، فقللتُ ماذا لقيت من ابن أُمي علياً؟ ما كدت أنفلت منه أجرتُ حموين لي من المشركين فتفلت عليهما ليقتلها، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما كان ذاك، قد آمننا من آمنتِ، وأجرنا من أجرتِ...)).

وقد أغفل بعض المتأخرين ذكر تلك الرواية منهم ابن الجوزي في المنتظم وابن الأثير في الكامل، أما ابن كثير^(٢) فيورد رواية ابن إسحاق نفسها التي ذكرها ابن

(١) المغازي، ج ٢، ص ٨٢٩-٨٣٠.

(٢) البداية والنهاية، ج ٦، ص ٥٦٥-٥٦٦.

هشام وبالسند نفسه.

أما الملاحظات التي نسجلها على ما ورد في الروايات فيمكن أن نجملها بالنقاط الآتية:

المعلوم أن رسول الله عندما دخل مكة أصدر أمراً للقادة ((أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد في نفر سباهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة...))^(١).

وهذا يعني أن الرسول أصدر عفواً عاماً عن أهل مكة باستثناء بعض الأسماء التي ذكرتها الروايات وقد اختلف في عددهم، فابن هشام ذكر خمسة رجال وثلاث نساء أما الواقدي^(٢)، فذكر ستة رجال وأربع نسوة منهن هند بنت عتبة بن ربيعة، ويتفق البلاذري^(٣) مع ما أورده الواقدي تماماً.

لذلك فأحماء أم هاني كانوا من ضمن المشمولين بالعمفو، إذ لم ترد أسماؤهم من ضمن المطلوبين، وبذلك تسقط فرضية إجارتهم من قبل أم هاني، وقد صرح الرسول بهذا الأمر فقال: ((يا معشر قريش، ويا أهل مكة، ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم، ثم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء))^(٤)، وهؤلاء تنطبق عليهم صفة الطلقاء، وقد وردت رواية أخرى تخالف روايتي ابن إسحاق والواقدي عن زيد بن الحباب عن ابن أبي ذئب عن أبي مرة مولى عقيل بن أبي طالب عن أخته

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٥١.

(٢) المغازي، ج ٢، ص ٨٢٥.

(٣) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٥٧.

(٤) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٣٦.

أم هاني قالت: ((لما كان يوم فتح مكة أجرت حمويين لي من المشركين إذ طلع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليه رهجة غبار في ملحفه متوشحاً بها، فلما رأيته قال: مرحباً بفاختة أم هاني، قلت يا رسول الله: أجرت حمويين لي من المشركين، فقال: أجرنا من أجرت. وآمنا من آمنت.))^(١).

وهذه الرواية أقرب للواقع؛ لأن أوضاع مكة عند الفتح كانت مضطربة وفيها شيء من عدم الاستقرار وهذا أمر طبيعي أن يلجأ هؤلاء حتى وإن سمعوا بعفو الرسول ليطمئنوا أكثر.

أورد ابن إسحاق صورة غير واقعية للإمام علي حيث صورته لنا غليظاً لا يملك أي رحمة إزاء أي شخص حتى ولو كان مختبئاً مستجيراً بأخته، وهذا خلاف أخلاق الإمام علي الذي تميز بالسماحة والرافة.

لكن الشيخ المفيد^(٢) صور الأمر بصورة غير التي ذكرت فيها الروايات فقال: ((وبلغه (عليه السلام) أن أخته أم هاني قد اوت أناساً من بني مخزوم، فقصده (عليه السلام) نحو دارها مقنعاً بالحديد، فنأدى أخرجوا من أويتهم، قال: فجعلوا يذرفون - والله كما تذرف الجباري خوفاً منه - بعد ذلك ينقل الحوار الذي حصل بينه وبين أم هاني وطلبها من الإمام علي أن يتركها وقد التمسته في ذلك إلا أنه أبى وأصر على قتلها إلى أن قالت له: حلفت إلا شكيتك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال لها: اذهبي قسمك إنه بأعلى الوادي))، وإن كانت هذه الرواية فيها تخفيف للصورة وتقليل من وطأة الحدث إلا أنه أبقى في ذهن المتلقي بأن الإمام (عليه السلام) رجل حرب فقط لا يعرف لغة غير ذلك وهذا خلاف للواقع المعروف عن

(١) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج ٦، ص ٣٤١.

(٢) الارشاد، ج ١، ص ١٣٧.

سيرته المباركة.

لا يستبعد أن الرواية التي ذكرها ابن هشام في السيرة غير واقعية وأهدف منها هو الإيحاء بأن الإمام علياً لا يملك غير الغلظة والشدة والعنف على عكس بقية الصحابة، من أجل مقارنته بغيره، فهو كما توحى الرواية يخطئ مثل الآخرين، وتصدر منه أفعال تنم عن عدم اكترائه بما يصدره الرسول من أوامر ومنها إصداره العفو العام عن قريش.

الإمام علي (عليه السلام) ومفتاح الكعبة :

من الوقائع التاريخية التي ذكرها ابن هشام^(١) في السيرة النبوية والتي يكاد يكون فيها منفرداً عن غيره هي قضية مفتاح الكعبة، إذ نقل عن ابن إسحاق روايته التي قال فيها: ((ثم جلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب، ومفتاح الكعبة في يده، فقال يا رسول الله: اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أين عثمان بن طلحة^(٢)؟ فدعي له، فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء.. قال ابن هشام: وذكر سفيان بن عيينة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي: إنما أعطيتكم ما ترزؤون لا ما ترزؤون، إنما أعطيتكم ما تمنون كالسقاية التي تحتاج

(١) السيرة النبوية، ج ٤، ص ٥٥.

(٢) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي العبدي، حاجب البيت الحرام وأحد المهاجرين هاجر مع خالد بن الوليد وعمر ابن العاص إلى المدينة، وقد قتل أبوه يوم أحد مشركاً وأقام مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة وشهد معه فتح مكة ودفع إليه مفتاح الكعبة توفي سنة (٥٤٢ - ٦٦٢ م). ينظر خليفة ابن خياط، طبقات خليفة، ص ٤٤، ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٣٧٣، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٠.

إلى مؤن، أما السدانة فيرزأ لها الناس بالبعث إليها، يعني كسوة البيت)) وقد سكت الطبري في تاريخه عن ذكر تلك الرواية.

أما بقية الرواة والمؤرخين، فقد ذكر الواقدي^(١) أن رسول الله ((أرسل بلالاً إلى عثمان بن طلحة يأتيه بمفتاح الكعبة، فجاء بلال إلى عثمان فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمرك أن تأتي بمفتاح الكعبة. قال عثمان: نعم. فخرج عثمان إلى أمه وهي بنت شيبه، ورجع بلال إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبره أنه قال: نعم، ثم جلس بلال مع الناس، فقال عثمان لأمه والمفتاح يومئذ عندها: يا أمة أعطيني المفتاح فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أرسل الي وأمرني أن أتى به إليه، فقالت أمه: أعيذك بالله أن تكون الذي تذهب مآثر قومه على يديه، قال: فوالله لتدفعنه إلي أو ليأتينك غيري فيأخذه منك. فأدخلته في حُجزتها وقالت: أي رجل يُدخل يده ها هنا؟ فبينما هم على ذلك وهو يكلمها إذ سمعت صوت أبي بكر وعمر في الدار، وعمر رافع صوته حين رأى إبطاء عثمان: يا عثمان اخرج إلي فقالت أمه: يا بني خذ المفتاح فإن تأخذه أنت أحب إلي من أن يأخذه تيم وعدي قال: فأخذه عثمان فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فناوله إياه، فلما ناوله بسط العباس ابن عبد المطلب يده فقال: يا نبي الله، بأبي أنت أجمع لنا الحجابة والسقاية، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أعطيك ما تُرزؤون ولا أعطيك ما تُرزؤون منه...)).

أما ابن عبد البر^(٢) فذكر ((وطاف رسول الله بالكعبة، ودعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة بعد أن مانعته أمه ذلك ثم أصلحته، فدخل النبي البيت ومعه

(١) المغازي، ج ٢، ص ٨٣٣.

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ٢٢٠.

أسامة بن زيد، وبلال بن رباح وعثمان بن طلحة، ولا أحد معهم، فأغلق الباب عليه وصلى داخلها ركعتين، ثم خرج وخرجوا، وردَّ المفتاح إلى عثمان بن طلحة وأبقى له حجابة البيت، وقال: خذوها خالدة تالدة إلى يوم القيامة...))، وذكر ابن الجوزي^(١) وابن كثير^(٢) رواية ابن عبد البر نفسها.

ذكر ابن إسحاق في روايته أن الإمام علياً (عليه السلام) هو الذي طالب بمفتاح الكعبة، وذلك لضم السقاية والحجاجة إلى بني هاشم، أما الواقدي فروى أن الذي طالب بضمها هو العباس بن عبد المطلب. أما من تأخر عنهم فذكر الرواية بعمومياتها دون الدخول في التفاصيل، ونحن بدورنا نناقش ما جاء في الروايات وفقاً لما توفر لدينا من أدلة وقرائن.

لم يقتصر ذكر هذه الرواية على روايات السيرة فقط بل دخلت ضمن تفسير آيات القرآن الكريم، فروى عن ابن عباس أنه قال في تفسير إحدى الآيات: ((فلما فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة أخذ مفتاح الكعبة وهمم بدفعه إلى العباس - فنزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(٣) - فأقره))^(٤)، وذكر الواحدي النيسابوري^(٥) في سبب نزول الآية أنه: ((لما دخل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الفتح، أغلق عثمان الباب وصعد السطح، فطلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، المفتاح فقبل له مع عثمان، فطلب منه فأبى، وقال: لو

(١) المنظم، ج ٣، ص ٣٢٧.

(٢) البداية والنهاية، ج ٦، ص ٥٧٤.

(٣) النساء آية (٥٨).

(٤) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٢٤-٢٥.

(٥) أسباب نزول الآيات، ص ١٠٤.

علمت أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح، فلوى علي بن أبي طالب يده، وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) البيت وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس المفتاح ليجمع له بين السدانة والسقاية، فأنزل الله تعالى الآية، فأمر رسول الله علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر)). وذكر السمعاني^(١) في تفسيره: ((أن رسول الله لما فتح مكة أخذ المفتاح من عثمان بن أبي طلحة وفتح الباب، ودخل الكعبة، فلما خرج قال العباس: بأبي أنت وأمي يا رسول الله اجمع لي السدانة والسقاية فهم رسول الله أن يدفع المفتاح فنزل قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾. فدعا رسول الله عثمان فدفع إليه المفتاح، وقال خذوها يا بني طلحة، خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم)).

وقد أيد جملة من المفسرين^(٢) أن الآية نزلت في العباس بن عبد المطلب لما سأل رسول الله أن يعطيه المفتاح وتجمع له الحجابة والسقاية.

يزاد على ذلك أن هناك قرائن تدل على أن مسألة المفتاح كانت محصورة في العباس بن عبد المطلب، ومن هذه القرائن هي أن السقاية كانت عند العباس بن عبد المطلب قبل فتح مكة وأراد العباس أن تجمع له السقاية والسدانة، وفي هذا الأمر

(١) تفسير السمعاني، ج ١، ص ٤٤٠.

(٢) ينظر الطبرسي، مجمع البيان، ج ٣، ص ١١٣، القرطبي، جامع الأحكام في القرآن، ج ٥، ص ٢٥٦، أبو حيان الاندلسي، تفسير المحيط، ج ٣، ص ٢٨٨، الثعالبي، الجواهر في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٠٤، السيوطي، جلال الدين ت (٩١١هـ - ١٥٠٥م) لباب النقول في أسباب النزول، تصحيح أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت، ص ٦٠، البحراني، السيد هاشم ت (١١٠٧هـ - ١٦٩٥م) البرهان في تفسير القرآن (مؤسسة - قم، د.ت)، ج ٣، ص ٥٧٩.

ذكر الواقدي^(١) أن رسول الله دفع: ((السقاية إلى العباس^(٢)))، فكان العباس يليها دون بني عبد المطلب في الجاهلية وولده من بعده)).

ومن القرائن أيضاً ما ذكره الطوسي^(٣) في تفسيره سبب نزول الآية الكريمة ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾^(٤) حيث خاطب الله تعالى بهذه الآية قوماً جعلوا القيام بسقي الحجيج وعمارَةَ المسجد الحرام من الكفار مع مقامهم على الكفر مساوياً أو أفضل من إيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله، فأخبر الله تعالى أنهما لا يستويان عند الله في الفضل؛ لأن الذي آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله أفضل ممن يسقي الحجيج ولم يجاهد، حيث يروى عن الإمام أبي جعفر وأبي عبد الله (عليه السلام) أن الآية نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) والعباس حيث قال العباس يوم بدر: إن سبقتونا إلى الإسلام وأهجرة لم تسبقونا إلى سقاية الحاج وسدنة البيت،

(١) المغازي، ج ٢، ص ٨٣٣.

(٢) لما صار أمر السقاية والرفادة لبني عبد مناف بن قصي اقترعوا فخرج سهم هاشم فولي ذلك وقام به، فلما مات هاشم بغزة قام بأمر السقاية والرفادة بعده بوصية المطلب بن عبد مناف أخوه ثم لما مات المطلب قام بذلك عبد المطلب بن هاشم ثم ابنه الزبير بن عبد المطلب بن عبد مناف ثم أبو طالب بن عبد مناف، ثم أن أبا طالب امعر (افتقر) وأختلت حاله فعجز عن القيام بأمر السقاية والرفادة فاستلف من أخيه العباس بن عبد المطلب للنفقة على ذلك عشرة آلاف درهم، فلما كان العام المقبل ازداد أبو طالب عجزاً وضعفاً لقلّة ذات اليد فلم تمكنه النفقة ولم يغض العباس ماله، فصارت السقاية والرفادة إليه، وكان للعباس كرم في الطائف يؤتى بزبيبه فينبذ في السقاية. ينظر البلاذري، جمل أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٢٣.

(٣) أبو جعفر محمد بن الحسن ت (٥٤٦٠هـ - م)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد بن حبيب العاملي (مطبعة مكتب الاعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ)، ج ٥، ص ١٩٠.

(٤) سورة التوبة، آية (١٩).

فأنزل الله تعالى الآية الكريمة الواردة في أعلاه.

وهذه قرينة دالة على أن العباس كان صاحب السقاية قبل الفتح وهذا ما أيده أيضاً جمع من المفسرين^(١).

إن رواية ابن إسحاق التي أوردها ابن هشام فيها مجانبة للحقيقة وضعف كبير حيث ضعفها رواية الواقدي التي استندت الى أدلة وقرائن أكثر واقعية مما أورد ابن هشام ويمكن اعتبار ذلك فيه مجاملة للعباسيين - لا سيما إن ابن إسحاق كتب السيرة للمنصور العباسي كما قدمنا ، فنسب هذا الأمر للإمام علي حتى تصرف الأنظار عن فعل العباس بن عبد المطلب وتلميع صورته، وهذا أمر طبيعي أن يصدر عن ابن إسحاق، فهو الذي روى قضية أسر العباس يوم بدر بطريقة حاول فيها التخفيف من وطىء هذه المشاركة المخزية، فجعله في روايته مغلوباً على أمره وأنه جاء مضطراً.

وهذا ينطبق على ابن هشام نفسه الذي روى أن العباس هاجر إلى النبي على عكس كل الروايات التي ذكرت أنه من مسلمي الفتح، فروى أنه التقى برسول الله في منطقة الحجفة^(٢) عندما كان الرسول متوجهاً لفتح مكة: ((وقد كان العباس بن

(١) ينظر مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج٢، ص٤٠، الصنعاني، تفسير القرآن، ج٢، ص٢٦٨، الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج١٠، ص١٢٢، النحاس، أبو جعفر، ت (٣٣٨هـ - ٩٤٦م)، معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، (السعودية - جامعة أم القرى - ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)، ج٣، ص١٩٢، الثعلبي، الكشف والبيان في تفسير القرآن، ج٥، ص٢٠، الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ج١، ص٢٢٠، البغوي، معالم التنزيل في القرآن الكريم، ج٢، ص٢٧٥، الفخر الرازي، تفسير الرازي، ج٣٢، ص٧٦.

(٢) الحجفة: وهي قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة على اربع مراحل وسميت بالحجفة لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الاعوام وبينها وبين المدينة ست مراحل. ينظر الحموي،

عبد المطلب لقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالحجفة مهاجراً بعياله، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنه راضٍ^(١).

معجم البلدان، ج ٢، ص ١١١.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤٢.

المبحث الثاني

الإمام علي (عليه السلام) بعد فتح مكة

الإمام علي (عليه السلام) يتوب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في صلح بني جذيمة^(١) :

بعد أن تم الفتح اقام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في مكة، وبعث إلى ما حولها سرايا تدعو إلى الله عز وجل ولم يأمرهم بقتال^(٢)، فذكرت المصادر التاريخية^(٣) أنه بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام غير مقاتل. ومعه قبائل من العرب؛ سليم ومذحج، وقبائل من غيرهم^(٤)، وكان عددهم ثلاثمائة وخمسين رجلاً فانتهى إليهم بأسفل مكة وقد أخبر بني جذيمة بقدوم خالد ومعه المسلمون، ولما وصل إليهم خالد بن الوليد وطلب منهم الإسلام قالوا له: نحن مسلمون صلينا وبنينا المساجد^(٥).

(١) بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة وكانوا بأسفل مكة على ليلة منها. ينظر المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين ت (٣٤٦هـ - ٩٥٧م) التنبيه والاشراق (دار صعب - بيروت، د.ت) ص ٢٣٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٧٠.

(٣) الواقدي، المغازي النبوية، ج ٣، ص ٨٧٥، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٧١، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٤٠.

(٤) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٤٠.

(٥) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٨٧٥.

وقد نقل ابن هشام^(١) رواية ابن إسحاق التي تتحدث عن هذا الأمر فقال: ((حدثني أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم: ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد والله ما بعد وضع السلاح إلا الأسار، وما بعد الأسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. قال: فأخذه رجال من قومه فقالوا يا جحدم، أتريد أن تُسفك دماؤنا؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح، ووضع الحرب، وآمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ووضع القوم السلاح لقول خالد...)).

ثم يكمل ابن إسحاق روايته عن حكيم بن حكيم عن أبي جعفر محمد بن علي قال: ((فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك، فكتفوا، ثم عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رفع يديه إلى السماء ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد)).

وقد ذكرت بعض المصادر أن هناك ثأراً بين خالد بن الوليد وبني جذيمة في الجاهلية^(٢).

(١) السيرة النبوية، ج ٤، ص ٧١.

(٢) كان الفاكه بن المغيرة - عم خالد بن الوليد - وعوف بن عبد عوف وعفان بن أبي العاص وابنه عثمان وكذلك عبد الرحمن بن عوف كانوا قد خرجوا تجاراً إلى اليمن، فلما اقبلوا حملوا معهم مال رجل من بني جذيمة توفي في اليمن إلى ورثته، فادعاه رجلٌ منهم يقال له خالد بن هشام ولقيهم بأرض بني جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت فطلبه منهم فأبوا عليه، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذه، فقتل عوف والفاكه، ونجا عفان وابنه عثمان وعبد الرحمن ابن عوف وأصابوا مال الفاكه ومال عوف بن عبد عوف، وكان عبد الرحمن قد أصاب خالد ابن هاشم قاتل أبيه وحدث بين قريش وبني جذيمة صراع أدى بعد ذلك إلى الصلح ووضعت الحرب أوزارها. ينظر البغدادي، محمد بن حبيب، ت (٢٤٥ - ٨٥٩م) المنمق، تصحيح خورشيد أحمد فاروق (د.م.ط) ص ١٤٢-١٤٣.

إلا أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولغرض إصلاح الأمر ورأب الصدع أرسل علي بن أبي طالب لغرض الإنابة عنه ودفع دية من قتل خالد، فنقل ابن هشام^(١) رواية ابن إسحاق عن حكيم بن حكيم عن محمد بن علي فقال: ((ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال يا علي: اخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك، فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال، حتى أتته ليدي لهم مليغة الكلب - شيء يحفر في الخشب ويجعل ليلغ فيه الكلب - حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا أداه، بقيت معه بقية من المال، فقال لهم علي (عليه السلام) حين فرغ منهم: هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يؤدكم؟ قالوا: لا، قال فإني أعطيك هذه البقية من هذا المال، احتياطاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مما لا يعلم ولا تعلمون ففعل، ثم رجع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأخبره الخبر، فقال: أصبت وأحسن...))، وقد ذكر الطبري^(٢) في تاريخه والبيهقي^(٣) في دلائل النبوة رواية ابن إسحاق نفسها، كذلك فعل المؤرخون المتأخرون^(٤).

أما بقية الرواة فالواقدي^(٥) ذكر تفاصيل رواية ابن إسحاق نفسها فيما يخص

(١) السيرة النبوية، ج ٤، ص ٧٢.

(٢) تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٤٠.

(٣) دلائل النبوة، ج ٥، ص ١١٤.

(٤) ابن الجوزي، المنظم، ج ٣، ص ٣٣١، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١، ص ٥٦٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٢٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ٦٠٠، ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج ٢، ص ٢٥٠.

(٥) المغازي، ج ٣، ص ٨٨٢.

بعث الإمام علي بن أبي طالب لإصلاح أمر بني جذيمة بعد أن قتل خالد رجالهم ولكن باختلاف بسيط في الألفاظ لا يؤثر على معنى الرواية العام.

أما ابن عبد البر^(١) فذكر بعد أن قتل خالد بن الوليد رجال بني جذيمة: ((بعث علي بن أبي طالب (عليه السلام) بمال إليهم، فودى لهم جميع قتلاهم ورد إليهم ما أخذ منهم وقال لهم علي: انظروا إن فقدتم عقلاً لأديتته، فبهذا أمرني رسول الله)).

من خلال ما أوردنا أعلاه يمكن ملاحظة ما يلي:

نقلت لنا الرواية التي ذكرها ابن هشام صورة أخرى للإمام علي زيادة على صور جهاده في سبيل الإسلام، وهذه الصورة هي أنه كان نائباً وممثلاً عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لإصلاح ما أفسده خالد بن الوليد، فكان اختيار الإمام علي بن أبي طالب دون غيره لهذه المهمة هو لقربه من الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) لمراعاة الأعراف القبلية السائدة في الجزيرة العربية آنذاك التي تقضي بأن إبرام العهود ونقضها وكذلك دفع الديات يتولاها الشخص نفسه أو من يمثله من أسرته فلذلك بعث علياً (عليه السلام) لكي يشعر ذوو القتلى بأهميتهم وقيمتهم لدى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢).

لقد لقي تصرف الإمام علي (عليه السلام) وحسن أدائه للمهمة الموكلة إليه استحسان الرسول، في المقابل تبرأ الرسول من عمل خالد والأخطاء التي ارتكبها، وقد حاول البعض أن يجد تبريراً لعمل خالد بقوله: ((لما بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ٢٢٢.

(٢) الشرهاني، سياسة الرسول في أخبار قادة السرايا، ص ١٣٥.

صبأنا فجعل خالد يقتل منهم ويأسر))^(١).

وهذا تبرير واهٍ لأن شخصاً بمركز خالد بن الوليد لا بدَّ له قبل الإقدام على قتل أي إنسان أن يتثبت قبل أن يريق دماء الناس ويسبي النساء، والدين لا يقوم على الأهواء الشخصية والرغبات الخاصة أو الثارات القديمة فكلمة صبأنا إن صحَّ قالها القوم فهي معروفة لدى خالد بن الوليد الذي نعت المسلمين كثيراً بذلك عندما كان مع مشركي قريش.

الإمام علي (عليه السلام) في غزوة حنين^(٢) :

عندما سمعت هوازن بانتصار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وجيشه وتحقيق الفتح^(٣)، اجتمعت رجالات هوازن وثقيف وحشدوا الحشود وقالوا: ((والله ما لقي محمد قوماً يحسنون القتال فأجمعوا أمرهم وسيروا إليه قبل أن يسير إليكم))^(٤). وكانوا قد أجمعوا قبل ذلك حين سمعوا بخروج الرسول من المدينة وكانوا يظنون أنه يريدهم ولكن عندما عرفوا وجهته إلى مكة، وما حققه من نصر أغاظهم وبدأوا يفكرون بالخروج إليه قبل أن يخرج إليهم لذلك أعدوا العدة وخرجوا بجيش كبير معهم النساء والصبيان والأموال وأقبلت معهم ثقيف حتى نزلوا حنين^(٥).

(١) البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٠٦، وينظر البيهقي، أحمد بن الحسين، ت (٥٨٠هـ - ٩٣٣م)، السنن الكبرى، (دار الفكر - بيروت، د.ت)، ج ٩، ص ١١٥.

(٢) حنين وإد قريش من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً ينظر، البكري الاندلسي، معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٤٧١.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٨٠.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٨٨٥.

(٥) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٤٢.

وخرج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم في اثني عشر ألفاً من المسلمين، عشرة آلاف من أهل المدينة، وألفين من أهل مكة، فلما اتجه بجيشه نحو حنين قال رجلٌ من أصحابه: ((لو لقينا بني شيبان ما بالينا وما يغلبنا اليوم أحد من قلة فأنزل الله تعالى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾^(١))).^(٢).

وقد نقل ابن هشام^(٣) تفاصيل تلك المعركة على شكل روايات متسلسلة فروى عن ابن إسحاق قوله: ((وفيمن ثبت من المهاجرين أبو بكر وعمر ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه الفضل ابن العباس، وربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن أم أيمن بن عبيد، قتل يومئذ...)).

ونقل أيضاً عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر ابن عبد الله قال: ((رجل من هوازن على جمل أحمر، بيده راية سوداء، في رأس رمح له طويل أمام هوازن وهوازن خلفه، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه...)).

ثم يكمل عن ابن إسحاق عن الزهري عن كثير بن العباس عن أبيه العباس ابن عبد المطلب: ((إني لمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ بغلته البيضاء قد شجرتها بها، قال: وكنت امرءاً جسيماً شديد الصوت، قال: ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول حين رأى من الناس: أين أيها الناس؟ فلم أرَ الناس يلوون

(١) سورة التوبة، آية (٢٥).

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٨٩٠.

(٣) السيرة النبوية، ج ٤، ص ٨٥-٨٦-٨٧، ولتفاصيل أكثر حول المعركة ومجرياتها ينظر الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٨٨٩-٨٩٠-٨٩١، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٤٣-٤٤-٤٥.

على شيء، فقال يا عباس: اصرخ يا معشر الأنصار: يا معشر أصحاب السمرة قال فأجابوا لييك، لييك، قال: فيذهب الرجل ليثني بعيره، فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه، فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه، ويقتحم عن بعيره، ويخلي سبيله، فيؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). حتى إذا اجتمعوا إليه منهم مئة، استقبلوا الناس، واقتلوا، وكانت الدعوة أول ما كانت: يا للانصار. ثم خلصت أخيراً: يا للخزرج. وكانوا صبراً عند الحرب، فأشرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ركائبه، فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون، فقال الآن همي الوطيس..))

وينقل ابن هشام^(١) عن ابن إسحاق روايته عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال: ((بينما ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جمل يصنع ما يصنع إذ هوى له علي بن أبي طالب (عليه السلام) ورجل من الأنصار يريدانه قال: فيأتيه علي بن أبي طالب من خلفه، فضرب عرقوبي الجمل، فوقع على عجزه، ووثب الأنصاري على الرجل، فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه، فانجف عن رحله، قال: واجتلد الناس، فو الله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسرى مكتفين عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)).

وقد أورد الطبري^(٢) والبيهقي^(٣) رواية ابن إسحاق نفسها، أما الواقدي^(٤) فذكر:

(١) السيرة النبوية، ج ٤، ص ٨٧.

(٢) تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٤٤-٤٥.

(٣) دلائل النبوة، ج ٥، ص.

(٤) المغازي، ج ٣، ص ٩٠٠-٩٠١-٩٠٢.

((وعبأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابه وصفهم صفوفاً في السحر ووضع الألوية والرايات في أهلها، مع المهاجرين لواء يحملها علي بن أبي طالب (عليه السلام) وراية يحملها سعد بن أبي وقاص، وراية يحملها عمر بن الخطاب وفي الأنصار رايات.. قالوا: فلما انكشف الناس انحاز الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات اليمين وهو واقف على دابته ولم ينزل، إلا أنه جرد سيفه وطرح غمده وبقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته العباس وعلي، والفضل بن العباس وأبي سفيان بن الحارث، وأيمن بن أم أيمن ابن عبيد الخزرجي، وأسامة بن زيد، وأبي بكر، وعمر عليهم السلام. قالوا: وكان رجل من هوازن على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام الناس إذا أدرك طعن، قد أكثر في المسلمين القتل، فصمد له أبو دجانة فعرقب جملة. فسمع خرخرة^(١) جملة واكتسح الجمل. وشد علي وأبو دجانة عليه، فقطع علي يده اليمنى وقطع أبو دجانة يده الأخرى وأقبلا يضربانه بسيفيهما جميعاً حتى تثلم سيفاهما فكف أحدهما وأجهز الآخر عليه..)).

وذكر البلاذري^(٢) رواية مقتضبة ليس فيها أي تفاصيل يبين فيها انهزام المسلمين وثبات ثلة قليلة في الميدان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنهم علي بن أبي طالب. أما رواية اليعقوبي^(٣) فهي: ((ومضى علي بن أبي طالب إلى صاحب راية هوازن فقتله وكانت الهزيمة وقتل من هوازن خلق عظيم)). وهذه الرواية على

(١) خرخرة: وهو الصوت الذي ينبعث نتيجة سيل الدم الكثير. ينظر الفراهيدي، العين، ج ٤، ص ١٣٩.

(٢) أنساب الأشراف، ج ١، ص.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤١.

الرغم من أنها مقتضبة إلا أنها أوجزت الأمر بشكل جيد حيث أشارت إلى أن قتل صاحب الراية كان مفتاح النصر، وهكذا وردت الروايات من المتقدمين حول معركة هوازن إلا أن الأمر يحتاج إلى وقفة لغرض بيان ذلك:

اتفق أغلب الرواة على أن الإمام علياً هو من ثبتت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، في حين فر المسلمون في بداية المعركة وعلى الرغم من اختلافهم في بقية الأسماء وهذا الأمر أصبح شبه متواتر حيث لم يقتصر على من تقدم من الرواة؛ لأن المؤرخين المتأخرين^(١) تناقلوه أيضاً ولا تجد أحداً من أصحاب السير يتجاوز هذا الأمر عندما يمر على معركة حنين.

إن رواية ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام حول معركة حنين وإن كانت متسلسلة في نقل الأحداث إلا أننا نلاحظ أن هناك قطعاً واضحاً في سير الأحداث حيث إنه لم يستمر في إيراد التفاصيل بعد أن أقدم الإمام علي على قتل حامل راية هوازن، ولكن عند النظر إلى ما نقله النعمان المغربي^(٢) يصبح الأمر أكثر وضوحاً: ((ونظر علي صلوات الله عليه وهو يجالذ بين يدي رسول الله صلوات الله عليه وآله ويذب عنه إلى صاحب لواء المشركين وهو من هوازن على جمل والراية معه وهو يطعن بها في المسلمين وقد تضايقوا في وعرهم^(٣) منهزمين، فأهوى علي صلوات الله عليه إلى صاحب الراية من خلفه فضرب عرقوب جملة بالسيف فقتله، فصار حداً والجمل حداً بين المسلمين والمشركين، ونادى العباس - بأعلى صوته - يا معشر

(١) المفيد، الارشاد، ج ١، ص ١٤٠، ابن الجوزي، المنظم، ج ٣، ص ٣٣٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ،

ج ٢، ص ١٣٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ١٥، ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج ٢، ص ٢٥٤

(٢) شرح الأخبار، ج ١، ص ٣١٤.

(٣) وعرهم: مقصود شأنهم، ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٥٥٨.

المسلمين، يا معشر المهاجرين والأنصار يا أصحاب الشجرة ويا أهل بيعة الرضوان هلموا إلى نبيكم...))، فقد نقل لنا الدور البارز والمميز للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكونه كان مفتاحاً لنصر المسلمين بعد أن قتل حامل راية المشركين وهذا ما أيده المفيد^(١): ((وأقبل رجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء، على رأس رمح طويل أمام القوم إذا أدرك ظفراً من المسلمين أكب عليهم، وإذا فاته الناس رفعه لمن ورائه من المشركين فاتبعوه وهو يرتجز ويقول:

أنا أبو جرول لا أبرح حتى نبيح القوم أو نباح

فصمد له أمير المؤمنين (عليه السلام) فضرب عجز بعيره فصرعه، ثم ضربه فقطره، ثم قال:

قد علم القوم لدى الصباح أي في الهيجاء ذو نصاح

فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول لعنه الله)).

والغريب في الأمر أن ابن هشام لم ينقل تفاصيل الأحداث في هذا المورد بدقة لتكتمل صورة الحدث لدى القارئ وإنما ترك الأمور بلا نهايات وبذلك تكون صورة الحدث بها شيء كبير من الضبابية، وقد لاحظنا أنه أشرك شخصاً آخر من الأنصار مع الإمام علي في قتل حامل الراية، من دون أن يصرح باسمه، بينما ذكر الواقدي اسم ذلك الأنصاري وهو أبو دجانة، وإن كنا لا نريد الاستغراق كثيراً في هذا الموضوع، لكن الذي يبدو أن هناك منهجاً عند هؤلاء الرواة في إضافة أسماء أخرى لكل عمل بطولي يقوم به الإمام علي لسرقة جهوده وتحويل ذهنية القارئ

(١) الارشاد، ج ١، ص ١٤٢-١٤٣.

إلى أشخاص آخرين ، وقد لخص النعمان المغربي^(١) حقيقة ما جرى في حنين وما قام به الإمام علي فيها بالقول: ((ولما أصيب صاحب لواء المشركين ولم يقدرُوا على أن يقيموا غيره مكانه انحل نظامهم واضطربوا وضرب الله عز وجل في وجوههم وأيد رسول الله بجنود لم تروها كما أخبرنا سبحانه، فما رجع آخر الناس من الهزيمة إلا والأسارى بين يدي رسول الله مكتوفين والغنائم قد حيزت. وكان من علي صلوات الله عليه يومئذ من البلاء ما لم يكن لأحد مثله...)).

عند التمعن في رواية ابن إسحاق التي أوردها ابن هشام يتبادر إلى الذهن ان المنهزمين من المسلمين إنما عادوا عند سماعهم صوت العباس بن عبد المطلب وكأن الراوي يريد من ذلك الإيحاء بأن من ساهم في عودة المسلمين إلى القتال هو العباس بن عبد المطلب ودوره المميز في المناداة، وهذا خلاف الواقع لأنه قال في روايته ان سبب الهزيمة انهم اصطدموا بقوة المشركين، فدب الخوف والذعر في نفوسهم، وهذا الخوف لا يبدده الا عمل عسكري يقلب الموازين كي يعودوا بمعنويات قتالية عالية وهذا ما حصل بعد اقدام الإمام علي على قتل أبي جرول حامل راية المشركين إلا أن مناداة العباس حصلت بعد أن رأى ان الأمور تسير لصالح المسلمين وان مجرى المعركة قد تغير من هزيمة إلى نصر، فكانت عودة المسلمين للقتال بعد أن تعززت ثقتهم بالنصر مما حفز لديهم الارادة بمواصلة القتال وإلا مناداة العباس من دون أن يسبقها عمل عسكري لا فائدة منها.

وهكذا تعودنا عند ملاحظة روايات سيرة ابن هشام بأن الرواية التي تخص الإمام علياً وفيها منقبة له يشرك بها غيره أو تغير الفاظها بحيث تفرغ من محتواها أو تقطع ولا تذكر فيها.

(١) شرح الأخبار، ج ١، ص ٣١٤.

غزوة تبوك:

بعد أن عاد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) من فتح مكة أقام في المدينة ما بين ذي الحجة ورجب من سنة تسع للهجرة، أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمن عسرة الناس وشدة الحر، وجذب من البلاد^(١)، وقد بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى القبائل وإلى مكة يستنفرهم إلى غزوهم، وقد حض الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المسلمين على القتال والجهاد وأمرهم بالصدقات، فحملوا صدقات كثيرة^(٢).

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قلماً يخرج في غزوة ويخبر عنها، حيث انه يخبر غير الوجهة التي يتوجه إليها وهي جزء من الاستراتيجية العسكرية التي يتبعها في غزواته، ألا غزوة تبوك، فإنه بينها للناس وأمرهم بالتهيؤ لها وذلك لبعده المسافة وشدة الزمان وكثرة العدو واخبرهم أنه يريد غزو الروم^(٣).

وهذا يعني ان هذه الغزوة ليس ككل الغزوات لبعده المسافة والوقت الذي تحتاجه والابتعاد عن المدينة وقوة العدو، وقد تخلف عن الجيش في هذه الغزوة كثير من المنافقين الذين أخذوا بطريقة وأخرى يثبطون همم المسلمين ويدعونهم إلى التقاعس فذكر ابن هشام^(٤) في السيرة: (فبعث إليهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه، وأمر أن يحرق عليهم بيت سويلم^(٥)، ففعل طلحة).

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٥٩.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٩٥.

(٣) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٦١.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٦٠.

(٥) وهو البيت الذي يجتمع به المنافقون ويعود إلى أحد اليهود يدعى سويلم. ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٦٠.

الأمر الذي يدفعنا إلى القول ان هناك خطراً حقيقياً يهدد المدينة في حالة خروج الرسول عنها ولا بدّ له (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يجد علاجاً ناجعاً ومطمئناً له في حال خروجه وسفوره في تلك الغزوة، لذلك كان بحاجة إلى شخص يسد مسده في المدينة، فاختار الإمام علياً (عليه السلام) ليقوم مقامه.

وذكر ابن هشام^(١) في هذا الباب أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) استعمل: (على المدينة محمد بن سلمة وفي رواية أخرى عن عبد العزيز الدرأوردي سباع بن عرفطة)، ثم نقل عن ابن إسحاق قوله: ((فلما سار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تخلف عنه عبد الله بن أبي، فيمن تخلف من المنافقين واهل الريب، وخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب (عليه السلام) على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلفه الا استثقلاً له، وتخففاً منه، فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب (عليه السلام) سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو نازل بالجرف^(٢)، فقال يا نبي الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني إنك استثقلتني وتخفت مني، فقال كذبوا، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي، فرجع إلى المدينة ومضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على سفوره^(٣))).

(١) السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٦٣.

(٢) الجرف: وهو المكان الذي يعسكر به المسلمون إذا أرادوا الخروج إلى القتال أو الغزو وهو على بعد ميل عنها. ينظر البكري الاندلسي، معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٣٧٦.

(٣) السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٦٤.

وأورد الطبري^(١) رواية ابن إسحاق نفسها إلا أنه زاد عليها: (وخلف رسول الله علي بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة، اخا بني غفار).

وأغفل الواقدي ذكر حادثة الاستخلاف فيما ذكر ابن سعد^(٢): (واستخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على المدينة محمد بن مسلمة وهو أثبت عندنا ممن قال استخلف غيره).

أما البلاذري^(٣) فنقل عن أبي نعيم الفضل بن دكين، عن الفضل بن مرزوق، عن عطية بن أبي سعد قال: (غزا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تبوك وخلف علياً في أهله فقال بعض الناس ما منعه من أن يخرج إلا أن كره صحبته فبلغ ذلك علياً فذكره للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)).

وروى النسائي^(٤) هذه الرواية عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال: (قال لما غزا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غزوة تبوك خلف علياً بالمدينة فقالوا فيه مله وكره صحبته فتبع علي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى لحقه بالطريق فقال يا رسول الله خلفتني بالمدينة مع الذراري والنساء حتى قالوا مله وكره صحبته فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إنما خلفتك على أهلي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي).

(١) تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٦٢.

(٢) الطبقات، ج ٢، ص ١٥١.

(٣) جمل من أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٤٨.

(٤) فضائل الصحابة، ص ١٣.

وذكر ابن عبد البر^(١) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج ((و ضرب
عسكره على باب المدينة، واستعمل عليها محمد بن مسلمة، وقيل سباع بن عرفطة
وقيل بل خلف عليها علي بن أبي طالب وهو الأثبت: إن رسول الله (صلى الله عليه
وآله وسلم) خلف علياً في غزوة تبوك، فقال المنافقون: استثقله، فذكر ذلك علياً إلى
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . فقال: كذبوا، إنها خلفتك لما تركت ورائي،
فارجع، فاخلفني في أهلي وأهلك، فأنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي
بعدي.)).

أما من تاخر من المؤرخين^(٢) فذكر رواية ابن إسحاق نفسها بأن الرسول الأكرم
استخلف علياً (عليه السلام) على أهله ولم يستخلفه على المدينة.

ومن خلال هذا الاستعراض لما جاء في الروايات تبين أن هناك رأيان، الأول ذكره
ابن هشام وهو أن محمد بن مسلمة كان هو المستخلف على المدينة والإمام علياً على
أهله، والثاني الذي ذكره قتادة عن سعد بن أبي وقاص في استخلاف الإمام علي على
المدينة عامة، ونحن بدورنا نميل إلى الرأي الثاني وذلك لعدة أسباب:

لم يحدثنا التاريخ وأصحاب السير أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي
أي من غزواته أو خروجه من المدينة استخلف أحداً على أهله واستخلف آخر لإدارة
شؤون المدينة إنما دائماً يستخلف أحد أصحابه للقيام بتلك المهمة.

أراد الراوي من خلال روايته أن يبرز مسألة مهمة وهي أن الإمام علياً (عليه

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ٢٣٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ١٥٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ١٥٥، ابن سيد الناس،
عيون الاثر، ج ٢، ص ٢٩٤.

السلام) لم يكن بمستوى الأهلية لإدارة شؤون المدينة بعد غياب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو في هذه الحالة يذهب مع ما ذهب إليه منافقو المدينة الذين تكلموا بحق الإمام علي كلاماً غير لائق بمقامه الشريف وهو بذلك يمهد إلى أن الإمام علياً غير مؤهل لخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

المكانة السامية للإمام علي وبروزه في كل الحروب كشخصية قتالية فذة لا يمكن لأي قائد أن يستغني عن إمكانيات كهذه، وكل الحروب والغزوات التي خاضها المسلمون شاهد على ذلك، والذي نقل روايات السيرة كان يعلم قدرة الإمام علي وإمكانياته التي لا يمكن التفريط بها إطلاقاً، ومع كل هذه الإمكانيات لم يصحبه الرسول الأعظم معه إلى تبوك واستخلفه على المدينة، وهذا يعني أن بقاءه في المدينة كان أهم من الذهاب مع الحملة، وذلك لما يتمتع به من قدرة على القيادة وخلافة الرسول.

وبناءً على ما تقدم فإن بعد المسافة بين تبوك وبين المدينة التي كانت تستدعي بقاء الرسول الأكرم وجنده فترة طويلة خارج المدينة، ومع وجود المنافقين في المدينة وتخلفهم عن اللحاق بالحملة ومحاولاتهم زعزعة أمن المدينة وعلى رأسهم عبد الله بن أبي، فكان لابد للرسول أن يطمئن على الوضع العام في المدينة، وبما أنه كان قائد الحملة إلى تبوك لذلك كان الوضع يفرض اختيار شخص على مستوى عالٍ جداً من الإخلاص والكفاءة ويخشاه المنافقون ولا يجروؤا على أي عمل بوجوده، لذلك روي عن الرسول قوله: ((يا علي إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك))^(١)، ويؤيد ما قدمناه أن المنافقين عندما علموا باستخلافه حسدوه وعظم عليهم مقامه بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلموا أنه لم يغيب إذا حضرها، وأنه لا مطمع للعدو

(١) المفيد، الارشاد، ج ١، ص ١٥٥، الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٢، ص ٣٣٧.

فيها بوجوده^(١).

وحادثة الاستخلاف لم تكن حدثاً عابراً في تاريخ المسلمين بل ارتبطت بقول عظيم صدر من الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بحق الإمام علي (عليه السلام): ((ألا ترضى بأن تكون مني بمنزلة هارون من موسى...))^(٢)، وهذه قرينة مهمة فمنزلة هارون من موسى والذي أنزل الله فيها قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿وَنَذُكْرَكَ كَثِيرًا﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾^(٣)، فقوله تعالى أثبت لهارون شراكة موسى في النبوة ووزارته على تأدية الرسالة وشد الأزر به في النصره، وقال في استخلافه له ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٤)، فثبت له بخلافته بحكم التنزيل فلما جعل رسول (صلى الله عليه

(١) المفيد، الارشاد، ج ١، ص ١٥٥.

(٢) الطيالسي، سليمان بن داوود، ت (٢٠٤هـ - ٨١٩م)، مسند أبي داود الطيالسي (دار المعرفة - بيروت، د.ت)، ص ٢٨. ينظر الصنعاني، المصنف، ج ٥، ص ٤٠٥، أبو جعفر الإسكافي، محمد بن عبد الله المغازلي ت (٢٤٠هـ - ٨٥٤م)، المعيار والموازنة في فضائل الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، تحقيق محمد باقر المحمودي (د.م)، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م)، ص ٧٠، مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٢٠، الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٠٤، أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى، ج ١، ص ٢٨٥، النسائي، خصائص أمير المؤمنين، ص ٧٦، القمي، تفسير القمي، ج ١، ص ٢٩٢ وفي الحديث زيادة - (أنت خليفتي في امتي وأنت وزير في الدنيا والآخرة) - الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص ٦٦، الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٢، ص ٣٣٧، ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضائله (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٨هـ)، ج ١، ص ١١٢، البيهقي، السنن الكبرى، ج ٩، ص ٤٠، الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١١٠.

(٣) سورة طه: من آية ٢٩ إلى آية ٣٥.

(٤) سورة الاعراف، آية ١٤٢.

وآله وسلم) لأmir المؤمنين (عليه السلام) جميع منازل هارون من موسى في الحكم منه إلا النبوة، ووجبت له وزارة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشد الأزر بالنصر^(١)، فإن خلافة علي (عليه السلام) للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا المورد ليس كما يدعي البعض من أصحاب السير إنما مقتصرة في الأهل وإنما هنا بحسب ما تقتضي القرينة خلافة في كل شيء، وهذا المراد من الموضوع فقد كانت خلافة علي (عليه السلام) للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كخلافة موسى في قومه لها نفس المقومات والامتيازات الدينية والنبوية.

وما قدمناه يتناقض تماماً مع ما ذهب إليه ابن هشام وغيره من أن الاستخلاف كان مجرد لمسألة آنية في الأهل لغرض دفع الضرر عنهم. إن تولية الإمام علي للأمر بعد الرسول والخلافة له لم تكن مقتصرة على مكان معين ووقت معين بل هي مطلقة ((ولاه الله الأمر بعد محمد في حياته حين خلفه في المدينة، فأمر الله العباد بطاعته وترك خلافة))^(٢).

لقد أورد ابن هشام في روايته أن الرسول استخلف على المدينة محمد بن مسلمة أو سباع بن عرفطة، ولم يعتمد على رواية ابن إسحاق التي لمح فيها إلى أن هناك خطراً كبيراً كان يهدد المدينة، إضافة إلى ردة فعل المنافقين من بقاء الإمام علي (عليه السلام) بالمدينة كأنه ضرب لمصالحهم ولمخططاتهم، كذلك فإن ابن إسحاق لم يذكر من استخلفه الرسول على المدينة بل ذكر استخلاف الإمام علي (عليه السلام) على أهله، وفي السياق نفسه ذكر قضية المنافقين، ولا يستبعد أن يكون هناك تحريف في رواية الاستخلاف على المدينة سواء أكان ابن إسحاق الذي قام بذلك الفعل إرضاءً

(١) المفيد، تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ١٩٠.

(٢) الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٩٠.

للمنصور العباسي أم ابن هشام الذي هذب سيرته.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن هشام تعامل مع مناقب أمير المؤمنين بصورة ممنهجة، فكان لا يجد منقبة له إلا حشر معه اسماً آخر من الصحابة، وإن وجد له منقبتين قسمهما بينه وبين غيره ومثال ذلك ما رواه عن فتح خيبر حيث لم يحتمل أصحاب السير أن يجمعوا لعلي بن أبي طالب منقبة الفتح وقول الرسول في ذلك مقولته المشهورة وبين مقتل قائد الحصن مرحب، فذكر ابن هشام وغيره أن من قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة، وهذا ينطبق على روايات معركة تبوك التي نتحدث عنها، إذ برز اسم محمد بن مسلمة مرة أخرى كخليفة للرسول على المدينة، ويبدو أن الراوي أراد إفراغ منقبة حديث المنزلة من محتواها الذي أريد له وجعله حدثاً طبيعياً لغرض إرضاء علي بن أبي طالب عندما خلفه الرسول على المدينة أو على أهله كما ذكروا.

إلا أن قضية البروز الدائم لمحمد بن مسلمة في واجهة الأحداث عندما تكون هناك منقبة لعلي بن أبي طالب، لم نعثر على تفسير حقيقي لها إلا أننا وجدنا أن مروان ابن الحكم قد صلى عليه عند وفاته^(١)، وهذا يعني هناك رضا من قبل الأمويين على تلك الشخصية، وربما استغلت مكانة هذا الصحابي الأنصاري لتمير ما أرادوا من محو مناقب الإمام علي.

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٠٩.

تبليغ سورة براءة^(١) في الحج:

بعد غزوة تبوك وعودة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة، أقام شهر رمضان وشوال وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج سنة (٥٩ - ٦٣٠ م) ليقوم للمسلمين حجهم^(٢)، فخرج في ثلاثمئة من المدينة قاصدين مكة وبعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عشرين بدنة، وساق أبو بكر عنه خمسة بدنان^(٣)، والناس من أهل الشرك على منازل حجهم، فخرج ومن معه من المسلمين^(٤).

وروى ابن هشام^(٥) عن ابن إسحاق عن حكيم بن حكيم عن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه: ((لما نزلت براءة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد بعث أبا بكر. ليقوم للناس الحج، قيل له يا رسول الله، لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال: لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي، ثم دعا علي

(١) براءة: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ (٢) وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤) فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُواهُمْ وَاحْضَرُواهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦)﴾ .
من آية (١) إلى آية (٦) من سورة التوبة .

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٨٨ .

(٣) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٧٧ .

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٨٨ .

(٥) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٩٠ .

ابن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال له: اخرج بهذه القصة من صدر براءة، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى، أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عهد فهو له إلى مدته، فخرج علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على ناقه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العضاء، حتى أدرك أبا بكر بالطريق، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال: أأمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا. فأقام أبو بكر للناس الحج. والعرب آنذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر، قام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال يا أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام هذا مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عهد فهو له إلى مدته، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم، ليرجع كل قوم إلى مأمونهم أو بلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عهد إلى مدة، فهو له إلى مدته فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان. ثم قدما على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). ونقل البيهقي^(١) رواية ابن إسحاق نفسها.

وقد ذكر الواقدي^(٢) تبليغ سورة براءة بأسانيد متعددة: ((قالوا: كان قبل أن تنزل براءة قد عاهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أناساً من المشركين عهداً، فاستعمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا بكر على الحج، فخرج أبو بكر

(١) دلائل النبوة، ج ٥، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٢) المغازي، ج ٣، ص ١٠٧٧-١٠٧٨.

في ثلاثمئة من المدينة، وبعث معه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعشرين بدنة^(١). . . وساق أبو بكر عنه خمس بدنات. . . وأهل أبو بكر في ذي الحليفة^(٢)، وسار حتى إذا كان بالعرج^(٣) في السحر سمع رغاء ناقه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القصواء، فقال: هذه القصواء، فنظر فإذا علي بن أبي طالب (عليه السلام) عليها، فقال: أستعملك رسول الله على الحج؟ قال: لا ولكن بعثني اقرأ براءة على الناس وأنبذ إلى كل ذي عهد عهده. . . وقرأ علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه يوم النحر عند الجمرة براءة ونبذ إلى كل ذي عهد عهده. قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان)).

ونقل البلاذري^(٤) رواية تبليغ سورة براءة بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ((إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث بسورة براءة مع أبي بكر، ثم بعث علياً فأخذها من أبي بكر، فجاء أبو بكر فقال: يا رسول الله هل نزل في شيء؟ قال: لا، ولكنه لا يؤدي عني غيري أو رجل من أهل بيتي. فكان أبو بكر على الموسم، وكان علي ينادي بهؤلاء الكلمات لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، والله ورسوله بريئان من المشركين أو قال من كل مشرك)).

(١) البدنة: وهي الناقة أو البقرة، الذكر والانثى فيها سواء يهدى إلى مكة، الفراهيدي، العين، ج ٨، ص ٥٢.

(٢) ذي الحليفة: تصغير حلفة، وهي ماء بين بني جشم بن بكر بن هوازن وبين بني خفاجة العفيلين، رهط توبة، بينه وبين المدينة ستة أميال وقيل سبعة، وهو كان منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا خرج من المدينة لحج أو عمرة. ينظر البكري الاندلسي، معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٤٦٣.

(٣) العرج: وهو عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج أو بينها وبين المدينة خمسة وثلاثون ميلاً. ينظر البلاذري، معجم البلدان، ج ٤، ص ٩٢، البكري، معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٩٠٩.

(٤) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٨٣.

وروى يعقوبي^(١) ((وفي تلك السنة وجه علي بن أبي طالب بسورة براءة فأخذها من أبي بكر، فقال أبو بكر: يا رسول الله هل نزل في شيء؟ فقال: لا، ولكن جبريل قال لي: لا يبلغ إلا أنت أو رجل من أهلك فقرأها على أهل مكة..))، وروى الطبري^(٢) بسنده عن السدي ((قال: لما نزلت هذه الآيات إلى رأس الأربعين، يعني من سورة براءة، فبعث بهن رسول الله مع أبي بكر وأمره على الحج، فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الخليفة اتبعه علي فأخذها منه، فرجع أبو بكر إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أنزل في شأني شيء؟ قال: لا، ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني.. فسار أبو بكر على الحج وسار علي يؤذن براءة..)).

وعن أبي سعيد الخدري نقل ابن الجوزي^(٣) ((قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا بكر على الموسم وبعث بسورة براءة وأربع كلمات إلى الناس، فلحقه علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الطريق، فأخذ علي السورة والكلمات وكان يبلغ وأبو بكر على الحج))، ثم أضاف إلى روايته رجوع أبي بكر إلى النبي من أجل الاستفهام عن سورة براءة: ((فلما رجعا قال أبو بكر: مالي هل نزل في شيء؟ قال: لا إلا خيراً، قال: وما ذلك؟ قال: إن علياً (عليه السلام) لحق بي فأخذ السورة والكلمات، قال: أجل لم يكن يبلغها إلا أنا أو رجل مني)).

أما ابن الأثير^(٤) فذكر ((وفيها - يعني السنة التاسعة - جمع أبو بكر بالناس..

(١) تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٥٠.

(٢) تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٧٤.

(٣) المنتظم، ج ٣، ص ٣٧٣.

(٤) الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٦٠.

فلما كان بذي الحليفة أرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أثره علياً وأمره بقراءة سورة براءة على المشركين، فأدركه بالعرج، وأخذها منه. .. فقال أبو بكر: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شيء؟ قال: لا ولكن لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني)).

وعند العودة لمناقشة تلك الروايات تبين أنها انقسمت على ثلاثة أقسام:

القسم الأول رواية ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام والبيهقي حيث ذهب إلى أن سورة براءة نزلت بعد توجه أبي بكر إلى الحج فانتدب الرسول الإمام علياً للحقوق بأبي بكر، ومن ثم قراءة السورة نيابة عنه في موسم الحج الذي كان أميره أبو بكر.

القسم الثاني ما تبناه الواقدي في روايته لتلك الحادثة حيث لم يشر إلى سورة براءة هل كانت عند أبي بكر أو نزلت بعده وإنما أبقى الأمر عائماً.

أما رواية ابن عباس التي نقلها البلاذري ورواية اليعقوبي ورواية السدي التي نقلها الطبري ورواية أبي سعيد الخدري التي نقلها ابن الجوزي أشارت إلى أن سورة براءة كانت عند أبي بكر وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب أن يلحقه ويأخذ السورة منه ويقراها نيابة عنه.

لقد قدمت الرواية الواردة عند ابن هشام والتي نقلها عن ابن إسحاق صورة غريبة جداً، وحملت معانٍ خفية غير واقعية، فانفردت عن بقية المصادر الأولية بتكوين هذه الصورة إذ جعل أبا بكر أميراً للحج، وأن الإمام علياً كان مكلفاً بمهمة أخرى، وأمر أن يلحق بأبي بكر ليكون ضمن إمرة أبي بكر مأموراً، وهذا فيه مجانبة للواقع ولحقائق التاريخ حيث لم يسجل التاريخ أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان يوماً تحت إمرة أحد إلا النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونحن هنا لا نستطيع أن نعتبر أن الرواية جاءت صدفة من دون تخطيط مسبق؛ لأن الرواية تحمل

في طياتها أهدافاً سياسية، فقد تلاعبوا بالألفاظ من أجل إبراز صورة أبي بكر وجعله في مقام الإمرة على الإمام علي، ونرى أن الرواية أكدت أن أبا بكر لما رأى علياً في الطريق سأله أمير أم مأمور؟ فكان جواب الإمام علي حسب الرواية بل مأمور، وهذا إيجاء للمتلقي بأن أبا بكر هو الذي كان أميراً على الإمام علي (عليه السلام) الذي انحسرت مهمته بتبليغ سورة براءة، وهذه صورة أخرى أرادها ابن هشام للإمام علي، فلم ترق له ولمن نقل عنه منقبة تبليغ سورة براءة ورمزيتها العالية بأن الأمور العظيمة لا يتصدى لها سوى الرسول الأعظم أو نفسه، فعمل على إفراغها من محتواها وجعلها أمراً عائلياً بحكم القرابة، كما عمل مع استخلاف الإمام في معركة تبوك، وبذلك حقق ما أرادته السلطات التي دونت السيرة في عهدها، وجعل أبا بكر أكثر قدرة على الإمارة من الإمام علي وفقاً لاختيار الرسول.

أما رواية الواقدي فهي أقرب لمنهج التوافق الذي رأيناه في الكثير من روايات السيرة فلم ينكر منقبة الإمام وفي الوقت نفسه لم يعط المنقبة حقها من التوضيح، وربما كان الوضع السياسي والفكري في عهده ضاغطاً عليه فترك روايته بهذه الصورة.

وقد ورد في روايات القسم الثالث مجموعة من الحقائق لابد من الإشارة إليها:

أعطى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ناقته القصواء للإمام علي (عليه السلام) لتكون مسألة التكليف بالإبلاغ ثابتة لا تحتاج دليل وغير قابلة للرفض من قبل أبي بكر.

رجوع أبي بكر - حسب رواية السدي التي ينقلها الطبري - إلى الرسول لغرض الاستفسار عن سبب استبداله؛ ولأنه شعر أنه فقد شيئاً مهماً وهو التبليغ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك يعني نيل مكانة كبيرة عند المسلمين.

إذا علمنا أن المكان الذي رجع منه أبو بكر حسب الرواية ليس ببعيد من المدينة وهو ذو الحليفة الذي يبعد سبعة أميال فقط.

وقد يؤيد ذلك ما ذكره النسائي^(١) الذي قال: ((إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث ببراءة إلى أهل مكة مع أبي بكر ثم اتبعه بعلي، فقال له: خذ الكتاب فامض به إلى أهل مكة، قال: فلحقه فأخذ الكتاب منه، فانصرف أبو بكر وهو كئيب، فقال: يا رسول الله: أنزل في شيء، قال: لا، إني أمرت أن أبلغه أنا أو رجل من أهل بيتي)).

ذكر جمع كبير من المفسرين^(٢) أن الإمام علي بن أبي طالب ذهب بأمر من الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ليأخذ السورة من أبي بكر ويبلغها نيابة عنه في مكة.

لذلك فإننا نتفق مع الروايات التي ذهبت إلى أن السورة كانت مع أبي بكر ولم تنزل بعد توجهه إلى مكة.

سرية الإمام علي (عليه السلام) إلى اليمن:

لم تتفق الروايات التاريخية على سرية الإمام علي إلى اليمن، ولم تكن رواياتهم واضحة بهذا الخصوص، ولعل اللبس في الموضوع جاء من أن الإمام عليًا (عليه

(١) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، ت (٣٠٣هـ - ٩١٥م)، السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار سليمان البداري، وسيد كسروي حسن، (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م)، ج ٥، ص ١٢٨.

(٢) ينظر الصنعاني، المصنف، ج ٢، ص ٢٦٥، العياشي، تفسير العياشي، ج ٢، ص ٧٤، ابن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، ج ٦، ص ١٧٤٥، القمي، تفسير القمي، ج ١، ص ٢٨٢، البغوي، تفسير البغوي، ج ٢، ص ٢٦٧، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٦٧، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٣٤٤.

السلام) قاد أكثر من سرية إلى تلك البلاد، ومن الواضح أن سرية الإمام حسب ما جاءت في كتب السيرة مهمة جداً، لذلك أفردت لها عنوانات رئيسة، لكن على الرغم من ذلك فإن الروايات مشوشة وغير واضحة، فلم نعثر على تفاصيل عن بقية السرايا التي قادها الإمام علي وبعوثه إلى اليمن.

وقد أفرد ابن هشام^(١) عنواناً رئيساً بعنوان (غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن) إلا أنه لم يتناول أي تفاصيل لذلك واكتفى بالقول: ((وغزوة علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى اليمن، غزاها مرتين.. قال ابن هشام قال أبو عمرو المدني: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب إلى اليمن، وبعث خالد بن الوليد في جند آخر، وقال: إن التقيتما فالأمير علي بن أبي طالب...)).

هذا كل ما أجادت به سيرة ابن هشام حول هذه السرية المهمة، إلا أن الواقدي^(٢) ذكرها بالتفصيل فقال: ((قالوا: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب (عليه السلام) في رمضان سنة عشر، فأمره رسول الله (عليه السلام) أن يعسكر بقباء فعسكر بها حتى تنام أصحابه فعقد له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يومئذ لواءً، أخذ بعمامة فلفها مثنية مربعة فجعلها في رأس الرمح، ثم دفعها إليه، وقال: هكذا اللواء، وعممه بعمامة، ثلاثة أكوار، وجعل ذراعاً بين يديه وشبراً ورائه ثم قال هكذا العمّة)).

ثم يذكر رواية مسندة إلى أبي رافع قال: ((لما وجهه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: امض ولا تلتفت: فقال علي (عليه السلام): يا رسول الله، كيف

(١) السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٩٠.

(٢) المغازي، ج ٣، ص ١٠٨٠.

أصنع؟ قال: إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً... ثم تقول لهم: هل لكم إلى أن تقولوا لا اله الا الله؟ فإن قالوا: نعم، فقل هل لكم أن تصلوا؟ فإن قالوا: نعم، فقل: هل لكم أن تخرجوا من أموالكم صدقة تردونها على فقرائكم؟ فإن قالوا: نعم، فلا تبغ منهم غير ذلك. والله لأن يهدي الله على يدك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت! قال: فخرج في ثلاثمئة فارس، فكانت أول خيل دخلت تلك البلاد، فلما انتهى إلى أدنى الناحية التي يريد - وهي أرض مذحج - فرق أصحابه، فأتوا بنهب وغنائم وسبي نساء وأطفال، ونعم وشاءٍ وغير ذلك.

فجعل علي على الغنائم بريدة بن الحصيب^(١)، فجمعوا إليه ما أصابوا قبل أن يلقاهم جمع، ثم لقي جمعاً فدعاهم إلى الإسلام وحرّض بهم، فأبوا ورموا في أصحابه،... ثم حمل عليهم علي بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً، فتفرقوا وانهمزوا وتركوا وراءهم لواءهم قائماً، فكف عن طلبهم ودعاهم إلى الإسلام، فسارعوا وأجابوا وتقدم نفر من رؤسائهم فبايعوه على الإسلام، قالوا: نحن على من ورائنا من قومنا، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله)).

ثم ذكر الواقدي في روايته تقسيم الإمام علي للغنائم التي أصابها والتحاقه بالرسول ((فلما كان بالفتق (قرية بالطائف) وخلف على أصحابه والخمس أبارافع فكان في الخمس ثياب من ثياب اليمن، احمال محكومة أي شدّت بعضها على بعض

(١) بريدة بن الحصيب ابن عبد الله بن الحارث بن الاعرج بن سعد، أبو عبد الله - وقيل سهل، وابو ساسان الاسلمي - قيل انه أسلم عام الهجرة وشهد غزوة خيبر والفتح وكان معه اللواء استعمله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على صدقات قومه، وكان من المحدثين واهتم بنشر العمل، توفي في خراسان سنة (٦٤هـ - م) ينظر ابن الأثير، أسد الغابة، سير اعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٦٩.

ونعم تساق مما غنموا، ونعم من صدقة أموالهم)).

أما ابن سعد^(١) فذكر ((ثم سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن: يقال مرتين أحدهما في شهر رمضان سنة عشر من مهاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم))، ثم يذكر تفاصيل رواية الواقدي نفسها من دون أن يتطرق للسرية الثانية.

وذكر البلاذري^(٢) ((وبعث (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى اليمن في شهر رمضان سنة عشر لقبض الصدقات، فلم يقاتله أحد وأدوا له الصدقات، ثم كتب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمره موافاته بالموسم فوافاه)).

ونقل الطبري^(٣) رواية بسنده عن البراء بن عازب: ((بعث رسول الله خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، فكنت فيمن سار معه فأقام عليهم ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء، فبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالد ومن معه، فإن أراد أحد ممن كان مع خالد بن الوليد أن يعقب معه تركه، قال البراء: فكنت فيمن عقب معه، فلما انتهينا إلى أوائل اليمن، بلغ القوم الخبر، فجمعوا له، فصلى بنا عليُّ الفجر فلما فرغ صفناً واحداً، ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) الطبقات، ج ٢، ص ١٥٤.

(٢) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٨٤.

(٣) تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٨٠، ينظر البيهقي، دلائل النبوة، ج ٥، ص ٣٩٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٦٨، المحب الطبري، الرياض النظرية، ج ٣، ص ٢٢٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ٣٩٤، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت (٨٠٨هـ - ١٤٠٥م) تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م)، ج ٢، ص ٥٥، المغريزي، امتاع الاسماع، ج ٢، ص ١٠٢.

وسلم)، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما قرأ كتابه خر ساجداً، ثم جلس فقال السلام على همدان، السلام على همدان، ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام)).

وفق ما ذكرنا يمكن ملاحظة ما يلي:

أن ابن هشام في السيرة النبوية ذكر رواية مقتضبة جداً حول موضوع سرية الإمام علي بن أبي طالب إلى اليمن واكتفى بإشارات بسيطة حيث بين أن هناك سريتين له إلى اليمن إلا أنه لم يعط أي تفاصيل وترك الأمور من دون أي إيضاح.

كانت رواية الواقدي مفصلة مصورة وافية عن السرية لكنه في الوقت نفسه لم يحدد وجهته بشكل دقيق إلى أي مناطق اليمن، فقط حدد وقتها وهو سنة عشر للهجرة في رمضان قبل حجة الوداع.

أما رواية البراء التي نقلها الطبري فورد فيها إسلام قبيلة همدان ولم يذكر فيها وقتاً محدداً وهذا يدل أن السرية التي ذكرها الواقدي هي غيرها التي ذكرها الطبري مستندياً إلى رأي ابن سعد الذي ذكر أن لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) سريتين إلى اليمن وأعطى تفاصيل أحدهما ولم يذكر أي تفاصيل للثانية.

يمكن اعتبار سرية الإمام علي التي أسلمت على إثرها همدان هي الأولى؛ لأن نتيجتها إسلام قبيلة همدان بصورة خاصة واليمن بصورة عامة وأصبحت اليمن ضمن دائرة البلاد الإسلامية ولعل تلك السرية كانت سنة ثمان للهجرة بعد فتح مكة^(١).

(١) ينظر، الحلبي، السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٢٢٥، الامين، محسن، اعيان الشيعة، تحقيق حسن الامين (دار المعارف للمطبوعات، بيروت، د.ت)، ج ١، ص ٢٨٧-٢٨٨.

وبذلك يمكن اعتبار السرية التي ذكرها الواقدي هي السرية الثانية التي كانت مهمتها جمع أموال الخمس والصدقات بالدرجة الأولى، إلا أن المقاتلين الذين كانوا بصحبة الإمام علي كان وجودهم قد فرضته الضرورات لبعدها المسافة بين المدينة واليمن وبالفعل حصل قتال، وكما ذكره الواقدي في روايته التي أوردناها، ولعل الواقدي قد وقع في إشكال أو خلط عندما ذكر سرية الإمام علي تلك ((فكانت خيلهم أول خيل دخلت تلك البلاد))^(١).

وهناك وفادة ثالثة إلى اليمن وبعث بها الإمام علي (عليه السلام) وهي من أجل تولى مهمة القضاء، فقد أورد أحمد بن حنبل^(٢) في المسند عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: ((بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليمن قال: قلت: تبعثني إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء قال: إن الله سيهدي لسانك ويثبت قلبك قال: فما شككت في قضاء بين اثنين بعد)).

من خلال العرض الذي قدمناه تبين أن هناك سريتين كما ذكر ابن هشام إلى اليمن بقيادة الإمام علي إلا أنه عزف عن ذكر التفاصيل، ولعله أراد إخفاء الدور الكبير الذي مارسه الإمام علي في إدخال أهل اليمن إلى الإسلام في سرية الأولى؛ لأن ذلك فيه إظهار لفشل خالد بن الوليد بعد أن أمضى ستة أشهر من دون نتيجة، ولم يستطع أن يدخل أحداً للإسلام، بينما استطاع الإمام علي تحقيق الأمر بمدة وجيزة.

(١) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ١٠٧٩.

(٢) أحمد بن حنبل، المسند، ج ١، ص ٨٣. ينظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ٣٩٩.

حجة الوداع:

في السنة ٥١٠ - ٦٣١ م أراد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) التوجه إلى الحج فأجمع إلى الخروج، وأذن للناس بالحج، وقدم المدينة أعداد كبيرة من المسلمين كلهم يريد أن يأتهم برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١). فخرج النبي بهم في نهاية ذي القعدة وكاتب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بالتوجه إلى الحج من اليمن ^(٢). واستخلف على المدينة أبا دجانة الساعدي ويقال سباع بن عرفطة الغفاري ^(٣). وقد دخل (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مكة فلما رأى البيت رفع يديه وقال: ((اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً ومهابة وبراً)) ^(٤). وقد أفرد ابن هشام عنواناً خاصاً (موافاة علي في قفوله من اليمن رسول الله في الحج) ^(٥).

وقد أورد في هذا السياق مجموعة من الروايات فعن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجیح نقل ابن هشام ^(٦): ((أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث علياً (عليه السلام) إلى نجران، فلقيه بمكة وقد أحرم، فدخل على فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فوجدها قد حلت وتهيأت، فقال: مالك يا بنت رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن نحل بعمره فحللنا. ثم أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما فرغ من الخبر عن

(١) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ١٠٨٨.

(٢) المفيد، الارشاد، ج ١، ص ١٧١.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٤٨.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ١٠٩٧.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٤٩.

(٦) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٤٩.

سفره، قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فانطلق فطف بالبيت، وحل كما حل أصحابك؟ قال يا رسول الله، إني أهلت كما أهلت، فقال: فارجع فاحلل كما حل أصحابك، قال: يا رسول الله إني قلت حين أحرمت: اللهم إني أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: فهل معك من هدي؟ قال: لا، فأشركه رسول الله في هديه، وثبت على إحرامه مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى فرغ من الحج ونحر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الهدى عنهما)).

أما الرواية الثانية عن ابن إسحاق عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن يزيد بن طلحة بن ركانة قال: ((لما أقبل علي (عليه السلام) من اليمن ليلتقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة، تعجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي (عليه السلام)، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل، قال: ويلك ما هذا؟ انزع قبل أن تنتهي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). قال: فانتزع الحلل من الناس، فردها في البز، قال فأظهر الجيش وشكوه لما صنع بهم))^(١).

أما الرواية الثالثة عن ابن إسحاق عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب وكانت عند أبي سعيد الخدري عن أبي سعيد الخدري قال: ((اشتكى الناس علياً (عليه السلام)، فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فينا خطيباً، فسمعتة يقول: أيها الناس،

(١) السيرة النبوية و ج ٤، ص ٢٥٠.

لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله، من أن يشتكى))^(١).

بعد ذلك ذكر مقتطفات مهمة من خطبتي الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) الوعظيتين حيث بين لهم الخطوط العامة للإسلام الذي من الله به عليهم، ومن ضمن ما قاله لهم: ((وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً، كتاب الله وسنة نبيه))^(٢).

وأورد الطبري^(٣) روايات ابن إسحاق بالأسانيد نفسها، وأغفل الواقدي^(٤) عند حديثه عن حجة الوداع خبر موافاة الإمام علي (عليه السلام) إلى مكة ولقائه بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) واكتفى بذكر تفاصيل مناسك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والخطبتين.

أما البلاذري^(٥) فلم يذكر أي تفاصيل عن قدوم الإمام علي (عليه السلام) من اليمن إلى مكة ولقائه برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذكر حجة الوداع بشيء من الاختصار، ولكنه أورد عدة روايات ذكر فيها تفاصيل عودة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة منها عن إسحاق بن عبد الله بن جعفر عن سعد بن إسحاق عن إسحاق بن أبي حبيب عن أبي هريرة قال: ((نظرت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بغدير خم^(٦) وهو قائم يخطب وعلي إلى جنبه

(١) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٥١.

(٣) تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٩٠.

(٤) المغازي، ج ٣، ص ١٠٨٨.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٦٨.

(٦) غدير خم: وهو غدير بين مكة والمدينة على بعد ثلاثة أميال عن الحجة وهو موضع تنصيب

فأخذ بيده فأقامه، وقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه^(١)، ونقل عن عبد الملك ابن محمد بن عبد الله الرقاشي عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عامر بن واثلة أبي طفيل عن زيد بن أرقم قوله: ((كنا مع النبي في حجة الوداع فلما كنا بغدير خم أمر بدوحات^(٢) فقممن^(٣) ثم قام، فقال: كأني دعيت فأجبت، إن الله مولاي وأنا مولى كل مؤمن، وأنا تارك فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^(٤))).

أما ابن عبد البر^(٥) فذكر رواية الإمام جعفر بن محمد الباقر (عليه السلام) عن جابر بن عبد الله الأنصاري التي ذكر بها ورود الإمام علي والتحاقه بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في مكة حيث أورد تفاصيل رواية ابن إسحاق نفسها.

وفي ضوء ما تقدم يمكن ملاحظة ما يأتي:

إن حجة الوداع كان لها دلائل كبيرة ومهمة في حياة الأمة الإسلامية منها

أمير المؤمنين للخلافة بعد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم). ينظر الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٩.

(١) البلاذري، جمل أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٥٦.

(٢) دوحات، جمع دوحه، الشجرة العظيمة المتسعة من أي شجر كانت. ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٤٣٦.

(٣) فقممن، أي تم كس ما تحتها. ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٤٩٣.

(٤) جمل أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٥٧.

(٥) الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ٢٦٥.

تعليمهم مناسك حجهم، وكيف تكون خطوات الحج وأداء تلك الفريضة المهمة في حياة الأمة، إضافة إلى أن الرسول وجه رسالة مهمة جداً للأمة من خلال تلك الحجة، وهذه الرسالة تحتوي على شقين مهمين؛ الأول ذكر الرسول في أثناء خطبته التي أوردها ابن هشام: ((وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً كتاب الله وسنة نبيه)).

إلا أن هذا الحديث ورد في كتب الحديث النبوي بصيغ أخرى غير التي نقلها ابن هشام.

وهذه الصيغ بعيدة جداً في معناها عما أورده في سيرته، فروى أحمد بن حنبل^(١) في المسند ((إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله حبلٌ ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)).

ويمكن اعتبار القصدية من ذلك التحريف هو لإبعاد الأنظار عن عترة الرسول الأكرم وهم علي وآل علي وتوجيه الأمور إلى السنة، ونحن لسنا بصدد مناقشة تلك القضية بقدر إثباتها من الناحية التاريخية حيث نلاحظ أن حديث العترة قد تواتر عند المحدثين وروي عن طريق الكثير من الصحابة^(٢).

وهناك أمر مهم جداً آخر أغفله ابن هشام ومن قبله ابن إسحاق وهو ما حصل في غدِير خم في أثناء عودة الرسول الأكرم إلى المدينة، الحدث الذي نزل فيه

(١) مسند أحمد، ج ٣، ص ١٤، ينظر الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٢٨، النسائي، السنن الكبرى، ج ٥، ص ٤٥، أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى، ج ٢، ص ٣٩٧، الطبراني، المعجم الاوسط، ج ٤، ص ٣٣، الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٤٨، ابن المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب، ص ١١٩، المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١، ص ١٧٣.

(٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: الاميني، الغدير، ج ١، ص ١٣٢ وما بعدها.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

فذكر العياشي^(٢) في تفسيره عن جابر بن أرقم قال: ((بينما نحن في مجلس لنا وأخي زيد بن أرقم يحدثنا إذ أقبل رجلٌ على فرسه عليه هيئة السفر فسلم علينا ثم وقف، فقال: أفياكم زيد بن أرقم؟ فقال زيد: أنا زيد بن أرقم ما تريد؟ فقال الرجل: أتدري من أين جئت قال: لا، قال من فسطاط مصر لأسألك عن حديث بلغني عنك تذكره عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال زيد ما هو؟ قال حديث غدِير خم في ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) ... قال: لما نزلنا الجحفة راجعين وضر بنا اخيبتنا^(٣) نزل جبريل بهذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ فيبيننا نحن كذلك إذ سمعنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ينادي: أيها الناس أجيئوا داعي الله أنا رسول الله فأتيناه مسرعين في شدة الحر، فإذا هو واضع ثوبه على رأسه وبعضه على قدميه من الحر وأمر بقمم (يعني كنس) ما تحت الدوح فقم ما كان ثمة من الشوك والحجارة، فقال رجل: ما دعاه إلى قم هذا المكان وهو يريد يرحل من ساعته ليأتينكم اليوم بداهية فلما فرغوا من القم أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن نأتي بأحلاس^(٤) دوابنا وأثاث إبلنا وحقائبنا فوضعنا بعضها على بعض، ثم ألقينا عليها ثوباً ثم صعد عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه نزل علي عشية عرفة أمر ضقت به ذرعاً مخافة تكذيب أهل الإفك حتى جاءني في هذا الموضع وعيد من ربي إن لم أفعل، ألا وأني غير هائبٍ لقوم ولا محابٍ لقرايتي، أيها الناس

(١) سورة المائدة، آية (٦٧).

(٢) العياشي، تفسير العياشي، ج ٢، ص ٩٧-٩٨.

(٣) اخيبتنا: وهو جمع خباء الذي يعني بيوت الاعراب. ينظر الفراهيدي، العين، ج ٤، ص ٣١٥.

(٤) احلاس: وهو مسح يبسط في البيت وتجلل به الدابة. ينظر الزمخشري، أساس البلاغة، ص ١٩٢.

من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا الله ورسوله قال: اللهم اشهد وأنت يا جبرائيل فاشهد حتى قالها ثلاثاً، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب (عليه السلام) فرفعه إليه، ثم قال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله قالها ثلاثاً، ثم قال هل سمعتم؟ فقالوا: اللهم بلى، قال: فأقررتم؟ قالوا: نعم، ثم قال: اللهم اشهد وأنت يا جبرائيل فاشهد، ثم نزل وانصرفنا إلى رحالنا)).

وقد أيد جمع من المفسرين^(١) ذلك وذكروا أن الآية نزلت في ذلك المورد أما من نقل ذلك من غير المفسرين فقد ذكر اليعقوبي^(٢): ((وخرج ليلاً منصرفاً من المدينة فصار إلى موضع بالقرب من الجحفة يقال له: غدير خم لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة وقام خطيباً، وأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: ألسنتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله: قال من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه)).

وذكر المفيد^(٣) تفاصيل رواية ابن إسحاق التي ذكرها ابن هشام حول لقاء الإمام علي (عليه السلام) بالرسول الأكرم في مكة إلا أنه استمر بنقل الأحداث التي وقعت بعد حجة الوداع ((ولما قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نسكه أشرك علياً في هديه إلى المدينة ومعه المسلمون، حتى انتهى إلى الموضع المعروف بغدير خم، وليس بموضع إذ ذاك للنزول لعدم الماء فيه والمراعي... وكان سبب نزوله في هذا المكان

(١) ينظر ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ج ٤، ص ١١٧٢، القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٠١، فرات الكوفي، تفسير فرات الكوفي، ص ١٢٤، المفيد، تفسير القرآن المجيد، ص ١٨٤، الطوسي، البيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٥٨٨، الواحدي النيسابوري، أسباب نزول الآيات، ص ١٣٥، الطبرسي، مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٨٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٧٦.

(٣) الارشاد، ج ١، ص ١٧٤.

لنزول القرآن عليه بتنصيب أمير المؤمنين خليفة في الأمة من بعده)).

ومن خلال ما أوردنا يمكن ملاحظة ما يأتي:

أن إحجام أغلب أصحاب المغازي والسير ومنهم ابن هشام موضوع بحثنا عن ذكر تفاصيل حديث الغدير يعود بالدرجة الأولى إلى الأسباب السياسية التي سبق وأن ذكرناها في ثنايا البحث، وقلنا إن السيرة دونت في وقت كان فيه الحكام لا يروق لهم سماع مناقب الإمام علي وأهل بيته، ولا يريدون للناس أن تعرف أحقية آل البيت بخلافة المسلمين، وحديث الغدير هو دلالة صريحة وواضحة على خلافة الإمام علي (عليه السلام) للرسول وهذا ما يجعل حجة الحكام الأمويين والعباسيين الذين كتبت السيرة في عهدهم غير قائمة شرعاً، وبذلك تكون خلافتهم باطلة ومخالفة لما أنزل الله تعالى، لذلك اعتمدوا على مجموعة من رواة السيرة كعروة بن الزبير والزهري وغيرهم من المعروفين بميوههم الأموية، فضلاً عن ابن إسحاق الذي دون السيرة كما هو معلوم للمنصور العباسي وبعده ابن هشام الذي هذب السيرة تحت المؤثرات السياسية العباسية، وهذا هو السبب الرئيس الذي جعل هؤلاء يجمعون عن ذكر حديث الغدير فضلاً عن المؤثرات العقائدية والمذهبية والفكرية التي كانت سائدة آنذاك.

ورد حديث الغدير في بعض كتب الحديث بصورة مختصرة إلا أنه كان شبه متواتر^(١)، فابن حنبل^(٢) أورد حديث الغدير بالصورة الآتية: ((قال: سمعت علياً في الرحبة وهو ينشد الناس من شهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الغدير

(١) ينظر القزويني، سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٤٣، الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٢٩٧، ابن عقدة الكوفي، الولاية، ص ١٥٨، الحاكم النيسابوري، ج ٣، ص ٥٣٣، الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٠٥، المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٣، ص ١٠٤.

(٢) المسند، ج ١، ص ٨٤.

وهو يقول ما قال فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول من كنت مولاه فعلي مولاه))، أما النسائي^(١) فذكر الحديث بسنده عن زيد بن أرقم الذي قال: ((لما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن، ثم قال: كأني دعيت فأجبت، إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ثم قال: إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن ثم أخذ بيد علي، فقال: من كنت وليه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)).

ج. إن حادثة الغدير بكل تفاصيلها لم يقتصر ذكرها على كتب السيرة والتفسير والحديث وإنما وثقها حسان بن ثابت في شعره حيث جاء إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال له: ((يا رسول الله أتأذن لي أن أقول في هذا المقام ما يرضاه الله؟ فقال له: قل يا حسان على اسم الله، فوقف على نشز من الأرض - أي المرتفع - وتناول المسلمون لسماع كلامه فأنشأ يقول:

يناديهم يوم الغدير نبيهم	بخم وأسمع بالرسول مناديا
فقال فمن مولاكم ووليكم	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاديا
إلهك مولانا وأنت ولينا	ولن تجدنَّ منالك اليوم عاصيا
فقال له قم يا علي فإنني	رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا: اللهم وال وليه	وكن للذي عادى علياً معاديا

(١) النسائي، فضائل الصحابة، ص ١٥.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا تزال - يا حسان - مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك^(١).

إن الرسول الأكرم بعد أن أمره الله تعالى وكما ذكرنا في تبليغ ما أنزل الله عليه من أمر إلهي بولاية أمير المؤمنين على الأمة أنزل عليه الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^{(٢)(٣)}.

ففي رواية أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: إنها نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم غدير خم حين قال لعلي: ((من كنت مولاه فعلي مولاه))^(٤)، وقد روي عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنها نزلت لما تمت ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وهي آخر فريضة أنزلها الله تعالى وهي الولاية^(٥).

وبهذا الخطاب الإلهي للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بتمام الدين وإكمال النعمة، وقد ختم ذلك أيضاً الرسول الأكرم بقوله: ((الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتني وولاية علي بن أبي طالب من بعدي ثم

(١) المفيد، الارشاد، ج ١، ص ١٧٧، ينظر الشريف المرتضى، علي بن الحسين بن موسى ت (٤٣٦هـ - ١٠٤٤م)، رسائل الشريف المرتضى، إعداد أحمد الحسيني (مطبعة الخيام - قم، د.ت)، ج ٤، ص ١٣١، الطوسي، محمد بن الحسن ت (٤٦٠هـ - ١٠٦م)، (مطبعة الخيام - قم، ١٤٠٠هـ)، ص ٢٢١، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ٢٣٠، الخوارزمي، المناقب، ص ١٣٦، الزرندي، نظم درر السمطين، ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) سورة المائدة، آية (٣).

(٣) القاضي نعمان المغربي، شرح الأخبار، ج ١، ص ١٠٥.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، ج ٢، ص ١٥.

(٥) القمي، تفسير القمي، ج ١، ص ١٦٣، ينظر الكوفي، تفسير فرات الكوفي، ص ١١٧، المفيد، تفسير القرآن المجيد، ص ١٨٣، الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، ج ١، ص ٤٧٢.

قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله))^(١).

(١) الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج ١، ص ٢٠١، ينظر ابن عقده الكوفي، مناقب الامام أمير المؤمنين، ج ١، ص ١١٩، ابن مردويه، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٢٣١، ابن البطريق، خصائص الوحي المبين، ص ٩٤.

المبحث الثالث

الإمام علي (عليه السلام) في مرض الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد وفاته :

لابدّ لنا ونحن في دراسة مفصل مهم من مفاصل التحول السياسي الذي حصل للأمة الإسلامية بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والكيفية التي آلت إليها الأمور أن نلقي الضوء ولو بشيء من الاختصار على مقدمات هذا التحول، والبداية مع شكاية الرسول وما تلاها من أمور أسهمت بشكل كبير في بلورة ما حصل وهو خلافة أبي بكر، وعليه فإن العودة إلى بدايات شكاية الرسول يتطلب منا الإجابة على سؤال مهم هو هل كان الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم بما سيجري بعده من خلافات وحوادث من أجل الخلافة، وهل كان غافلاً عما يجب في هذا السبيل؟^(١)

نعم كان الرسول يعلم بما سيجري لذلك وكما جاء في الرواية أنه بداية مرضه خرج للاستغفار لأهل البقيع وقال: ((أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى))^(٢)، وهي إشارة واضحة إلى أن الرسول كان يعلم بأمر ما سوف يحصل لأمته من بعده، وقد اتخذ احتياطات لهذا الأمر، منها إخراج جيش أسامة الذي كان فيه أغلب الصحابة الذين من الممكن أن يعارضوا تنصيب الإمام علي خليفة للمسلمين، وكذلك ما أوضحناه من حديث الغدير وتنصيب علي بن أبي

(١) المظفر، محمد رضا، السقيفة، (ط ١١، دار القارئ - بيروت، ٢٠١٤ م)، ص ٢٧.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٩٢.

طالب ولياً من بعده، فقد كانت تلك بمثابة الإجراءات المانعة لحصول الانقلاب داخل الأمة كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾^(١).

لكن الأمور سارت إلى غير ما كان مخططاً لها فظهر إلى العلن تيار سياسي معارض لما خطط له الرسول، وقد بدأت مؤامراته قبيل وفاته فلم ينفذ أوامره في إنفاذ جيش أسامة بن زيد، إلا أن الواضح من خلال سيرة ابن هشام أن موضوع إنفاذ جيش أسامة جعله موضوعاً متداخلاً ضمن حديثه عن شكاية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

الإمام علي (عليه السلام) في مرض الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

نقل ابن هشام^(٢) في السيرة النبوية عدة روايات عن ابن إسحاق في هذا المورد:

١ - روي عن يعقوب بن عتبة عن محمد بن مسلم الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة، عن عائشة زوج رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنها قالت: ((فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمشي بين رجلين من أهله: أحدهما الفضل بن عباس، ورجل آخر، عاصباً رأسه، تخط قدماه حتى دخل بيتي قال عبيد الله فحدثت هذا الحديث عبد الله بن العباس، فقال: هل تدري من الرجل الآخر؟ قال: قلت: لا؟ قال: علي بن أبي طالب، ثم غمر - أصابته شدة المرض، واشتد به وجعه...)).

٢ - قال ابن إسحاق فقال الزهري: حدثني أيوب بن بشير: ((أن رسول الله (صلى

(١) سورة آل عمران، آية (١٤٤).

(٢) السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٠٠-٣٠١-٣٠٢.

الله عليه وآله وسلم) خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد، واستغفر لهم، فأكثر الصلاة عليهم، ثم قال: إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله قال: ففهمها أبو بكر، وعرف أن نفسه يريد فبكى، وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وابنائنا، فقال: على رسلك يا أبا بكر، ثم قال: انظروا هذه الأبواب اللافظة - النافذة - في المسجد، فسدوها إلا بيت أبي بكر، فإني لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندي براً منه، قال ابن هشام: ويروى إلا باب أبي بكر...)).

٣- روى ابن إسحاق عن ((محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) استبطناً الناس في بعث أسامة بن زيد وهو في وجعه، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة: أمر غلاماً حدثاً على جلة المهاجرين والأنصار. فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، انفذوا بعث أسامة، فلعمري لئن قلت في إماراته لقد قلت في إمارة أبيه من قبله، وأنه خليف بالامارة، وإن كان أبوه خليقاً لها. قال: ثم نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وانكمش (اسرعوا) الناس في جهازهم واستعز برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعه، فخرج أسامة، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجرف، من المدينة على فرسخ فضرب به عسكره، وتتام إليه الناس، وثقل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأقام أسامة والناس، ينظروا ما الله قاضٍ في رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ...)).

٤- روى ابن إسحاق عن ((سعيد بن عبيد بن السباق عن محمد بن أسامة عن أبيه أسامة بن زيد قال: لما ثقل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة فدخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد

اصمت فلا يتكلم فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ، فأعرف أنه يدعولي...).

٥ - قال الزهري عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن عائشة قالت: ((لما استعز برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت: قلت: يا نبي الله، إن أبا بكر رجل رقيق، ضعيف الصوت، كثير البكاء إذا قرأ القرآن. قال: مروه فليصل بالناس، قالت: فعدت بمثل قولي، فقال: إنك صواحب يوسف، فمروه فليصل بالناس، قالت: فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر)).

٦ - قال ابن إسحاق: ((وقال ابن شهاب عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد قال: لما استعز برسول الله وأنا عنده في نفر من المسلمين قال: دعاه بلال إلى الصلاة، فقال: مروا من يصلي بالناس. قال فخرجت فإذا عمر بالناس، وكان أبو بكر غائباً، فقلت: قم يا عمر فصل بالناس. قال فقام: فلما كبر سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صوته وكان عمر رجلاً مجهراً عالي الصوت، قال: فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فأين أبو بكر؟ يابى الله ذلك والمسلمون قال فبعث إلى أبي بكر بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصل بالناس)).

٧ - قال ابن إسحاق وحدثني أبو بكر عبد الله بن أبي مليكة قال: ((لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عاصباً رأسه إلى الصبح وابو بكر يصلح بالناس، فلما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تفرج الناس، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فنكص عن مصلاه، فدفع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ظهره وقال: صل بالناس، وجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جنبه فصل قاعداً عن يمين أبي

بكر، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس فكلّمهم رافعاً صوته حتى خرج صوته من باب المسجد، يقول أيها الناس، سُعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإني والله ما تمسكون علي بشيء، إني لم أحل إلا ما أحل القرآن ولم أحرم إلا ما حرم القرآن. ((..)).

٨- وقال ابن إسحاق عن الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك عن عبد الله بن عباس قال: ((خرج يومئذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال له الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال أصبح بحمد الله بارئاً، قال: فأخذ العباس بيده ثم قال يا علي: أنت والله عبدُ العصا بعد ثلاث، أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب فانطلق بنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإن كان الأمر فينا عرفناه وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس. قال: فقال له علي: إني لا أفعل والله لئن منعناه لا يؤتينا أحد بعده. ((..)).

٩- قال ابن إسحاق: ((عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال: سمعت عائشة تقول: مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين سحري ونحري وفي دولتي، لم أظلم فيه أحداً، فمن سفهي وحادثة سني أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبض وهو في حجري ثم وضعت رأسه على وسادة، وقمت ألتدم مع النساء، وأضرب وجهي. ((..)).

وعند النظر لما ورد في الروايات المتقدمة يمكننا أن نسجل ما يأتي:

١. انتقال الرسول إلى بيت عائشة بنت أبي بكر زوجته لغرض تمريره.
 ٢. سد الأبواب جميعاً إلا باب أبي بكر.
 ٣. اهتمام الرسول الأكرم في بعث أسامة بن زيد وتأكيدده على ذلك وهو في أشد حالاته المرضية.
 ٤. إشكالية صلاة أبي بكر بالناس وكيف تمت تلك الصلاة.
 ٥. استفسار الناس من علي بن أبي طالب (عليه السلام) حول حالة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الصحية.
 ٦. وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجر عائشة.
- أغلب الأسانيد الواردة عن ابن إسحاق في الروايات أعلاه مصدرها الزهري وعائشة وعروة.

ونقل الطبري^(١) روايات ابن إسحاق نفسها التي نقلها ابن هشام وزاد عليها روايات أخرى بأسانيد مختلفة، أما الواقدي^(٢) فقد أورد في مغازيه عنواناً لغزوة أسامة ابن زيد تحدث فيه عن تفاصيل الجيش والصحابة الذين كانوا فيه والاعتراض على إمرة أسامة وتلكؤ الصحابة عن الالتحاق بذلك الجيش بعد أن علموا بشكايه رسول الله. ونقل ابن سعد^(٣) رواية ابن إسحاق نفسها. ثم أورد رواية أخرى عن الواقدي عن محمد بن عمر عن الحكم بن القاسم عن عفيف بن عمرو السهمي عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة عن عائشة: ((قالت كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ١١٦-١١٧-١١٨-١١٩.

(٢) المغازي، ج ٣، ص ١١٧-١١٨-١١٩.

(٣) الطبقات، ج ٢، ص ٢٠٤.

يدور على نسائه حتى استعز - اشتد به المرض - به وهو في بيت ميمونة فعرف نساء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه يجب أن يكون في بيتي فقلن: يا رسول يومنا هذا الذي يصيبنا لأختنا يعنين عائشة))^(١).

كما ذكر ابن سعد^(٢) الروايات نفسها التي أوردها ابن هشام إلا أنه أضاف إليها أن الرسول أمر أسامة على الجيش وهو يشتمل على الكثير من الصحابة من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد ابن أبي وقاص وغيرهم.

وقد نقل البلاذري^(٣) عن وهب بن بقية عن يزيد بن هارون عن يحيى بن سعيد عن إبراهيم التيمي ((أنه كان يدار برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيوت نسائه وهو مريض، فلما كان ذات يوم. قال: أين أنا غداً؟ فجعلن يخبرنه، فقال بعضهن: إنه يسأل عن يوم ابنة أبي بكر: فأذن له وقلن له: أنت في حل يا رسول الله، إنما نحن أخوات فقال في حل؟ قلن: نعم، فأخذ رداءه ثم انطلق إلى منزل عائشة فلم يزل عندها حتى قبضه الله)).

أما اليعقوبي^(٤) فقد جمع حديثه في رواية مقتضبة لكنها ذات معنى واسع ((واشكى رسول الله قبل أن ينفذ جيش أسامة، وكان أسامة مقيماً في الجرف، فلما اشتدت عليه قال: انفذوا جيش أسامة فقالها مراراً، وأعتل أربعة عشر يوماً وتوفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول)).

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٢٠٦.

(٢) الطبقات، ج ٢، ص ٢٠٧-٢٠٨-٢٠٩.

(٣) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٤٥.

(٤) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٧٧.

وهنا نستطيع أن نجمل ملاحظتنا على ما تقدم من روايات بالنقاط الآتية:

* انتقال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بين رجلين أحدهما الفضل ابن العباس والآخر لم تلفظ اسمه أم المؤمنين عائشة وهي تعلم علم اليقين من هو، وهذا ما صرح به ابن عباس كما ورد في الرواية بأنه الإمام علي، وهذا يدل على أن عائشة لم تكن تنظر بعين الرضا إلى الإمام (عليه السلام) وقد ناقشنا هذا الموضوع في فقرة سابقة، ونحن هنا لسنا بصدد نفي أو إثبات تلك الرواية التي نقلها ابن هشام والتي وثقت البغض الذي تحمله السيدة عائشة للإمام، وقد ذهب أحد الباحثين^(١) إلى أن طلب عائشة بنقل الرسول إلى بيتها لتتولى تعليقه هو جزء من مخطط سياسي أريد رسم خيوطه في بيت عائشة لتكون الأمور تحت أنظار من خطط لعملية انقلاب على الشرعية، وإلا لماذا هذا الطلب إذا علمنا أن المرض الذي مرض فيه رسول الله لا يستوجب كل الاهتمام من عائشة علماً أن للرسول زوجات مخلصات منهن أم سلمة وغيرها اللاتي هن أكبر من عائشة وأكثر خبرة بالحياة، فضلاً عن وجود الزهراء بنت الرسول القريبة دائماً من أبيها ناهيك عن ملازمة علي بن أبي طالب والفضل بن العباس الدائمة له حسب الروايات الواردة ومنها رواية ابن إسحاق.

* الإشارة إلى سد الأبواب إلا باب أبي بكر حيث ورد في تلك الرواية وضمن سياق متصل في أثناء الحديث عن مرض الرسول وبداية شكايته، وهذا خلاف للواقع لأن قضية الأبواب يجب أن تكون في بداية بناء المسجد وليس في هذا الوقت إلا أن هذه الرواية عن ابن إسحاق وسندها الزهري وهو معروف بتحريفه للروايات وإيرادها في غير محلها، أراد أن يصنع منقبة وهمية لأبي بكر إزاء منقبة علي بن أبي

(١) الحاج حسن، حسين، الامام علي (عليه السلام) مسيرة جهاد وعطاء إنساني (دار المرتضى - بيروت، ٢٠٠٥م)، ص ٢٢٥.

طالب، فقد ذكر حديث الأبواب جمع كبير من المحدثين^(١) ومنهم أحمد بن حنبل^(٢) فذكر في مسنده رواية سعد بن مالك الذي قال: ((أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بسد الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي (عليه السلام)). وعن أبي سعيد الخدري ((قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي: يا علي لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك))^(٣).

وذكر الحاكم النيسابوري^(٤) في المستدرک عن زيد بن أرقم أنه قال: ((كانت لنفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبواب شارعة في المسجد فقال يوماً: سدوا هذه الأبواب إلا باب علي، قال: فتكلم في ذلك ناس فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي، فقال: فيه قائلكم والله ما سددت شيئاً ولا فتحتة ولكن أمرت بشيء فأتبعته)).

وفي رواية أم سلمة (رضوان الله عليها) قالت: ((خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فوجه هذا المسجد، فقال: ألا لا يحل هذا المسجد لجنب ولا لحائض إلا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ألا قد بينت

(١) ينظر النسائي، خصائص أمير المؤمنين، ص ٧٢، القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام، ج ١، ص ١٦-١٧، الطوسي، الامالي، ص ٥٩٨، ابن المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٢٠٦، الموقف الخوارزمي، المناقب، ص ١٠٩، الكنجي، كفاية الطالب، ص ٢٠٠، الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١١٩.

(٢) مسند أحمد، ج ١، ص ١٧٥.

(٣) الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٠٣.

(٤) المستدرک، ج ٣، ص ١٢٥.

لكم الأسماء أن لا تضلوا))^(١).

ومن خلال النظر إلى تلك الروايات نلاحظ مدى الدس والتحريف الذي حصل في السيرة النبوية والغرض منه رفع منزلة أشخاص والحط من قدر آخرين.

* إن أهمية بعث أسامة بن زيد وعقد اللواء له والرسول في مرضه وحث كبار المهاجرين منهم أبو بكر وعمر بأن يكونوا تحت إمرة أسامة بن زيد، يقودنا إلى القول إن توقيت هذه الحملة كان قد اختاره رسول الله بدقة، وأصر على إنفاذ هذا الجيش وكرر الأمر مرات عدة كما رأينا في الروايات التي نقلها ابن هشام وهذا يدعو إلى التأمل في التوقيت والإصرار، فما الداعي الذي دعا الرسول الأكرم إلى هذا البعث؟ إذا علمنا أن المكان الذي أريد غزوه بعيد جداً عن المدينة المنورة وهناك ظرف صحي خاص يمر به الرسول ولعله يكون آخر أيامه.

ثم إن إمرة الجيش أسنده إلى فتى وفي الجيش شيوخ المسلمين الذين فيهم قادة في الحروب ورؤساء قبائل وأصحاب النبي الذين يرون لأنفسهم مقاماً أسمى ومنزلة رفيعة ويرشحون أنفسهم لمنصب أكبر وأعظم كثيراً من منصب قائدهم الصغير^(٢).

لكن المسلمين في تباطئوا عن الالتحاق بالجيش على الرغم من إصرار النبي وتشديده على ضرورة إنفاذ الجيش وهو في أشد حالاته المرضية، وكرر عملية الإنفاذ مراراً لكن أوامره لم تجد أذناً صاغية، والحجج واهية منها على سبيل المثال أنهم لا يمكنهم الخروج حتى يطمئنوا على حالة الرسول الصحية، ثم عادوا مرة أخرى إلى المدينة لكن الرسول كرر أمره بضرورة إنفاذ جيش أسامة، كما بينت ذلك رواية

(١) البيهقي، السنن الكبرى، ج ٧، ص ٦٥.

(٢) المظفر، السقيفة، ص ٦٢.

ابن إسحاق التي أوردها ابن هشام، كل ذلك يثير كثيراً من علامات الاستفهام^(١)، ويمكن الإجابة على تلك التساؤلات بمجموعة من النقاط:

— أراد الرسول من خلال تأمير هذا الشاب أن يهيئ المسلمين لقبول (قاعدة الكفاية) في ولاية أمورهم، من ناحية عملية، ليست الشهرة ولا تقدم العمر هما الأساس لاستحقاق الامارة والولاية. إذا ما علمنا أن علي بن أبي طالب المهياً لولاية أمر المسلمين بعد النبي فبذلك يهيئ نفسية المسلمين لتقبل قيادة من هو أحدث منهم سنّاً وهذه تنطبق على الإمام علي (عليه السلام) حيث كان عمره الشريف لا يتجاوز الثلاث والثلاثين سنة^(٢).

— أن يبعد عن المدينة ساعة وفاته من يطمع بالخلافة خشية أن يزيحوا عنها صاحبها الذي نصب لها في غدير خم، لذلك نراه عبأ في الجيش كل الشخصيات الطامعة بالخلافة ولم يدخل فيه علياً ولا أي أحد ممن يميل إليه، ويمكن القول ان جيش أسامة كان تدبيراً لإتمام الأمر لعلي بن أبي طالب بمقتضى الظروف المحيطة به من خلال النص عليه وقرب أجل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٣).

ولكن بمخالفة المسلمين لأوامر الرسول حدث ما كان متوقفاً من حروب طاحنة وخلافات بين المسلمين انهكت الإسلام والمسلمين^(٤).

— أما مسألة صلاة أبي بكر بالناس وقد عدت حجة احتج بها البعض لخلافته

(١) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(٢) المظفر، السقيفة، ص ٦٤.

(٣) الحاج حسن، الامام علي مسيرة جهاد وعطاء إنساني، ص ٢٢٣.

(٤) المظفر، السقيفة، ص ٦٤.

والملاحظ من خلال الرواية التي أوردها ابن هشام عن ابن إسحاق أن أبا بكر صلى مرة واحدة فقط وهي صلاة الصبح ليوم الاثنين كما يتضح من الرواية وحتى تلك الصلاة لم يكملها أبو بكر، حيث خرج الرسول وهو في حالته المرضية الشديدة لكي يؤم الناس بالصلاة وإن حاول الراوي أو الناقل التشويش على تلك الحالة وخلق نوع من الضبابية على الرواية ولم يبين لنا هل الرسول أمّ المسلمين بالصلاة أم أبو بكر؟ وما هو موقف الرسول من تلك الصلاة؟ المهم أن الرسول لم يترك أبا بكر يؤم المسلمين لوحده بل خرج إلى الصلاة رغم حالته المرضية الشديدة.

وقد ذكر أنه اشتد به المرض، وكان عند خفة مرضه يصلي بالناس بنفسه فلما اشتد به المرض أمر أبا بكر أن يصلي بالناس، وقد اختلف في صلاته بهم، فالشيعة تزعم أنه لم يصل إلا صلاة واحدة، وقد استندوا في ذلك إلى الرأي القائل بوفاة الرسول لليلتين بقيتا من صفر، وهو القول الذي تقوله الشيعة، وغيرهم يذهب إلى أنه توفي في شهر ربيع الأول بعد مضي أيام منه، وهؤلاء يذهبون إلى الرأي القائل إن أبا بكر صلى أكثر من مرة بالناس^(١).

إلا أن قضية الصلاة - إن صحت - ليس فيها أية إشارة إلى تعيينه للخلافة؛ لأن قضية إمامة الصلاة ليست حجة؛ لأن هناك من ذهب إلى أن أبا بكر كان مكلفاً بمهمة عسكرية ضمن جيش أسامة وقد نهى النبي عن التخلف عنه كما بيّنا وشدد في الإسراع في إنفاذه وبذلك من غير المعقول أن يكلف بمهمتين في آن واحد^(٢).

فيما يخص رواية ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام حول سؤال الناس لعلي بن

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ٣٤١.

(٢) المظفر، السقيفة، ص ٤٣.

أبي طالب حول حالة الرسول الصحفية، ففيها تشويه للحقيقة ففي هذه الرواية يريد للعباس مكانة عالية إزاءمقابل منزلة الإمام علي (عليه السلام) وإظهاره بصورة الرجل الفاقد للمصداقية وكأنه أراد تمويه الأمور ولا يعرف من أمر الموت شيئاً، في الوقت الذي تظهر الرواية نفسها العباس بصورة الرجل الواثق من نفسه الخبير بالأمور الصدوق في كلامه، وهذه رواية عباسية بامتياز لأن هذا الوصف بعيد كل البعد عن الإمام علي (عليه السلام) وهو القائل: ((لا خير في الصمت عن الحكم كما أنه لا خير في القول بالجهل))^(١).

كذلك الرواية فيها إيجاء للمتلقي بأن أمر الاستخلاف غير واضح وأريد لها أن تنسف حادثة غدير خم بالكامل وقد سيقت الرواية لتظهر العباس وكأنه هو الذي أمر الإمام أن يسأل الرسول عن الخلافة بمعنى انه لم يستخلف أحداً.

وهذا فيه خدمة كبيرة لمصالح العباسيين السياسية، فهم جاؤوا إلى الخلافة رافعين شعار الرضا من آل محمد وهم أحق بالخلافة من غيرهم لذلك كل همهم الطعن في حديث الولاية وإخفاؤه عن الناس من أجل طمس الحقائق.

— رواية وفاة الرسول في حجر عائشة بعيدة جداً عن الواقع إذا علمنا حداثة سن عائشة ما تذكره الرواية لا يؤهلها إلى فضل كهذا مقابل وجود آل بيت النبي من عمومته وأولاد عمومته وعلى رأسهم علي بن أبي طالب الذي لا يفارق الرسول لحظة واحدة، ففي الرواية عن سليمان بن داود الحصيني عن أبيه عن أبي غطفان قال: ((سألت ابن عباس أرايت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، توفي ورأسه في حجر أحد؟ قال توفي وهو لمستند إلى صدر علي قلت: فإن عروة حدثني

(١) البلاذري، جمل أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٥٨.

عن عائشة انها قالت توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين سحري ونحري فقال ابن عباس: أتعقل، والله لتوفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنه لمستند على صدر علي...^(١).

أما بالنسبة لأسانيد الروايات الواردة حول مرض الرسول فهي مسندة إلى الزهري وعروة وعائشة وهذا الأمر لا يحتاج إلى مناقشة وقد ناقشناه في الفصل الأول. هناك روايات لم يذكرها ابن هشام في السيرة نقلها غيره من المؤرخين لابدَّ من إيرادها لكي تتوضح الأمور، منها ما ذكره عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ((اشتكى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الخميس فجعل (يعني ابن عباس) يبكي ويقول يوم الخميس وما يوم الخميس! اشتد بالنبي وجعه فقال أتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، قال: فقال بعض من كان عنده: ان نبي الله ليهجر! قال: فقليل له: ألا نأتينك بما طلبت؟ قال: أو بعد ماذا؟ قال فلم يدع به))^(٢).

وذكر الطبري^(٣) عن أحمد بن حماد الدولابي عن سفيان عن سليمان بن أبي مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الرواية نفسها إلا أنه أضاف إليها ((فاستفهموه فذهبوا يعيدون عليه، قال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة عمداً أو قال نسيتها)).

وفي رواية أبي كريب عن يونس بن بكير عن يونس بن عمر عن أبيه عن الأرقم

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٢٣٠، المفيد، الارشاد، ج ١، ص ١٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢١٣.

(٣) تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ١١٨.

ابن شربيل قال: ((سألت ابن عباس: أوصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لا، قلت فكيف كان ذلك؟ قال: قال رسول الله: ابعثوا إلى علي فادعوه، فقالت عائشة لو بعثت إلى أبي بكر وقالت حفصة: لو بعثت إلى عمر، فاجتمعوا عنده جميعاً، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): انصرفوا فإن تك لي حاجة ابعث إليكم...))^(١).

وقد وصف الإمام علي (عليه السلام) الموقف بالقول: ((لقد قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن رأسه لعلى صدري، ولقد سألت نفسه في كفي، فأمرتها على وجهي...))^(٢).

سقيفة بني ساعدة^(٣)

بعد وفاة الرسول الأكرم مباشرة حدث الانقلاب داخل الأمة حيث توجه الأنصار إلى عقد اجتماعهم الطارئ لاختيار من يخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد لحقهم المهاجرون تاركين الرسول مسجى بين أهله وثلة من أصحابه. وقد روى ابن هشام^(٤) عن ابن إسحاق ((ولما قبض رسول الله (صلى الله

(١) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٨.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ٣٣٦.

(٣) سقيفة بني ساعدة: بالمدينة وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها وهي كل بناء سقف به صفة أو شبه صفة مما يكون بارزاً وأما بنو ساعدة الذين اضيفت إليهم السقيفة منهم من حي الأنصار وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو منهم سعد بن عباد بن وليم ابن حارثة، وفيها تمت بيعة أبي بكر كخليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). ينظر الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٢٨.

(٤) السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٠٦-٢٠٧.

عليه وآله وسلم) انحاز هذا الحي من الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة، واعتزل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر، وانحاز معهم أسيد بن حضير، في بني عبد الأشهل، فأتى آتٍ إلى أبي بكر وعمر، فقال: إن هذا الحي من الأنصار مع سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة، قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرهم، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيته لم يفرغ من أمره، وقد أغلق دونه الباب أهله، قال عمر: فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، حتى ننظر ما هم عليه)).

ثم أورد ابن هشام روايات أخرى عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن ابن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس الذي قال: ((أخبرني عبد الرحمن بن عوف قال: وكنت بمنزل بمنى انتظره، وهو عند عمر في آخر حجة حجها عمر، قال فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر، فوجدني في منزل بمنى انتظره، وكنت اقرأ القرآن، قال ابن عباس، قال لي عبد الرحمن بن عوف: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين، فقال يا أمير المؤمنين هل لك في فلان؟ يقول والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً، والله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت، قال فغضب عمر...))، ثم مضى بروايته وذكر نصيحة عبد الرحمن بن عوف لعمر بن الخطاب أن يلقي خطابه في المدينة بدلاً من مكة، وبالفعل أخرج عمر خطابه إلى أن رجع إلى المدينة فقال: ((أما بعد فإني قائل لكم اليوم مقالة قد قدر لي أن أقولها، ولا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعيها فلا يحل لأحد أن يكذب علي: إن الله بعث محمداً، وأنزل عليه الكتاب... ثم أنه بلغني أن فلاناً قال: والله لو قد مات عمر بن

الخطاب لقد بايعت فلاناً، فلا يغرن أمراً أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت، وإنها قد كانت كذلك إلا قد وقى الله شرها، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، فمن بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين، فإنه لا بيعة له هو ولا الذي بايعه تغرة^(١) أن يقتلا. إنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة وتخلف عنا علي ابن أبي طالب والزبير بن العوام معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلين صالحين، فذكرنا لنا ما عليه القوم، وقالوا أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، قالوا: فلا عليكم أن لا تقربوهما يا معشر المهاجرين، اقضوا أمركم: قال قلت: والله لنأتينهم فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت: من هذا؟ قالوا سعد بن عبادة، فقلت ما له؟ فقالوا وجع. فلما جلسنا نشهد خطيبهم فأتى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دفت^(٢) دافة من قومكم، قال: وإذا هم يريدون أن يجتازونا من أصلنا، ويغصبونا الأمر فلما سكت أردت أن أتكلم.. فقال أبو بكر على رسلك يا عمر، فكرهت أن أغضبه، فتكلم، وهو كان أعلم مني وأوقر.. قال: أما ما ذكرتكم فيكم من خير، فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسباً - أي أشرفهم - وداراً - أي بلداً وهي مكة -، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين،

(١) تغرة: لا يعجل الرجل بالبيعة تغرة أن يقتل أي لا يغرن نفسه تغرة بدخوله في البيعة قبل اجتماع الناس في الأمر. ينظر الخليل الفراهيدي، العين، ج، ٤، ص ٣٤٦.

(٢) دفت: دفت علينا من بني فلان دافة يعني الجيش يدفون نحو العدو، أي يدبون. ينظر الجوهري، الصحاح، ج، ٤، ص ١٣٦.

فبايعوا أيهم شئتم وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئاً مما قال غيرها، وكان والله أن أقدم فتضرب عنقي، لا يقر ذلك إلى إثم، أحب إلي من أتأمر على قوم فيهم أبو بكر قال: فقال قائل من الأنصار منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، قال: فكثير اللغط وارتفعت الأصوات، حتى تخوفت الاختلاف، فقلت ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته، ثم بايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار ونزونا^(١) على سعد بن عباد، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عباد قال: فقلت قتل الله سعد بن عباد^(٢). وذكر الطبري^(٣) رواية ابن إسحاق نفسها فذكر فيها كيف تمت بيعة السقيفة لأبي بكر حيث أفرد لها عنواناً فرعياً (حديث السقيفة)، وكذلك أورد روايات أخرى.

وقبل الذهاب إلى بقية الروايات لابد من تثبيت جملة من النقاط لكي نناقشها في نهاية الفقرة:

إقدام الأنصار بزعامة سعد بن عباد على عقد اجتماع في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

اعتزال الإمام علي بن أبي طالب والزبير وطلحة بن عبيد الله عن الأمر في بيت فاطمة (عليها السلام).

انقسام الأنصار إلى فريقين؛ فريق مؤيد لسعد بن عباد في السقيفة وفريق الأوس بزعامة أسيد بن حضير مع أبي بكر.

(١) نزونا: أي وقعنا عليه ووطنناه. ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٢٠.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٠٨-٢٠٩-٢١٠.

(٣) تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ١٢٥-١٢٦.

قيادة عمر بن الخطاب للأمر وذهابه مع أبي بكر إلى السقيفة.

أما بقية الرواة والمحدثين فقد ذكر البلاذري^(١) مجموعة من الروايات تحكي ما جرى في سقيفة بني ساعدة منها عن علي بن محمد المدائني عن ابن جعدبة، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس، أورد فيها التفاصيل نفسها التي أوردتها ابن هشام عن ابن إسحاق فيما يتعلق بخطبة عمر في المدينة.

كما ذكر رواية محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي و عن أبي معمر عن المقبري ويزيد بن رومان مولى آل الزبير عن ابن شهاب الذي قال: ((بينما المهاجرون في حجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد قبضه الله إليه، وعلي والعباس منشغلان به، إذ جاء معن بن عدي^(٢)، وعويم بن ساعدة^(٣) فقالا لأبي بكر: باب فتنة، إن لم يغلقه الله بك فلن يغلق أبداً، هذا سعد بن عبادة الأنصاري في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يبايعوه، فمضى أبو بكر وعمر وعبيدة بن الجراح حتى جاؤوا السقيفة، وإذا سعد على طنفس متكئاً على وسادة وعليه الحمى، فقال له أبو بكر: ما

(١) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٨٤.

(٢) معن بن عدي بن العجلان بن حارثة الأنصاري من خلفاء بني مالك بن عوف شهد العقبة مع السبعين من الأنصار وكان يكتب بالعربية قبل الإسلام أخى رسول الله بينه وبين زيد بن الخطاب، قتل في خلافة أبي بكر في معركة اليمامة سنة (١٢هـ - ٦٣٣م). ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٣١، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١، ص ٣٢٠، ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ٢٣٨.

(٣) عويم بن ساعدة بن عائش بن النعمان بن زيد بن أمية من الأنصار، شهد العقبتين جميعاً وكان من الصحابة شهد المشاهد مع رسول الله قتل يوم الحرة (٦٣هـ - ٦٨٢م) أخى رسول الله بينه وبين عمر بن الخطاب. ينظر ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٤٢٤، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١، ص ٥٠٣، المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٢، ص ٤٦٦.

ترى يا أبا ثابت؟ فقال: أنا رجلٌ منكم، فقال الحباب بن المنذر منا أمير ومنكم أمير، فإن عمل المهاجري شيئاً في الأنصار رد عليه الأنصاري، وإن عمل الأنصاري شيئاً في المهاجرين، رد عليه المهاجري فأراد عمر أن يتكلم فقال له أبو بكر: على رسلك، ثم قال أبو بكر: نحن أول الناس إسلاماً، وأوسطهم داراً، وأكرمهم أنساباً، وأمسهم برسول الله رحماً، وأنتم اخواننا في الإسلام، وشركاؤنا في الدين، نصرتم وآوئتم وواسيتم، فجزاكم الله خيراً، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ولن تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فقد يعلم ملاً منكم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال الأئمة من قريش، فأنتم أحقاء أن لا تنقموا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم. فقال الحباب لا نحسدك ولا أصحابك ولكن نخشى أن يكون الأمر في أيدي قوم قتلناهم فحقدوا علينا، فقال أبو بكر: تطيعوا أمري وتبايعوا أحد هذين الرجلين: أبو عبيدة وكان عن يمينه أو عمر بن الخطاب وكان عن يساره. فقال عمر: وأنت حي ما كان لأحد أن يؤخرك عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله فابسط يدك، فبسط يده، فبايعه عمر وبايعه أسيد بن حضير وبايع الناس وازدحموا على أبي بكر. فقالت الأنصار: قتلتم سعداً. وقد كادوا يطئونه فقال عمر: اقتلوه فإنه صاحب فتنة! فبايع الناس أبا بكر^(١).

أما اليعقوبي^(٢) فتحدث عن اجتماع الأنصار في السقيفة واعتراض المجموعة التي يقودها أبو بكر: ((واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، يوم توفي رسول الله قبل أن يغسل، فأجلست سعد بن عباد الخزرجي وعصيته بعصاة وأثنت له وسادة، وبلغ أبا بكر وعمر والمهاجرين فأتوا مسرعين، فنحوا الناس عن سعد، وأقبل أبو بكر

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٨١-٥٨٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٣.

وعمر بن الخطاب و أبو عبيدة بن الجراح فقالوا: يا معاشر الأنصار منا رسول الله، فنحن أحق بمقامه، وقالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير: فقال أبو بكر: منا الأمراء وأنتم الوزراء، فقام ثابت بن قيس بن شماس^(١)، وهو خطيب الأنصار، فتكلم وذكر فضلهم. فقال أبو بكر: ما ندفعهم عن الفضل وما ذكرتهم من الفضل فأنتم له أهل، ولكن قريش أولى بمحمد منكم، وهذا عمر بن الخطاب الذي قال رسول الله: اللهم أعز الدين به! وهذا أبو عبيدة الذي قال رسول الله: أمير هذه الأمة، فبايعوا أيهما شئتم، فأبىا عليه وقالوا: والله ما كنا لتقدمك، وأنت صاحب رسول الله وثاني اثنين فضرب أبو عبيدة على يد أبي بكر، وثنى عمر ثم بايع من كان معه من قريش ثم نادى أبو عبيدة: يا معشر الأنصار: إنكم كنتم أول من نصر، فلا تكونوا أول من غير وبدل. وقام عبد الرحمن بن عوف فتكلم فقال يا معشر الأنصار إنكم وإن كنتم على فضل، فليس فيكم من أبي بكر وعمر وعلي وقام المنذر بن أرقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت، وإن فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد، يعني علي ابن أبي طالب، فوثب بشير بن سعد من الخزرج فكان أول من بايع من الأنصار، وأسيد بن حضير الخزرجي، وبايع الناس حتى جعل الرجل يظفر وسادة سعد بن عبادة، وحتى وطئوا سعداً، وقال عمر: اقتلوا سعداً، قتل الله سعداً)).

إن قراءة الروايات التي نقلت حادثة السقيفة والتي عرضنا قسماً منها لا تختلف كثيراً من حيث المضمون إلا اختلافات بسيطة جداً، لكن الرواية المسندة إلى أبي سعيد

(١) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن أمريئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة الخزرجي، خطيب الأنصار كان من أصحاب الرسول الأكرم لم يشهد بدرأً وشهد أحداً وبيعة الرضوان، آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينه وبين عمار بن ياسر استشهد في اليمامة في خلافة أبي بكر سنة (٥١٢ - ٦٣٣ م). ينظر الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١، ص ٣٠٨، المزني و تهذيب الكمال، ج ٤، ص ٣٦٨.

الخدري التي نقلها الجوهرى تختلف عما تقدم: ((لم أزل لبني هاشم محباً فلما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكنت أتردد على بني هاشم وهم عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحجرة وأنفق وجوه قريش، فإني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر وعثمان وإذ قائل يقول القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذ قائل آخر يقول: بويع أبو بكر فلم ألبث، وإذا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأزر الصنعانية لا يمرون بأحد إلا خبطوه، وقدموه فمد يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه، شاء ذلك أو أبى فأنكرت عقلي وخرجت أشتد حتى انتهيت إلى بني هاشم والباب مغلق فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً وقلت: قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة، فقال العباس: تربت أيديكم إلى آخر الدهر، أما إني أمرتكم فعصيتموني فمكثت أكابد ما في نفسي ورأيت في الليل المقداد وسلمان وأبا ذر وعبادة بن الصامت وأبا الهيثم بن التيهان، وحذيفة وعمار، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين))^(١).

وفي ضوء ما تقدم يمكننا أن نسجل الملاحظات الآتية:

انحياز حي من أحياء الأنصار بزعامة سعد بن عبادة إلى سقيفة بني ساعدة لغرض التشاور في أمر الخلافة، وبحسب ما قدمته الروايات فإن الأنصار كانوا يعتقدون أنهم أولى بأمر الخلافة لأنهم أصحاب الدار وأنهم الذين آووا ونصروا وبذلوا للإسلام نفوسهم وأموالهم، فرأوا في أنفسهم أن لهم حقاً كبيراً في إدارة الدولة الإسلامية، فلهم سوابق ليست لغيرهم وبهذا يجب أن يكافئوا على تضحياتهم التي قدموها في سبيل إعلاء شأن الإسلام، وأول هذه الحقوق التي يجب أن يتمتعوا بها هو

(١) الجوهرى، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز، ت (٣٢٣هـ - ٩٣٤م)، السقيفة وفدك، تحقيق محمد هادي الاميني (ط ٢، للطباعة والنشر - بيروت، ١٩٩٣)، ص ٤٨.

إمارة المسلمين أو على أقل تقدير المشاركة في هذه الإمارة.

ومن جهة أخرى فإنهم قد وتروا قريشاً والعرب من خلال حروب وغزوات النبي التي كانت للأنصار اليد الطولى فيها، حيث قتل في تلك الحروب صناديد قريش وأسروا رجالها حتى دانت بأسياهم العرب، لذلك كانوا يخشون من تولي أحد القرشيين الخلافة قد لا يكونون في مأمن من سطوته^(١).

أما خروجهم على النص الإلهي الخاص بتنصيب أمير المؤمنين علي، فيمكن أن نعزوه إلى أنهم كانوا يعرفون أن العرب بشكل عام وقريش بشكل خاص لم تكن تنظر للإمام علي بارتياح؛ لأنهم كانوا موتورين منه بقتل رجالهم من خلال معاركه في الدفاع عن الإسلام، لذلك ظن الأنصار بأنه من البعيد كل البعد أن تسلم قريش أمرها للإمام علي بعد رسول الله وقد استندوا إلى المعطيات التي حصلت وهي ثقافتهم في إنفاذ جيش أسامة والحيلولة دون السماح للنبي بكتابة الكتاب الذي طلب كتابته في أثناء مرضه، وكانوا قريبين من المؤامرة التي حاكها مجموعة من القرشيين وعاشوا كل تفاصيلها، فبادروا لأخذ زمام الأمور وهم يدركون أحقية الإمام علي بالأمر^(٢)، وقد كان ذلك واضحاً عندما فشلت محاولتهم وخرج الأمر من أيديهم: ((فقلت الأنصار، أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً))^(٣).

أما ما جاء في رواية ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام والتي ذكر فيها: ((اعتزال علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة))، فهذا أمر مخالف للحقيقة؛ لأن خطبة عمر التي ذكرناها أشارت إلى تخلف الإمام علي ومن

(١) المظفر، السقيفة، ص ٧٥.

(٢) المظفر، السقيفة، ص ٧٦.

(٣) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ١٢٤.

معه عن السقيفة من دون أن يذكر المكان، كذلك رواية يزيد بن رومان الذي ذكرها البلاذري أكدت انشغال الإمام علي والعباس بن عبد المطلب بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كذلك الرواية التي نقلها الجوهري والتي بين فيها كيف كان بنو هاشم كلهم مشغولون في تجهيز النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذه الرواية لا تصمد أمام النقد الموضوعي لأنه ليس من المعقول أن يترك الإمام علي الرسول الأعظم مسجى ويتقل إلى داره ليعتزل الأمور، لكن الغرض من الرواية أنهم أرادوا أن يصوروا الإمام علياً بصورة الطامح للخلافة والذي وجد الإجماع أقوى من إرادته فاعتزل في بيته، وبذلك ألغت الرواية النص على خلافته من قبل الرسول بغدير خم، والرواية فيها إيجاء إلى أن اجتماع السقيفة كان شريعياً وقراراته نافذة على الجميع والمشكلة كانت في عدم التحاق علي بن أبي طالب بذلك الاجتماع!

نقلت لنا رواية ابن إسحاق الواردة عند ابن هشام وغيره من الرواة الفجوة التي كانت بين الأنصار وعدم الإنسجام الذي كان سائداً بينهم، والأمر كان كذلك بالفعل وهو ما دلت عليه القرائن السابقة واللاحقة، ففي السابق كان الأوس والخزرج سكان المدينة قبل الإسلام أهل عزة ومنعة في بلادهم وقد كانت بينهم حروب وأيام مشهورة حتى ضربتهم تلك الحروب وألجأتهم إلى قريش في مكة لكي يجدوا حلاً لمشاكلهم إلى أن من الله عليهم برسول الله فاستطاع أن يعالج وضعهم الداخلي بدواء الإسلام وقد استجابوا الدعوة الرسول وأصبحوا داخلين في الإسلام متحابين متوادين^(١)، ولكن بقي عدم الارتياح فيما بينهم إضافة إلى النزعة القبلية في نفوسهم وعلى الرغم من انصهارهم في بوتقة الإسلام إلا أنهم بالمحصلة النهائية حزبان الأوس والخزرج أحدهما لا يطمئن للآخر، فألقى هذا الوضع بظلاله يوم

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٤.

السقيفة، لذلك عندما ذهب الخزرج لاختيار سعد بن عباد لم يكن موقفهم موحداً مع الأوس حول أمر الخلافة؛ لأن الأوس لم يطمئنون لأطروحة الخزرج باختيار سعد ابن عباد خليفة للمسلمين، وقد انحاز زعيمهم أسيد بن حضير إلى جانب أبي بكر وعمر وهو صاحب المقولة في أثناء اجتماع السقيفة: ((يا معشر الأنصار إنه قد عظمت نعم الله عليكم إذ سماكم الأنصار^(١)) وجعل إليكم الهجرة وفيكم قبض الرسول محمد عليه السلام فاجعلوا ذلك شكراً لله فإن هذا الأمر في قريش دونكم))^(٢).

وهذا تأييد واضح من الأوس لحزب المهاجرين بقيادة عمر بن الخطاب زيادة على ذلك ما ذكره الحباب بن المنذر خطيبهم عندما قال كلمته المشهورة: (منا أمير ومنكم أمير) الذي يدل على عدم قوة قرار الأنصار^(٣).

الملاحظ من خلال رواية ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام وبقية الروايات أن عمر بن الخطاب هو الذي تزعم حزب المهاجرين وذلك بعد أن جاءه أبو بكر وأقنعه بوفاة الرسول بعد أن كان معترضاً^(٤)، ثم ترك بعد ذلك البيت النبوي والمسجد وتوجه على الفور برفقة أبي بكر وأبي عبيدة بن الجراح، وقد يكون هذا الأمر بناءً على اتفاق مسبق بينهم وخطة دبرت قبل وفاة النبي، وهذا الرأي نجد له ما يؤيده:

ذهاب عمر بن الخطاب إلى أبي بكر ليعلمه باجتماع الأنصار سراً وأجبره على الذهاب إلى السقيفة^(٥)، لذلك هناك ترابط واضح بين ذهاب عمر إلى أبي بكر

(١) وردت كلمة الأنصار في القرآن ثمان مرات. ينظر ابن اعتم، الفتوح هامش، ص ٧.

(٢) ابن اعتم، الفتوح، ج ١، ص ٧.

(٣) المظفر، السقيفة، ص ٨٢.

(٤) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ١٢٣.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ١٧٥.

وإخراجه بشكل سري دون إعلام الحاضرين بالأمر.

موقف عمر وردة فعله غير المبررة التي أنكر فيها وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الأمر الذي سبب حالة إرباك بين المسلمين، لكن هذا الأمر انتهى عندما وصل السقيفة فأصبح يجاجج ويجادل ويقاوم ويناضل وكان غير ذلك الشخص الذي اعترض اعترض اعترضاً شديداً حتى فقد صوابه، وكان هو الشخص ذاته الذي اعترض على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونعته بالهجر^(١) في مرضه عندما طلب كتفاً ودواة ليكتب أمراً لن تفضل الأمة بعده أبداً، وهو القائل حسبنا كتاب الله، وهذا يعني أنه يعرف جيداً أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سوف يموت وأن مرضه هذا سيؤدي إلى موته.

الحكومة التي شكلت بعد اجتماع السقيفة كانت توليّ أبا بكر الخلافة، وعمر القضاء وأبا عبيدة المال^(٢)، وهي الوظائف الرئيسة في الدولة الإسلامية.

قول عمر حين حضرته الوفاة: ((لو كان أبو عبيدة حياً لوليت))^(٣).

قول الإمام علي (عليه السلام) لعمر بن الخطاب: ((احلب يا عمر حلباً لك شطره أشدد له اليوم أمره ليرد عليك غداً))^(٤).

ما جاء في كتاب معاوية بن أبي سفيان لمحمد بن أبي بكر - رضوان الله عليه - في اتهامه أبيه وعمر بالاتفاق على غضب الحق العلوي فقال له: ((فكان أبوك

(١) المفيد، الارشاد، ج ١، ص ١٨٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٦٨.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٤٨.

(٤) الجوهرى، السقيفة وفدك، ص ٦٣.

وفاروقه أول من ابتزه حقه، وخالفه على أمره وعلي ذلك اتفقنا واتسقنا))^(١)، فالعبارة الأخيرة تدل على أن هناك اتفاقاً مسبقاً بين عدة أطراف بقيادة عمر بن الخطاب^(٢).

وهكذا تمت البيعة لأبي بكر وقضي الأمر، ولكن الملاحظ من خلال رواية ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام عن لسان عمر بن الخطاب بأنه ندم على تلك البيعة فقال: ((ثم أنه بلغني أن فلاناً قال: والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً))، وهذا اعتراف واضح بعدم رضا الناس عن تلك البيعة، فلم يصرح باسم القائل بل سماه فلاناً، وهذا يوحي أنه لا بد أن يكون من الصحابة البارزين الذين شعروا بالندم لتركهم نص رسول الله والانقلاب على الشرعية، فكانت هذه المقولة مدعاة لغضب عمر بن الخطاب وقد أوضح الأمور للمسلمين بعد عودته من الحج في المدينة فقال: ((فلا يغرن أمراءاً أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت، وإنها قد كانت كذلك، ألا قد وقى الله شرها)).

وهذا اعتراف آخر بعدم شرعية تلك البيعة واعتبرت فلتة، إذ لم تكن مستندة إلى أساس شرعي بل أخذت من الناس على حين غرة.

تجهيز الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ودفنه

ذكر ابن هشام^(٣) رواية ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله: ((أن علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد، وشقران مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هم

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٧.

(٢) الصدر، محمد باقر، فذلك في التاريخ، (مكتبة يعقوب - بغداد، ٢٠١٣)، ص ٦٢.

(٣) السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣١٣.

الذين ولوا غسله، وأن اوس بن خولي، أحد بني عوف بن الخزرج، قال لعلي بن أبي طالب: أنشدك الله يا علي وحظنا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان أوس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بدر، قال ادخل: فدخل فجلس، وحضر غسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأسنده علي بن أبي طالب إلى صدره وكان العباس والفضل وقثم يقبلونه معه، وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه هما اللذان يصبان الماء عليه، وعلي يغسله، قد أسنده إلى صدره، وعليه قميص يدلكه من ورائه، لا يفضي بيده إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي يقول: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حياً وميتاً! ولم يُر من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله وسلم) شيء مما يُرى من الميت)).

وعن ابن إسحاق عن جعفر بن علي بن الحسن عن أبيه، عن جده علي بن الحسن والزهري نقل ابن هشام^(١): (فلما فرغ من غسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكفن في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين - نسبة إلى صحار وهي مدينة في اليمن - وبُرد حبرة أدرج فيه ادراجاً.. وذكر ابن إسحاق عن حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما ارادوا أن يحضروا الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان أبو عبيدة ابن الجراح يضرح كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة، فكان يلحد، فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما، اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح وللآخر اذهب إلى أبي طلحة. اللهم خر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به، فلحد لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)... فلما فرغ من جهاز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله وسلم) يوم الثلاثاء، وضع على سريره في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا

(١) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣١٤.

في دفنه، فقال قائل: ندفنه في مسجده وقال قائل: بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: ما قبض نبي إلا ودفن حيث يقبض، فرفع فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي توفي عليه، فحفر له تحته، ثم دخل الناس على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ارسالاً، دخل الرجال حتى إذا فرغوا أدخل النساء، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان. ولم يؤم الناس على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحد...)).

وقال ابن إسحاق عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن امراته فاطمة بنت عمارة عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، عن عائشة قالت: ((ما علمنا بدفن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل من ليلة الأربعاء...))^(١).

كما روى ابن هشام^(٢) عن ابن إسحاق قوله: ((وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقال أوس بن خولي لعلي بن أبي طالب: يا علي، أنشدك الله، وحظنا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال له: انزل، فنزل مع القوم...)).

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص ٣١٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٣١٥.

من خلال ذلك يمكن تسجيل ما يأتي:

١. الإمام علي بن أبي طالب هو من تولى غسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتجهيزه.
 ٢. عدم حضور أبي عبيدة بن الجراح لحفر قبر الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).
 ٣. اختلاف المسلمين في كيفية دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
 ٤. الإمام علي بن أبي طالب من أنزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قبره الشريف.
- أما روايات ابن إسحاق التي ذكرها الطبري^(١) في تاريخه فهي نفسها التي ذكرها ابن هشام وبالأسانيد من دون أي زيادة أو نقص.

أما بقية الرواة والمؤرخين فقد نقلوا تفاصيل تجهيز الرسول ودفنه كما يأتي.

أورد البلاذري^(٢) عدداً من الروايات وأسانيد مختلفة وكان من ضمنها روايات ابن إسحاق المتقدمة، فروى عن إسحاق بن أبي إسرائيل عن إسماعيل بن إبراهيم عن ابن جريح قوله: ((غسل رسول الله ثلاث غسلات بماء وسدر، في قميص وغسل من بئر لسعد بن خثيمة يقال له بئر غرس. وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يشرب منها. وتولى غسله علي بن أبي طالب بيده، والعباس يصب الماء والفضل بن العباس محتضنه، والفضل يقول أرحني أرحني قطعت وتيني)).

وعن محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري قال: ((أخلى

(١) تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ١٣٠.

(٢) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٧٠.

أبو بكر وأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين العباس وعلي والفضل ابن العباس، وسائر أهلهم، فكانوا هم الذين اجنوه^(١). وفي رواية الزهري عن حماد ابن زيد عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: ((ولي غسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإجنانه دون الناس أربعة؛ العباس، وعلي، والفضل بن العباس وصالح مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم))^(٢). أما اليعقوبي^(٣) فذكر: ((وغسّله علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس بن عبد المطلب وأسامة بن زيد يناولان الماء)). وقد ذكر ابن الجوزي^(٤) رواية ابن إسحاق نفسها التي ذكرها ابن هشام في السيرة النبوية، وكذلك ابن الأثير^(٥).

ومن خلال الروايات المتقدمة يتضح ما يلي:

نقل ابن هشام حقيقة الأمر أن الإمام علياً ومعه عمه العباس وأولاده هم الذين قاموا بتغسيل الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وتجهيزه وهذا يتفق مع ما أورده المفيد^(٦) في رواية ينتهي سندها إلى عبد الله بن عباس حيث قال: ((لما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تولى غسله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) والعباس معه والفضل بن العباس، فلما فرغ علي (عليه السلام) من غسله كشف الأزرار عن وجهه ثم قال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وطبت ميتاً، انقطع

(١) البلاذري، الأنساب، ج١، ص٥٧١.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٥٧١.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٧٧.

(٤) المنتظم، ج٤، ص٤٥.

(٥) الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٩٥.

(٦) محمد بن النعمان ت (٤١٣هـ - ١٠٢٢م)، أمالي المفيد، دار المتقين للثقافة والعلوم والطباعة والنشر، بيروت -، ٢٠٠٢م، ص١٠٢.

بموتك ما لم ينقطع بموت أحد من سواك من النبوة والأنبياء، خصصت حتى صرت مسلياً عمّن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء ولو لا أنك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشؤون ولكن ما لا يرفع كمد وغصص محالفان، وهما داء الاجل وقللاً لك، بأبي أنت وأمي اذكرنا عند ربك، واجعلنا من همك، ثم أكب عليه فقبّل وجهه ومد الأزار عليه)).

بلا شك إن مسألة تجهيز الرسول الأكرم من قبل أصحابه من الأمور المهمة جداً، لكن الملاحظ خلاف ذلك، فقد تركوا آل بيت النبي يتقدمهم الإمام علي مشغولين بذلك الأمر وذهبوا وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وابو عبيدة يتفقون فيمن تكون خلافة المسلمين، ومحتجين بأن الأمر سوف يذهب من ايديهم باجتماع الأنصار وعقد الأمر لسعد بن عباد، لكن هذا الأمر غير مقبول لأن الأنصار لم يكونوا منسجمين مع بعضهم، لذلك الملاحظ ومن خلال رواية ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام ان أبا عبيدة لم يحضر لكي يحفر قبر للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد حاول الراوي تجميل الصورة فألقى باللائمة على الخيرة التي ساقّت الأمر لأبي طلحة الأنصاري.

اختلاف المسلمين في كيفية دفن الرسول الأكرم حيث اعادت الرواية صورة أبي بكر إلى الواجهة مرة أخرى، وجعلته في الصدارة بحيث اشار عليهم بمكان حفر القبر وكأن الراوي أراد أن يسعف أبا بكر ويخلصه من الحرج ويجعل له منقبة، فبرز وجوده على الرغم من انشغال الأخير بالبيعة والخلافة، وهذا ما أكدته عائشة بعدم علمها بدفن الرسول حتى سمعت اصوات المساحي، وهذا ينسف الرواية التي ذكرت ان الرسول توفي في حجرها.

ذكر ابن هشام عن ابن إسحاق بأن الإمام علياً (عليه السلام) يساعده

العباس وابناؤه هو الذي انزل الرسول الأكرم في قبره وقد نزلوا جميعاً، حيث لاحظنا من خلال الروايات التي نقلها ابن هشام بأن هناك من يعين الإمام علياً في عملية التجهيز والغسل لكن النزول في القبر اعتقد أنها لا تحتاج أكثر من واحد ينزل في القبر ولكن الرواة حرصوا أن لا يبقوا هذه المنقبة لعلي دون إشراك أحد معه.

واليعقوبي^(١) ذكر: ((ونزل قبره علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وقيل الفضل بن العباس وشقران مولى رسول الله، ونادت الأنصار اجعلوا لنا في رسول الله نصيباً في وفاته كما كان لنا في حياته، فقال علي ينزل منكم رجل، فأنزلوا أوس بن خولي)). وفي رواية الشعبي عن أبي مرحب: ((نزل في قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعة أحدهم عبد الرحمن بن عوف، وقال الواقدي أنه نزل في قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب والفضل وأسامة وشقران))^(٢).

أما المفيد^(٣) فذكر أن أوس بن خولي دخل مع الإمام علي (عليه السلام) في القبر عندما أمره الإمام بأن ينزل في القبر فنزل: ((ووضع أمير المؤمنين (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على يديه ودلاه في حفرته فلما حصل إلى الأرض قال له: اخرج ونزل علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى القبر فكشف وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووضع خده على الأرض موجهه إلى القبلة على يمينه، ووضع عليه اللبن وهال عليه التراب)). وهذه الصورة هي أقرب الصور للواقع.

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٧٧.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٧٧.

(٣) الارشاد، ج ١، ص ١٨٩.

الخاتمة



الخاتمة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر لما وفقنا لإنجاز هذا البحث الذي تناولنا فيه مفصلاً مهماً من مفاصل السيرة النبوية وهي صورة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من خلالها فبعد الدراسة والبحث توصلنا إلى ما يلي:

إن شخصية الإمام علي بن أبي طالب هي الثانية بعد الرسول الأكرم لما تحمله من مؤهلات وقدرات في مختلف ميادين الحياة جعلته قدوة وأسوة لكل من يريد الفضيلة ويرفض الظلم والطغيان.

أن كتابة السيرة النبوية مرت في بداياتها بمنعطفات خطيرة ومحاولات أُريد لها تغيير مجرى تاريخ المسلمين وتسييل الأضواء على فرعيات المسائل وترك أمهاتها في زاوية النسيان بعيدة عن الأضواء، وكان الهدف من ذلك إعلاء شأن قوم وإنزال قدر آخرين لا لشيء فقط لتعصب سياسي أو مذهبي أو نعرات قبلية مقبلة.

فمن خلال دراستنا نشوء السيرة وتطورها لاحظنا أنها كتبت بأقلام غير محايدة ليس هدفها إبراز الحقائق التاريخية بالشكل الذي كانت عليه، وأن الذين كتبوا السيرة ونقلوا رواياتهم الخصوم الألداء للحقائق، همهم الحط من قدر علي بن أبي طالب وإنزاله إلى مراتب لا تليق به؛ كونه أولهم إسلاماً وأكثرهم إيماناً وأفصحهم لساناً وأرجحهم وأكثرهم جهاداً في سبيل الله...

ولأن مناقبه تسرق الأضواء من رموزهم فلاحظنا من خلال البحث وكأن رواية السيرة النبوية حكر على آل الزبير ومن يدور في فلحهم رغم وجود محاولات أخرى في كتابة السيرة وروايتها لا ترقى إلى ما جاء به عروة بن الزبير ومن بعده تلميذه الزهري اللذان يمثلان المنطلقات الفكرية للسياسة الأموية المعادية لعلي وآل علي

مستغلين قريتهم من عائشة بنت أبي بكر زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لتكون مصدر رواياتهم التاريخية في السيرة النبوية.

فلاحظنا اختلاق كثير من الروايات التاريخية التي تسرق المناقب من علي بن أبي طالب وتعطيها لغيره أو أنها تصوره بمنزلة لا تليق بمقامه ومكانته التي كان عليها، وهذا التوجه العدائي استمر طيلة مدة الحكم الأموي وكذلك في مدة الحكم العباسي الذي كان له الدور البارز في صياغة مفردات السيرة النبوية وفق أمزجتهم وآرائهم السياسية هدفهم الأول رفع منزلتهم والخط من قدر العلويين، منطلقين بذلك من فكرة آل البيت التي روجوا لها بأنهم هم المقصودون بذلك.

فلذلك لاحظنا ابن هشام ومن قبله ابن إسحاق خير ممثلين لذلك التوجه في حجب الصورة الحقيقية لعلي بن أبي طالب وعدم إظهارها إلى جماهير الأمة.

من خلال البحث لاحظنا أن كاتب السيرة لا يمكن له ومهما حاول حجب صورة الإمام علي بن أبي طالب عن المتلقي؛ لأنها جزء لا يتجزأ من السيرة وحجبها يعني حجب أهم مفاصل السيرة وإفراغها من محتواها، فمثلاً حجب صورة علي عن معركة بدر يعني أنه لا توجد هناك معركة بدر؛ لأن أغلب تفاصيل معركة بدر وانتصاراتها كانت نتيجة لمقدرة الإمام علي القتالية وبلائه الواضح في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، فلذلك عمدوا إلى إخفات بريق تلك الصورة بالدس والتزوير لغرض التقليل من قيمته في تلك المعركة.

لاحظنا القطع الكبير في مفاصل مهمة من السيرة النبوية وحجبها عن المتلقي سواء بقصد من ابن هشام كما حصل في حديث الدار أم من ابن إسحاق نفسه كما حصل في حديث الغدير، فإن تعمد أصحاب السير ومنهم ابن هشام ومن قبله ابن

إسحاق إلى حجب تلك الصور له دلالاته السياسية، حيث لا يروق للحكام آنذاك إبراز مكانة الإمام علي بن أبي طالب في قيادة الأمة وقرار الرسول له في ذلك.

التشويش والتلاعب بالألفاظ وهذا واضح من خلال البحث فهناك الكثير من الروايات التي نقلها ابن هشام في السيرة النبوية موجه إلى غير الوجهة التي أريدت لها حيث تصور علي بن أبي طالب وكأنه شخص عادي تصدر منه أفعال وممارسات كما تصدر من غيره فيها إيجاء إلى القارئ بأنه لا يختلف عن بقية الصحابة وهو يارس الممارسات نفسها التي يارسها غيره فضلاً عن أن هناك مناقب كثيرة أسندت إلى غيره أمثال قتل مرحب اليهودي، حيث وجدنا في السيرة النبوية لابن هشام أن مرحباً قتل من قبل محمد بن مسلمة الأنصاري والغرض من ذلك التقليل من مكانة علي بن أبي طالب وقد تمت مناقشة ذلك الأمر في محله.

أراد ابن هشام في تهذيبه لسيرة ابن إسحاق المهذبة أصلاً خلق حالة من التوازن في رواياته التاريخية لتكون مقبولة من العامة والخاصة، فقد لوحظ أنه لم يكتف بالتهذيب بل أضاف إلى السيرة النبوية روايات من موارده الخاصة ولم يكن اعتماده كلياً على سيرة ابن إسحاق.

حاولنا وعن طريق البحث والتدقيق استدراك ما قطعه ابن هشام من السيرة النبوية من روايات لغرض إكمال صورة الإمام علي معتمدين بذلك على مصادر معتبرة ومقاربة زمنياً لابن هشام لغرض إظهار ما أراد ابن هشام إخفاءه.

A decorative rectangular border with ornate floral and scrollwork designs at each corner, framing the central text.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري ت (٦٣٠هـ - ١٢٣٢م) - أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود (دار الكتب العلمية - بيروت، د.ت).
- الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٧م)
- اللباب في تهذيب الأنساب، (دار صادر - بيروت، د.ت).
٣. أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد ت (٢٤١هـ - ٨٥٥م) - العلل، تحقيق: وصي الله بن محمود عباس، (المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٨هـ).
- فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق حسن السنيد (المجمع العلمي لأهل البيت للطباعة والنشر - قم، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- مسند أحمد، (دار صادر - بيروت، د. ت)
٤. ابن إدريس الحلي، أبو عبد الله محمد بن منصور، ت (٥٩٨هـ - ١٢٠١م) - المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب البيان، تحقيق، مهدي رجائي، (مطبعة سيد الشهداء - قم، ١٤٠٩هـ).
٥. الأربلي، علي بن أبي الفتح، ت (٦٩٣هـ - ١٢٩٣م) - كشف الغمة في معرفة الأئمة (ط٢، دار الاضواء - بيروت، ١٩٨٥م).
٦. الأزرق، محمد بن عبد الله، ت (٢٥٠هـ - ٨٦٤م) - أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، تحقيق ارشدي الصالح (انتشارات الشريف الرضي - قم، ١٤١١هـ).
٧. ابن إسحاق، محمد، ت (١٥١هـ - ٧٦٨م) - السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار (دار الفكر - بيروت، ١٩٧٨م).

٨. الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، ت (٣٥٦هـ - ٩٦٦م)
الأغاني، تحقيق علي السباعي وعبد الكريم الغرباوي (الهيئة المصرية العامة للكتب - القاهرة، ١٩٩٢م)
- مقاتل الطالبين، (دار المتقين - بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)
٩. ابن اعثم، أبو محمد أحمد، ت (٣١٤هـ - ٩٢٦م)
- كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري (دار الاضواء - بيروت، ١٩٩١م).
١٠. أبو أيوب الباجي، سليمان خلف بن سعد، ت (٤٧٤هـ - ١٠٨١م)
- التعديل والجرح، تحقيق أحمد البزاز (وزارة الاوقاف والشؤون الدينية - مراكش، د. ت).
١١. الباعوني، الشافعي، شمس الدين أبي البركات، ت (٨٧١هـ - ١٤٦٦م)
- جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق محمد باقر المحمودي (دانش - قم، ١٤١٥هـ).
١٢. البحراني، السيد هاشم، ت (١١٠٧هـ - ١٦٩٥م)
- البرهان في تفسير القرآن، (مؤسسة البعثة - قم، د. ت).
١٣. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ت (٢٥٦هـ - ٨٥٦م)
- التاريخ الكبير، (المكتبة الإسلامية - ديار بكر - تركيا، ١٩٨١).
- صحيح البخاري، (دار الطباعة العامة - استانبول، ١٩٨١م).
١٤. برهان الدين الحلبي، إبراهيم بن محمد بن خليل، ت (١٠٤٤هـ - ١٦٣٤م)
- السيرة الحلبيّة (دار المعرفة - بيروت، د. ت).
١٥. البري، محمد بن أبي بكر الأنصاري، ت (٧هـ - ق ١٣م).
- الجوهرية في نسب الإمام علي، تحقيق محمد التونجي، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت، د. ت).
١٦. ابن البطريق، يحيى بن الحسن الأسدي، ت (٦٠٠هـ - ١٢٠٣م)

- عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار (مؤسسة النشر الإسلامي – قم، ١٤٠٧هـ).
١٧. البغوي، أبو الحسين بن مسعود، ت (٥١٠هـ – ١١١٦م)
– معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق، خالد عبد الرحمن العك (دار المعرفة – بيروت، د. ت).
١٨. البكري الاندلسي، عبد الله بن عبد العزيز، ت (٤٧٨هـ – ١٠٩٤م)
– معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا (ط ٣، عالم الكتاب – بيروت، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م).
١٩. ابن بكّار، الزبير، ت (٢٥٦هـ – ٨٦٩م)
– الأخبار الموفقيات، تحقيق، سامي مكّي العاني (ط ٣ – عالم الكتاب – بيروت، ١٩٩٦م).
٢٠. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، ت (٢٧٩هـ – ٨٩٢م)
– أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله (دار المعارف – مصر، د. ت)
– جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي (دار الفكر – بيروت، ١٩٩٦م).
٢١. البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل، ت (٣٢٢هـ – ٩٣٣م)
– البدء والتاريخ، (دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٧م)
٢٢. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، ت (٤٥٨هـ – ١٠٦٥م)
– دلائل النبوة في معرفة احوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعجي (دار الكتب العلمية – بيروت، د. ت).
- السنن الكبرى، (دار الفكر بيروت، د. ت)
٢٣. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره، ت (٢٧٩هـ – ٩٠٩م)
– سنن الترمذي، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان (ط ٢، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت، ١٩٨٣م).

٢٤. التفريشي، مصطفى بن الحسين، ت (ق ١١هـ - ق ١٧م)
- نقد الرجال (مؤسسة أهل البيت لآحياء التراث - قم، ١٤١٨هـ)
٢٥. الثعلبي، أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم، ت (٤٢٧هـ - ١٠٣٥م)
- تفسير الثعلبي، تحقيق أبو محمد بن عاشور، (دار آحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).
٢٦. ابن جبر، زين الدين علي بن يوسف، ت (ق ٧هـ - ق ١٢هـ)
- نهج الإيمان، تحقيق أحمد الحسيني، (مجمع الإمام الهادي - مشهد، ١٤١٨م).
٢٧. الجرجاني، عبد الله بن عدي، ت (٣٦٥هـ - ٩٧٥م)
- الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق سهيل زكار (ط ٣)، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت، د. ت).
٢٨. أبو جعفر الإسكافي، محمد بن عبد الله المعتزلي، ت (٢٤٠هـ - ٨٥٤م)
- المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) وبيان أفضليته على جميع العاملين بعد الأنبياء والمرسلين، تحقيق محمد باقر المحمودي (د. م، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م).
٢٩. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن الحسن، ت (٥٩٧هـ - ١٢٠٠م)
- زاد المسير في علم التفسير، تحقيق، محمد عبد الرحمن عبد الله، (دار الفكر - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧).
- صفوة الصفوة، تحقيق طارق محمد عبد المنعم (دار ابن خلدون - الاسكندرية، د. ت)
- كشف المشكل في حديث الصحيحين، تحقيق، علي حسين البواب (دار الوطن - الرياض، ١٩٩٧م) •
- المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٢م)
٣٠. الجوهري، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز، ت (٣٢٣هـ - ٩٣٤م)

- السقيفة وفدك، تحقيق محمد هادي الاميني (ط ٢)، المكتبي للطباعة والنشر - بيروت، ١٩٩٣م).
٣١. الجوهرى، إسماعيل ابن حماد، توفي (٣٩٣هـ - ١٠٠٢م).
– الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا، (ط ٤)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧-١٩٨٧).
٣٢. ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن ادريس، ت (٣٢٧هـ - ٩٣٨م)
– تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم) تحقيق اسعد محمد الطيب (دار الفكر - بيروت، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)
– الجرح والتعديل، (دار احياء التراث العربي - بيروت، ١٩٥٢م)
٣٣. ابن أبي حاتم المشغري، يوسف الشامي العاملي، ت (٦٦٤هـ - ١٢٦٥م).
– الدرر العظيم، (مؤسسة النشر الإسلامي - قم، د. ت)
٣٤. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، ت (١٠٦٧هـ - ١٦٥٦م)
– كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، تصحيح محمد شرف الدين (دار احياء التراث العربي - بيروت، د. ت)
٣٥. الحاكم الحسكاني، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت (٤٧٠هـ - ١٠٧٧م)
– شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق محمد باقر المحمودي (مؤسسة الطبع التابعة لوزارة الثقافة والارشاد الإسلامي - طهران، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م)
٣٦. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد، ت (٤٠٥هـ - ١٠١٤م).
– المستدرک على الصحيحين، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشي (دار المعرفة - بيروت، د. ت)
- معرفة علوم الحديث، تصحيح سيد معظم حسين، تحقيق، لجنة في احياء التراث العربي في دار الاوقاف الحديثة (ط ٤)، دار الاوقاف الحديثة - بيروت - لبنان، ١٤٠٠هـ

- (١٩٨٠م).

٣٧. ابن حبان، أبو حاتم محمد التميمي البستي، ت (٥٣٥٤ - ٨٥٩م)

- الثقات، (حيدر آباد الدكن - الهند، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)

- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق سعد كريم الفقي (دار ابن خلدون، الاسكندرية، د. ت).

- المجروحين من المحدثين والضعفاء المتروكين، تحقيق، محمد إبراهيم زايد (دار الباز للنشر - مكة المكرمة، د. ت).

- مشاهير علماء الامصار، تحقيق مرزوق علي إبراهيم (دار الوفاء للطباعة والنشر - المنصورة، ١٩٩١م)

٣٨. ابن حبيب، محمد البغدادي، ت (٢٤٥هـ - ٨٥٩م)

- المحبر، (مطبعة الدائرة، ١٣٦١م)

- المنمق، تصحيح خورشيد أحمد فاروق (ب. م. ط)

٣٩. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، ت (٨٥٢ - ١٤٤٨م)

- الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق أحمد عبد الموجود وعلي معوض (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ)،

- تقريب التهذيب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (ط ٢، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥ - ١٩٩٥)

- تهذيب التهذيب (دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت، د. ت)

- هدي الساري في مقدمة فتح الباري (ط ٤، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨م).

- العجائب في بيان الأسباب، تحقيق، عبد الكريم محمد الانيس (الجوزي - السعودية، ١٩٩٧م).

- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (دار المعرفة - بيروت، ب. ت)

- لسان الميزان، (ط ٢، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م)

٤٠. ابن أبي الحديد المعتزلي، عز الدين بن أبي حامد بن عبد الحميد بن هبة الله، ت (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م).
- شرح نهج البلاغة، شرح وتعليق حسين الاعلمي (ط٢)، مؤسسة الاعلمي - بيروت، (٢٠٠٤م).
٤١. الحر العاملي، محمد بن الحسن، ت (١١٠٤هـ - ١٦٩٢م)
- الفوائد الطوسية، تصحيح الازوردي ومحمد وردى (المطبعة العلمية - قم، ب. ت)
٤٢. الحراني، أبو محمد الحسين بن علي بن الحسين بن شعبة
- تحف العقول عن آل الرسول، (منشورات الفجر للطباعة والنشر - بيروت، ٢٠١٤م).
٤٣. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الاندلسي، ت (٤٥٦هـ - ١٠٦٣م)
- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون (ط٥)، دار المعارف - مصر، ب. ت).
٤٤. الحلي، الحسن بن يوسف، ت (٧٢٦هـ - ١٣٥٢م)
- اجوبة المسائل المهنية، (مطبعة الخيام - قم، ١٤١٦هـ)
- كشف اليقين، تحقيق حسن الدرهاكي (ب. م. ط)
- نهج الحق وكشف الصدق، تعليق عين الله الحسيني الأرموي، (منشورات دار الهجرة، قم، ١٤١٤)
٤٥. ابن حمزة الطوسي، محمد بن علي، ت (٥٦٠هـ - ١١٤٦م)
- الثاقب في المناقب، تحقيق نبيل رضا علوان، (ط٢)، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر - قم، ١٤١٢م).
٤٦. الحميري، محمد بن عبد المنعم، ت (٩٠٠هـ - ١٤٩٤م)
- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس (ط٢) هيد لبرغ - بيروت، (١٩٨٤م)
٤٧. الحنفي، محمد بن أحمد المالكي، ت (٨٥٤هـ - ١٤٥٠م)
- تاريخ مكة المشرفة، تحقيق علاء إبراهيم الازهري وايمن نصر الازهري (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٤٨. ابن حيان، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الاندلسي
- تفسير ابن حيان (البحر المحيط)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب
العلمية بيروت، ١٤٢٢-٢٠٠١)
٤٩. ابن الخطاب القرشي، أبو زيد محمد
- جمهرة أشعار العرب (في الجاهلية والإسلام)، تحقيق، محمد علي البجاري (نهضة مصر
للطباعة والنشر، ب. ت)
٥٠. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، ت (٤٦٣هـ - ١٠٧٠م)
- تاريخ بغداد، (دار الكتب العلمية - بيروت، د. ت)
٥١. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ت (٨٠٨هـ - ١٤٠٥م)
- تاريخ ابن خلدون، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م).
٥٢. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، ت (٦٨١هـ - ١٢٨٢م)
- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق، احسان عباس، (دار صادر - بيروت، د.
ت)
٥٣. ابن خير الاشبيلي، أبو بكر محمد، ت (٥٧٥هـ - ١١٧٩م)
- الفهرست، وضع حواشيه محمد فواد منصور، د. ت
٥٤. ابن خياط، أبو عمر خليفة، ت (٢٤٠هـ - ٨٥٤م)
- تاريخ خليفة بن خياط، مراجعة وضبط مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز
(دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)
- كتاب الطبقات تحقيق سهيل زكار، (دار الفكر بيروت، ١٤١٤ - ١٩٩٣)
٥٥. أبو داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، ت (٢٤٠هـ - ٨١٩م)
- مسند أبي داود الطيالسي، (دار المعرفة - بيروت، د. ت)
٥٦. ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن عبيد، ت (٢٨١هـ - ٨٩٤م)
- مكارم الاخلاق، تحقيق، مجدي السيد إبراهيم (مكتبة القرآن الكريم للطبع والنشر،
القاهرة، د. ت)

- الورع، تحقيق عبد الله بن محمد بن أحمد الحمود (الدار - الكويت، ١٩٩٤م)
٥٧. الذهبي، شمس الدين أحمد بن محمد بن عثمان، ت (٧٤٨هـ - ١٣٧٤م)
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري (دار الكتاب العربي - بيروت، ١٩٨٩م).
- تذكرة الحفاظ، (دار احياء التراث العربي - بيروت، د. ت)
- سير أعلام النبلاء، تحقيق محمد نعيم العقروسي ومأمون صاغر جي (ط ٤، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٢م).
- الكاشف في من له رواية في الكتب الستة، (دار القبلة الإسلامية - جدة، ١٩٩٢م).
- المغني من الضعفاء، تحقيق حازم القاضي (المكتبة العلمية - بيروت، ١٩٩٧م)
- ميزان الاعتدال، تحقيق، محمد البجاوي (دار المعرفة - بيروت، د. ت).
٥٨. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الحسن، ت (٦٠٦هـ - ١٢٠٩م)
- تفسير الرازي (ط ٣، د. م. ط).
٥٩. الرازي، محمد بن أبي بكر، ت (٧٢١هـ - ١٣٢١م)
- مختار الصحاح، ضبط أحمد شمس الدين (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٤م).
٦٠. الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد بن الفضل، ت (٤٢٥هـ - ١٠٨٥م)
- مفردات الفاظ غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان داودي (مطبعة النور - قم، ١٤٢٧هـ)
٦١. الراوندي، قطب الدين، ت (٥٧٣هـ - ١١٧٧م)
- الخرائج والجرائح، تحقيق محمد باقر الموحد الابطحي (مؤسسة الإمام المهدي - قم، ١٤٠٩)
٦٢. الزبيدي، محب الدين أبي الفيض السيد مرتضى الحسيني، ت (١٢٠٥هـ - ١٧٩٠م)
- تاج العروس، تحقيق علي شيري (دار الفكر العربي - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)
٦٣. الزرندي، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن، ت (٧٥٠هـ - ١٣٤٩م)

- نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول، تحقيق حسين الحسيني
البيرجندي (ط ٢)، المجمع العلمي لأهل البيت - بيروت، (٢٠١٢م)
٦٤. الزهري، محمد بن مسلم عبد الله بن شهاب، ت (١٢٤هـ - ٧٤١م)
المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، (دار الفكر - بيروت، ١٩٨١م)
٦٥. الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، ت (٤٨٦هـ - ١٠٩٣م)
شرح المعلقات العشر، (دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٩٨٣م)
٦٦. ابن السائب الكلبي، حاتم أبو المنذر محمد، ت (٢٠٤هـ - ٨١٩م)
جمهرة النسب، تحقيق محمد فردوس العظم (دار النهضة العربية - سوريا، د. ت)
٦٧. سبط بن الجوزي، يوسف بن مرغلي بن عبد الله البغدادي، ت (٦٥٤هـ - ١٢٥٦م).
تذكرة الخواص، (مكتبة نينوى الحديثة - طهران، د. ت)
٦٨. السخاوي، شمس الدين، ت (٩٠٢هـ - ١٤٩٦م)
التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٣م).
٦٩. ابن سعد، محمد بن منيع الزهري، ت (٢٣٠هـ - ٨٤٤)
الطبقات الكبرى، تحقيق محمد علي عمر (مكتبة الخاتمي - القاهرة، ٢٠٠١م)
غزوة وسرايا الرسول، (دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨١م)
٧٠. بن سلمان الكوفي، محمد، ت (٣٠١هـ - ٩١٣م)
مناقب الإمام أمير المؤمنين، تحقيق، محمد باقر المحمودي، مجمع احياء الثقافة الإسلامية،
د. ت)
٧١. ابن سليمان، مقاتل، ت (١٥٠هـ - ٧٢٦م)
تفسير مقاتل، تحقيق أحمد فريد، (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)
٧٢. السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار، ت (٤٨٩هـ - ١٠٩٦م)
تفسير السمعاني، تحقيق ياسر إبراهيم وغنيم عباس (دار الوطن - الرياض، ١٤١٨هـ -
١٩٩٧م)
٧٣. السهيلي، عبد الرحمن، ت (٥٨١هـ - ١١٨٥م)

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عبد الرضا الوكيل (دار الكتب الإسلامية، ١٩٩٧م).
٧٤. ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد، ت (٧٣٤هـ - ١٣٤٢م) عيون الاثر في فنون المغازي والشمال والسير، (مكتبة التراث، المدينة المنورة، د. ت).
٧٥. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت (٩١١هـ - ١٥٠٥م) بغية الوعاة في طبقة اللغوين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم (د. م. ط). تاريخ الخلفاء، تحقيق، لجنة من الأدباء، (توزيع دار التعاون - مكة المكرمة، د. ت) الجامع الصغير، (دار الفكر - بيروت، ١٩٨١م) الدر المنثور في التفسير بالمتثور، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د. ت. كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (حيدر آباد الدكن - الهند، ١٣٢٠م). باب النقول في أسباب النزول، (دار الكتب العلمية - بيروت، د. ت).
٧٦. الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى، ت (٤٠٦هـ - ١٠١٥م) خصائص الأئمة، تحقيق محمد هادي الاميني (مجمع البحوث الإسلامية - مشهد، ١٤٠٦هـ).
٧٧. ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي، ت (٥٨٨هـ - م) مناقب آل أبي طالب (مطبعة الحيدرية - النجف، ١٩٥٦م)
٧٨. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ت (١٢٥٥هـ - ١٨٣٩م) نيل الاوطار (دار الجليل - بيروت، ١٩٧٣م)
٧٩. الصالحى، محمد بن يوسف الشامي، ت (٩٤٢هـ - ١٥٣٥م) سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)
٨٠. ابن الصباغ، علي بن محمد أحمد المالكي، ت (٨٥٥هـ - ١٤٥١م) الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق سامي الغريزي (دار الحديث للطباعة والنشر - قم، ١٤٢٢هـ)

٨١. الصدوق، علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، ت (٣٨١هـ - ٩٩١م)
علل الشرائع، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، (المكتبة الحيدرية - النجف، ١٩٦٦م)
عيون أخبار الرضا، (مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٣٧٩م)
معاني الأخبار، (مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٣٧٩م)
٨٢. الصفدي، صلاح الدين أبو الصفا خليل ابيك، ت (٧٦٨هـ - ١٣٦٦م)
الوفاي بالوفيات، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى (دار احياء التراث - بيروت،
٢٠٠٠م)
٨٣. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، ت (٢١١هـ - ٨٢٦م)
تفسير القرآن، تحقيق مصطفى مسلم محمد، (مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع - الرياض،
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)
- المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي (منشورات المجلس العلمي، د. ت).
٨٤. ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، ت (٦٦٤هـ - ١٢٦٥م)
الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف (مطبعة الخيام - قم، ١٣٩٩م)
٨٥. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، ت (٣٦٠هـ - ٩٧٠م)
المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد، (ط٢، دار احياء التراث العربي - بيروت، د.
ت).
٨٦. الطبرسي، الفضل بن الحسن بن الفضل، ت (٥٤٨هـ - ١٠٦٧م)
إعلام الوري بأعلام الهدى (مؤسسة أهل البيت لحياء التراث - قم، ١٤١٧).
تاج المواليد (المجموعة)، (مطبعة الصدر - قم، ١٤٠٦هـ)
تفسير مجمع البيان، تحقيق لجنة العلماء، (مؤسسة الاعلمي - بيروت، ١٤١٥هـ -
١٩٩٥م).
٨٧. الطبري، عماد الدين أبو جعفر محمد، ت (٥٢٥هـ - ١١٣٠م)
بشارة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) لشيعته المرتضى (عليه السلام) تحقيق جواد

- القيومي (مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤١٠هـ)
٨٨. الطبري، محمد بن جرير، ت (٣١٠هـ - ٩٢٢م)
- تاريخ الامم والملوك، (دار احياء التراث العربي - بيروت، ١٩٩٨م) •
- جامع البيان عن تأويل القرآن، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)
٨٩. الطوسي، محمد بن الحسن، ت (٤٦٠هـ - ١٠٦٧م)
- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، تحقيق مهدي الرجائي (مؤسسة أهل البيت لاحياء التراث - قم، د. ت)
- الاقتصاد، (مطبعة الخيام - قم، ١٤٠٠م)
- الامالي، (دار الثقافة للطباعة والنشر - قم، ١٤١٤م)
- التيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب القصير (دار احياء التراث العربي، ١٤٠٩هـ)
- رجال الطوسي، تحقيق جواد القيومي، (مؤسسة النشر الإسلامي - قم، د. ت)
٩٠. ابن عبد البر، عمر بن يوسف بن عبد الله، ت (٤٦٣هـ - ١٠٧٠م)
- الاستيعاب في اسماء الأصحاب، تصحيح عادل مرشد (دار الإعلام - الاردن، ٢٠٠٢م)
- جامع بيان العلم وفضله (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٣٨هـ)
- الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف (ط٢، دار المعارف - القاهرة، د. ت).
٩١. بن عبد ربه، أحمد بن محمد، ت (٣٢٨هـ - ٩٣٩م)
- العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٣م)
٩٢. العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله، ت (٢٦١هـ - ٨٧٣م)
- معرفة الثقات، (مكتبة الدار - المدينة المنورة، د. ت)
٩٣. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين به هبة الله، ت (٥٧١هـ - ١١٧٥م)
- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شري (دار الفكر - بيروت، د. ت).

٩٤. ابن عقدة الكوفي، أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد، ت (٣٣٣هـ - ٩٣٤م)
فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) تجميع عبد الرزاق محمد حسين فيض الدين (د. م. ط)
٩٥. العقيلي، محمد بن موسى ابن عمر ابن حماد، ت (٣٢٢هـ - ٩٣٣م).
ضعفاء العقيلي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، (ط ٢، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٨)
٩٦. ابن العماد الحنبلي، عبد الحمي العسكري الدمشقي، ت (١٠٨٩هـ - ١٦٧٨م)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (دار احياء التراث العربي - بيروت، د. ت).
٩٧. ابن عنبه، أحمد بن علي الحسيني، ت (٨٢٨هـ - ١٤٢٤م)
عمدات الطالب في أنساب آل أبي طالب (المطبعة الحيدرية - النجف، ١٩٦١م).
٩٨. الغضائري، أحمد بن الحسين، ت (ق ٥، ق ١١ م)
الرجال، تحقيق محمد رضا الجلاي (دار الحديث للطباعة والنشر - قم، ١٤٠٢هـ).
٩٩. فخار بن معد الموسوي، شمس الدين بن علي، ت (٦٣٠هـ - ١٢٣٢م)
إيمان أبي طالب (الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب)، (الآداب - النجف، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م)
١٠٠. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، ت (١٧٥هـ - ٧٩١م)
العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (مؤسسة الهجرة، ١٤٠٩هـ)
ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر محمد بن أحمد، ت (٢٩٠هـ - ٩٠٢م)
مختصر كتاب البلدان (مطبعة ليدن، ١٣٠٢هـ)
١٠١. القاضي نعمان المغربي، أبو حنيفة محمد، ت (٣٦٣هـ - ٩٧٣م)
شرح الأخبار، تحقيق محمد الحسيني الميلاني (ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤١٤هـ).
١٠٢. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت (٢٧٦هـ - ٨٨٩م)
المعارف، تحقيق ثروة عكاشة (ط ٤، دار المعارف - القاهرة، د. ت)

١٠٣. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، ت (٦٧١هـ - ١٢٧٢م)
الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق مصطفى السقا، (دار احياء التراث
العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)
١٠٤. القفطي، علي بن يوسف، ت (٦٢٤هـ - ١٢٢٦م)
أنباء الرواة على أنباء النجاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (المطبعة العصرية - صيدا،
٢٠٠٤م)
١٠٥. القمي، علي بن إبراهيم، ت (٣٢٩هـ - ٩٤٠م)
تفسير القمي، تصحيح طيب الموسوي الجزائري (مطبعة النجف - ١٣٨٧م)
١٠٦. القندوزي سليمان بن إبراهيم، ت (١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م)
ينابيع المودة لذي القربى، تحقيق سيد علي جمال اشرف (دار الاسوه، ١٤١٦هـ).
١٠٧. الكاشاني، ملا فتح الله بن شكر الله، ت (٩٨٨هـ - ١٥٨٠م)
زبدة التفاسير، (مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، ١٤٢٣هـ)
١٠٨. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، ت (٧٧٤هـ - ١٣٧٢م)
البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن تركي (هجر للطباعة والنشر والتوزيع،
١٩٨٩م).
- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، (دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٦هـ - ١٩٧١م)
١٠٩. الكركي، علي بن الحسين، ت (٩٤٠هـ - ١٥٣٣م)
جامع المقاصد في شرح الفوائد، (مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) لحياء التراث -
قم، ١٤٠٨هـ).
١١٠. الكلاعي، سليمان بن موسى، ت (٦٣٤هـ - ١٢٣٦م)
الاكتفاء بما تضمنه مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد عبد القادر عطا (دار
الكتب العلمية - بيروت، ٢٠٠٠م)
١١١. الكليني، محمد بن يعقوب، ت (٣٢٩هـ - ٩٤٠م)

- اصول الكافي (الفجر للطباعة - بيروت، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م)
١١٢. الكنجي الشافعي، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي، ت (٦٥٨هـ - ١٢٥٩م)
- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، تحقيق محمد هادي الاميني (ط ٣، دار احياء تراث أهل البيت - طهران، ١٤٠٤هـ)
١١٣. الكوفي، فرات بن إبراهيم، ت (٣٥٢هـ - ٩٦٣م)
- تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد الكاظم، (مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والارشاد الايراني - طهران، ١٩٩٠م)
١١٤. أبو الليث السمرقندي، نصر بن محمد بن محمد بن إبراهيم، ت (٣٨٣هـ - ٩٩٣م)
- تفسير السمرقندي، تحقيق محمد مطرجي (دار الفكر - بيروت، د. ت)
١١٥. ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، ت (٢٧٣هـ - ٨٨٦م)
- سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (دار الفكر - بيروت، د. ت)
١١٦. المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، ت (٩٧٥هـ - ١٥٦٧م)
- كنز العمال، ضبط بكرى حياتي (مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)
١١٧. المجلسي، محمد باقر، ت (١١١١هـ - ٧٢٩م)
- بحار الانوار، (مؤسسة الوفاء - بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م)
١١٨. المحب الطبري، أبو العباس أحمد بن عبد الله، ت (٦٩٤هـ - ١٢٩٤م)
- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تحقيق اكرم البوش (د. م. ط)
- الرياض النظرة في مناقب العشرة (دار الكتب العلمية - بيروت، د. ت)
١١٩. ابن مردويه، أحمد بن موسى الاصفهاني، ت (٤١٠هـ - ١٠١٩م)
- مناقب علي بن أبي طالب، جمع عبد الرزاق محمد حسين (ط ٢، دار الحديث - قم، ١٤٢٤هـ)
١٢٠. المزني، جمال الدين أبي الحجاج يوسف، ت (٧٤٤هـ - ١٣٤١م)

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق يشار عواد (مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٥م)
١٢١. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، ت (٣٤٦هـ - ٩٥٧م)
- التنبيه والاشراق (دار صعب - بيروت، د. ت)
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، (منشورات الفجر - بيروت، د. ت)
١٢٢. مسلم النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، ت (٢٦١هـ - ٨٧٤م)
- صحيح مسلم، (مؤسسة المختار - القاهرة، ٢٠١٠م)
١٢٣. المصعب الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله، ت (٢٣٦هـ - ٨٥٠م)
- نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنثال، (ط٢، دار الحديث، د. ت)
١٢٤. ابن المغازلي، علي بن محمد بن محمد الطيب، ت (٤٨٣هـ - ١٠٩٠م)
- مناقب علي بن أبي طالب (انشارات سبط النبي - قم، ١٤٢٦م)
١٢٥. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العبري، ت (٤١٣هـ - ١٠٢٢م)
- الاختصاص، تصحيح علي أكبر الغفاري، (جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم، د. ت)
- الإرشاد (ط٢، مؤسسة أهل البيت - بيروت، ٢٠٠٨م)
- أمالي المفيد (دار المتقين للطباعة والنشر - بيروت، ٢٠٠٢م)
- إيمان أبي طالب، (ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- تفسير القرآن المجيد، تحقيق، محمد علي آيازي، (مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي - قم، ٥١٤٢٤هـ)
١٢٦. المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي، ت (٨٤٥هـ - ١١٤١م)
- امتاع الاسماع، تحقيق محمد عبد الحميد التمسلي (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)
- النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم، تحقيق حسين مونس، (دار المعارف - القاهرة، د. ت)

١٢٧. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، ت (٧١١هـ - ١٣١١م)
لسان العرب، (نشر آداب الحوزة، د. ت)
١٢٨. المهزومي، أبو هفان عبد الله بن أحمد ت (٢٧٥هـ — ٨٧٠م)
ديوان شيخ الاباطح أبي طالب (رضوان الله عليه)، تحقيق محمد باقر المحمودي، (مجمع
حياة الثقافة الإسلامية، د - ت)
١٢٩. موسى بن عقبة، أبو محمد، ت (١٤١هـ - ٧٥٨م)
المغازي النبوية، تحقيق حسين مرادي نسب (شريعة - قم، ١٤٢٤هـ)
١٣٠. الموفق الخوارزمي، أحمد بن أبي سعيد، ت (٥٦٨هـ - ١١٧٢م)
المناقب، تحقيق مالك المحمودي (ط ٢)، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤١٤هـ)
١٣١. النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي، ت (٤٥٠هـ - ١٠٥٨م)
فهرست اسماء مصنفی الشيعة (رجال النجاشي)، (ط ٥)، مؤسسة النشر الإسلامي - قم،
١٤١٦هـ)
١٣٢. النحاس، أبو جعفر، ت (٣٣٨هـ - ٩٤٦م)
معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني (السعودية - جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ -
١٩٨٩م)
١٣٣. النسائي، أبو عبد الله أحمد بن شعيب بن علي، ت (٣٠٣هـ - ٩١٥م)
خصائص أمير المؤمنين، تحقيق محمد هادي الاميني (مكتبة نينوى الحديثة - طهران، د.
ت)
- السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار سليمان وسيد كسروي حسين (دار الكتب العلمية -
بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م).
- الضعفاء والمتروكين، تحقيق محمود إبراهيم زايد (دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت،
١٩٨٦م)
- فضائل الصحابة، (دار الكتب العلمية - بيروت، د ز ت)

١٣٤. أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله، ت (٤٣٠هـ - ١٠٣٨م)
حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، (المكتبة العلمية - بيروت، ١٩٨٧م)
١٣٥. النووي، يحيى بن شرف الخرامي، ت (٦٧٦هـ - ١٢٧٧م)
شرح صحيح مسلم (دار احياء التراث العربي - بيروت، ١٩٨٧م)
١٣٦. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت (٧٣٣هـ - ١٢٣٢م)
نهاية الارب في فنون الأدب، (المؤسسة المصرية العامة - القاهرة، د. ت)
١٣٧. النيسابوري، محمد بن الحسن، ت (٥٠٨هـ - ١١١٤م)
روضة الواعظين (المطبعة الحيدرية - النجف، ١٩٦٦م)
١٣٨. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، ت (٢١٨هـ - ٨٣٣م)
التيجان في ملوك حمير، تحقيق مركز الدراسات والبحوث اليمنية (اليمن - صنعاء،
١٣٤٧هـ)
- السرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون (ط٢)، الهيئة العامة للقصور والثقافة -
القاهرة، ٢٠١٢م)
١٣٩. الهلالي، سليم بن قيس، ت (٧٦هـ - ٦٩٥م)
كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد باقر الأنصاري، (مطبعة نكارش - قم، ١٤٢٣هـ)
١٤٠. الهيثمي، أحمد بن حجر المكي، ت (٩٧٤هـ - ١٥٦٦م)
الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة (ط٢)، شركة الطباعة الفنية المحدودة
- مصر، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م)
١٤١. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، ت (٨٠٧هـ - ١٤٠٤م)
مجمع الزوائد (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
١٤٢. الواحدي النيسابوري، علي بن أحمد، ت (٤٦٨هـ - ١٠٧٥م)
أسباب نزول الآيات، (مؤسسة الحلبي وشركاؤه - القاهرة، ١٩٦٨م)
١٤٣. الواقدي، محمد بن عمر، ت (٢٠٧هـ - ٨٢٢م)

- المغازي، تحقيق مارسدن جونز (ط٣، عالم الكتاب - بيروت، ١٩٨٤م)
١٤٤. اليافعي، عبد الله بن اسعد، ت (٦٧٨هـ - ١٣٦٦م)
مرآة الجنان وعبرة اليقضان، (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٧م)
١٤٥. ياقوت الحموي، ت (٦٢٦هـ - ١٢٢٨م)
معجم الأدباء، (ط٣، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٠هـ)
معجم البلدان (دار احياء التراث العربي - بيروت، ١٩٧٩م)
١٤٦. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب، ت (٢٩٢هـ - ٩٠٤م)
تاريخ اليعقوبي، تعليق خليل منصور، (مؤسسة العطار الثقافية - النجف، د. ت)
١٤٧. ابو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي، ت (٣٠٧هـ - ٩١٩م)
مسند أبو يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، (دار المأمون للتراث - دمشق،
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)

المراجع

١. الأعلمي، ضياء الدين
- ديوان السيد الحميري، ت (١٧٣هـ - ٧٨٩م) (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، د. ت)
٢. الأمين، محسن
- ايعان الشيعة، تحقيق حسن الامين، (دار التعارف للمطبوعات - بيروت، د. ت)
٣. بروكلمان، كارل
- تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، (ط٥، دار المعارف - مصر، د. ت)
٤. بيومي، محمد
- السيدة فاطمة الزهراء، (ط٣، سقبر اصفهان، ١٤١٨هـ)
٥. ترحيني، أحمد محمد
- المؤرخون والتاريخ عند العرب (دار الكتب العلمية - بيروت، د. ت)
٦. التوينجي، محمد

- ديوان أبي طالب عمي النبي، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م
٧. جرداق، جورج
الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، (ذو القربى - قم، د.ت)
٨. جعفریان، رسول
سيرة سيد الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) جامع المحامد (دار الرسول الأكرم - بيروت، ٢٠٠٧م)
٩. الحاج حسن، حسين
الإمام علي مسيرة جهاد وعطاء إنساني، (دار المرتضى - بيروت، ٢٠٠٥م)
١٠. الحكيم، حسن
مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث (مكتبة الدار العربية، د. ت)
١١. الحسيني، هاشم معروف
سيرة الأئمة الاثني عشر (ط ٥، مطبعة ذي القربى - قم، ١٤٣٠هـ)
١٢. الحسيني، نبيل
الشيعية والسيرة النبوية بين الاضطهاد والتدوين، (قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠٠٩م)
١٣. حماده، فاروق
سيرة المصطفى، (دار كوخ للطباعة والنشر، ١٤٢٨هـ)
- السيرة النبوية وتقويمها، (دار القلم - دمشق، د. ت)
١٤. حميد الله، محمد
مجموعة الوثائق السياسية (للعهد النبوي والخلافة الراشدة)، (ط ٥، دار النفائس - بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)
١٥. الخوثي، أبو القاسم
معجم رجال الحديث، (ط ٥، د ز م، ١٩٩٣م)

١٦. الحيدري، كمال
معالم الإسلام الأموي، (ط٣، مؤسسة الهدى للطباعة والنشر - بيروت، ٢٠١١م)
١٧. الدوري، عبد العزيز
نشأة علم التاريخ عند العرب، (مركز زايد للطباعة، ٢٠٠٠م)
١٨. الزركلي، خير الدين
الأعلام، (ط٥، دار العلم للملايين - بيروت، د. ت)
١٩. السباعي، مصطفى
السيرة النبوية دروس وعبر (المكتب الإسلامي - بيروت، د. ت)
٢٠. السبحاني، جعفر
السيرة المحمدية، (مؤسسة الإمام الصادق - قم، د، ت)
٢١. سزكين، فؤاد
تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، (دار الثقافة والنشر الجامعة - الرياض،
١٤١١هـ - ١٩٩١م)
٢٢. سلامة، محمد يسري
مصادر السيرة النبوية (ومقدمة في تدوين السيرة)، (دار الجيزاني للنشر والتوزيع - القاهرة،
١٤٣٦هـ)
٢٣. أبو شبهة، محمد بن محمد
السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (دار القلم - بيروت، د. ت)
٢٤. الشرهاني، حسين
اضواء على السيرة النبوية (دراسة حياة الرسول مع السيدة خديجة)، (تموز - سوريا،
٢٠١٣م)
٢٥. الصالح، صبحي
نهج البلاغة، ترتيب صبحي الصالح (ط٤، نور الهدى - قم، ١٤١٣هـ)
٢٦. الصدر، محمد باقر

- فدك في التاريخ، (مكتبة بغداد، ٢٠١٣م)
٢٧. الطرايشي، مطاع
رواية محمد بن إسحاق بن يسار (دار الفكر - بيروت، ١٩٩٤م)
٢٨. العاملي، جعفر مرتضى
الصحيح من سيرة الرسول الأعظم، (ط ٥، المركز الإسلامي للدراسات، ١٤٢٥هـ -
٢٠٠٥م)
٢٩. عبد الحميد، صائب
علم التاريخ ومناهج المؤرخين (ط ٢، مركز الغدير - للدراسات والنشر - لبنان، ١٤٢٩هـ -
٢٠٠٨م)
٣٠. عبد اللطيف، عبد الشافي محمد
بحوث في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، (دار السلام للطباعة والنشر، د. ت)
٣١. عجيمي، أحمد فاضل
العرب قبل الإسلام في شرح نهج البلاغة (دار الحصاد - دمشق، ٢٠١٤م)
٣٢. علي، جواد
ابحاث في التاريخ الإسلامي، مراجعة نصير الكعبي، (منشورات الجمل - بغداد، ٢٠١١م)
- تاريخ العرب في الإسلام، (دار الهداية - بغداد، د. ت)
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ط ٤، د. م، ١٩٩٣م)
٣٣. العمري، أكرم ضياء
السيرة النبوية الصحيحة (ط ٦، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ١٩٩٤م)
٣٤. العواد، انتصار عدنان عبد الواحد
السيرة النبوية في رؤية أمير المؤمنين، (ط ٢، دار الفيحاء، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)
٣٥. الغفاري، عبد الرسول
فضائل الخمسة في الصحاح الستة، (ط ٣، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت،
١٩٧٣م)

٣٦. الفيروز آبادي، مرتضى الحسيني، ت (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)
كبير الصحابة أبو طالب، (المعارف للمطبوعات - النجف، ٢٠١٢م)
٣٧. القابنجي، حسن
مسند الإمام علي، تحقيق طاهر السلامي، (الاعلمي للمطبوعات - بيروت، ٢٠١١م)
٣٨. ال قاسم، عدنان فرمان
دروس في السيرة النبوية، (دار السلام للطباعة والتوزيع - بيروت، ٢٠١٠م)
٣٩. القزويني، محمد كاظم
فاطمة الزهراء من المهدي إلى اللحد، (مؤسسة الرافد للمطبوعات - بغداد، ٢٠١١م)
٤٠. القمي، عباس، ت (١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م)
الكنى والالقباب، (مكتبة الصدر - طهران، د. ت)
٤١. كب، هاملتون
علم التاريخ، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون، (دار الكتاب اللبناني - بيروت، ١٩٨١م)
٤٢. كحالة، عمر
معجم المؤلفين، (دار احياء التراث العربي - بيروت، د. ت)
٤٣. محسن، إبراهيم جدوع وحميد سراج جابر
الأهمية الاجتماعية والثقافية للسيرة النبوية عند الكليني، (مؤسسة التميمي - النجف
الاشرف، ٢٠١٣م)
٤٤. مصطفى، شاكر
التاريخ العربي والمؤرخون، (ط ٢، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٨٧م)
٤٥. المظفر، محمد رضا
السقيفة، (ط ١، دار القارى، بيروت، ٢٠١٤م)
٤٦. مغنية، محمد جواد
التفسير الكاشف، (ط ٢، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٧٨م)
فضائل الإمام علي، تحقيق سامي الغريبي، (ط ٣، مؤسسة التراث الإسلامي - قم، ٢٠٠٧م)

٤٧. الميلاني، علي الحسيني
حديث الدار (مركز الابحاث العقائدية، ١٤٢١م)
٤٨. ناجي، عبد الجبار
نقد الرواية التاريخية (عصر الرسالة نموذجاً)، (دار المحجة البيضاء، ٢٠١١)
٤٩. الندوي، أبو الحسن علي الحسيني
السيرة النبوية، (ط٢، دار الشروق - جدة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)
٥٠. نصار، حسين
نشأة التدوين التاريخي عند العرب، (مكتبة النهضة المصرية، د. ت)
٥١. نصار، عمار عبودي
تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين، (دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ٢٠٠٥م)
٥٢. النصر الله، جواد كاظم
الإمام علي في فكر معتزلة البصرة، (دار الفيحاء للطباعة والنشر - البصرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠١٣م)
- فضائل أمير المؤمنين المنسوبة لغيره (ولادته في الكعبة)، (مركز الابحاث العقائدية - قم، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)
٥٣. هروفيتس، يوسف
المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، (دار التأليف والترجمة - القاهرة، ١٩٤٩م)
٥٤. اليوسفي، محمد هادي
موسوعة التاريخ الإسلامي (اضواء الحوزة - لبنان، ٢٠١٢م)

الأطاريح والرسائل الجامعية

١. الفارس، محمد خضير جاسم
عروة بن الزبير دراسة في سيرته ومروياته التاريخية في السيرة النبوية، رسالة ماجستير غير

منشورة مقدمة إلى جامعة البصرة - كلية الآداب، ٢٠١٠م.

٢. مطر، رحيم عباس

آل بيت النبوة (عليهم السلام) في كتاب الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري، ت (٣١٠هـ) حتى عام ٦١هـ اطروحة دكتوراه غير منشورة قدمت إلى جامعة المستنصرية كلية التربية، ٢٠١٢م.

البحوث

١. الشرهاني، حسين علي

أسلوب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في اختيار قادة السرايا، العدد ١٦ سنة ٢٠١٥

٢. الشرهاني، حسين علي ومحسن راشد طريم

أسلوب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في اختيار سفرائه بحث منشور في مجلة كلية الآداب، العدد ٨ المجلد ٢، ٢٠١٢م

٣. هادي، رياض هاشم ونضال مؤيد مال الله

منهجية ابن إسحاق في تدوين السيرة النبوية، بحث منشور في مجلة العلوم الإسلامية - جامعة الموصل العدد السادس عشر (٢٠١٢م).

المحتويات

٩	مقدمة المؤسّسة
١١	المقدمة

الفصل الاول: السيرة النبوية بين التطور والتهديب

٢٣	المبحث الأول: مصادر السيرة النبوية
٢٤	القرآن الكريم
٢٩	سنة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)
٣٤	مدونات الصحابة
٣٤	عبد الله بن عمرو بن العاص ت (٦٥هـ - ٦٤٨م)
٣٧	عبد الله بن عباس ت (٦٨هـ - ٦٨٧م)
٤١	جابر بن عبد الله الأنصاري ت (٧٨هـ - ٦٩٧م)
٤٤	سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي
٤٥	سهل بن أبي حثمة الأنصاري
٤٧	مدونات التابعين وتابعيهم
٤٧	عروة بن الزبير ت (٩٤هـ - ٧١٢م)
٥٩	وهناك سمات مميزة لكتابات عروة بن الزبير منها:
٦٢	أبان بن عثمان ت (١٠٥هـ - ٧٢٣م)
٦٤	ويمكن تسجيل الملاحظات التالية من خلال ما ذكر أعلاه:
٦٥	وهب بن منبه ت (١١٠هـ - ٥٢٩م)
٧٠	عاصم بن عمر بن قتادة ت (١٢٠هـ - ٧٣٧م)
٧٣	شرحبيل بن سعد ت (١٢٣هـ - ٧٤٠م)
٧٧	محمد بن مسلم الزهري ت (١٢٤هـ - ٧٤١م)
٨٩	عبد الله بن أبي بكر ت (١٣٥هـ - ٧٥٢م)
٩٣	موسى بن عقبة ت (١٤١هـ - ٧٨٥م)
٩٧	سليمان بن طرخان ت (١٤٣هـ - ٧٦٠م)

- ١٠٠ معمر بن راشد ت (١٥٤هـ - ٧٧٠م)
- ١٠٣ المبحث الثاني: محمد بن إسحاق ودوره في تطوير تدوين السيرة النبوية
- ١٠٣ محمد بن إسحاق ت (١٥١هـ - ٧٦٨م)
- ١٠٦ عقيدة بن إسحاق
- ١٠٧ مكانته العلمية وموقف العلماء منه:
- ١١٠ رحلاته العلمية
- ١١١ خلافه مع علماء المدينة
- ١١٥ شيوخ ابن إسحاق
- ١١٦ والده إسحاق بن يسار ت (١١٠هـ - ٧٢٨م)
- ١١٧ موسى بن يسار ت (١١٠هـ - ٧٢٨م)
- ١١٧ محمد بن علي بن الحسين الباقر (عليه السلام) ت (١٢٦هـ - ٧٣٦م)
- ١١٩ محمد بن جعفر بن الزبير ت (١١٠هـ - ٧٢٨م)
- ١٢٠ تلاميذ ابن إسحاق
- ١٢١ سلمة بن الفضل الأبرش ت (١٩١هـ - ٨٠٦م)
- ١٢٣ يونس بن بكير ت (١٩٩هـ - ٨١٤م)
- ١٢٦ زياد بن عبد الله البكائي ت (١٨٣هـ - ٧٩٩م)
- ١٢٨ آثار ابن إسحاق العلمية
- ١٣٣ منهج ابن إسحاق في كتابة وتدوين السيرة
- ١٣٨ عصر ابن إسحاق السياسي
- ١٤٤ المبحث الثالث: عبد الملك بن هشام ودوره في تهذيب السيرة النبوية
- ١٤٤ عبد الملك بن هشام ت (٢١٨هـ - ٨٣٣م)
- ١٤٧ إنجازات ابن هشام العلمية
- ١٤٨ أما الإنجاز الثاني لابن هشام (كتاب التيجان في ملوك حمير)
- ١٤٩ أسباب تهذيب السيرة النبوية
- ١٥٦ أما الأسباب التي دعت ابن هشام لتهذيب الأشعار فهي:
- ١٦٠ المؤثرات السياسية في عصر ابن هشام على الرواية التاريخية:

الفصل الثاني : علي من الولادة حتى الهجرة

- المبحث الأول :نسب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومآثر آبائه ١٧٣
- أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم (والد الإمام علي) (عليه السلام) ١٧٩
- أبو طالب حامي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد البعثة: ١٨٧
- موقف أبي طالب من المقاطعة: ١٩٧
- وفاة أبي طالب: ٢٠١
- إسلام أبي طالب: ٢٠٥
- المبحث الثاني: علي عليه السلام من الولادة حتى الولادة حتى الهجرة ٢٢٢
- ولادته المباركة ٢٢٢
- إسلام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ٢٣٥
- إنذار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشيرته الأقربين: ٢٤٨
- مبيت الإمام علي (عليه السلام) في فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ٢٦٠

الفصل الثالث: علي (عليه السلام) من الهجرة حتى فتح مكة سنة (٥٨ - ٦٢٩ م)

- المبحث الأول: الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مهاجراً ٢٧٧
- النزول في قباء ٢٧٨
- المؤاخاة ٢٨٦
- زواج الإمام علي (عليه السلام) من الزهراء (عليها السلام) ٢٩٣
- تكنيته بأبي تراب ٣٠٦
- المبحث الثاني: عليّ (عليه السلام) في معركتي بدر واحد ٣١٢
- الإمام علي في معركة بدر ٣١٢
- مقدمة المعركة: ٣١٢
- الإمام علي صاحب الراية يوم بدر ٣١٥
- ملازمة الإمام علي (عليه السلام) لرسول الله ٣١٧
- بلاء الإمام علي (عليه السلام) في معركة بدر ٣١٨
- الإمام علي (عليه السلام) أول المبارزين في بدر: ٣٢٠
- قتلى الإمام علي (عليه السلام) يوم بدر ٣٢٤

٣٣٤	الإمام علي (عليه السلام) حامل لواء المسلمين في أحد
٣٤٢	ثبات الإمام علي (عليه السلام) يوم أحد
٣٥١	العودة إلى المدينة:
٣٥٣	المبحث الثالث: علي (عليه السلام) بعد معركة أحد حتى فتح مكة
٣٥٣	معركة الخندق
٣٦٥	غزوة بني قريظة
٣٦٩	غزوة بني المصطلق
٣٧١	حديث الإفك:
٣٨٣	غزوة الحديبية:
٣٩١	غزوة خيبر:

الفصل الرابع: علي (عليه السلام) من الفتح حتى وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله والسلام)

٤٠٥	المبحث الأول: الإمام علي (عليه السلام) عند فتح مكة
٤٠٥	مقدمات الفتح
٤١٦	الإمام علي (عليه السلام) يتعقب الجاسوسة
٤٢١	الراية في فتح مكة:
٤٣١	الإمام علي (عليه السلام) ومفتاح الكعبة:
٤٣٨	المبحث الثاني: الإمام علي (عليه السلام) بعد فتح مكة
	الإمام علي (عليه السلام) ينوب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
٤٣٨	في صلح بني جذيمة:
٤٤٢	الإمام علي (عليه السلام) في غزوة حنين:
٤٤٩	غزوة تبوك:
٤٥٧	تبليغ سورة براءة في الحج:
٤٦٣	سرية الإمام علي (عليه السلام) إلى اليمن:
٤٦٩	حجة الوداع:
	المبحث الثالث: الإمام علي (عليه السلام)

٤٨٠ في مرض الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد وفاته:
٤٨١ الإمام علي (عليه السلام) في مرض الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)
٤٩٤ سقيفة بني ساعدة
٥٠٦ تجهيز الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ودفنه
٥١٥ الخاتمة
٥٢١ قائمة المصادر والمراجع
٥٤٠ المراجع
٥٤٥ الأطاريح والرسائل الجامعية
٥٤٦ البحوث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ